المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



عقيدة عبدالقاهر البغدادي في صفات الله وأفعاله عرض ونقد

رسالة مقدمة لقسم العقيدة بجامعة أم القرى لنيل درجة «الماجستير» في العقيدة

إعداد الطالب
عبدالله بن ناصر سعد السرحاني

إشراف الدكتور
أحمد المهدي

١٤١٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : عبد الله بن ناصر بن سعد السرحاني كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((عقيدة عبد القاهر البغدادي في صفات الله وأفعاله – عرض ونقد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٤٢٦هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د. محمد سعيد أحمد الطيب	الاسم : د. محمود محمد مزروعة	الاسم : د. أحمد محمد الصاعدي
التوقيع : [signature]	التوقيع : [signature]	التوقيع : [signature] ٥/١/١٤٢٧

يعتمد

رئيس قسم

الاسم : د. أحمد عطية الزهراني

التوقيع : [signature] ٥/١/١٤٢٧

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد فهذه "عقيدة عبد القاهر البغدادي في صفات الله وأفعاله عرض ونقد " رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى .

وتتكون الرسالة من ثمانية فصول وهي عصر البغدادي وحياته العلمية ثم منهج البغدادي في العقيدة واثبات وجود الله عنده ووحدانيته وتنزيهه ثم أسماء الله وصفاته فرؤية الله تعالى ثم القدر وأفعال الله فالخاتمة .

وقد تم العرض على منهج أهل السنة والجماعة ثم النقد ، وحيث إن البغدادي قد عاش في نيسابور في نهاية القرن الرابع وأول القرن الخامس الهجري وألف في العقيدة على المذهب الأشعري وأصل أصولاً متأثراً بعلم الكلام الأشعري فكانت مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة وذلك متمثل في معرفة الله سبحانه بدليل الحدوث فقط وإنكار المعرفة الفطرية وتأويل صفات الله تعالى وإثبات سبع منها والقول برؤية الله مع نفي الجهة والعلو وصفة وجه الله .

ثم قصر التوحيد على معرفة الله وتصديقه وجعل الألوهية هي القدرة على الخلق والإختراع عنده وتكفير المخالف له ثم القول بأن الصوفية إحدى فرق أهل السنة والجماعة ونفي حكمة الله في أفعاله .

وقوله لم يكن الله فاعلاً في الأزل وليست أفعاله صفة له ، والقول بالكسب في فعل العبد وقد تبين في هذه الرسالة مخالفة ما تقدم لمذهب أهل السنة والجماعة .

والله ولي التوفيق ... **يعتمد**

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
عبد الله بن ناصر سعد السرحاني	د. محمد سيد أحمد المسير	د. عبد الله بن عمر الدميجي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

إن الحمد لله وحده نحمده ونستعينه وتستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – وبعد :

فإن الله تعالى قد اختار أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكون أمة وسطاً ، فهي ذات منهج فريد متميز ، لم يستمد من أفكار المشرعين لإنفسهم عبر التاريخ وقبل الرسالة ، ولن يتأثر بوهم اللاحقين التائهين في مسارات الدساتير مختلفين ، ذلك فضل الله وتوفيقه يؤتيه من يشاء ، فأنزل كتابه الكريم محفوظاً من لدنه ومؤيداً بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ،والتي هيأ الله لها من عباده المخلصين من قام بحفظها على مر الأعوام والسنين .

فستبقى أمة وحدانية وعبادة ما بقى الدهر وعاش البشر ،تسجد لربها ، وتستمد منه دستورها ، متبعة لرسولها مسترشدة بسلفها .وحرى بأمة تلك أوصافها وذاك منهجها أن تنال رضى ربها بإذنه سبحانه ما ألتزمت بذلك ، وأهتدت بهدي أولئك بإذن الله .

وحين تبقى مسيرة الحق ماضية ، ولطريق الرشد سالكة كان لابد من الإشارة إلى طرق شتى ، وأفكار أختلط فيها الصواب بغيره في مذاهب تترى ؛ فظن أصحابها أن النور فيه أشتباه ، وأن المحجة البيضاء قل فيها المشاة ، وأن الحجة الساطعة قد طعن فيها الهواة من أصحاب الهوى والأغراض والشبهات .

ولاشك أن نجاح تلك المسيرة الربانية الخالدة ، وإجتياحها لأطراف المعمورة حينذاك ، ورفع راية التوحيد خفاقة بلا إله إلا الله ؛ كان له أثر في ظهور تلك الأفكار ونحوها بعد إتمام الفتح العظيم واستتباب أمن الإسلام وعدالته في ربوع الأرض ؛ ذلك لوجود عدة حضارات عريقة إنضوت تحت الراية العظمى وأديان محرفة قد أنهزمت أمام نور الحق والآية الكبرى ، وأجناس كانت تعيش العبودية والقهر فخلصها الإسلام من العبودية للبشر والقهر والظلم وهيأ لها ميزان التقوى .

وكان هناك المُنتظر المترقب ليبث سموم الفرقة في الأمة ، ببعث أحقاد الماضي الدفين القائمة على الغطرسة والفوقية وعبادة النار التي أطفأتها شهادة أن لاإله إلا الله ، فمتى الثأر عند أولئك لعبادة النار ؟! نعم لقد كان خطبهم كبيراً وثأرهم شريراً ، فلبسوا لباس الإسلام وقلوبهم حرّى على أهل الإسلام الحق فأظهروا إسلاماً مهجناً بطقوسهم المجوسية النارية ، أولئك هم الشيعة الرافضة فهم أصل لكل مبتدع ، وقدوة لكل ضال ومبتغ ولهم نصيب من وزر كل من أراد بالإسلام سوءاً ذلك أنهم القدوة في الضلال والمثال في النفاق ومادام أن الطريق سالك لأصحاب الهوى والبدع في الإسلام ،ويغذي أولئك ماكان من أثر الخلافات السياسية حينذاك ، والعدول عن نهج الفطرة والتأثر بالمذاهب الفكرية الطارئة وتحكيم العقل فقد " أنقسم حملة العقيدة إلى مدارس مختلفة كل مدرسة منها تمثل لوناً معيناً من التفكير ، وتستأثر هي وحدها بالحق دون غيرها في زعمها ومن لم يدخل في دائرة تعاليمها يعد في نظرها خارجاً عن الإسلام .. فمدرسة للإشاعرة ، ومدرسة للماتريديه ، ومدرسة للمعتزلة ، ومدرسة للشيعة ، ومدرسة للجهمية ... إلى آخر هذه المدارس المختلفة المتنوعة المذاهب والمتنوعة الآراء .. » (١)

أما أصحاب الحديث والطائفة المنصورة ، أهل السنة والجماعة فما كفروا

١ - العقائد الإسلامية - السيد سابق - طبعه خاصة بالمؤلف ص ١٤ . بدون تاريخ

طائفة ، ولا أنتحلوا فكراً وافداً ، ولم يتخذوا قدوة غير محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو المتّبع والمصدق فيما جاء به عن ربه عز وجل ، فقاسوا عقولهم بالقرآن والحديث ولا غرابة فهم " أصحاب الحديث ، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة النبوية ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحده في تنزيله ، أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون لله جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات المخلوق ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف " (١). "ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما أتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف : أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال ، والإعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها : القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي صلي الله عليه وسلم من غير وجه ، وأنهم أفضل من الخلق في كل فضيلة : من علم ، وعمل ، وإيمان ، وعقل ، ودين ، وبيان ، وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم " (٢) .

إن سلامة عقيدة الأمة وصفاءها وثباتها ركن قوي وأساس متين من خصائص هذا الدين ، وإنه لمن هول المصاب وخسارة الأمة أن يأتي من يحاول زحزحة الأركان التي وضعها وشيد بناءها الواحد الديان؛ وذلك بموجب قول فلان وفلان .

---

١ - عقائد الفرقه الناجيه إعداد وتقديم عبد الله حجاج دار الجيل بيروت ط٢ سنة ١٤٠٧ ص ٢٩ .

٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ ٤ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ؛ وأنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٧ ص٢ .

ذاك ماذهب إليه القوم وتلك الفرق ، فإن كتبهم وآثارهم وعلماؤهم قديماً وحديثاً تثبت المخالفة وتدين أصحابها ، فإن المرجع والميزان هما كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحتى تقوم الساعة بهذا أمرنا وعليه نحيا ونموت ، وهذا ما ندين لله به .

ولئن كانت الأمة قد تعرضت لبلوى تلك الفرق وعقائدها في الله وخصامها مع ربها ؛ فإن نابتة فرق اليوم لا تقل خطورة عن أولئك ، وهم قوم علمانيون ينادون بفصل الدين عن الدنيا ، ويظهرون للملأ ثباتهم في دينهم غير أن باطنهم يعلمه الله سبحانه ، وقبلتهم الشرق تارة والغرب أخرى وقى الله المسلمين شرهم والصحوة غدرهم .

وإذا كانت الصحوة اليوم هي فارس الميدان في الدعوة والتعليم فإن الحذر والحيطة لازمان ليسلم لها أمرها وتُسدد خطاها ويكثر في الورى أتباعها ، مسترشدة بهدي قائدها ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه والتابعين ، ومن جاء من بعدهم لحمل الراية كإمام أهل السنة أحمد بن حنبل وموقد سراجها أحمد بن تيمية ورائد حركتها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحامل لواء سلفها ، وهم أولئك الذين وقفوا مع الصحوة على مر العصور الإسلامية سداً منيعاً وحصناً حصيناً أمام تلك التيارات والمدارس الكلامية والمصطلاحات الإغريقية وأصحاب العقول والأصول الدائبين على مخالفة نهج الرسول صلي الله عليه وسلم .

ولما كنت قد أنهيت المرحلة الجامعية متخصصاً في أصول الدين بجامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية ، ثم هيأ الله تعالى لي دراسة التخصص بجامعة أم القرى والتي تقوم مع وصيفاتها في هذه البلاد المباركة بإذن الله،

بحمل مشعل العلم والإيمان، وفق الله القائمين عليها جميعاً لحمل الرسالة وحفظ الأمانة ، وجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء .

ثم قدر الله سبحانه أن أخترت موضوع « عقيدة عبد القاهر البغدادي – في صفات الله وأفعاله – عرض ونقد » .

ولأهمية الموضوع وعلاقته بالتخصص الذي أنتمي إليه ، كيف والمعني بالأمر وهو صاحب العقيدة يعد مؤصلاً لعقيدة مبتدعة وتيار فكري ذلك هو المذهب الأشعري ، وقبل أن يُبين أهمية الموضوع فإنه يجب أن يُقف وقفة تقرير مع أسم صاحب المذهب ، وذلك هو أبو الحسن الأشعري رحمه الله ، والذي تسمى المذهب بإسمه ،والذي نعلمه ونعتقده كما سبق إلى ذلك علماؤنا أنه مات رحمه الله سلفياًصالحاً نحسبه كذلك والله حسيبنا جميعاً ، فقد أعلن رجوعه وأبان أصوله وقرر متابعته لإمام أهل السنة في كتابه هو بنفسه ، وأما الأشاعرة الذين سيرد ذكرهم وتتكرر أقوالهم فإنهم أولئك الذي ألتزموا منهج أبن كلاب والذي كان يمثل المرحلة الثانية من حياة أبي الحسن الأشعري الذي رجع وتاب،وتابع سنة المصطفى صلي الله عليه وسلم وأناب، وألف الإبانة،وقد ذُكر في الرسالة أن العودةعن الإبانة أمر لا يليق بمثل هذا الشيخ،بل لا يليق ولا يقبل من مسلم،كيف والأمر واضح وجلي ، أما الذين يدّعون أنهم أصحابه فقد قالوا بخلاف هذا والأمر أولاً وأخيراً إلى الله .

أما شيخ الإسلام فقد ثبت عنده رجوعه وعودته والعود أحمد وأرشد فقال : " وأما من قال منهم بكتاب الإبانه الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك ، فهذا يعد من أهل السنة " .

أهمية الموضوع

ونظراً لخلط الأمور وتسمية الأشياء بغير مسمياتها وسوء الفهم والقصد ، فإنه يلزم توضيح أمورٍ مهمة منها :

أولاً : إن صاحب هذه العقيدة عبد القاهر البغدادي قد حمل لواء تقرير مذهب لاهل السنة والجماعة ، وقرر أتفاقهم على أصوله التي وضع ومسائلة التي قرر فيها الجوهر الفرد والأجسام والأعراض ودليل الحدوث والنظر وتأويل الصفات والكسب والكلام النفسي وغيرها، وقد ثبت في طيات هذا البحث الرد على تلك الأقوال، ومخالفتها لمذهب أهل السنة والجماعة الحق، بعد تقريرها والرد عليها على ضوء منهج أهل السنة والجماعة الحق .

ثانياً : إن عقيدة البغدادي ومؤلفاته تُعد مرجعاً لمذهب الأشاعرة لما بينه وأصّله لهم من أصول، وقوله أن تلك الأصول هي ما أتفق عليها أهل السنة، فقد ثبت بطلان هذا القول ، بالدليل وأقوال العلماء ومن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . أما كونه مصدراً أو مرجعاً فلا شك أنه من أفضل من ألف وثبت على المنهج بعكس غيره الذين عادوا في أواخر مراحل عمرهم كالشهرستاني والجويني والرازي والذين سجلوا عودتهم في كتبهم .

أما البغدادي فقد عدّه الدكتور بدوي مصدراً رئيسياً فقال: " ويعد البغدادي لذلك مصدراً رئيسياً من مصادرنا عن مذهب الأشاعرة أولاً لدقته في إيراد مذهبهم ، ولإستيفائه لأوجه آرائهم في مختلف مسائل الدين والحجج التي أدلوا بها في الدفاع عن هذه الآراء ضد

الخصوم ، خصوصاً وأنه ينقل عن كتب للإشعري والقطان والقلانسي ضاعت " (١).وقال عنه الدكتور صبحي : " أدى عبد القاهر البغدادي في مذهب الأشاعرة دورين متكاملين أحدهما سلبي والآخر إيجابي .. ثم قال " وأما الدورالإيجابي فيتمثل في صياغة آراء الأشاعرة لا على أنه مجردفكر لفرقة من فرق المتكلمين وإنما على أنها عقيدة لجمهور أهل السنة من المسلمين ، وكاد يستقر في أذهان الناس هذا لولا ظهور امام مذهب السلف ابن تيمية الذي كشف عن أن عقائد الأشاعرة لا يمكن أن ترجع كلها إلى الرسول أو أئمة السلف " (٢) .

ثالثاً : إن الانتساب إلى المذهب الأشعري بدعة وشر على العقيدة والعبادة والأمة وفي هذا يقول شيخ الإسلام بعد ذكر عودة أبي الحسن في الإبانة : " لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة ، لا سيما وأنه بذلك يوهم حسناً بكل من أنتسب هذه النسبة ويفتح بذلك أبواب شر " (٣) .

وإذا كان متابعة أولئك واعتقاد مذهبهم شراً وبدعة فإنه قد بين شيخ الإسلام وسائل النجاة والعمل في مرضاة الله عز وجل فقال : " وإذا عُرف المقصود فمذهب أهل السنة والجماعة مادل عليه الكتاب والسنة، وأتفق عليه سلف الأمة وهو القول المطابق لصحيح المنقول وصريح العقول "

ثم يقول رحمه الله في مكان آخر " ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالك ، والشافعي ،

---

١ - مذهب الإسلاميين د . عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين ط الثالثه سنة ١٩٨٣ ص ٦٧٤ .

٢ - في علم الكلام دراسة فلسفيه - الأشاعره - د . أحمد صبحي مؤسسة الثقافه الجامعيه الطبعه الرابعه سنة ١٩٨٢ ص ٩٣ .

٣ - فتاوي شيخ الإسلام جـ٦ ص ٣٦٠ .

وأحمد ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة " (١) .

رابعاً : ما وقع من أثر كبير لتلك المناهج الكلاميه والمصطلحات الإغريقيه التي أعتمدها في تقرير عقيدتهم تلك في كتبهم ومدارسهم وجامعاتهم ورفض تعليم كتب السلف والحديث بينما تلك الجامعات تقرر المباحث الفلسفيةً والمناهج الكلامية ثم تقرر توحيد رب البرية بعيداً عن القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة المرضية ، وهنا يقول صاحب كتاب عقائد السلف في مقدمته : "والحقيقة أن دراسة الإسلام وعقائده ، لا يمكن أن تكون قائمة على سوقها إن لم تتناول ما كتبه السلف من أهل القرن الثالث والرابع ، وما صنفه من نهج نهجها من بعدهم على توالي العصور إلى عهد أبن تيميه ، ومن أخذ عنه من الأعلام حتى عصرنا هذا ..وبعث هذه الرسائل والنصوص التي غفل أكثر الناس عنها ، حتى إن المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالأزهر، وبقية الجامعات لم تولها أي اهتمام ولا اعتبار في مناهجها ودراستها ، وذلك أن الدارسين أعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأنظار الغريبة الدخيلة . وأراء عهد أنحطاط الحضارة الإسلامية ، مع أن المنهج العلمي التاريخي الصحيح ، يقتضي أن نرجع إلى الأصول الأولى قبل كل شئ " (٢).قلت : ولعلها عودة أخرى لمن كان على مذهب تلك المدارس فقد ألف كتابه نشأة الفكر الفلسفي، والذي كان يصف فيه أبن تيميهٌ بحدة المزاج والتخبط ، وأنه يضع المقدمات ثم يقفز عليها نعم لقد صب جام غضبه على أبن تيميه وذلك

١ - منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيميه تحقيق د . محمد رشاد ط الإمام سنة ١٤٠٦هـ جـ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

٢ - عقائد السلف . جمع د . علي سامي النشار وعمار الطالبي . منشأة المعارف سنة ١٩٧١ ص ٥ .

في كتابه نشأة الفكر الفلسفي دفاعاً عن فرقته الناجية الأشاعرة ! والجهمية وأبن عربي الملحد الصوفي .. (١)

خامساً : الجفاف الروحي الذي يصبغ تلك المناهج والكتب والأفكار الكلامية والبعد عن أمتثال السنة النبوية " ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية ، وتطوي الصفحات الطوال ، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث إلا اقتباسات يسيرة ، تبدو كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة " (٢) ويدل على ذلك الجفاف وتلك الغربه عن الدين فرح العائدين إلي مذهب السلف من أساطين علماء الأشاعرة كالرازي والجويني والشهرستاني الذي قال :

لقد طفت تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أوقارعاً سن نادم (٣)

والجويني الأب الذي عاد وألف في العقيدة ثم رد على أصحابه القدامى وبين أن الخير والصلاح وحسن الخاتمة هو ما ذهب إليه (٤) ..

سادساً:لقد كانت عقيدة ومذهب الأشاعرة دهليزاً مرق منه أفراخ الصليبيين المستشرقون الذين درسوا المذهب وذلك لإنتشاره وكثرة مؤلفاته وعلمائه فظنوا أنه الإسلام الحق فأبتهجت سرائرهم ونادوا في عشائرهم أن القول ما قالت حذام ! . نعم أنها إحدى مصائب علم الكلام

---

١ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د . علي سامي النشار دار المعارف ط السابعه سنة ١٩٧٧جـ١ أنظر ص ٢٧٦، ٣٤٤ ،، ٣٥٤ وغيرها ... ك.ص ٢١٢ والذي وصف فيه أبن تيمية بالتشبيه والتجسيم .

٢ - عقيدة المسلم . محمد الغزالي دار الريان للتراث ص ١٥ .

٣ - نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني حرره الفردجيوم مكتبة المتنبي القاهره ص ٣ .

٤ - أنظر النصحية في صفات الرب عز وجل جمع أحمد بن ابراهيم الواسطي تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي . وانظر مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي بتحقيق محمد ناصر الالباني إشراف زهير الشاويش دمشق المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ص ٢٦ .

وأصحابه ، ولقد صدق أبن تيميه رحمه الله الذي قال : " فالمتكلمون الذين أبتدعوه وزعموا أنهم به نصروا الإسلام وردوا به على أعدائه كالفلاسفة لا للإسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، بل كان ما أبتدعوه مما أفسدوا به حقيقة الإسلام على من أتبعهم ، فأفسدوا عقله ودينه وأعتدوا به على من نازعهم من المسلمين ، ومنحوا لعدو الإسلام باباً إلى مقصوده " (١) .

نعم!هذا المستشرق"الكبير"جولد تسيهر قد بوب في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام قوله : نمو العقيدة وتطورها ثم قال : " ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات .ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطراً إلا اثار عامة نجد فيها إذا بحثناها في تفاصيلها ، أحياناً تعاليم متناقضة .. إذاً كان لزاماً على علم الكلام المُنسق أن يتولى منذ أول الأمر حل الصعوبات النظرية الناشئة عن مثل هذه التناقضات .

– وبالتأكيد فلم يجد هذا المستشرق صعوبة في ذلك – لان المبدأ المشترك بين المعتزلة والأشاعرة هو أن البرهان المؤسس على العناصر النقلية لا يعطينا أي يقين .. فجاء اليقين المتنوع الذي أستخدمه « أهل السنة » في تأويل هذا النص ، المضايق للفهم أو التصور المنزه لله ، يرينا معرضاً كاملاً للحيل التفسيرية في صالح المدرسة الأشعرية " (٢) وقد وُصف هذا المستشرق بأنه من خيرتهم

١ – م.فتاوي شيخ الإسلام جـ ٥ ص ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

٢ – العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر عربه وعلق عليه محمد يوسف وآخرون دار الكاتب المصري ، القاهرة ط أولى سنة ١٩٤٦ أنظر ص ٦٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، و"الكبير" وصف للمستشرق في عنوان الكتاب ! .

وأقلهم عدواة للإسلام"وهو هنا يصف الإسلام بأنه يتطور لإن الأشاعرة وغيرهم قد أساءوا فهم الإسلام الحق فيقول جولدتسيهر أيضاً «والمتكلمون الأشاعرة لم يكترثوا كلية بإحتجاجات أستاذهم بل ثابروا وأستمروا على التوسع في إستعمال طريقة التأويل " (١) . وإلى التأويل ذهب البغدادي كأصحابه .

سابعاً :العلاقة الحميمه بين المذهب الأشعري والتصوف « خاصة وقد تحالف الأشاعرة مع الصوفية فعد الأولون كثيراً من الصوفية من رجالهم والعكس صحيح فأشتد بذلك الجفاء بين الأشاعرة والحنابلة لخصومة الآخرين للتصوف واعتباره بدعاً لم تكن على العهد الأول من الإسلام .. ولكن يبدوا أن أرتباط الأشعرية بالصوفية كان من أهم عوامل انتشار المذهب من جهة وتمكين جانب الاعتقاد وضعف جانب الرأي من جهة أخرى لقيام التصوف على التسليم وذلك بين جمهور الأشعرية المتصوفة ، ومن كبار الصوفية الذين أصبحوا من رجال الأشاعرة .. ذكرهم البغدادي في كتابه أصول الدين* كلهم تابع الأشعري وشايع مذهب الأشاعرة ومكن له بين جماهير أهل السنة من المسلمين ".(٢)

و- إذا كان البغدادي شيخاً للقشيري صاحب الرسالة في التصوف عُلم مدي أرتباط صاحب العقيدة بالصوفية والمذهب الأشعري .

" والصوفية في الغالب لا يرجعون في دينهم وعبادتهم إلى الكتاب

---

١ - العقيده والشريعه لجولدتسيهر ص ١١٠ ؛ وانظر حاضر العالم الإسلامي للوثروب بقلم شكيب أرسلان دار الفكر ط٤ سنة ١٣٩٤هـ ج١ [illegible] ، وانظر الأعلام للزركلي ج١ ص ٨٤ ، [illegible]

٢ - في علم الكلام للصبحي أنظر ص ١٢ ، ٢٤ .

* أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٣١٥ .

والسنة والإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وانما يرجعون إلى أذواقهم وما يرسمه لهم شيوخهم من الطرق المبتدعة ، والأذكار والأوراد المبتدعة ،وربما يستدلون بالحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعة لتصحيح ماهم عليه بدلاً من الإستدلال بالكتاب والسنة .

هذا ما ينبني عليه دين الصوفية " (١).وإذا كان هذا خطرهم وفسادهم على الإسلام فإن البلوى أكبر والخطب أعظم حين يتم الرضى عنهم ، وتُبارك أعمالهم وأحوالهم ومن الأشاعرة علمائهم .

ثامناً :إنتشار مذهب صاحب العقيدة البغدادي فلقدأشار كثير من العلماء إلى أن الغلبة في بلاد الإسلام للمذهب الأشعري أمام أهل السنة ومنهم مصطفى عبد الرزاق الذي قال : " أما النهضة الحديثة لعلم الكلام فتقوم على نوع من التنافس بين مذهب الأشعرية ومذهب ابن تيميه ، وانا لنشهد تسابقاً في نشر كتب الأشعري وكتب ابن تيميه وتلميذه ابن القيم ، ويسمى أنصار هذا المذهب الأخير أنفسهم بالسلفية ولعل الغلبة في بلاد الإسلام لا تزال إلي اليوم لمذهب الأشاعرة " (٢) .

نعم هذا هو المذهب وأما صاحب العقيدة فإنه مؤسس ومؤصل فيه .

---

١ - مجلة البحوث الإسلاميه . الأمانه العامه لهيئة كبار العلماء عدد ٢٢ سنة ١٤٠٨ هـ للشيخ صالح الفوزان ص ١٥٤ ـ بحث ـ

٢ - "مقارنة بين الغزالي وابن تيميه" للدكتور محمد رشاد سالم الدار السلفية محفوظة سنة ١٣٩٥ ص ٤ .

دوافع الكتابة

إن من الواجب على كل مسلم غيور على دينه الدفاع عن عقيدته في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تصحيح أمر العقيدة مطلب أولي في كل زمان وآن ، ولا يُنظر للناعقين بوحدة الأمة أولاً ! نعم لوحدتها ولكن عقيدتها أولاً وأخيراً هي فلاح أمرها ونجاح مسعاها . وإن نظرة إلى واقع العالم الإسلامي لهو الدليل الدامغ على خلل في ذلك المطلب ويظهر للمرء المتجرد عن العاطفة سبر أمور منها :

أولاً : الحكم بغير ما أنزل الله في معظم دول العالم الإسلامي أو جميعها، وقد حمى الله بلد الحرمين الشريفين زاده الله ثباتاً وأمناً، وذلك أن الكفر عند البغدادي وأصحابه هو عدم التصديق بالله ومعرفته، فقط !.

ثانياً: لقد أدى خلل العقيدة إلى خلل في العبادة وفصل تام عن العقيدة وذلك ناتج عن علم الكلام الذي أثر على التوحيد ثم صرفه عن معناه إلى قولهم : " التوحيد علم يُبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يُثبت له من صفات وما يجوز أن يُوصف به ، وما يجب أن يُنفى عنه ، وعن الرسل لإثبات رسالتهم ،وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز أن يُنسب إليهم " (١) . والألوهية عند البغدادي وأصحابه هي الخلق والقدرة على الإختراع !.

ثالثاً: إنتشار الخرافة الصوفية والزوايا والمزارات والمشاهد والحضرات في مساجد الأمة ، والتوسل إلى أولئك الأموات والمُخرفين وإقامة الموالد والأعياد غير ما شرع الله ، بل أن الصلاة أمرها هين والعبادات قد وصفوها بالعادات ، ذلك أن الإيمان عندهم في عقيدتهم هو التصديق.

---

١ - رسالة التوحيد للأستاذ محمد عبده تحقيق أبو ريه دار المعارف بمصر ط الرابعه ص ٢٢ .

وهذا ما قاله البغدادي وأصحابه فإنهم يتحملون وزر قولهم وعائد تضييعهم للأمة .

رابعاً: إن الدعوة قائمة الآن إلى وحدة وحوار الأديان،لإنها سماوية في قولهم، أو ماعلموا أن الدين هو الإسلام ولن يقبل الله ديناً آخر ، يقابلها دعوة لتوحيد الفرق الإسلامية،الشيعية والرافضة والأباضية وغيرهم، أما على عقيدتهم فنعم لوحدة الأديان لإن الإيمان هو إثبات وجود الله عندهم وهذا قائم في الأديان الأخرى ، ولا يهم التثليت والتثنية فالجميع يثبت وجود الرب .

أما توحيد الفرق الإسلامية فإن الدعوة إليه،هراء وفوضى فالكل عنده حجة وعصا،فباب التوبة مفتوح عند الله تعالى ؛ إن هذا جميعاً قد دعاني إلى أن أستخير الله وأبدأ في هذا الموضوع،وفي أثناء جمع المادة العلمية زادني حرصاً ما أطلعت عليه في قسم العقيدة في المكتبات ، ومن ذلك ما قرأته للشيخ الدكتور / محمد رشاد سالم رحمه الله في عرضه مقارنة بين الغزالي وأبن تيمية حيث يقول : " والواقع أنني لا أقصد بالمقارنة بين شخصية وأراء الرجلين مجرد المتعه الذهنية بل إني أقصد بذلك الموازنه والمفاضلة بين أكبر تيارين فكريين يؤثران على المسلمين حتى أيامنا هذه . فالغزالي يمثل التيار الأشعري الصوفي ، وابن تيميه يمثل التيار السني السلفي ، ولكل من التيارين أنصاره ورجاله ، وأحسب أن الغلبة في أكثر البلاد الإسلامية هي – حتى الآن – للتيار الأشعري الصوفي ، وهذا على الرغم من أن التيار الثاني يمتد ويقوى يوماً بعد يوم " (١) .

---

١ – مقارنة بين الغزالي وابن تيميه د . محمد رشاد سالم .

ومن قبل وأثناء دراستي للعقيدة كنت أجد إستغراباً لأقوال وقواعد الأشاعرة ووقوفهم برزخاً بين أهل السنة والمعتزلة ، ثم و جدت تقريضاً لصاحب العلم الشامخ الذي قال : "قلت أن أئمة هذا الشأن يرجعون إلي أحد الفريقين هما الناس تحرياً للصواب وتحقيقاً ، وسكان البسيطة غلبة وتطبيقاً ، زادهم الله كمالاً وكثرة ، وتدارك لهم بسوابقهم في الإسلام كل كبوة وعثرة ، وهم المعتزلة والأشعرية وإن كان كل منهم لا يقيم لصاحبه ميزاناً " (١) ، نعم إلا أن كليهما قد تخليا عن ميزان الحق الذي وضعه رب الخلق. وحينما جمعت مؤلفات للبغدادي صاحب العقيدة وجدت ضالتي وعزمت أمري ثم توكلت على ربي؛ ذلك أنني أستطيع أن أسبر غور هذا المذهب من خلال دراستي لأحد أعلامه بل والمؤصلين فيه ، وسيظهر ذلك من خلال العرض والنقد لأقواله في أصوله ومسائله .

منهج دراسة الموضوع :

ولما كان موضوع البحث يتعلق بعقيدة البغدادي التي عمل جاهداً في ترسيخ وتأصيل ثوابتها ، فكان له الدور البارز ، بل وسيتبين في البحث أنه قد سبق أصحابه وخاصة الرازي الذي أخترع قانون "تقديم العقل على النقل في حالة التعارض"، أما البغدادي فقد أبتكر قانون "الشبهة في المتواتر تجعله لا يفيد علماً"* والنتيجة واحدة وهو تأويل كل ما يتعارض مع دليل الحدوث عندهم ، لا يهم إن كان قرآناً أو سنة متواترة أما الآحاد فلا يفيد علماً إطلاقاً عنده وعند أصحابه .

ومن خصائص دور البغدادي في عقيدته الأشعرية، أنه لم يذكر له قولاً مخالفاً في الغالب وهذا تمام الإندماج وخدمة المذهب .

---

١ – العلم الشامخ في تفضيل الحق على الاباء والمشائخ للعلامة صالح المقبلي اليمني دار البيان بشير محمد عون دمشق ص ١٠

* أنظر أصول الدين ص ٢٢ .

وسيظهر في خاتمة البحث نتيجة دراسة هذه العقيدة بعد عرضها على ميزان الحق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والعاملين بهما سلفاً لهذه الأمه أهل السنة والجماعة ، أولئك السابقون الذين رضي الله عنهم وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عنهم راض ، وأكتمل الدين قبل موته ، فهل نحيد عنهم ونطلب الكمال من الرجال في معرفة الواحد المتعال وتوحيده وما يليق بجلاله ، إن ذلك دونه خرق القتاد وما هو إلا العبث والإعراض والعناد .

ولا شك أن البغدادي قد خدم الإسلام من ناحية أخرى وهي كشف نوايا فرق الزيغ والضلال الذين وجدوا في عهده ومن قبل وقد سبقه إلى ذلك صاحب المذهب سابقاً أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، غير أن البغدادي كان يقارعهم بنفس السلاح وذلك كأصحابه ، وأولئك يجيدون استخدام سلاحهم ، فما بدا منه إلا أن كفر آحاداً ثم أطلق تكفير الجماعات وسيظهر ذلك في مبحث التكفير في آثار عصره عليه .

والحقيقة أنه لو أستخدم سلاح إمام أهل السنة لكن أجدى وأرجى ولخدمة الإسلام أولى ؛ فقد حمى الله الإسلام من فتنة خطيرة وفق الله فيها الإمام أحمد فكان أمة في حين تجاوبت الأمة كلها وقالت مكرهة بالقول بخلق القرآن بأمر من الطغاة وجور السلطان في ذلك الزمان ، لكن التزام الإمام بكتاب الله كما أنزل بقي ثابتاً كالطود الأشم أمام عواصف البدع والبهتان . وهذا مثال سقته ، وودت لو أن صاحبي أستخدم مثله لكسر شوكة أخصامه وأراح نفسه من بلواء التكفير ، والبحث في الجوهر الفرد والأعراض حيث لا تنفع ولا تشفع يوم النفير . فرحمهم الله ، وتجاوز عنا وعنه إنه السميع القدير .

هذا وقد أشتملت خطة البحث بعد المقدمة على ثمانية فصول وخاتمه :

أما الفصل الأول : فقد كان بعنوان عصر البغدادي وحياته ، وقد أشتمل علي مبحثين :

المبحث الأول : عصر البغدادي وأثره عليه .

أما عصره : فقد عُرض فيه الناحية السياسية والعلمية والإجتماعية، مُبيناً أثر إضطراب الحياة السياسية وأثرها على الناحية الإجتماعية، وانتشار دولة الطوائف شرقاً وغرباً وجنوباً وكذا شمالاًولم يعد بيد الخليفة في بعض الأحيان أمر ولا نهي .وذلك على خلاف في الناحية العلمية التي أزدهر فيها العلم والتاليف وبناء المدارس،وكان صاحب العقيدة يدرّس في احداها في نيسابور،التي أزدهرت بالعلماء وحركة التعليم،متمثلاً في الإنفاق على العلم وطلابه وبناء مدارس ودور العلم .

المبحث الثاني : حياة البغدادي وآثاره ومكانته العلمية وآراء العلماء فيه :

فأما حياة البغدادي : فقد أشتملت علي مولده في بغداد ورحلاته إلي نيسابور ثم أسفرايين وقد ولد قبل منتصف القرن الرابع .

ثم أستقر في نيسابور ودرّس بها وعاش فيها وقد أثر والده عليه ، وأما شيوخه فقد درس على أبي اسحق الاسفراييني وغيره وروى عن ابن عدي وغيره من الشيوخ .

أما تلاميذه : فكان من أبرزهم أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة الصوفية .

أما مكانته العلمية : فقد أثنى عليه علماء عصره وأصحاب مذهبه .

وآثاره كانت جمة . طبع منها أصول الدين والفرق بين الفرق ، والملل والنحل والتكملة في الحساب .. وقد بلغت ٣١ مؤلفاً .

أما الـ ٣١ : فكانت مخطوطة تفسير أسماء الله الحسنى وقد أثبت نسبتها إليه،وهي محفوظة بالمتحف البريطاني،ونسخة منها بمركز الملك فيصل للبحوث،وله آثار في رواية الحديث وأقوال في الشعر .

وقد ورد تعقيب على ابن الصلاح في قوله البغدادي يقول أن أول واجب على المكلف الشهادتان ؟ وبالبحث فلم يثبت هذا لا في كتبه ولا رواية صحيحة عنه،غير أنه وجد أن المقصود إمام آخر هو أبو منصور الأيوبي الذي ذكر البيهقي في الأسماء والصفات أنه ناصر للسنة والله أعلم.

الفصل الثاني : منهج البغدادي دراسة مسائل العقيدة وفيه أمور :

١ - أنشأ البغدادي تقسيماً لأصول الدين لم يُسبق إليه .

٢ - العقل مصدر التلقي .

٣ - التأويل .

٤ - اتفاق أهل السنة والجماعة على تلك الأصول عنده ! .

٥ - التوحيد وأنه القادر على الخلق والإختراع ونفي التبعيض والتركيب والحوادث ! .

٦ - الشك في الخبر المتواتر وعدم قبول علم خبر الاحاد *.

٧ - تأثره بما يجري حوله في منطقة خراسان التي كانت مركزاً للتيارات الكلامية . ذلك مما أثر عليه في صميم العقيدة فكان أشعرياً، لأمور ورد بيانها، وقد أتضح ذلك في المنهج الذي وضعه في أصول الدين، وسار عليه في تآليفه الأخرى، وتعامل مع الفرق بموجب ذلك المنهج .

وكذلك شيوخه، وأقواله من مؤلفاته، وانتسابه إلى أئمة أصول الدين وعلماء الكلام ، وتأويله للصفات ..

٨ - متابعته لأصحابه في القول بالإستدلال بالنظر على وجود الله ، وغلطهم في مفهوم توحيد رب العالمين ، والقول بالتأويل ، والتناقض في عقيدتهم، والإختلاف في تقرير أصولهم، وفيما بينهم ، والخلاف الأكبر مع أهل السنة، والقول بالتحسين والتقبيح، ونفي الحكمة والتعليل عند البغدادي .

* أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٢٢ .

٩- التكفير : بيان الفرقة الناجية عند البغدادي وهم الذي يقولون بأصوله .

تقسيم فرق الأمة الأخرى إلى منتسبة للإسلام خارجة عنه في الجملة . أما المنتسبة إلى الإسلام أهل الأهواء : فقد كفر بعضهم ثم أطلق التكفير، فأهل الأهواء لايدخلون الجنة بعد العقاب ، والكرامية شر فرق الأمة لأنهم أعتقدوا ذلك ! .

١٠ - حصر دلائل النبوة في المعجزة . ثم بيان أن النبوة لا تتوقف على المعجزة وحدها .

١١ - الإرجاء : لم يبين مذهبه في هذا القول ولكنه من خلال العرض فقد أنتصر للقول بالتصديق تعريفاً للإيمان، وأنه معرفة الأصول في العدل والتوحيد .. وبهذه المعرفه يخرج من الكفر فمجرد المعرفة والتصديق يصبح مؤمناً وهذا هو الإرجاء .

١٢- التصوف ، وقد عد الصوفية أهل الإشارات والعبارات أحد أصناف أهل السنة الثمانية عنده ! وألف فيهم كتب ودرس عليه مشائخها .

الفصل الثالث : وجود الله وفيه مبحثان :

الأول : إثبات وجود الله عنده ! .

والثاني : نقد أقواله .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا أحتاج النهار إلى دليل ..

أما طرق معرفة الله عند السلف : فإن الخلق مفطورون على الإقرار بالخالق، ثم آيات الخلق والعناية في كتاب الله سبحانه، بل الله أكبر دليل عليه ، ثم معجزة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإجماع الأمم، والمقاييس العقلية لإصحاب العقول الصريحة، والإعجاز العلمي في القرآن الذي سبق علماء اليوم قبل أربعة عشر قرناً ونيفاً ،

سافرت في طلب الإله فدلني الهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل جلاله وصريح عقلي فاعتلى ببيان

فتوافق الوحـــي الصريح وفطرة الرحمن والمعقول في إيمان

شهدوا بأن الله جل جلالـــه متـفـــرد بالملـك والســـلطـان .

الفصل الرابع : وحدانية الله تعالى وفيه مبحثان .

المبحث الأول : إثبات وحدانية الله تعالى عند البغدادي .

وقد بين البغدادي أن دليل التمانع عند المتكلمين هو دليل وحدانية الله، وهذا بلا شك هو توحيد الربوبية،مع نقد دليل التمانع ، وقد أطال البغدادي في تقرير الدليل لكن لا يوجد ذكر لتوحيد الألوهيه الذي أرسل الله الرسل من أجله،وكلف الخلق بعد خلقهم بعبادته .

المبحث الثاني : :نقد طريقته في اثبات الوحدانية .

وفيه الرد عليه ثم تقرير توحيد الألوهية عند أهل السنة .

ونقد أقوال البغدادي في الألوهية وأنها القدرة على الاختراع والخلق .

الفصل الخامس : تنزيه الله تعالي عن التشبيه وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريقته في التنزيه . وهنا يجرد سلاح تأويلهم ويذكر مصطلحاتهم الكلامية فيمنع عن الله الحد والنهاية ، والتركيب ، والتبعيض وإحالة كونه في مكان دون مكان ..

المبحث الثاني : نقد هذه الطريقة :

وبيان التفصيل في تلك المصطلاحات ثم الرد على تأويل الصفات الثابته لله لأنها أوهمت التشبيه عنده .

الفصل السادس : أسماء الله تعالى وصفاته وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : أسماء الله عند البغدادي :

وقد أثبت الأسماء، وقال أنها توقيفية، وان الاسم هو المسمى وذكر عدد أسماء الله سبحانه والخبر الوارد فيها ،

ثم قسم أسماء الله، ثم أوّل أسماء منها، وأحال على معنى الأسماء الأزلية قسماً آخر .

المبحث الثاني : الأحكام العامة للصفات .

حيث التزم بإثبات سبع من الصفات كأصحابه، وأن تلك الصفات أزلية، ثم تأويل الصفات الأخرى غيرها، وإن أفعال الله تعالى لا يوصف بشـ منها في الأزل، وان البغدادي فرق بين الأوصاف والصفات .

فالوصف ما يقوم بالواصف .

المبحث الثالث : في صفات المعاني : وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة .

فأثبت علماً أزلياً واحداً غير متجدد الآحاد .

وكذلك إرادة واحدة أزلية غير متجددة الآحاد .

وكذلك سمعاً وبصراً أزليين غير متجددي الآحاد .

أما الكلام فإن لازم مذهبه يقتضي أن الله ليس بمتكلم وقد ظهر ذلك أثناء البحث بالدليل من أقواله وأقوال أصحابه .

المبحث الرابع : في الصفات الخبرية .

وهي تلك الصفات التي وردت في السمع ولا يثبتها أولئك بالعقل كما

ذكروا وهي الصفات الثابتة لله كالوجه واليدين .. أو الصفات الإختيارية كالإستواء والعلو والمجئ والضحك ..

المبحث الخامس : نقد عقيدة البغدادي في الأسماء والصفات :

ويشمل نقد أقواله في الأسماء، وقوله أن الاسم هو المسمى وورود أسماء لم يسم الله بها نفسه كالموجود .

وتفريقه بين الأسماء الأزلية وغيرها ، ثم شرحه هذه الأسماء في تفسيره، وصبغها بأفكار المذهب ثم التأويل لبعض تلك الأسماء كالحكيم والنور ..

ويشمل نقد أقواله في الصفات :

فأما الإرادة : فلم يفرقوا بين الشرعية والكونية . والله مريد لما يشاء متى شاء ولم يفرقوا بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يريده أما السمع والبصر فهو حالة إدراك عند البغدادي وأصحابه ويخلق للمؤمنين إدراكاً لإنهم لو رأوه بأعينهم عياناً لكان تجسيماً . فالله يسمع ويتجدد له سمعاً لائقاً بجلاله وقد سمع قول المجادلة .

أما صفة الكلام : فهو عنده وأصحابه كلام أزلي، أمر ونهي وخبر ومعنى واحد ولا ينسخ، قراءته بالعربية قرآن وبالسريانية أنجيل، وبالعبرانية توراة ، فهل هذا كلام الباري ؟! *

ولقد بين الباقلاني مذهبهم فقال : "إن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره ، وأنما الغير دليل بحكم التواضع والإصطلاح ويجوز أن يسمى كلاماً إذ هو دليل على الكلام ، لا أنه نفس الكلام الحقيقي .. " .
وكذلك بين الشهرستاني في الملل نفس الإعتقاد عند أصحابه القدامى

* أنظر البحث ص ٢٩٤ .

أما المتأخرون فقد أوضحوا الكلام النفسي، وإتفاقهم مع المعتزلة أن الله لا يقوم به الكلام متى شاء، وعند المعتزلة يقوم بغيره متى شاء، وكلاهما على غير هدى .

أما الصفات الخبرية والإختيارية فإن تأويلها ونفيها هو تعمد لصرف ما يستحقه وما يليق بجلاله ، وهذا يؤدى إلي اثبات رب مجرد عن صفات الكمال، ثم أنهم ينازعون فيما أخبر هو عن نفسه، وصاحبُ الحقِ أحقُ أن يُحِق الحَق ، فتعالى الله عن أقوالهم وإعتقاداتهم .

وقد قال محمود بن سبكتكين لابن فورك عند ما شرح إعتقاده :

" إنك تعبد عدماً "* .

الفصل السابع : رؤية الله تعالى وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريقته في إثبات الرؤية .

بيان إستدلال البغدادي بالدليل العقلي والسمعي .

وقوله بجواز رؤيته لوجوده لإنا نرى المرئيات في المشاهد ثم أستدل من النقل بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه .

المبحث الثاني : نقد هذه الطريقة :

أما دليل العقل فقد تم تقريره ثم ردود الخصوم عليه وانه يمكن رؤية الأصوات ويمتنع رؤية أقرب الأشياء ثم عارضه الأصحاب ، وقال الرازي: « أما نحن فعاجزون عن تمشيه ».

أما دليل النقل : فقد ورد نقص استيفاء الدليل من الكتاب والسنة . وكذلك تبين أن الرؤية عند البغدادي وأصحابه هي الإنكشاف والتجلي .

* أنظر تلبيس الجهمية لابن تيمية ص ٢٢٠ .

دليل ذلك : أن البغدادي وأصحابه ينفون العلو لله سبحانه وهم ينفون حقيقة الوجه .

قال ابن القيم رحمه الله : من أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة " بل أن إنكار صفات الله اللائقة بجلاله لا يمكنهم بعد هذا من التعرف على ربهم، وهو إنكار للمزيد والحسنى والزيادة التي حبى الله بها أهل الجنة، نسأل الله ذلك، لنا ولإخواننا من المسلمين - المتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم وسلفنا الأولين .

الفصل الثامن : عقيدة البغدادي في القدر وأفعال الله وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طريقته في إثبات القدر وأفعال الله .

بيان أن البغدادي وأصحابه قد جمعوا بين الإرادة والرضى والمحبة فكل ما أراده الله فإنه محب له راضياً عليه .

وقد أثبت أن الله خالق أفعال العباد، ثم قال بالكسب، وأن العبد لا يقدر على الإنفراد بفعله، ونفي الإستطاعة قبل الفعل .أما أفعال الله فإنها ليست بأزلية وأن الله كان سبحانه معطلاً في الأزل عن الفعل والخلق وليست معللة ، فلا حكمة ولا غرض من أفعاله عندهم ،والسؤال وارد عليهم، لماذا خلق الله الجن والإنس ؟!.

المبحث الثاني نقد عقيدة البغدادي في القدر وأفعال الله .

أما أفعال الله : فإنه معلوم بالسمع اتصاف الله سبحانه بالأفعال الإختياريه القائمة به كالإستواء والقبض والطي والمجيء .

أما الإاردة :فإن الفرق ظاهر عند أهل السنةوالجماعة بين الإرادة الكونية

والإرادة الشرعية . فإن إرادةالله الكونيةمتعلقة بخلقه وأمره الكوني ، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني والشرعي ، أما القدر فإن البغدادي يثبته لدرجة أنه يسلب العبد إختياره وقدرته عندما قالوا بالكسب.وهو من المحالات الثلاث وقال شيخ الإسلام أن الأشاعرة في الأغلب جبرية في باب القدر وكذلك فإن الله فاعل في الأزل ، وأفعاله لمقتضى حكمة يعلمها هو سبحانه .

أما الخاتمة ففيها عرض موجز لما تُوصل إليه في البحث

غير أن هناك أموراً يجب التنبيه عليها ومنها :

أولاً : فنظراً لأن البحث يقتضي الرد على عقيدة البغدادي فإن الردود دائماً تكون موجهة للبغدادي وأصحابه ذلك أنه في الغالب لا يختص بأمر دون أصحابه ،وكذلك في العرض فقوله لازم لهم والعكس ، وهم الذين ثبتوا على المذهب خلاف من أنابوا منهم .

ثانياً : أن البحث يحتوي على أحاديث اختصر في تخريجها علي مافي الصحيحين أو الصحيح من غيرهما أن لم يوجدالحديث فيهما .

وحيث إن البحث للرد على من لم يُمضِ تلك الأحاديث النبوية في أمورالعقيدة فقد كانت مختصرة أيضا .

ثالثاً : لقد عُوِّل في البحث على مؤلفات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في الغالب لقدرتهم على سبر أغوار أصحاب المذهب وقطع الطريق على المخالف ، وقد يطول النقل من بعض النصوص لحاجة الرد إلى ذلك وتوضيحاً للمقصود ، وقد يُختصر في آخر البحث لما سبق عرضه من الردود في أوائل البحث ومنعاً للتكرار .

وأن صاحب البحث ليتقدم بالشكر وبالغ الإمتنان إلى الله ثم إلي كل الذين كان لهم الفضل في التعليم والتوجيه والإرشاد والنصح وفي مقدمتهم مشرف البحث الأستاذ الدكتور أحمد المهدي ثم إلى الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد المسيّر الذي تابع مهمة المشرف بعد سفره وانتهاء مدة إعارته لجامعة أم القرى .

فجزاهما الله خير الجزاء ونفع بعلمهما ، فقد كانا مثالين في الصبر والحكمة والتوجيه . ثم انه من الواجب تقديم الشكر للاستاذ الدكتور محمود الخفاجي والذي كان له الفضل في اختيار الموضوع .

ثم التقدير والثناء لكلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها ورئيس قسم العقيدة والأساتذة العلماء وإلى كل من ساعد الباحث أو قدم له معونة .

ثم توجيه الشكر لجامعة أم القرى والتي تفتح أبوابها لطلاب العلم وقاصديه .

﴿ سبحان ربك رب العزة عمايصفون ۞ وسلم على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾

الفصل الأول

عصر البغدادي وحياته

عندما كان هذا البحث يتعلق بشخصية إسلامية من علماءالأمة . فلا شك أن العصر الذي عاش فيه قد كان له دور بارز في عطائه وتوجهه وكذا علاقته بالآخرين ؛ ولهذا كان لزاماً معرفةتلك الجوانب السياسية والإجتماعية والعلمية التي أحاطت بنشأته وحياته والعصرالذي عاش فيه ، وحيث أنه من المعلوم أن البغدادي قد توفى في سنة ٤٢٩هـ وهو ما أجمعت عليه الكتب التي ترجمت سيرته وحياته ، فإن تلك التراجم لم تشر إلى سنة ولادته وبهذا فليس أمامنا إلا الرجوع إلى تراجم مشائخه الذين تحمل عنهم الرواية بسنده أو بسند غيره ، لا سيما أنه قد أورد أحاديث بسنده في كتابه الفرق بين الفرق [١] . وعند البحث وجد أن أقدم شيوخه وفاة كان شيخه أبا عمرو ، محمد بن جعفر بن مطر النيسابوري [٢] الذي مات سنة٣٦٠هـ .

وبهذا يكون البغدادي قد تحمل الرواية في سن التحمل الذي يستحسن التحديث معه فقال قوم : "الحد في السماع خمس عشرة سنة وقال غيرهم : ثلاث عشرة ، وقال جمهور العلماء : يصح السماع لمن سنه دون ذلك"[٣] .

---

١ - الفرق بين الفرق للبغدادي دار المعرفة بيروت تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد أنظر ص٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

٢ - طبقات الشافعيه الكبرى للسبكي دار المعرفه بيروت جـ٣ ص ١٤٠ - ستأتي ترجمته في شيوخ البغدادي

٣ - علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين ط الرابعه عشر ١٩٨٢ ص ١٢ وانظر تدريب الراوي في شرح تقريب النوواي للسيوطي تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثه جـ٢ ص ٤ , ٥ , ٦ , ٧ .

وعلى هذا يمكن القول بأن البغدادي قد ولد قبل نصف القرن الرابع ببضع سنين أي قبل سنة ٣٥٠هـ . وبذلك يكون العصر الذي يهمنا دراسته لمعرفة تأثيره علي البغدادي وحياته ، هو الزمن الواقع ما بين سنة (٣٥٠- ٤٢٩ هـ) وما أحتوى عليه من النواحي السياسية والإجتماعية والعلمية، وذلك في مكاني إقامته في بغداد ونيسابور ثم إسفرايين التي مات ودفن بها .

وعندئذ يتبين بعد ذلك تأثير تلك الجوانب علي شخصية البغدادي وحياته .

المبحث الأول

عصر البغدادي ويتناول الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية

= الناحية السياسية =

عاصر البغدادي أربعة من خلفاء بني العباس وهم :

١ - المطيع لله ابن المقتدر (٣٣٤ - ٣٦٣) وذلك " لما قدم معز الدولة بغداد وقبض على المستكفي وسمّل عينه استدعى بأبي القاسم الفضل ابن المقتدر بالله ، وقد كان مختفياً من المستكفي . . ثم أحضره وبويع له بالخلافة ولقب بالمطيع لله ، وبايعه الأمراء والأعيان والعامة "(١) .

٢ - الطائع لله علي أبو الفضل عبد الكريم بن المطيع " وولى الطائع في اليوم الذي خلع فيه المطيع نفسه (٢) وذلك بعد أن سأله " سبكتكين أن يخلع نفسه ويولي من بعده ولده الطائع ، فأجاب إلى ذلك فعقدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين ، وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة (٣) وكانت خلافته ما بين سنة (٣٦٣ - ٣٨١ هـ) .

٣ - القادر بالله ، أبو العباس . أحمد بن اسحٰق بن المقتدر (٣٨١ - ٤٢٢هـ) ، وقد تولى الخلافة بأمر من الملك بهاء الدولة الذي "أرسل من أجتذب الخليفة بحمائل سيفه عن السرير ولفوه في كساء وحملوه إلى الخزانة بدار المملكة . . ورجع بهاء الدولة إلى داره وكتب على الطائع كتاباً بالخلع من الخلافة وسلمها إلى القادر بالله "(٤) .

---

١ - البدايه والنهايه لابن كثير تحقيق دكتور أحمد أبو ملحم وآخرون دار الريان للتراث ط الأولى ١٤٠٨ جـ ١١ ص ٢٢٦ .

٢ - المنتظم لابن الجوزي تحقيق محمد عبد القادر عطاء وآخرون دار الكتب العلميه بيروت ط الأولى جـ ١٤ ص ٢٢٥ .

٣ - البدايه والنهايه جـ ١١ ص ٢٩٤ .

٤ - نفس المصدر جـ ١١ ص ٣٢٩ ، وأنظر الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت سنة ١٤٠٢هـ ص ٨٠ جـ٩ .

٤ - القائم بأمر الله ، عبد الله بن القادر بالله (٤٢٢ - ٤٦٧)" وقدبويع له بالخلافة لما توفى أبوه أبو العباس .

لقد كان مقر الخلافة العباسيةفي بغداد التي يسيطرعليها البويهيون ، بل أن ملوكهم هم الذين يخلِّفون الخلفاء ويولون من شاءوا وقد ضعف أمر الخلافة جداً حتى لم يبق للخليفة أمر ولانهي ولا وزير أيضاً ، وإنما يكون له كاتب على اقطاعه"(١) .

ومن هذا يتبين مدى إنحسار سلطة الخلافة في عاصمتها وتحت انظارالخليفة الذي لم يكن يمسك من مقاليد الأمور إلا المراسيم والدعوة له في خطب الجمعة " وقد ساد من بني بويه ثلاثة اشقاء استطاعوا ببسالتهم وسخائهم وحسن حيلتهم أن يقودوا الجيوش ، وأن يجمعوا حولهم القلوب ، وإن ينشروا سلطانهم على رقعةكبيرة من الدولة الإسلامية حتى كانت لهم دولة مزدهرة في تاريخ الإسلام حكمت مدة طويلة (٣٢٠ - ٤٤٧)"(٢) .

وقد بلغ إذلالهم للخليفة العباسي في عهد معز الدولة مداه حيث " إنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة ، وذلك لأن بني بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تعسف شديد ، وكانوا يرون أن بني العباس قد اغتصبوا الخلافة من العلويين حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة إلى العلويين واستشار أصحابه فكلهم اشار عليه بذلك ، إلا رجلاً واحداً من أصحابه كان سديد الرأي فيهم ، فقال لا أرى لك ذلك " (٣) .

---

١ - البدايه والنهايه جـ ١٢ ص ٣٣ .
٢ - الحضاره الإسلاميه في القرن الرابع الهجري لآدم متز ترجمة محمد أبو ريده دار الكتاب العربي بيروت ط ٤ سنة ١٣٨٧هـ ج١ ص ٣٤ .
٣ - البدايه والنهايه لأبن كثير ج١١ ص ٢٢٦ .

و بلغ الأمر بأولئك الأمراء اليويهيون أن يُعاملوا معاملة الخليفة في التكريم والدعاء لهم " وقد عز شأن الأمير البويهي عضد الدولة فأمر الخليفة الطائع بأن تضرب الدبادب على باب عضد الدولة في وقت الصبح والمغرب والعشاء وأن يخطب له على منابر الحضرة قال ابن الجوزي : وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أطلق لولاة العهود وما حظى عضد الدولة بذلك إلا لضعف الخلافة "(١) .

وإذا كانت هذه هي الحال في بغداد عاصمة الخلافة ونواحيها على يدامراء الدولة البويهية ، والتي عاش البغدادي بداية حياته فيها فإن انتقاله مع والده إلى نيسابور كان أفضل حالاً ، فهناك قامت دوله الغزنويين سنة ٣٦٦ هـ حيث " ابتدأ ملك أبن سبكتكين والد محمود صاحب غزنه . . فأصطلح الجيش على مبايعة سبكتكين هذا لصلاحه فيهم وخيره وحسن سيرته ، فاستقر الملك في يده واستمر من بعده في ولده السعيد محمود ابن سبكتكين ، وقد غزا هذا بلاد الهند ، وفتح شيئاً كثيراً من حصونهم ، وغنم أموالاً كثيره ، وكسر من أصنامهم ونذورهم أمراً هائلاً ، وباشر من معه من الجيوش حرباً عظيمة هائلة ، وقد قصده جيبال ملك الهند الأعظم بنفسه وجنوده التي تعم السهول والجبال ، فكسره مرتين وردهم إلى بلادهم في اسوأ حال وأردأ بال" (٢) .

واصل محمود بن سبكتكين فتوحاته للهند ، ففي سنة ٤١٠ هـ "ورد كتاب ، يذكر فيه ما أفتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية ، وفيه أنه دخل مدينة فيها الف قصر مشيد . . وبلغ عدد القتلى من الهنود خمسين الفاً ، وأسلم منهم نحو من عشرين الفاً . . (٣) .

---

١ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي دار الفكر ج ٢ ص ٦٥ .

٢ - البدايه والنهايه ج١١ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

٣ - نفس المصدر ج١٢ ص ٩ .

" وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له إيلك الخان ، وأباد ملك السامانية ، وقدملكوا العالم في بلاد سمرقند وما حولها ، ثم هلكوا . وبنى على جيحون جسراً تعجز الملوك والخلفاء عنه ، عزم عليه الفي الف دينار ، وهذا شئ لم يتفق لغيره ، وكان في جيشه أربعمائة فيل تقاتل . . وكان مع هذا في غاية الديانه والصيانه وكراهة المعاصي وأهلها ، لا يحب منها شيئاً ولا يألفه ، ولا أن يسمع به ، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية ولا خمراً في مملكته ، ولا غير ذلك ، ولايحب الملاهي ولا أهلها ، وكان يحب العلماء والمحدثين ويكرمهم ويجالسهم ، ويحب أهل الخير والدين والصلاح ، ويحسن إليهم وكان حنفياً ثم صار شافعياً . "(١) .

غير أن هذه الإنتصارات لم تدم طويلاً "وما أن توفى هذا السلطان حتى دب النزاع بين ولديه بشأن الملك مما شجع السلاجقه على تجميع صفوفهم ، واعادة كرتهم في محاولةالاستيلاء على خراسان ، حتى تمكنوا من ذلك سنة تسع وعشرين وأربعمائ واعلنوا قيام دولتهم في هذا التاريخ ، إلا أن اعتراف الخليفة العباسي بهم تأخر حتى عام أثنين وثلاثين وأربعمائه" (٢) .

وإذا كانت دولة بني بويه ودولة الغزنويين في المشرق فماذا عساه يكون حال بلاد المغرب وبقية بلاد الخلاقه العباسية ؟!

" كانت هناك دويلات أخرى وهي الدولة الأموية في الأندلس والفاطمية في مصر ، والفاطمية والحمدانية في الشام ، والحجاز وآل زياد في اليمن ، وآل جعفر في صنعاء " (٣) هكذا بدا حال الخلافة العباسية من التقهقر والانكماش في العاصمة ، بل وسلبت العاصمة من أيديهم على يد البويهيـيين ، وأكتفوا باصدار المراسيم والدعاء لهم .

---

١ - البدايه والنهايه ج١٢ ص ٣٢ .

٢ - العبر وديوان المبتدأ والخبر لأبن خلدون وطبعة محمد مصطفي ج٣ ص ٤٥٢ .

٣ - الباقلاني وارائه الكلاميه لمحمد رمضان مطبعة الأمه بغداد سنة ١٩٨٦ص ١٠٧ .

" وورد الخبر في المحرم بأنه خطب للمعز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم ، ولم يخطب للطائع" (١) .

وكانت البلاد تتعرض لفتن نتج عنها قتل المئات وتشريد الآلاف ونهب وسرق الممتلكات فكانت أهم تلك الفتن وأخطرها هي فتنة :

أ - **الروافض** الذين كانوا يقيمون بدعتهم " الشنعاء على عادة الروافض ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة . . فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير ، وعاث العيارون في البلدفساداً، ونهبت الأموال" (٢) .

" وقد كانت تلك الفتنة حولية في كل عام في الغالب وخاصة في يوم عاشوراء، وفي اليوم الثاني عشر من ذي الحجة وهو يوم غديرخم -جرت فتنةبين الروافض والسنة واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير " (٣) .

نعم أولئك الشيعة الرافضة أعداء صحابة رسول الله ﷺ ، وأحفاد عبد الله بن سبأ ، فهل يُنتظرمنهم خير للأمة في سابق الزمان أو في مستقبل الأيام ؟!

ب - الفاطميين الباطنية :

وقد أقام تلك الدولة وذلك المذهب المعز الفاطمي " وهو مع ذلك متلبس بالرفض ظاهراً وباطناً كما قاله القاضي الباقلاني : " إن مذهبهم الكفر المحض ، واعتقادهم الرفض ، وكذلك أهل دولته ومن اطاعه ونصره وولاه ، قبحهم الله وأياه " (٤) .

---

١ - البدايه والنهايه ج ١١ ص ٢٩٨ .
٢ - نفس المصدر ج ١١ ص ٢٩٣ .
٣ - نفس المصدر ج ١١ ص ٣٣٠ .
٤ - نفس المصدر ج ١١ ص ٣٠٢ .

و تم الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم في نسب الفاطميين " وإن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ، ملحدون زنادقه ، معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب المجوسية والثنويه معتقدون ، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ، ولعنوا السلف وأدعوا الربوبية "(١) .

ج -القرامطة :

وقد تواجدوا في الإحساء ، "ولما استقرا لمعز الفاطمي بالديار المصرية وابتنى فيها القاهرة والقصرين وتأكد ملكه ، سار إليه الحسين بن أحمد القرمطي من الإحساء في جمع كثيف من أصحابة ، وألتف معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي ، في عرب الشام بكمالهم ، فلما سمع بهم المعز الفاطمي اسقط في يده لكثرتهم ، وكتب إلى القرمطي يستميله إليه ويقول : إنما دعوة أبائك كانت إلى أبائي قديماً ، فدعوتنا واحدة"(٢) هؤلاء القرامطه هم الذين دخلوا مكة بعد أن توافد الحجيج من كل مكان وجانب وفج ، " فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية ، فأنتهب أموالهم واستباح قتالهم ، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً ، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة ، والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية ، الذي هو أشرف الأيام* ، وهو يقول : أنا الله وبالله أنا ، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا"(٣) ثم نهب مكة " وسلب البيت وقلع الحجر

١ -البدايه والنهايه ج١١ ص ٣٦٩ .
٢ - نفس المصدر ج ١١ ص ٢٩٤ .
٣ - نفس المصدر ج١١ ص ١٧١ .

* الأولى قوله : "من أشرف الأيام" .

الأسود والباب وقتل المسلمين في الطواف وفي المسجد"(١) .

د - **العيارين** : وهم قوم يختلفون عن القرامطة والرافضة الباطنية ، فهم لا يطمعون في مناصب وليست لهم عقيدة خاصة بهم كأولئك "وقد عظم البلاء بالعيارين ببغداد ، وأحرقوا سوق باب الشعير ، وأخذوا أموالاً كثيره ، وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد ، وأخذوا الخفر من الأسواق والدروب ، وعظمت المحنة بهم جداً وأستفحل أمرهم"(٢). وكان همهم جمع الأموال وقطع الطرق"وقد أشتد الخطب ببغداد بأمر الحرامية وأخذوا أموال الناس عياناً وقتلوا صاحب الشرطة واخذوا ما قيمته عشرة الآف دينار "(٣) .

نعم هذا هو حال الخلافة العباسية في عصر البغدادي ، ضعف وانحطاط ، وخور وتوزيع للسلطة بيد الدويلات والأعاجم . فكيف كان حال الأمة وكيف تسير أمورها ومواردها ؟ هذا ما سنتعرف عليه في بحث الحالة الاجتماعية .

---

١ - المنتظم لابن الجوازي دار الكتب العلميه بيروت ط الأولى سنة ١٤١٢هـ ج١٣ ص ٢٨٢ .
٢ - البدايه والنهايه جـ١١ ص٢٩٨ .
٣ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي دار الفكر جـ ٢ ص ٢٦ ٢ .

الحالة الإجتماعية

لاريب أن سوء الحالة السياسية وضعف الدولة وتمرد الولاة في تلك الفترة وما أعقبها في عصر الخلافة العباسية ؛ كان له أثره البالغ على حياة الناس وأوضاعهم الإجتماعية . فقد عمت الفوضى والفزع والرعب في قلوب الناس وذلك للحروب الدائمة ، وانفلات الأمن وكثرة السرقات وغلاء الأسعار وجور السلطان و أخذ أموال الناس أحياناً بالقوة " فقد انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد ، حتى أن بعض الجند خرجوا إلى قرية يحى ، فلقيهم أكراد ، فأخذا دوابهم ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الأكراد لعجزه ووهنه ، واجتهد في تسليم الجند إلى نائب الخليفة ، فلم يمكنه ذلك . . وعظم أمر العيارين ، وصاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ، ولا مانع لهم لأن الجند يحمونهم على السلطان ونوابه ، والسلطان عاجز عن قهرهم "(١)

ونتيجة لهذه الفوضى وعدم ضبط الأمور وتُولِّيَ الأمر غير أهله ، فقد تمادى العيارون والحرامية حتى نهبوا قصر السلطان شرف الدولة ونهبت خزائنه وأخذت العيارون الناس جهاراً وكانوا يمشون بالليل بالشمع والمشاعل ويكبسون البيت ويأخذون صاحبه ويعذبونه إلى أن يقر لهم بذخائره وأحرقوا دار الشريف المرتضى " (٢) .

وفي نيسابور حوادث مثل تلك التي في بغداد وغيرها " فقد تجمع كثير من المفسدين وأهل العبث والشر ، وكان أول من أثار الشر أهل أبيورد وطوس ، واجتمع معهم خلق كثير ، وساروا إلى نيسابور لينهبوها ، وكان الوالي عليها قد سار عنها إلى الملك مسعود ، فخافهم خوفاً عظيماً ، وأيقنوا بالهلاك" (٣) .

---

١ - انظر الكامل في التاريخ لابن الثير دار صادر بيروت ج٦ ص ٤٤٠ .
٢ - شذرات الذهب لابن العماد ج٣ ص ٢٠ .
٣ - الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٣٤ .



وازداد الأمر سوءاً في بغداد ، وزاد بلاء الحرامية " وجاهروا بأخذ الأموال وبإظهار الفسق والفجور والفطر في رمضان حتى تملكوا بغداد في المعنى "(١) .

وكانت بين أولئك الأعاجم الذين استوطنوا بغداد فتن وثارات " فقد جرت فتنة بين الديلم والأتراك الذين مع شرف الدولة ببغداد وسببها أن الديلم اجتمعوا مع شرف الدولة في خلق كثير بلغت عدتهم خمسة عشر الف رجل . وكان الأتراك في ثلاثة الاف فأستطال عليهم الديلم . فجرت منازعة بين بعضهم . . ثم صارت إلى المحاربة ، فاستظهر الديلم لكثرتهم . . وغارت الأتراك عليهم من أمامهم وخلفهم ، فأنهزموا وقتل منهم زيادة على ثلاثة الاف ، ودخل الأتراك البلد ، فقتلوا من وجدوه منهم ونهبوا أموالهم "(٢) .

وإذا كانت تلك حالة البلاد الأمنية المتردية ، فإن الناس قد أُبتلوا بالمكوس والضرائب التي تفرض عليهم ، "وكان المجتمع في بعض الأحيان يقف محتجاً بوجه السلطة على فرض الضرائب ، وبخاصة الضرائب غير الشرعية التي تستحدث لسبب من الأسباب . . وكان الفقهاء يحتجون على فرض بعض الضرائب لما يصيب الناس من أذى بذلك "(٣) "وذلك كالضريبة التي فرضت على الثياب الأبريسميات* والقطنيات التي تنسج ببغداد ونواحيها وكان ما يحصل من هذا الوجه ، الف الف درهم في كل سنة"(٤) .

بل قد بلغ الحال من عضد الدولة في بغداد أنه "يتجسس وينقب عن أسرار

---

١ - شذرات الذهب ج٣ ص ٢٢٩ .

٢ - الكامل في التاريخ ج٩ ص ٤٩ .

٣ - المنتظم لابن الجوزي دارسة في منهجه وموارده وأهميته د. حسن عيسى علي الحكيم عالم الكتب ط الأولى سنة ١٤٠٥هـ أنظر ص ١٥٢ .

٤ - المنتظم لان الجوزي دار الكتب العلميه دراسة محمد مصطفى عبد القادر عطا مراجعة نعيم زرزور ج١٤ ص ٣١١

* نوع من اللباس في ذلك العصر .

الملوك، وكانت أخبار الدنيا عنده حتى لو تكلم إنسان بمصر رقي إليه حتى أن رجلاً بمصر ذكره بكلمة فأحتال حتى جاء به ، ووبخه عليها ثم رده فكان الناس يحترزون في كلامهم وأفعالهم من نسائهم وغلمانهم "(١) .

وقد يصيب الناس كوارث وغلاء في الأسعار وندرة في الأرزاق " وغلت الأسعار بالكرخ حتى بيع رطل من الخبز بأربعين درهماً والجوزة* بدرهم " (٢) " وزاد السعر فبيعت الكارة الدقيق الخشكار* بنيف وتسعين درهماً "(٣) .

أما الأمراض فإنه " كثر الموت بالحميات الحادة ، فهلك من الناس خلق كثير"(٤) وللزلازل دور آخر في الفتك بالناس فقد " ورد الخبر بزلزلة كانت بالموصل، هدمت كثيراً من المنازل وأهلكت خلقاً كثيراً من الناس ، ووردت الأخبار بما كان من الوباء والموت في بلاد الهند وغزنة وكثير من أعمال خراسان وجرجان والري وأصبهان ونواحي الجبل والموصل ، وأن ذلك زاد على مجاري العادة وخرج من أصبهان في مدة قريبة أربعون ألف جنازه ، وكان ببغداد من ذلك طرف قوي ، ومات من الصبيان والرجال والنساء بالجدري مازاد على حدالإحصاء ، حتى لم تخل دار من مصاب . " (٥)

وأخيراً فإنه يمكن القول أن الوضع الإجتماعي في تلك الفترة التي عاش فيها البغدادي كان وضعاً متدهوراً ، تعرض فيه الناس للسلب والنهب والظلم والمرض

---

١ - المنتظم لابن الجوزي ج١٢ ص ٢٩٢ .
٢ - شذرات في الذهب لابن العماد ج٣ ص ١٠٢ .
٣ - المنتظم لابن الجوزي ج١٤ ص ٣١٧ .
٤ - نفس المصدر ج١٤ ص ٣١٧ .
٥ - نفس المصدر ج ١١ ص ٣١٦ .
* مكيال الدقيق ، ونوع من أصنافه .

وظلم الولاة وانتهاك المحرمات ، وجوع شديد وغلاء في الأسعار فكان ذلك امتداداً واثراً للحالة السياسية التي أنعكس أثرها سلبياً على الحالة الإجتماعية غير أنه وعند سبر التاريخ والحوادث لم نجد لتلك الفترة العصيبة أثرها السلبي على الناحية العلمية كما هو منطبع على الناحية السياسية والإجماعية ، ذلك ما سوف نرى في مبحث الناحية العلمية في عصر البغدادي .

الناحية العلمية

كان القرن الرابع الهجري أحد عصور العطاء الفكري في الإسلام ، وقد كان المتتبع للحالة السياسية والإجتماعية في ذلك العصر يخرج بحكم قاسٍ على ذلك العطاء الفكري غير أن الله قد هيأ علماء وطلاب علم ورواداً للخير وباذلين في سبيل الله لإعلاء كلمة الله .

فكانت تلك الفترة من أزهى عصور الإسلام في العلم والفكر ، وذلك بعد تدوين كتب الحديث والسيرة وعلوم القرآن في القرن الثالث ، فقد أزدهرت حركة الكتابة والتأليف وكثر العماء ، وتنوعت أساليب الكتابة وفنونها ، بل قد تبارى الحكام في تشجيع العلماء ومكافأتهم ، واليوم نستقبل الكثير من عطاء تلك الفترة العلمية " ويعتبر ظهور المدرسة في هذا العصر بشكل مستقل عن المسجد خير دليل على الإهتمام بالعلم ، وكانت الأولى هي المدرسة البيهقية بنيساور التي تعددت فيها المدراس بعد ذلك (٢) " كالمدرسة السعدية بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان والياً بنيسابور ، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد اسماعيل على بن المثنى الأسترابادي ، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضاً بنيت للأستاذ أبي اسحق الأسفراييني " (١) فقد " خرج إلى نيسابور وبنيت له المدرسة التي لم يبن مثلها ودرس فيها وحدث وفي هذه المدرسة تلقى البغدادي علومه على يد الأسفراييني ثم قعد محدثاً ومدرساً فيها ، " وكان قد درس على الأستاذ أبي اسحق وأقعده بعنده للإملاء مكانه وأملى سنين واختلف إليه الأئمة وقرؤا عليه (٢) " وهذا يعني أن نيسابور كانت تضاهي بغداد عاصمة الخلافة والعلم في ذلك العصر .

وكان الأثرياء من أهل الفضل ينفقون على العلم وطلابه من مالهم الخاص

---

١ - طبقات الشافعيه الكبرى للسبكي دار المعرفه بيروت ج٣ ص ١١١ .
٢ - نفس المصدر ج٣ ص ٢٣٨ .

فقد " ابتاع أبو نصر سابور بن أردشيرداراً في الكرخ بين السورين وعمرها وبيضها وسماها : دار العلم ، ووقفها على أهله ، ونقل إليها كتباً كثيره وابتاعها وجمعها وعمل لها فهرستاً " (١) .

وقد كان الملك العادل محمود بن سبكتكين " يحب العلماء والمحدثين ، ويكرمهم ويجالسهم ، ويحب أهل الخير والدين والصلاح ، ويحسن إليهم وكان حنفياً ثم صار شافعياً على يدي أبي بكر القفال الصغير على ما ذكره إمام الحرمين وغيره "(٢) .

بل أن هذا الملك قد " امتثل أمر أمير المؤمنين ، واستن بسننه في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة والرافضه والإسماعيليه والقرامطة والجهمية والمشبهة ، وصلبهم وحبسهم ونفاهم ، وأمر بلعنهم على منابر المسلمين ، وإبعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم عن ديارهم وصار ذلك سنة في الإسلام "(٣) .

"كما أن الخليفة القادر بالله استتاب فقهاء المعتزلة الحنيفية ، فأظهروا الرجوع ، وتبرأوا من الإعتزال ، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام ، وأخذ خطوطهم بذلك ، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم" (٤) .

وقد كان هذا الخليفة " حليماً كريماً ، محباً لأهل العلم والدين والصلاح ،

---

١ - المنتظم لأبن الجوزي تحقيق محمد ومصطفى عطا مراجعة نعيم زرزور دار الكتب العلميه بيروت سنة ١٤١٢هـ الطبعه الأول ج ج١٤ ص ٣٦٦ .

٢ - البدايه والنهايه لابن كثير ج١٢ ص ٣٢ .

٣ - المنتظم لأبن الجوزي ج ١٥ ص ١٢٦ .

٤ - نفس المصدر ج ١٥ ص ١٢٥ .

ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان على طريقة السلف في الإعتقاد ، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس " (١)." وكان حسن الإعتقاد ، صنف فيه كتاباً على مذهب السنة " (٢) إن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى سلامة اعتقادها وبه تصلح أمورها وتستقيم ولاتها وأمرائها في كل قطر وفي سائر الدهر ، وانما قام به الخليفة القادر بالله والملك محمود من نصر السنة قد قوى الدعوة والدعاة إلى الله بل أن الأمور قد استقامت في مملكة محمود إلي حد ما .

ولقد كان هناك اتجاهان يسيطران على ثقافة الأمة وعلومها وهما :

أولاً : الإتجاه العقلي : وقد انقسم الناس في العصر العباسي " إلى عقليين ، وهم الذين اعتمدوا منهج العقل والمنطق ، وحاولوا على ضوئه فهم التراث العربي والإسلامي ، وتأويل ما يبدو في التراث متعارضاً مع العقل والمنطق وقد تزعم هذا الإتجاه الفلاسفة والكلاميون ولاسيما المعتزلة وبعض الفرق الإسلامية التي تأخذ بالنزعة العقلية كالإمامية والأشاعرة "(٣) .

ثانياً : الإتجاه السلفي : " لقد مال أهل الحديث نحو الاتجاه السلفي في محاولة لإيقاف الإتجاه العقلي ، وقد شددوا النكير على الفلاسفة والكلاميين ، وكل من يأخذ بالنزعة العقلية وقد كان هذا الإتجاه منذ عهد المحنة التي عرضت للإمام أحمد بن حنبل وانصاره للمضايقة والتعذيب وبعد زوال عصر المحنة ، تحرك الحنابلة على نطاق واسع في الحياة العامة في بغداد . . وبقى الحنابلة يقارعون الفكر الفلسفي والعقلي حتى أصبح صراعهم مع الأشاعرة تقليدياً بارزاً . . ويبدوا أن الصراع كان

١ - البدايه والنهايه لأبن كثير ج ١٢ ص ٣٤ .
٢ - الكامل في التاريخ لأبن الأثير ج ٩ ص ٤١٥ .
٣ - أنظر المنتظم لأبن الجوزي دراسة وتحقيق الدكتور حسن الحكيم عالم الكتب الطبعه الأولى سنة ١٤٠٥هـ ص ١٦٩ .

عنيفاً إلى درجة تكفير الحنابلة من قبل الأشاعرة " (١) .

وهذا صاحب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، والمستشرق آدم متز يصف الحنابلة بالتطرف ؛ ذلك أنهم يمنعون المنكر ويحافظون على حياة الأمة والمجتمع ، ظناً منه أن الإسلام لا يقود الحياة والأمم أو يريده كذلك ! ، فقال : " لقد قام الحنابلة ، وهم المسلمون المتطرفون لمطاردة المنكر في بغداد ، وعظم أمرهم وقويت شوكتهم حتى صاروا يكبسون دور القواد والعامة ؛ فإن وجدوا نبيذاً أراقوه ، وأن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء ، وصاروا يعترضون في البيع والشراء ، وفي مشي الرجال مع النساء والصبيان ؛ فإذا رأوا ذلك سألوا الرجل عن الذي معه من هو ، فأخبرهم* وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة ، حتى أرهجوا بغداد "(٢) .

فسبحان الله ! هل المحافظة على شعائر الإسلام وتنفيذ أحكام الله يعد إرهاجاً وتطرفاً ؟ ! وهل الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع أمره يعد مخالفة له وتشدداً ؟ !

" وما تنقم منا إلا أن ءامنا بآيت ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين " (٣) .

كيف والإسلام دين يقتضي العلم والعمل معاً ، ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، إخلاصاً واتباعاً .

وبهذا يتبين أن الحالة العلمية في عصر البغدادي قد بلغت مبلغاً متقدماً ، فكثرت المدراس ودور العلم ومجالس المناظرات ودور المكتبات بل أن نيسابور التي يسكنها

---

١ - أنظر المنتظم لأبن الجوزي دراسة وتحقيق الدكتور حسن الحكيم عالم الكتب الطبعه الأولى سنة ١٤٠٥هـ ص ١٧١ .
٢ - الحضاره الإسلاميه في القرن الرابع الهجري للأستاذ / آدم متز ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعه الرابعه ج٢ سنة ١٣٨٧ هـ ص ١٧٥ .
٣ - آية ١٢٦ سورة الأعراف .

* والصحيح قوله : "وإن أخبرهم وإلا .."

البغدادي كانت مقراً للعلماء ومطلباً للباحثين فقد ذكر الذهبي أن الخطيب البغدادي أراد الرحلة إلى أبن النحاس في مصر فاستشار البرقاني في ذلك فقال له : " إن خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى رجل واحد ، فإن فاتك ضاعت رحلتك ، وإن خرجت إلى نيسابور ففيهاجماعة فخرج إلي نيسابور " (١) .

وإذا كانت الرحلة متأخرة عن عصر البغدادي ؛ فإنها الدليل على تقدم العلوم وكثرة العلماء في موطنه نيسابور في عصر البغدادي وما بعده .

وهكذا نرى أن البغدادي قد عاصر نهضة علمية ، فكان متأثراً مؤثراً وكان شيخاً لطلابه وقبل ذلك تلميذاً لمشائخه ، وقد ساهم في تلك النهضة بما سيرد من نتاجه العلمي وتلامذته وثناء معاصريه من العلماء عليه .

---

١ - تذكرة الحفاظ للذهبي دار إحياء التراث العربي بيروت ج ٣ ص ١١٣٧ .

المبحث الثاني
حياة البغدادي وآثاره ومكانته العلمية
وآراء العلماء فيه

يتناول هذا المبحث ترجمة لعلم من أعلام الأمة الذين خدموا هذا الدين وكشفوا زيغ أهل البدع والضلال الحائرين ، وفي متاهات الضلال سائرين .

وهو الأستاذ الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي (١) النيسابوري القرشي .(٢) .

أولاً : مولده :

ولد في بغداد ونشأ فيها ولم تذكر المصادر التي ترجمت له سنة مولده غير أنه قد وردت تراجم لعلماء درس وتتلمذ وروى عنهم في أول الطلب فكان من أقدمهم وفاة هو أبو عمرو محمد بن جعفر المعدل المتوفى (٣) سنة ٣٦٠ هـ .

وبهذا يمكن القول أن البغدادي قد ولد قبل منتصف القرن الرابع أي قبل سنة ٣٥٠هـ

ثانياً : رحلاته :

ورد نيسابور مع أبيه أبي عبد الله طاهر وكان قد درس على الأستاذ أبي اسحق وأقعده بعده للإملاء (٤). وكان ذا مال وثروة ومروءة وأنفق على أهل العلم والحديث حتى أفتقر وخرج من نيسابور في أيام التركمانية وفتنتهم إلى اسفرايين (٥) .

١ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي دار المعرفة بيروت جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٢ - تبيين كذب المفترى لابن عساكر دار الفكر ص ٢٣٥ وأنظر تفسير أسماء الله الحسنى لوحه ١ .
٣ - طبقات الشافعية للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ أنظر سير أعلام النبلاء جـ ١٧ ص ٥٧٢ .
٤ - طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٣٨ وأنظر أنباه الرواة جـ ٢ ص ١٨٥ .
٥ - نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٣٨ .

ولما حصل أبو منصور باسفرايين ابتهج الناس بمقدمه إلى الحد الذي لا يوصف ومات بها سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

واتفق أهل العلم على دفنه بجنب أبي اسحاق ابراهيم بن محمد المتكلم الأسفراييني فقبراهما متجاوران تجاور تلاصق كانهما نجمان جمعهما مطلع وكوكبان ضمهما برج مرتفع (١) .

ثالثاً : أثر والده عليه :

كان لوالده أبي عبد الله طاهر بن محمد أثره الكبير فقد كان من أهل العلم حدث بنيسابور (٢) وكان من أفتى العراقيين وأحسنهم كتابة وأكثرهم فائدة ، ولا شك أن لمكانة والده أثرها في ملازمة البغدادي للعلماء مثل الأسفراييني وكذلك فإن ثراء والده وإكرامه للعلماء كانت سبباً في مجالسته لهم وكذلك إقبال طلابه عليه وبقاءه في المسجد يملي دروسه فيها . وتوفى بنيسابور سنة ٣٨٣هـ وروى عنه الحاكم (٣) .

١ - تبين كذب المفترى لأبن عساكر ص ٢٥٣ .
٢ - طبقات الشافعيه لأبي بكر بن هداية الله الحسيني دارالأوقاف الجديدة ط ١ سنة ١٩٧١ ، جـ١ص ١٩٤ .
٣ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت جـ٩ ص ٣٥٨ - أنظر طبقات الشافعيه الفقهاء لابن الصلاح هذبه النووي وحققه محب الدين علي نجيب دار البشائر الإسلاميه الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ جـ١ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

شيوخه :

تلقى البغدادي العلم في اسفرايين وسمع وروى عن كثيرين من علماء عصره وخاصة في اسفرايين وكان أشهرهم ومن لازمه وأخذ عنه البغدادي شيخه أبي اسحق الإسفراييني وكان أكبر تلامذته (١) وكان قد درس على الأستاذ أبي اسحق وأقعده بعده للإملاء مكانه وأملى سنين واختلف إليه الإئمة وقرؤا عليه (٢) .

غير أن البحث يقتضي أن يترجم لمن ورد ذكره في عداد شيوخ البغدادي :

١ - الأستاذ أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الإمام ركن الدين . أبو اسحق الأسفراييني ، المتكلم الأصولي الفقيه ، شيخ أهل خراسان ، يقال أنه بلغ رتبه الإجتهاد وله المصنفات الكثيره ، منهاجامع الحلي في أصول الدين والرد على الملحدين في خمس مجلدات . . خرج له أبو عبد الله الحاكم عشرة أجزاء وذكره في تاريخه لجلالة قدره وقد مات الحاكم قبله ، انصرف من العراق وقد أقر له العلماء بالتقدم قال : وبنى له مدرسة لم يبن مثلها فدرّس فيها وقال الشيخ أبو اسحق : درس عليه شيخنا أبو الطيب وعنه أخذ علم الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور (٣) قال ابن عساكر في التبيين : " وحكى لي من أثق به أن الصاحب بن عباد كان إذا انتهى إلى ذكر الباقلاني وابن فورك والأسفراييني وكانوا متعاصرين من أصحاب الأشعري قال لأصحابه ان الباقلاني بحر مغرق وابن فورك صل مطرق والأسفراييني نار تحرق وتوفى سنة ثمان عشرة واربعمائه وصلى عليه الإمام الموفق" (٤) .

---

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرسالة جـ١٧ ص ٥٧٢ .

٢ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي دارالمعرفة بيروت جـ٣ ص ٢٣٨ .

٣ - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة الدمشقي صححه د الحافظ عبد العليم خان عالم الكتب ط أولى سنة ١٤٠٧ جـ٥ ص ١٧٠ .

٤ -تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٢٤٤ .

وأنظر ترجمة الأسفراييني في : وفيات الأعيان ١/ ٣٧٥ وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٩ .

٢ - الحافظ الكبير : عبد الله بن محمد بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك أبو أحمد الجرجاني ، صاحب كتاب الكامل في معرفة الضعفاء وأحد الجهابذة الذين طافوا البلاد وهجروا الوساد . . وكتابه الكامل طابق اسمه معناه ووافق لفظه فحواه . . وكان ابن عدي يعرف ببلدة بابن القطان رحل إلى الشام ومصر رحلتين . . ولد سنة ٢٧٧ هـ وكتب الحديث ببلده قال حمزة السهمي سألت الدار قطنى أن يصنف كتاباً للضعفاء فقال أليس عندك كتاب ابن عدي قلت نعم قال فيه كفاية لا يزاد عليه "(١) .

(قلت) ذكر ابن عدي في الكامل كل من تكلم فيه ولو من رجال الصحيح وذكر في كل ترجمة حديثاً . . والف على مختصر المزني كتاب سماه الأنتصار ودت لو وقفت عليه قال حمزة كان حافظاً متقناً لم يكن في زمانه مثله . . وقال الحافظ أبن عساكر كان ثقة على لحن فيه وقال شيخنا الذهبي كان لا يعرف العربية مع عجمة فيه وأما في العلل والرجال فحافظ لايجارى توفى في جماد الأخرى سنة ٣٦٥"(٢) .

٣ - الإسماعيلي : أحمد بن ابراهيم الإسماعيلي بن العباس أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الحافظ الكبير الرحال الجوال ، سمع الكثير وحدث وخرج وصنف فأفاد وأجاد ، وأحسن الإنتقاد والإعتقاد صنف كتاباً على صحيح البخاري فيه فوائد كثيرة ، وعلوم غزيرة ، قال الدارقطني : كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه فلم أرزق . وكان وفاته في رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وهو ابن أربع وسبعين سنة (٣) .

١- طبقات الشافعيه الكبرى جـ ٢ ص ٢٣٣ .
٢ - شذرات الذهب دار الفكر لأبن العماد جـ ٣ ص ٥١ وأنظر البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٠٢ .
٣ - البداية والنهاية لأبن كثير جـ ١١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

٤ - ابو عمرو بن مطر النيسابوري الزاهد شيخ السنة محمد بن جعفر بن محمد بن مطر المعدل روى عن أبي عمر أحمد بن المبارك وكان متعففاً قانعاً باليسير يحي الليل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجتهد في متابعة السنة توفى سنة ٣٦٠هـ (١) .

٥ - اسماعيل بن نجيد الإمام أبو عمرو السلمى النيسابوري شيخ الصوفية بخراسان انفق أمواله على الزهاد والعلماء وصحب الجنيد . . وكان صاحب أحوال ومناقب قال سبطه أبو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي يقول "كل حال لا يكون عن نتيجة علم وان جل فإن ضرره على صاحبه أكبر من نفعه " (٢) .

وبعد فهؤلاء شيوخ البغدادي الذي ذكروا في تراجمه وأخذ عنهم وسمع منهم . وقد ذكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات أنه روى عن البغدادي حديثاً في باب البيان أن لله جل ثناؤه أسماء أخرى(٣) ثم بين أن البغدادي قد أخبر عن :

٦ - أبي سعيد اسماعيل بن أحمد الجرجاني - إملاء -

الذي ورد بغداد والدارقطني حي فحدث عن أبيه أبي بكر الأسماعيلي والأصم بن عدي وحدث عنه الخلال والتنوخي وله ورع ورياسة قال الخطيب : سمعت الشيخ أبا الطيب يقول : ورد أبو سعيد الإسماعيلي بغداد فعقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما أبو حامد الأسفراييني . . توفى بجرجان سنة ٣٩٦ هـ (٤) .

---

١ - شذرات الذهب جـ٣ ص ٣١ وأنظر البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٨٨ .
٢ - شذرات الذهب جـ٣ ص ٥٠ .
٣ - انظر الاسماء والصفات للبيهقي جـ ١ص ٣١ .
٤ - البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٥٩ وشذرات الذهب جـ٣ ص ١٤٧ .

تلاميذه :

قال السبكي في الطبقات الكبرى اشتهر أسمه وبعد صيته وحمل عنه العلم أكثر أهل خراسان (١) وهذا ليس بغريب فقد أقعده الأسفراييني في مسجد عقيل للإملاء مكانه وأملى سنين واختلف إليه الإئمة فقرؤا عليه (٢) .

ولكن سيكتفي في البحث بما ورد في التراجم ممن أخذوا أو رووا عنه وهم :

١ - ناصر بن الحسين العمري المرو زي الشافعي أبو الفتح القرشي مفتي أهل مروتفقه على أبي بكر القفال وأبي الطيب الصعلوكي وروى عن أبي سعيد عبد الله الرازي وعليه تفقه البيهقي وكان فقيراً متعففاً متواضعاً قال ابن شهبة صار عليه مدار الفتوى والتدريس والمناظرة وصنف كتباً كثيرة توفى بنيسابور (٣) .

٢ - أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن النيسابوري الصوفي الزاهد شيخ خراسان واستاذ الجماعة ومصنف الرسالة . . قال أبو سعد السمعاني لم ير مثل نفسه في كماله وبراعته جمع بن الشريعة والحقيقة . . وقال السخاوي : المفسر المحدث الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي الأديب النحوي الكاتب الشاعر الصوفي وله التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير وأوضحها والرسالة المشهورة المباركة التي قل ما تكون في بيت وينكب والتحبير في التذكير وآداب الصوفية ولطائف الإشارات وكتاب الجواهر وعيون الأجوبة في أصول الأسئلة وكتاب المناجاة وكتاب نكت أولى النهي ! وكتاب أحكام السماع . . وذكره الخطيب في تاريخه وقال " قدم علينا يعني إلى بغداد في سنة ثمان وأربعين وحدث ببغداد وكتبنا عنه وكان ثقة وكان يقص وكان حسن الموعظة مليح الإشارة وكان يعرف الأصول

---

١ - طبقات اشافعيه الكبرى جـ٣ ص ٢٣٨ .

٢ - تبيين كذب المفترى لأبن عساكر ص ٢٥٣ .

٣ - شذرات الذهب لأبن العماد جـ٣ ص ٢٧٣ .

على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي (١) قال عنه أبن عساكر قا
عبد الغفار : وقد أخذ طريق التصوف من الاستاذ أبي علي الدقاق وأخذها أ
علي عن أبي القاسم النصر أباذي عن الشبلي عن الجنيد عن السرى السقطي ع
معروف الكرخي عن داوود الطائي وداوود لقى التابعين هكذا كان يذكر است
طريقته . . توفى سنة خمسة وستين وأربعمائة ودفن في المدرسة بجنب الأست
أبي على الدقاق (٢) .

٣ - أبو بكر الشيروي نسبة إلي شيرويه جد عبد الغافر ابن محمد بن حسين بن علي ب
شيرويه النيسابوري التاجر مسند خراسان حدث عن الحيري والصيرفي صاحب
الأصم توفى في ذي الحجة قال السمعاني كان صالحاً عابداً رحل إليه من البلاد "(٣

٤ - الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى
أبو بكر البيهقي ، له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار ، وكا
أوحد أهل زمانه في الإتقان والحفظ والفقه والتصنيف ، كان فقيها محد
أصولياً : أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، وسمع على غيره شي
كثيراً ، وجمع أشياءً كثيرة نافعة ، لم يسبق إلي مثلها منها كتاب السنن الكبير
ونصوص الشافعي ، والسنن الصغير ، والآثار ، والمدخل ، والأدب وشعب
الإيمان ، والخلافيات ، ودلائل النبوة ، والبعث والنشور ، وكان زاهداً متقلل
من الدنيا ، كثير العبادة والورع ، توفى بنيسابور سنة ٤٥٨ هـ ودفن في بيهق (٤)

١ - نفس المصدر جـ ٣ أنظر ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .
٢ - تبيين كذب المفترى لابن عساكر أنظر ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ .
٣ - شذرات الذهب لأبن العماد ص ٤ ص ٢٧ .
٤ - البداية والنهاية لأبن كثير جـ ١٢ ص ١٠٠ وأنظر شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٠٤ - وأنظر المنتظم لاب
الجوزي جـ ١٦ ص ٩٧ - وأنظر سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة جـ ١٧ ص ٥٧٢ .

٥ - أبو الرجا خلف بن عمر بن عبد العزيز الفارسي ثم النيسابوري .

ولم أعثر له على ترجمة غير أن السبكي قد أورده في أثناء إسناده قال أخبرنا الشيخ أبو الرجاء خلف بن عمر بن عبد العزيز الفارسي أخبرنا الشيخ الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي"(١) .

١ - طبقات الشافعيه الكبرى جـ٣ ص ٢٣٨ .

مكانته العلمية وآراء العلماء فيه وآثاره

كان أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي من أئمة الأصول وأحد أعلام الشافعية فهو الإمام الأكبر والأستاذ (١) إمام عظيم القدر جليل المحل كثير العلم حبر لا يساجل في الفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الكلام (٢) .

آراء العلماء فيه :

لقد أثنى العلماء وأصحاب التراجم ومعاصروه من العلماء على إمامته ومكانته العلمية غير أننا نبدأ بمن عاصره وهم :

- أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام اسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الشافعي حضر أول مجلس أئمة الوقت في بلده كالشيخ أبي الطيب الصعلوكي والأستاذ بكر بن فورك والأستاذ أبي اسحق الأسفرايني وتوفى سنة ٤٤٩هـ (٣) .

قال أبو عثمان : كان من أئمة الأصول وصدر الإسلام باجماع أهل الفضل والتحصيل بديع الترتيب غريب التأليف في التهذيب يراه الجلة صدراً مقدماً ويدعوه الأئمة اماماً مفخماً ومن خراب نيسابور أن اضطر مثله إلي مفارقتها (٤)

- عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر الحافظ العلم ، ذو الفنون والمصنفات ، لازم إمام الحرمين وأخذ عنه الفقه ورحل ولقى العلماء ثم رجع إلى نيسابور وصنف المفهم لصحيح مسلم ، والسياق لتأريخ نيسابور مات بها سنة ٥٢٩هـ (٥)

---

١ - سير أعلام النبلاء مؤسسة الرساله جـ ١٧ ص ٥٧٢ .

٢ - تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص٢٥٣ .

٣ - طبقات الشافعيه الكبرى للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .

٤ - شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

٥ - نفس المصدر جـ ٣ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

قال عبد الغافر : هو الأستاذ الإمام الكامل ذو الفنون الفقيه الأصولي الأديب الشاعر النحوي الماهر في علم الحساب العارف بالعروض ورد نيسابور مع أبيه وكان ذا مال وثروة ومروءة وانفق على أهل الحديث حتى افتقر .

صنف العلوم وأربى على أقرانه في الفنون ، ودرّس في سبعة عشر نوعاً من العلوم (١)

- صاحب طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين بن تقي الدين السبكي الذي قال فيه : الإمام الأكبر الأستاذ أبو منصور البغدادي إمام عظيم القدر جليل المحل كثير العلم حبر لا يساجل . . اشتهر أسمه وبعد صيته وحمل عنه العلم أكثر أهل خرسان وله حشمة وافرة (٢) .

- أبو المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني الإما م الكامل الفقيه الأصولي المفسر توفى سنة ٤٧١ هـ (٣) وكان له أتصال مصاهرة بالأستاذ أبي منصور البغدادي (٤)

قال أبو المظفر : ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم على الخصوص والعموم . إلا من كان فرد زمانه ، وواحد أقرانه في معارفه وعلومه ، وكثرة الغرر من تصانيفه ، وهو الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر . . وما من علم من العلوم إلا وله فيه تصانيف ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب الملل والنحل في أصول الدين ، وتصانيفه في الكلام . والفقه . والحديث والمقدرات التي هي أم الدقائق تخرج عن الحصر لم يسبق إليه في هذه الأنواع مع حسن عبارته ، وعذوبة بيانه ، ولطافة كلامه في جميع كتبه (٥) .

---

١ - طبقات الشافعيه الكبرى للشبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .

٢ - نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٣٨ .

٣ - تبيين كذب المفترى ص ٢٧٦ .

٤ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة لأبن المظفر الأسفراييني تحقيق كمال يوسف الحوت - عالم الكتب ط أولى سنة ١٤٠٣ هـ ص ٩ .

٥ - نفس المصدر ص ١٩٤ .

- الإمام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح قال : "هو ابن محمد التميمي الأستاذ أبو منصور البغدادي ثم النيسابوري كان كشيخه الأستاذ أبي اسحاق الأسفراييني في نصرة طريقة الفقهاء والشافعي في أصول الفقه في الأغلب ، وهما من المتكلمين الناصرين لقول الشافعي رحمه الله ، لا يجوّز نسخ الكتاب بالسنة ، مع أن أكثر اضرابهم المتكلمين من الشافعية جنوا عن نصرة المذهب في هذه المسألة . . وتلاه في التصنيف في الفرائض والدور والوصايا والعين والدين وانواع المقدرات عبد القاهر بن طاهر بن محمد وكتابه في الفرائض يزيد على الف ورقة وكتابه في الدور والوصايا يزيد على ثلاثمائة باب ، سوى كتب الفقه والكلام وأصول الفقه وأنواع العلوم ، على الخصوص والعموم . ثم حكى أنه أشكل على أصحاب أبي حنيقة في تلك الإيام مسائل دورية في كتبهم ، فما حلها لهم إلا هو" (١) .

- قال السبكي وحدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفقيه قال : لما حصل أبو منصور باسفرايين ابتهج الناس بمقدمه إلى الحد الذي لا يوصف .(٢)

- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي قال : هو الأستاذ : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الشافعي أحد الأئمة في الأصول والفروع وكان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم منها علم الحساب والفرائض وكان ذا مال وثروة انفقه كله على أهل العلم وصنف ودرس في سبعة عشر علماً وكان اشتغاله على أبي إسحاق الإسفراييني وأخذ عنه ناصر المروزي (٣) .

- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : قال : عبد القاهر بن طاهر

---

١ - طبقات الشافعيه لأبن الصلاح جـ ٢ أنظر ص ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

٢ - طبقات الشافعيه الكبرى للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .

٣ - البدايه والنهايه لأبن كثير جـ ١٢ ص ٤٨ .

العلامة البارع المتفنن الأستاذ أبو منصور البغدادي نزيل خراسان صاحب التصانيف البديعة وأحد أعلام الشافعية . . وكان أكبر تلامذة أبي اسحق الأسفرييني وكان يدرس في سبعة عشر فناً ويضرب به المثل وكان رئيساً محتشماً وله تصانيف في النظر والعقليات (١) .

- جمال الدين أبي الحسين علي بن يوسف القفطي صاحب كتاب إنباه الرواة على أنباء النحاة قال : أبو منصور الأستاذ الكامل ذو الفنون الفقيه الأصولي الأديب الشاعر النحوي الماهر في علم الحساب وردينسابور مع أبيه أبي عبد الله واستفاد منه أهل نيسابور (٢) .

- أثنى عليه الفخر الرازي في كتابه " الرياض المؤنقه " فقال : لو لم يكن له إلا كتاب التكملة في الحساب لكفاه . وقال : كان يسير في الرد على المخالفين سير الأجال في الأمال وكان علامة العالم في الحساب والمقدرات والكلام والفقه والفرائض وأصول الفقه (٣) .

- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان صاحب وفيات الأعيان الذي قال فيه : كان فقيهاً شافعياً أصولياً أديباً ، كان ماهراً في فنون عديدة خصوصاً علم الحساب فإنه كان متقناً له وله فيه تواليف نافعة منها كتاب التكملة ، وكان عارفاً بالفرائض والنحو (٤) .

- قال عنه السيوطي : كان كثير الشيوخ سخي النفس طيب الأخلاق (٥)

---

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١٧ ص ٥٧٢ .

٢ - إنباه الرواة على أنباء النحاة جـ ٢ ص ١٨٥ ، ١٨٦ لجمال الدين القفطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٣١ جـ ٢ ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

٣ - فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي تحقيق د احسان عباس دار صادر جـ ٢ ص ٣٧١ . - وأنظر طبقات الشافعية جـ ٣ ص ٢٣٨ .

٤ - وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق احسان عباس دار صادر جـ ٣ ص ٢٠٣ .

٥ - بغية الدعاة طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي عيسي الحلبي ط أولى سنة ١٣٨٤ جـ ٢ ص ١٠٥ .

آثـــاره :

كان للبغدادي مؤلفات وأثار في الرواية والشعر وقدذكرت متفرقة في تراجمة عند العلماء والقليل منها مطبوع ومتداول ونحن نذكرها هنا :

١ - كتاب التفسير : وقد ذكره السبكي في الطبقات الكبرى (١) وسماه صاحب كشف الظنون تفسير أبي منصور (٢) وعند الزركلي في الأعلام : تفسير القرآن (٣) .

٢ - كتاب فضائح المعتزلة ذكره السبكي في الطبقات (٤) ، وصاحب كشف الظنون حاجي خليفة (٥) والزركلي في الأعلام وسماه فضائح القدرية (٦) .

٣ - الفرق بين الفرق * : كتاب مطبوع متداول حققه محمد محي الدين عبد الحميد دار المعرفة بيروت وقد تناول فيه حديث أفتراق الأمة وقسمهم إلى قسمين عدا الفرقة الناجية .

فأما القسم الأول فقال أنهم خارجون عن الإسلام وأما القسم الثاني وهم أهل الأهواء والبدع فلم ينج من تكفيره لهم أحد (٧) .

أما الفرقة الناجية وهم الأشاعرة فقد جمع أصناف أهل الكلام والحديث والتصوف الذين يقولون بحدوث العالم وتوحيد الصانع والجوهر والعرض

---

١ - طبقات الشافعيه للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٢ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنونلحاجي خليفه وكالة المعارف سنة ١٣٦٠ ص ١٢٧٤ .
٣ - سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرساله جـ١٧ ص ٥٧٢ × الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .
٤ - طبقات الشافعيه للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٥ - كشف الظنون لحاجي خليفه ص ١٢٧٤ .
٦ - سير الأعلام للزركلي دار العلم بيروت جـ ٤ ص ٤٨ .
٧ - الفرق بين الفرق للبغدادي أنظر ص ٣٥٧ ، ٣٦٨ ، ٣٤٨ ، ٢٣٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .
أنظر أصول الدين ص ١٩٠ وغيرها .

. . . .

* أختصره عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الرسغني قال عنه محقق الكتاب لم يكن ناسخاً بل أنه كان على شيء من الآدب والمقدرة العقلية كونه أعمل ملكة الأنتقاء في المادة التي أمامه فعرف ما يصح الإستغناء عنه منها . . ثم يقول المحقق الفرق بين الفرق وهو الكتاب الذي نحن بصدده والذي على ما نعلم لم يعش من مولفاته إلى أيامنا سواه . وإن كانت قيمة الكتاب بإعتبار البحث والإستقراء دون قيمة أخويه " كتاب الملل والنحل للشهرستاني سنة ٥٤٨ وكتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبن حزم سنة ٤٥٦ فلكتاب الفرق بين الفرق ميزة الأسبقيه عليهما " مختصر الفرق بين الفرق مكتبة الثقافه الدينه ميدان العتبه مصر ف.ح « فليب حتى » وقد رمز لأسمه لكنه عثر عليه في كتاب الملل والنحل .

والتنزيه . . وهذا الكتاب متأخر في التأليف عن كتاب أصول الدين فقد لخص فيه أصول الدين الخمسة عشر أصلاً وهي التي يشملها كتاب أصول الدين وسبق أن ألف في الفرق كتاب " الملل والنحل " حيث يقول في كتاب الفرق بين الفرق : وللإباضية والبيهسية بعد هذا مذاهب قد ذكرناها في كتاب " الملل والنحل " وفيما ذكرناه منه في هذا الكتاب كفاية (١) وقوله " وقد استقصينا بيان أحكام أهل الأهواء في كتاب " الملل والنحل " (٢)

وقد حمل البغدادي تلك الفرقة الناجية حملاً ثقيلاً حيث نسب إليها اعتقاد أصحابه الأشاعرة فقال : " وقالوا بأن القدرية والخوارج يخلدون في النار ولا يخرجون منها ، وكيف يغفر الله تعالى لمن يقول : ليس لله أن يغفر أو يخرج من النار من دخلها (" ٣) وأمور أخرى قد ذكرناها في طيات هذا البحث .

غير أن هذا وغيره لا يقلل من أهمية هذا الكتاب في بيان تلك الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة والتي ساعدت مع غيرها من العوامل على تفريق كلمة الأمة وضعفها . مع وجوب التذكير أن تلك الفرق التي حصرهاالبغدادي في كتابه هذا وانها هي الثلاث والسبعين فرقة لم يثبت مايقرر هذا بل الثابت والصحيح أن هذه الفرق ماضية حتى قيام الساعة فلا تحصر ولا تحد بزمن ولا بجماعة معينة وهذا ما انتهى إليه البحث في مبحث التكفير .

٤ - أصول الدين : وهو كتاب مطبوع وعدم العناية به أولى فهو غير متداول ويكفي به مرجعاً للمتخصصين طبع في استانبول سنة ١٣٤٦هـ والتزم بنشره مدرسة

---

١ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٩ .
٢ - نفس المصدر ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .
٣ - نفس المصدر ص ٣٤١ .

الآلهيات بدار الفنون التركية باستانبول . ابتدأ هذا الكتاب حيث قال : "قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي رحمة الله عليه ، هذا كتاب ذكرنا فيه خمسة عشر أصلاً من أصول الدين" (١) .

وكان الأصل الأول والثاني خاصين بحقائق العلوم وحدوث العالم والعرض والجوهر فهل جاء الدين بهذا ! ؟ .

وحيث أن المعرفة بالله هي لزوم الإيمان عنده بل هي الإيمان وحدها فقد أفرد لها سبعة أصول " وهي معرفة أصول الدين في العدل والتوحيد والوعد والوعيد والنبوات والكرامات ومعرفة أركان شريعة الإسلام وبهذه المعرفة يخرج عن الكفر" ويصير بها عند الله مؤمناً (٢) * . ولا شك أن المشركين كانوا يعرفون الله .

فالمعرفة لا تكفي لتحقيق دين الإسلام بل لا يصبح بها الإنسان مؤمناً وهو أعلى درجة من المسلم ، وأنني أتمنى أن لا يخرج هذا الكتاب ليراه العامة بل مكانه مكتبات التخصص والدراسات النقدية .

وممن ذكر هذا الكتاب في التراجم حاجي خليفة في كشف الظنون فقال : " كتاب الأصول الدينية أوله الحمد لله ذي الحكم البوالغ والنعم السوابغ (٣) .

٥ - كتاب الملل والنحل : مطبوع حققه د . البير نصري نادر دار المشرق لبنان ألفه البغدادي قبل الفرق بين الفرق (٤) وقد ذكره السبكي في الطبقات (٥) وحاجي

---

١ - أصول الدين ص ١ .
٢ - أصول الدين ص ٢٦٨ . * "أنظر نفس الصفحة السطر الأول" .
٣ - كشف الظنون لحاجي خليفة .
٤ - الفرق بين الفرق أنظر ص ١٠٨ ، ٣٥٨ .
٥ - طبقات الشافعيه للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .

خليفة في كشف الظنون (١) وقال السبكي : ليس في هذا النوع مثله . قال أبو المظفر الأسفراييني في التبصير في الدين : " ولو لم يكن له من التصانيف الإكتاب : " الملل والنحل " في أصول الدين وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشرانه يتمكن من مثله لكثرة ما فيه من فنون علمه (٢) .

هذا وقد عارض المحقق لهذا الكتاب وقارن بين كتاب الفرق وكتاب النحل وخلص إلى أن كتاب الفرق بين الفرق هو في الواقع اعادة النظر في كتاب الملل والنحل الذي كان قد وضعه أولاً عبد القاهر البغدادي ، ثم نقح فيه وحذف بعض الفقرات منه وأضاف إليه بعض المعلومات ، وميز بين أقسام الفرقة الواحدة (٣) .

٦ - كتاب الإيمان وأصوله : ذكره السبكي في الطبقات (٤) وحاجي خليفة في كشف الظنون (٥) وقال عبد القاهر في اصول الدين : " وقد استقصينا هذه المسألة في كتاب مفرد في الإيمان (٦) وذكره الزركلي في الأعلام (٧) .

وهذا المؤلف غير مطبوع .

٧ - الناسخ والمنسوخ : بتحقيق حلمي كامل أسعد عبد الهادي رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص بجامعة أم القرى " قسم الدراسات العليا الشرعية فرع الكتاب

١- كشف الظنون .
٢ - التبصير في الدين للأسفراييني ص ١٩٤ .
٣ - الملل والنحل دبنادر دار المشرق ص ٤٢ .
٤ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٥ - كشف الظنون .
٦ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٥١ .
٧ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .

والسنة باشراف الأستاذ الدكتور / محمد الصادق عرجون سنة ١٤٠٠هـ قال المحقق : " هناك عدة أمور تؤكد نسبة كتاب الناسخ والمنسوخ إلى الأستاذ أبي منصور البغدادي . . وبعد أن أثبت نسبة الكتاب إلى صاحبة قال في وصف النسخة : " لقد توفر لي من كتاب " الناسخ والمنسوخ " للإمام أبي منصور نسختان خطيتان لا يوجد غيرهما فيما وصل إليه علمي إلا نسخة مصورة " ميكروفلم " موجوده في مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة (جامعة أم القرى الان) تحت رقم ٤٤٨ . . عدد أوراقها ٧٦ ورقة .

الثانية : نسخة مصورة عن النسخة التي بدار الكتب القومية للتراث الثقافي البروسي - قسم الشرق في برلين تحت رقم ٤٧٨ عدد وراقها ٦٣ ورقة (١) والكتاب يحتوي علي ثمانية أبواب في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم .

٨ - كتاب الفصل في أصول الفقه ذكره السبكي في الطبقات(٢) ، والزركلي في الاعلام (٣) .

٩ - كتاب تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ذكره السبكي في طبقات (٤) وحاجي خليفه في كشف الظنون (٥) .

١٠ - كتاب فضائح الكرامية . أثبته السبكي (٦) وحاجي خليفة (٧) .

---

١ - الناسخ والمنسوخ رسالة ماجستير تحقيق حلمي كامل الأسعد عبد الهادي جامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة سنة ١٤٠٠ هـ ص = ف ، ل = .
٢ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٣ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .
٤ - السبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٥ - كشف الظنون .
٦ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٧ - كشف الظنون .

١١ - الوعيد الفاخر في الأوائل والأواخر : ذكره الزركلي في الأعلام (١)

١٢ - كتاب نفي خلق القرآن ذكره السبكي (٢) وحاجي خليفة (٣) والزركلي (٤) .

١٣ - كتاب الصفات : ذكره السبكي (٥) . والزركلي (٦) وحاجي خليفة (٧) .

١٤ - بلوغ المدى عن أصول الهدى هكذا ذكره السبكي (٨) في الطبقات وقال حاجي خليفة في كشف الظنون : بلوغ الجدي عن أصول الهدى (٩) وقال الزركلي في الأعلام : بلوغ المدى في أصول الهدى (١٠) .

١٥ - كتاب أبطال القول بالتولد . ذكره السبكي (١١) وعبد الرحمن بدوي مذاهب الإسلاميين .

١٦ - كتاب العماد في مواريث العباد ذكره السبكي ثم قال : ليس في الفرائض والحساب مثله (١٢) .

---

١ - الأعلام للزركلي جـ ٢ ص ٤٨ . أنظر معجم المؤلفين رضا كحالة دار احياء التراث العربي ص ٣٠٩ بيروت .
٢ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٢ .
٣ - كشف الظنون .
٤ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .
٥ - الطبقت للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٦ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .
٧ - حاجي خليفه كشف الظ نون.
٨ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٩ - كشف الظنون لحاجي خليفه .
١٠ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .
١١ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
١٢ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .

١٧ - كتاب شرح مفتاح ابن القاص ذكره السبكي وقال بدوي (١)شرح مفتاح ابن القاص قال السبكي : " وهو الذي نقل عنه الرافعي في آخر باب الرجعة وغيره (٢) .

١٨ - كتاب أحكام الوطء ذكره السبكي في أربعة أجزاء (٣) .

١٩ - كتاب التصوف والصوفي : قال السبكي : جمع فيه ألف قول مرتبة على حروف المعجم وجميع تصانيفه بالغة في الحسن أقصى الغايات (٤) ، وذكر هذا الكتاب الإمام ابن الصلاح في طبقات الفقهاء والشافعية (٥) .

٢٠ - تأويل متشابه الأخبار : ذكره السبكي في الطبقات (٦) وحاجي خليفة في كشف الظنون (٧) : والزركلي في الإعلام (٨) . قال د/ عبد الرحمن بدوي تأويل المتشابهات في الأخبار والايات . منه مخطوط في عليكره برقم ٩٥ (٩) الهند . غير أنه قد طلب عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض فلم تصل منهم إجابه على طلب المركز والحمد لله ، وعلى أي حال فإن المخطوطة وإن وجدت لا تضيف إلي ما علم من عقيدة عبد القاهر جديداً ذلك أنه يؤول ما يظنه متشابها في الكتاب والسنة من صفات الله سبحانه وقد ذكر ذلك في كتابه أصول الدين (١٠) وقد ذكر البغدادي نفسه ما يحويه هذا الكتاب بعبارة

---

١ - مذاهب الإسلاميين لأحمد بدوي دار العلم ط العلمية سنة ١٩٨٣ ص ٦٣٦ .
٢ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٣ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٤ - نفس المصدر .
٥ - طبقات فقهاء الشافعيه لأبن الصلاح دار البشائر جـ ٢ ص ٥٥٤ .
٦ - الطبقات للسبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .
٧ - كشف الظنون لحاجي خليفه .
٨ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .
٩ - بروكلمان ١/ ٦٦٧ تاريخ الأدب العربي .
١٠ - أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٢٢ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ وغيرها .

وجيزة وواضحة المعنى والغرض فقال في كتاب تفسير أسماء الله الحسنى المخطوط : فأما الأخبار والآيات التي فيها ذكر بعض الأعضاء والجوارح فقد تأولناها في كتابنا الموضوع لتأويل الآيات والأخبار المتشابهه (١) .

ونعلم أن المقصود بالأخبار هو حديث الرسول ﷺ أما الايات فلا يعرّف المعروف . والسؤال يوجه إلي البغدادي وأصحابه في كل زمان ومكان هل أنتم أحرص على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من الله ورسوله وصالح المومنين من التمثيل بالأعضاء أو الجوارح على قولكم وعلى ما زعمتم أم تلك شنشنة نعرفها من أخزم ! للحفظ على دليلكم المقدس حتى تخضعون كتاب الله العظيم لإذواقكم وافكاركم وتفسيراتكم وإحياء تلك المخطوطه فتنة وقى الله الإسلام والمسلمين شرها .

٢١ - الفرائض ذكره صاحب كشف الظنون(٢) وقال ابن الصلاح : وكتابه في الفرائض يزيد على ألف ورقة (٣) .

٢٢ - كتاب " نقض ماعمله أبو عبد الله الجرجاني في ترجيح مذهب أبي حنيفة " ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٤) . وقال ابن الصلاح : وكل واحد منهما لم يخل كلامه عن ادعاء ماليس له ، والتشنيع بما لم يؤته ، مع وهم كثير أتياه . " (٥) .

٢٣ - كتاب الدور والوصايا ذكره صاحب كشف الظنون (٦) ، وقال ابن الصلاح : " وكتابه الدور والوصايا يزيد على ثلاثمائة باب (٧) .

١ - تفسير أسماء الله الحسنى في المتحف البريطاني برقم ٧٥٤٧ ومكتبة مركز الملك فيصل برقم ١٦٠٥ لوحه رقم ٢٣٧ ونسخه لدى الباحث .
٢ - كشف الظنون .
٣ - طبقات الفقهاء الشافعيه لأبن الصلاح جـ٢ ص ٥٥٥ .
٤ - طبقات الشافعيه للسبكي جـ٣ ص ٢٣٨ .
٥ - نفس المصدر جـ٢ ص ٥٥٤ .
٦ - كشف الظنون .
٧ - نفس المصدر جـ٢ ص ٥٥٥ .

٢٤ - كتاب الحرب على أبن حرب : ذكره البغدادي نفسه في كتابه الفرق بين الفرق قال عبد القاهر : " لابن حرب كتاب في بيان ضلالاته ، وقد نقضناه عليه بكتاب " الحرب علي ابن حرب " وفيه نقض أصوله وفصوله بحمدالله ومنه (١) .

٢٥ - كتاب الموازنه بين الأنبياء " ذكره البغدادي نفسه في كتابه أصول الدين فقال : واجتمعت لنبينامحمد ﷺ جميع وجوه المعجزات التي تفرقت في الأنبياء كما بيناها في كتاب " الموازنة بين الأنبياء " (٢) .

٢٦ - التكملة في الحساب مع رسالة في المساحة لعبد القاهر بن طاهر البغدادي تحقيق ودراسة مقارنة : الدكتور أحمد سليم سعيدان منشورات معهد المخطوطات العربية الطبعة الأولى الكويت سنة ١٤٠٦هـ وقد ذكره السبكي:فقال الرازي " ولو لم يكن له إلا كتاب التكملة في الحساب لكفاه (٣) . وذكره صاحب كشف الظنون (٤) والزركلي في الأعلام (٥) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦) .

قال المحقق : فاشتمل الكتاب بحمد الله ومنه على سبعة أنواع من علوم الحساب وهذه ترجمتها (٧) وذكره طاش كبرزاده في مفتاح السعادة ومصباح السيادة

---

١ - الفرق بين الفرق ص ١٦٩ .
٢ - أصول الدين ص ١٨٠ .
٣ - طبقات الشافعيه للسبكي جـ ٢ ص ٢٣٨ .
٤ - كشف الظنون لحاجي خليفه .
٥ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .
٦ - سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١٧ ص ٥٧٢ - وانظر مفتاح السعاده لطاش كبري زاده . تحقي أحمد مصطفى وكامل بكري دار الكتب عابدين جـ٢ ص ٣٢٥ .
٧ - التكملة في الحساب لعبد القاهر بن طاهر البغدادي تحقيق د أحمد سليم سعيدان منشورات المنظمة العربية الكويت ط أولى سنة ١٤٠٦ هـ ص ٣١ .

٢٧ - المفتاح في فروع الشافعية ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١) غير أن صاحب معجم المؤلفين ذكر أنه شرح المفتاح لابن القاص في فروع الفقه الشافعي (٢) .

٢٨ - مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه مختصر بالرد على الجرجاني الحنفي الذي تعرض للإمام الشافعي ذكر هذا حاجي خليفة في كشف الظنون (٣) .

٢٩ - كتاب في المساحة : قال محقق كتاب التكملة في الحساب : بعد كتاب التكلمه ، نقدم نصاً للرسالة ٢٧٠٨/ ٢ في مكتبه لالي باستانبول ، وهي في المساحة ، والمخطوطه تتبع مخطوطه التكملة وهي بنفس خطها ومرقمة من ١ : ١٩ ، ولكن فيها اشكال هندسية لم تراع في رسمها الدقة ، وفي تحقيقها مثل ما أشيرنا إليه في تحقيق النصوصن الهندسية من صعوبات (٤) .

٣٠ - كتاب معيار النظر ذكره الزركلي في الأعلام (٥) وذكره البغدادي نفسه في كتابه تفسير أسماء الله الحسنى فقال : وقد استقصينا ذكر وجوه الاسئلة والأجوبة في كتاب (معيار النظر) (٦) .

٣١ - تفسير أسماء الله الحسنى " مخطوط " .

كتاب مخطوط لعبد القاهر البغدادي - المتحف البريطاني برقم ٧٥٤٧ وقد يسر الله سبحانه فحصلت على نسخة منه بواسطة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض

حيث وصل من لندن بتاريخ ٦/ ٩/ ١٤١٣ وأعطى رقم ١٦٠٥ف وقد استلمته مناولة باسمي بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٤١٣هـ .

---

١ - كشف الظنون لحاجي خليفة.

٢ - معجم المؤلفين عمر رضا كحاله دار إحياء التراث العربي بيروت جـ ٥ ص ٣٠٩ .

٣ - كشف الظنون لحاجي خليفه.

٤ - التكملة في الحساب المصدر قبل السابق ص ١٤ .

٥ - الأعلام للزركل ٤٨ ص ٤٨ .

٦ - تفسير أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحه ٢٠١ .

نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

هناك أمور تبين نسبة كتاب تفسير أسماء الله الحسنى لمؤلفه وهي :

١ - ذكره صاحب وفيات الأعيان منسوباً إلى البغدادي (١) واثبته الزركلي في الأعلام (٢) وبروكلمان في تاريخ الأدبي العربي ١/ ٦٦٧ والمتحف البريطاني برقم ٧٥٤٧ ذكر ذلك د . عبد الرحمن بدوي في مذاهب الإسلاميين (٣)

٢ - يظهر للقارئ للمخطوطه من أول صفحة أسلوب ومنهج عبد القاهر البغدادي

أ - المماثل لما في كتابه أصول الدين حيث يقول بل يورد نفس العبارة في أول الكتاب فيقول : " الحمد لله معز الحق وناصره ومديله ومذل الباطل ومزيله ذي النعم السوابغ والنقم الدوافع " (٤) .

والعبارتان السابقتان هما نفس العبارتين في أصول الدين .

ب - البغدادي كما تقدم في ترجمته هنا يجمع بين أصول أهل الكلام وعبارات واشارات أهل التصوف والنحويين فيقول : هذا كتاب جمعنا فيه بين طرق المتكلمين ومذاهب النحويين ولطائف أهل الإشارة والعبارة في تفسير أسماء الله جل ثناؤه على أصول أهل السنة والجماعة الذين سلكوا نهج السبيل بواضح الدليل فصاروا شجاً في حلوق أهل الإلحاد والتمرد والعناد (٥)

---

١ - وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق احسان عباس دار صادر جـ ٣ ص ٢٠٣ .

٢ - الأعلام للزركلي جـ ٤ ص ٤٨ .

٣ - مذاهب الأسلاميين بدوي ص ٦٣٨ .

٤ - تفسر أسماء الله الحسنى مخطوط للبغدادي المتحف البريطاني برقم ٧٥٤٧ ومكتبة الملك فيصل برقم ١٦٠٥ لوحه رقم ٢ .

٥ - نفس المصد لوحه رقم ٢ .

وانت تجد نفس العبارة الأخيرة في كتاب أصول الدين الذي قال فيه وذلك في ترتيب أئمة الدين في علم الكلام : " ثم بعدهم شيخ النظر وإمام الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجا في حلوق القدرية . . " (١) .

ج - أنه قد أحال إلي أحد كتبه التي ذكرهاالمترجمون ضمن مؤلفاته الخاصة به وذلك حين تحدث عن نفاة الأعراض فقال : فأما الكلام على نفاة الأعراض فقد استقصيناه في كتاب بلوغ المدى عن أصول الهدى وبنينا على اثبات الأعراض أصول الموحدين في حدوث العالم وليس هذا موضع ذكرها (٢) .

د - ثم قال في مكان آخر : "وقد استقصينا إبطال شبههم في كتاب فضائح المعتزلة فأغنى عن تطويل الكتاب " (٣) ، وقد سبق بيان أن هذا الكتاب من مؤلفات البغدادي .

هـ - قوله : " وقد استقصينا تأويل الايات والأخبار التي توهم ظاهر التشبيه في غير هذا الكتاب " (٤) .

و - قوله : " وقد استقصيناالكلام عليهم في ذلك في كتاب الذي سميناه في فضائح الكرامية " (٥) .

ز - قوله : " فأما دلائل كل فصل وحجج أهل الحق فيه فقد استقصيناه في الكتاب الذي أفردناه في مسائل الإيمان وأصوله وأبوابه وفصوله " (٦) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٣٠٩ .
٢ - تفسير أسماء الله الحسنى لوحه رقم ٤٤ .
٣ - نفس المصدر لوحه ٤٧ .
٤ - نفس المصدر لوحه ١٨٢ .
٥ - نفس المصدر لوحه ١٨٩ .
٦ - نفس المصدر لوحه ٢١١ .

ح - قوله : " فأما الأخبار والآيات التي فيها ذكر بعض الأعضاء والجوارح فقد تأولناها في كتابناالموضوع لتأويل الايات والأخبار المتشابهه " (١) .

٣ - أثبت الناسخ بنفس خطه نسبة الكتاب للبغدادي فقال : "هذا كتاب تفسير أسماء الله الحسنى لشيخ الإسلام والمسلمين وخاتمة المحققين والمدققين فريد عصره ووحيد من أهل البراعة والدين صاحب التآليف النفيسة عبد القاهر بن طاهر البغدادي القرشي التيمي رحمة الله عليه ونفعنا والمسلمين من بركاته وبركات علومه في الدنيا والأخرة آمين .

ثم يقول الناسخ : " وذُكر أن كان له من التآليف الجليلة من الفقه وغيره ما يزيد عن عشرين مجلداً .

٤ - لقد أثبت الناسخ وشهد على نفسه أن هذه النسخة بخط يده قد نقلها عن خط المؤلف البغدادي فقال : " وقد كتبت هذه النسخة من خط مؤلفها على التمام والكمال ونعوذ بالله تعالى من الزيادة والنقصان .

أن رأيت عيباً فسد الخللا   جل من لا فيه عيب وعلا

ثم قال في الهامش : الحمد لله صار من كتب العبد أحمد باحسن كان الله له آمين (١) .

٥ - تظهر عقيدة عبد القاهر البغدادي الأشعري واضحة تماماً والتزامه بالمصطلحات الكلامية كالجوهر والعرض وحلول الحواداث بذات الله والتأويل وصفات الله الأزلية السبع ، وتأويل الاستواء والمجيء وهذا مطابق بما فيه لكتبه كأصول

---

١ - نفس المصدر لوحه ٢٣٧ .

٢ - تفسير أسماء الله الحسنى لوحه رقم ١ .

الدين والفرق بين الفرق الملل والنحل ويظهر دلك في أمور كثيرة منها :

أ - قوله : " صفاته الأزلية القائمة به لقولنا له أنه حي وعالم وقادر وسميع وبصير ومتكلم ومريد وباق لأنه مشتق من حياته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه وإرادته وبقائه فهذه ثماني صفات له أزلية قائمة به " (١) .

ب - قوله : " الأشعرية أصحابنا وأصحاب شيخنا قالوا في الإيمان في اللغة التصديق فهو حقيقة وحقيقة التصديق اعتقاد المعتقد صدق من يؤمن به وليس إقرار اللسان مع انكار القلب إيماناً " (٢) .

ج - قوله بعد ذكره خمسة أوجه في تأويل الأستواء : "وقد استقصينا تأويل الايات والأخبار التي يوهم ظاهرها التشبيه في غير هذا الكتاب" (٣) .

د - قوله : " والمتكلمون من أهل السنة والجماعة قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفراً أو أدته إلى كفر كقول من يزعم أن معبوده صورة أوله حد ونهاية أو يجوز عليه الحركة والسكون " (٤) ومن المعلوم أن أهل السنة عنده هم الإشاعرة ولا شك أن هذه الأقوال تحتاج إلى تفصيل فإذا قصد بالحركة والسكون أن الله لا ينزل ولا يجيء فهذا باطل فالله ينزل نزولاً يليق بجلاله العظيم ويجيء مجيئاً خاصاً به . كما قال هو تعالى . وكذلك فهو فوق العرش كما ذكر سبحانه .

---

١ - نفس المصدر لوحه ٦٥ .
٢ - نفس المصدر لوحه ١١٨ .
٣ - نفس المصدر لوحه ١٨٢ .
٤ - تفسير أسماء الله الحسنى لوحه ٢٢٤ .

هـ - قوله : وتكفير الخوارج واجب لتكفير جميع الأمة سواهم " (١) .

و - قوله : وقد اجمع أصحابنا على جواز قيام الكلام بالجزء المنفرد ويكون متكلماً به " (٢) !؟ .

وبعد فإن هذا الكتاب المخطوط صحيح النسبة إلي صاحبه عبد القاهر البغدادي وذلك واضح كما تقدم من أسلوبه وذكره في تراجمه وإحالته فيه على بعض كتبه المعلومة وما أثبته الناسخ بخطه وشهادته بذلك وتمامه بدون زيادة أو نقصان ، وأخيراً وهو المهم وضوح عقيدة البغدادي في ثنايا الكتاب بما لا يدع مجالاً للشك وخاصة في تكفيره الفرق الاسلامية الأخرى . بل أن مثبتي النزول والمجيء والاستواء والوجه واليد لله سبحانه مما ورد به النقل قد لا يسلم من التكفير والله المستعان (٣) .

١ - نفس المصدر لوحه ٢٢٥ .
٢ - نفس المصدر لوحه ٣٠٠ .
٣ - نفس المصدر أنظر لوحه ٢٢٤ وغيرها .

وصف الكتاب :

هذه المخطوطه تحوي ٣٠١ لوحة وكتب على الغلاف الخارجي رقم الإيداع باللغة الإنجليزية ٧٥٤٧ وبخط اليد باللغة الإنجليزية "أشتريت من الحاج عبد المجيد ٨ أكتوبر سنة ١٩٠١م " .

وفي الصفحة الأولى تقديم الناسخ بخطه وتوقيعه ثم ختم المتحف البريطاني بشعارهم أذلّهم الله ؟ "أسد وحمار " وبينهما صليبهما ! . ولا فرق بينهم فقد وصفهم الله تعالى بذلك

عمل الناسخ

لقد أعمل جهده في نسخ هذه المخطوطه فالخط واضح بالنسبة لمثيلاتها والترتيب تام مع عدم وجود اخطاء أو كشط عبارات وإذا احتاج إضافة فإنه يضع مثلث في الهامش الايمن أو الأيسر .

وكذلك فإن الأبواب والفصول بخط جلي ولافت للنظر ثم حسن التقسيم مع وضع كلمة الربط في الصفحة المقابلة وذلك لعدم وجود الترقيم ولا أعلم لهذا سبباً ويظهر جمال الخط والترتيب ممثلاً في كتابة أسماء الله الحسنى بروايتين في لوحتين في صفحة واحدة وسنحسبها لوحة واحدة وقد أحاط اللوحة برسم مستطيل عرضه ١٢ سم وطوله ٢٤ سم .

محتوى المخطوطة أو الكتاب :

كما هو معلوم فالمخطوطة تدور حول تفسير أسماء الله وتحوي أبواباً وفصولاً وهي :

رقم اللوحة	عنوان الباب
٢	باب في حدود الأسماء والصفات
٦	باب ما يجوز اطلاقه من العبارات والأسماء والصفات
٧	باب أقسام الأسماء والمسميات
١١	باب بيان موازين الأسماء
١٤	باب بيان أقسام الأوصاف والصفات
١٦	باب بيان أقسام الأسماء والصفات
١٧	باب بيان أقسام الموجودات
١٩	باب وجوه اشتقاق الأوصاف والموصوفات
٢٠	باب اقسام الأسماء من وجه اللغة
٢٢	باب ما يتبع الأسماء من الأوصاف والتعريف
٢٣	باب ما يجوز أطلاقه على أوصاف الله
٣٨	باب فيما يشتمل وصف الله تعالى من الصفات
٤٠	باب حد الأسماء والمسميات

رقم اللوحة	عنوان الباب
٤٢	باب أقسام صفات الله عز وجل
٥٢	باب الكلام في أثبات الله عز وجل أسماء الله مشتقة من أفعاله والمنع من أثباتها قبل وجود أفعاله !
٥٣	مفصل في الدلالة على أن الخلق والمخلوق شئ واحد
٥٦	فصل في قول الكرامية بحدوث حوادث في ذات الباري !
٥٧	فصل بيان ما يؤدي إليه القول بحلول الحوادث
٥٨	باب في بيان مآخذ أسماء الله عز وجل عن طريق السنة
٦٠	فصل ١ في اثبات زيادة اسماءالله عز وجل على تسعة وتسعين
٦٢	فصل ٢ بيان تفسير أسماء الله الحسنى
٦٤	فصل ٣ بيان فائدة حصر أسماء الله الحسنى
٦٥	باب في بيان تقسم أسمائه عز وجل على المعاني والصفات
٦٧	باب في بيان تفسير كل اسم من اسمائه
٨٧	باب في بيان فاعل البصر والإدراك ٦ فصول
٩٧	ذكر معنى الباقي من أسمائه عز وجل وتفسيره ومسائله ٣ فصول
١٠٩	ذكر معنى الجبار من أسمائه عز وجل
١٢٦	ذكر ما هو شرط في حصول الحياة وبيان مايصح أن يكون حيا

رقم اللوحة	عنوان الباب

١٣٣ . . . . في بيان معنى الخلق والخالق على مذهب المتكلمين

١٨٠ . . . . في بيان القول في المعارف

١٨١ . . . . تأويل الاستواء

١٩٠ . . . . ذكر معنى القدوس من اسمائه

١٨٥ . . . . ذكر ما جاء من أسماء الله مفتتحاً بالقاف

١٩٢ . . . . ذكر ما جاء من أسماء اله مفتتحاً بالكاف

١٩٧ . . . . ذكر ما جاء من زسماء اله مفتتحاً بالميم

٢١١ . . . . ذكر المومن في أسماء الله عز وجل

٢٤٥ . . . . ذكر ما جاء من أسماء الله عز وجل مفتتحاً بحرف النون

٢٥١ . . . . ذكر ما جاء من زسماء اله عز وجل مفتتحاً بحرف الواو

٢٥٣ . . . . . . ذكر معنى الواحد في اسمائه عز وجل وفيه بحث واسع مع الرد على النصارى والفرق .

٢٨١ . . . . ذكر ما جاء من اسماء الله عز وجل مفتتحاً بالها

٢٨٤ . . . . باب في بيان اسماء الله أجمعت الأمة عليها أو نطق بها القرآن

٢٩٧ . . . . باب في بيان ما يتعلق من أوصاف الله عز وجل بالكلام

رقـــم اللوحـــة	عنـــوان البــاب
٣٠١	اللوحة الأخيرة قال الناسخ " تم الكتاب بحمد الله ومنّه وكان الفراغ من نسخة يوم الأربعاء المبارك تاسع عشر شهر شوال من شهور سنة ثلاث وتسعين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين .

والبحث ينتهي إلى أنه لا ينبغي تحقيق هذا الكتاب لما يحويه من المادةالكلامية والأخطاء العقـدية ووجود البديل المنضبط بمنهج أهل السنة والجماعة الماضيين على طريق السلف .

آثار البغدادي في الرواية

كان للبغدادي رواية للحديث بسنده كما في كتاب الفرق بين الفرق في حديث أفتراق الأمة .

١ - فقد روى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . الحديث (١) .

٢ - وروى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . الحديث (٢) .

غير أن البغدادي قد وجد له روايات أخرى كما أوردها السبكي في الطبقات حيث قال ومن الرواية عنه : " أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد . . أخبرنا الشيخ أبو الرجا خلف بن عمر بن عبد العزيز الفارسي ثم النيسابوري أخبرنا الشيخ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي أخبرنا أبو عمر محمد بن جعفر بن مطر أخبرنا ابراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى التيمي حدثنا هشيم بن بشير عن يسار عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي . . الحديث (٣) .

وقد أورد البيهقي في كتابه الأسماء والصفات حديثاً رواه عن الأستاذ من أصل كتابه فقال : " وأنا الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي - من أصل كتابه - نا أبو سعيد اسماعيل بن أحمد الجرجاني - املاء - أنا أبو بكر محمد بن عبد السلام

---

١ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٤ ، ٥ .
٢ - نفس المصدر ص ٥ ، ٦ .
٣ - طبقات الشافعيه للسبكي جـ٣ ص٢٤٠ - أنظر فتح الباري جـ١ ص٤٦٣ ومسلم جـ٥ ص٣ .

البصري بها - أنا محمد بن المنهال الضرير نا عبد الواحد بن زياد بن عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ " من أصابه هم و حزن فليقل اللهم أني عبدك وابن عبدك وابن أمتك في قبضتك ناصيتي بيدك . . الحديث .(1)

ومن شعر البغدادي :

قال ابن عساكر . . " انشدنا الأستاذ الإمام أبو منصور البغدادي لنفسه :

يامن عدى ثم اعتدى ثم أقترف ... ثم انتهى ثم أرعوى ثم أعترف

أبشـــــر بقـول الله في آياتـه ... أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سـلف (٢)

وقد أورده السبكي ثم قال معلقاً : " قلت في استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا في شعره فائدة فإنه قدوة في العلم والدين وبعض أهل العلم ينهى عن مثل ذلك وربما شدد فيه وجنح فيه إلى تحريمه والصواب الجواز ثم الأحسن تركه تأدباً مع الكتاب العزيز ونظيره ضرب الأمثال من القرآن وتنزيله في النكت الأدبية ، وهذا فن لا تسمح نفس الأديب بتركه . واللائق بالتقوى أن يترك (٣) .

* * * * *

وفي رده على عمران بن حطان الذي بلغ من خبثه أنه رثى عبد الرحمن بن ملجم

---

١ - الأسماء والصفات للإمام الحافظ أبي بكر أحمد البيهقي تحقيق عماد الدين أحمد حيدر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ جـ ١ ص ٣١،انظر مسند الإمام أحمد جـ١ ص٥٢، أنظر شرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن وهف مؤسسة الجريسي للتوزيع ص ٤٩ بتصحيح الألباني .
٢ - تبيين كذب المفتري لأبن عساكر ص ٢٥٣ .
٣ - طبقات الشافعيه للسكي جـ٣ ص ٢٣٩ .

المجوسي . . قال عبد القاهر : وقد أجبناه عن شعره هذا بقولنا :

ياضربة من كفور ما آستفاد بها ... إلا الجـــزاء بما يصليــه نيرانا

أني لأ لعنــــه دينا ، والعـن من ... يرجو له أبداً عفـــواً وغفــــراناً

ذاك الشقي لأ شقى الناس كلهم ... أخفهم عند رب الناس ميـــــزاناً (١) .

*****

وفي رده علي من زعـــم أن مهديهم محبـــوس بجبل رضـــوى إلى أن يؤذن له بالخروج :

قال عبد القاهر : وقد اجبناه بقولنا :

لقد أفنيت عمـــرك بانتظـار ... لمن وارى التـــراب له عظـاماً

فليس بشــعب رضواكم إمـام ... تراجعــــه الملائكـــة الكلاماً

ولا من عنده عســـل ومـاء ... واشـــربـة تغذيـــه الطعـامـا

وقد ذاق ابن خولة طعم موت ... كما قـــد ذاق والـــده الحماما

ولو خلد امـــرؤ لعلو مجـد ... لعـاش المصطفى أبـــداً وداما

ولكن كل من في الأرض فانٍ ... كذا حـــكم الذي خلق الأناما

*****

١ - الملل والنحل تحقيق نادر دار المشرق ص ١٣ .

٢ - مختصر الفرق اللرسغني مكتبة الثقافة ص ٤٠ .

وفي رده علي شاعر الإماميةَ الذي يهجوا الزيدية وشاعر الزيدية الذي يهجوا الإمامية :

قال عبد القاهر : قد أجبنا الفريقين عن شعرهما بقولنا .

ياأيها الرافضة المبطلة	دعواكم من أصلها مبطلة
أمامكم إن غاب في ظلمة	فأستدركوا الغائب بالمشعلة
أو كان معموراً بأعجازكم	فاستخرجوا المعمور بالغربلة
ولكن إمام الحق في قولنا	من سنة أو آية منزلة
وفيها للمهتدي مقنع	كفى بهذين لنامنزلةَ (١)

* * * * *

١ - الفرق بين المفرق ص ٧١ ، ٧٢

تعقيب

ذكر ابن الصلاح في طبقات فقهاء الشافعية قوله :"وقال أبو منصور في كتابه الأصول الخمسة عشر : إن الصحيح عنده أن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال ، وفيها غلو عن أبي الحسين القزاز .

قال : قال الأستاذ أبو منصور : عندي أن أول الواجبات على الإنسان هو الإقرار بكلمة الشهادتين ، وقبول الإسلام ، والعمل به فإذا أتى بذلك حينئذ يشرع في النظر والإستدلال .

قال : وهذا طريقة السلف"(١) .

ويُردّ هذا القول من وجوه :

أولاً : أنه لم يبين قول البغدادي " هو الإقرار بكلمة الشهادتين " هل كان من كتابته أو رواية عنه ، فإنه كان من كتابته فإن كتبه لا تثبت هذا .

وإن كان رواية فإنها منقطعة ولا قيمة لها . فإنه لم يعاصر البغدادي .

ثانياً : لقد تعاقب على تبييض وتنقيح وإضافة تراجم أخرى لهذا الكتاب ثلاثة من الأئمة الكبار وهم ابن الصلاح والنووي والمزي والكل قد أدلا بدلوه ، فإنه يحار القارئ أحياناً عندما ينسب قولاً لأيهم هو .

ثالثاً : لقد قرر البغدادي نفسه في أكثر من موضع في كتابه الأصول والفرق بين الفرق تقديم النظر والإستدلال على الشهاديتين وتجد هذا القول في طيات هذا البحث (٢) بل وأثبت هذا في كتابه تفسير اسماء الله الحسنى (٣) .

---

١ - طبقات فقهاء الشافعية لأبن الصلاح دار البشائر الإسلاميه طبعة أولى سنة ١٤١٣ جـ٢ ص ٥٥٣ ، ٥٥٤

٢ - وأنظر أصول الدين للبغدادي ص ٢١٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٥٢ ، ٢٤ ، ١٤ .

٣ - شرح اسماء الله الحسنى للبغدادي أنظر لوحة ٦٨ ، ٢١١ .

رابعاً : لقد عقد مسألة في الإيمان وعدّ الذي يعتقد بدون النظر عاصياً مقلداً .

فقال : "وإن كان عاصياً بتركه النظر والإستدلال المؤدي إلى معرفة أدلة قواعد الدين . . وبه نقول"(١) .

خامساً : أن جميع من كتب في العقائد قد صنف البغدادي من أهل الكلام الذين يقدمون النظر والاستدلال على الشهادتين (٢) وللبغدادي نفسه ثلاثة أصول في النظر والمعرفة وحقائق العلوم من كتابه أصول الدين .

سادساً : أن صاحب الشأن أولى بالتحدث عن نفسه فلماذا لم نجد هذا القول في مولفاته ؟

سابعاً : ومما تقدم فإنه لا يرقى الشك أبداً بأن تلك العبارة منسوبة إلى البغدادي وهي عبارة صحيحة قطعاً إذا نسبناها إلى أبي منصور الأيوبي (٣) معاصر البغدادي والأستاذ الإمام الحجة المتكلم ويزول هذا الوهم بمايلي :

أ - إن أبا منصور الأيوبي من أئمة الكلام وقد ترجم له ابن عساكر فقال : ومنهم أبو منصور الأيوبي النيسابوري . . الأستاذ الإمام حجة الدين صاحب البيان والحجة والبرهان واللسان الفصيح والنظر الصحيح أنظر من كان في عصره ومن تقدمه ومن بعده على مذهب الأشعري . . توفي في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائه (٤) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

٢ - أنظر مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ، في علم الكلام لأحمد محمود صبحي، رسالة موقف ابن تيمية من الأشاعره لعبد الرحمن المحمود .

٣ - هو محمد بن أيوب الأستاذ الحجة في الدين أبو منصور المتكلم « ٠٠ - ٤٢١هـ » تلميذ ابن فورك ، صنف كتاب تلخيص الدلائل، السبكي جـ ٤ ص ١٤٧ في طبقات الشافعية .

٤ - تبيين كذب المفترى لابن عساكر دار الفكر ط الثانيه سنة ١٣٩٩ دمشق ص ٢٤٩ .

ب - أن أبا منصور الأيوبي معاصر للبغدادي بل قد وقع الاشتباه في اسميهما أثناءترجمته عند ابن عساكر.!! وكنت قد أهملت ذكر أسمه ونسبه اعتماداً على شهرته فقال لي أبو عثمان الصابوني قيد ذكره باثبات اسمه وأزل الشبهة عن فضله وأثبت فوق الكنية عبد القاهر بن طاهر لئلا يظن أنك أردت أبا منصور الآخر فكأنه أشار إلى خلاف في الإعتقاد كان بينهما" (١) .

ج - لقد كان أبو منصور الأيوبي تلميذاً و صهراً لأبن فورك المتكلم الذي " تتلمذ عليه في صباه وتخرج ولزم طريقته وجد واجتهد . . وصار من منظوري أصحاب الإمام وظهرت بركة خدمته عليه فأدى الحال إلي أن زُوج من أبنته وكان أنفذ من الأستاذ وأشجع منه" (٢) .

د - إن الإمام البيهقي قد أثنى عليه في نصرته للسنة وقمعه للبدعة في كتابه الأسماء والصفات فقال : " كتب إلى الأستاذ أبو منصور محمد بن الحسن أبن أيوب الأصولي رحمه الله الذي كان يحثني على تصنيف هذا الكتاب لما فيه من الأحاديث المخرجة من العون على ما كان فيه من نصرة السنة وقمع البدعة ، ولم يقدّر في أيام حياته لإشتغالي بتخريج الأحاديث في الفقهيات ، على مبسوط أبي عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي رحمه الله . . ولكل أجل كتاب" (٣) .

وقد ثبت بالبحث في هذا الرسالة أن تقديم النظر بل وإيجابه عند هؤلاء وتقديمه على النطق بالشهادتين بدعة في الدين وليس لها أصل عند سلفنا الأولين وحتماً فإن

---

١ ، ٢ - تبيين كذب المفترى لابن عساكر دار الفكر ط الثانيه سنة ١٣٩٩ دمشق ص ٢٥٣ ، ٢٤٩ .

٣ - الأسماء والصفات للحافظ أحمد بن الحسين ابي بكر البيهقي تحقيق عماد الدين حيدر دار الكتاب العربي الطبعه الأولى سنة ١٤٠٥ هـ جـ٢ ص ١٥

ناصر الدين وقامع البدعة لا يقوم إلا بتقديم النطق بهما والإستسلام بالتوحيد واتباع الأمر الرشيد من سيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والتسليم .

وحيث أن البغدادي لم يثبت عنه قوله بتقديم النطق بالشهادتين في أي من كتبه ولا روي هذا عمن عاصره ونقل عنه ولم يثبت عنه رجوعه كغيره من علماء الأشاعرة في آخر مراحل عمره مع بقاء كتبه المطبوعة والمخطوطة ، لذا فإنه يلزم نفي هذا القول المنسوب عنه عند ابن الصلاح في طبقات الفقهاء للشافعيه ويكون من المناسب جداً بل والصحيح أن ينسب إلى معاصره وشبيهه في الكنية والمنهج والشيوخ والعلم.*

* أنظر البحث ص ٥٧ .

الفصل الثاني

منهج البغدادي في دراسة العقيدة

حيث أن البغدادي قد عاش حياته العلمية متنقلاً بين بغداد وخراسان وهما موطنا أهل الكلام في ذلك العصر ، فلا شك أنه قد تأثر بفكرهم وجادل بجدالهم ، وذلك لقناعتهم بما ورثوه من ذلك الفكر وأنه الطريقة السليمة للدفاع عن الدين وتأصيله للناس والرد على مخالفيهم .

وكان البغدادي وكما أسلفت في ترجمته ينهج طريقة الأشاعرة في الكلام في مسائل العقيدة وغيرها . ونستطيع أن نلمس منهجه في ذلك من خلال ما ألف من كتب في مسائل العقيدة وبما كتب عنه بعد ذلك عرضاً أو نقداً ويمكن اجمال مذهبه في منهج العقيده بما يلي :

أولاً : أنشأ البغدادي تقسيماً لأصول الدين لم يُسبق إليه من قبل ، وقد حاول أن يكون لهذ التقسيم مرجع و أصل شرعي فقال : "ولأجلها لم يكره تقسيم قواعد الدين على خمسة عشر أصلاً وتقسيم كل أصل منها خمس عشرة مسألة . فأشتمل الكتاب لأجل ذلك على مائتين وخمس وعشرين مسألة في كل مسألة منها المذهب والخلاف "(١) .

أما اختياره ذلك الرقم ليقسم عليه أصول الدين عنده ، وإن كان قد وجد في أحكام فقهية ذكرها في مقدمة كتابه ، فإنه لا يسوّغ له أن يجعله مرجعاً أو أصلاً شرعياً ، بل ليس هناك أية علاقة لتبرير ذلك التقسيم ، فهي مسألة فكرية بحته ولا علاقة لها بالشرع ، وهناك من قسم الأصول إلى أربعين وخمسين من أصحابه .

---

١ - أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي استنبول مطبعة الدوله الطبعةُ الأولى سنة ١٣٤٦ هـ ص ٣

أما تلك الأصول الخمسة عشر فهي :

١ - في بيان الحقائق والعلوم على الخصوص والعموم .

٢ - في حدوث العالم على أقسامه من أعراضه وأجسامه .

٣ - في معرفة صانع العالم ونعوته في ذاته .

٤ - في معرفة صفاته القائمة بذاته .

٥ - في معرفة أسمائه وأوصافه .

٦ - في معرفة عدله وحكمه .

٧ - في معرفة رسله وأنبيائه .

٨ - في معرفة معجزات أنبيائه وكرامات أوليائه .

٩ - في معرفة أركان شريعة الإسلام .

١٠ - في معرفة أحكام التكليف والأمر والنهي والخبر .

١١ - في معرفة أحكام العباد في المعاد .

١٢ - في بيان أصول الإيمان .

١٣ - في بيان أحكام الإمامة وشروط الزعامة .

١٤ - في معرفة أحكام العلماء والأئمة .

١٥ - في بيان أحكام الكفر وأهل الأهواء والفجرة (١) .

ومن الواضح أن هذه الأصول قد أشتملت على أمور علمية بحتة وأمور فكرية

---

١ - أصول الدين ص ٢ . وأنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٢

فأمور دينيه ، ومعلوم أن الشرع لا يتعارض مع تلك المفاهيم مالم تتعارض مع نصوص شرعية صحيحة مع أن الثابت لدى علماء الأمة أن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح . والإعتراض على هذا التقسيم يأتي من كونه قد أعتمد تلك الأمور العلمية والفكرية أصولاً للدين ، فكيف ولم يعلم ذلك من الدين بالضروة ، ولم ينقل عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم تبلغ به الأمة ، وقد سئل شيخ الإسلام ، هل يجوز الخوض فيما تكلم الناس فيه من مسائل أصول الدين وإن لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كلام أم لا ؟

فأجاب بقوله : " هذا سؤال ورد بحسب ما عهد من الأوضاع المبتدعة الباطلة ؛ فإن المسائل التي هي من أصول الدين التي تستحق أن تسمى أصول الدين لا يجوز أن يقال : لم ينقل عن النبي فيها كلام ، بل هذاكلام متناقض في نفسه ، إذ كونها من أصول الدين يوجب أن تكون من أهم أمور الدين ، وانها مما تحتاج إليه الدين ، ثم نفي نقل الكلام فيها عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوجب أحد أمرين :

١ - إما أن الرسول أهمل الأمور المهمة التي يحتاج إليها الدين فلم يبينها .

٢ - أو أنه بينها فلم تنقله الأمة ، وكلا هٰذين باطل قطعاً وهو من أعظم مطاعن المنافقين في الدين "(١) .

قلت ولعل شيخ الإسلام كان يقصد أصول ومسائل البغدادي في الدين لأمرين :

١ - إنني لم أجد غير البغدادي قد ذكر مسائل وأصول الدين معاً فبعضهم ذكر مراصد أو مواقف أو غيرها .

٢ - أن شيخ الإسلام لم يردّ على البغدادي باسمه في مؤلفاته فلعله أكتفى بهذا الردالكافي ، مع أنه قدردعلى أقرانه وشيوخه كالاسفراييني والباقلاني وابن فورك .

١ -درء تعارض العقل والنقل لأبن تيميه تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم طبعة جامعة الإمام الطبعه الأولى سنة ١٤٠٦هـ ص ٢٦ .

ثانياً : لقد أورد البغدادي اتفاق أهل السنة والجماعة علي تلك الأصول :

فقال : " قد اتفق جمهور السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته ، ولكل ركن منها شعب ، وفي شعبها مسائل أتفق أهل السنة فيها على قول واحد ، وضللوا من خالفهم فيها (١) .

وهذا مردود لأمور منها :

١ - أن تلك الأصول الخمسة عشر التي أوردها البغدادي لا يصح نسبتها جملة إلى الدين لتضمنها مقدمات ونظريات قد تصح أو تكون عرضة للخطأ ، وفي هذا يقول شيخ الإسلام " وذلك أن أصول الدين أما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً أو قولاً وعملاً كمسائل التوحيد ، والصفات ، والقدر والنبوة ، والمعاد ، أو دلائل هذه المسائل (**أما القسم الأول**) فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته ، واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر ، إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين وبينه للناس ، وهو من أعظم ما أقام الله به الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بينوه وبلغوه ، وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه ، والحكمة التي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نقلوها أيضا من الرسول مشتملة من ذلك على غاية المراد تمام الواجب والمستحب .

وأما القسم الثاني : وهو دلائل هذه المسائل الأصولية " فإنه وإن كان يظن طوائف من المتكلمين ، والمتفلسفه أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق ، فدلالته موقوفة على العلم بصدق المخبر ، ويجعلون ما يبني عليه صدق المخبر

---

١ - الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي تحقيق محمد عبد الحميد دار المعرفه لبنان ص ٣٢٣ .
وانظر أصول الدين ص ٢٠ - ٦٢ - وهما بنفس النص ١١٥ أصلاً ،

معقولات محضه ، فقد غلطوا في ذلك غلطاً عظيماً ، بل ضلوا ضلالاً مبيناً في ظنهم : أن دلالة الكتاب والسنة أنما هي بطريق الخبر المجرد ؛ بل الأمر ما عليه سلف الأمة وأئمتها - أهل العلم والإيمان - من أن الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك مالا يقدر أحد من هؤلاء قدره . ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه" (١) .

ونظراً لما اشتملت عليه تلك الأصول من اجتهادات بالرأي وظنّيات بالعقل بعيداً عن النص وهدي الوحي ، فإنه لا يعتمد عليها المسلم لتحديد الطريق وبلوغ المراد الدقيق .

٢ - إن هذا الاتفاق الذي رواه البغدادي لم ينقله أحد من علماء الأمة سواء قبل البغدادي أو بعده . بل إنه كان يمثل فكر طائفه معينة هم الأشاعرة وعلى هذا يمكن القول باتفاقهم على أصوله تلك لكن لا يسلّم لهم القول باتفاق أهل السنة والجماعة حولها ولهذا يقول الدكتور بدوي :"ويعد البغدادي لذلك مصدراً رئيسياً من مصادرنا عن مذهب الأشاعرة ، أولاً لدقته في إيراد مذهبهم ، ولاستفائه لأوجه آرائهم في مختلف مسائل الدين ، والحجج التي أدلوا بها في الدفاع عن هذه الآراء ضد الخصوم " (٢) .

ويقول عنه الدكتور / أحمد صبحي : " وأما الدور الإيجابي فيتمثل في صياغة آراء الأشاعرة لا على أنها مجرد فكر لفرقة من فرق المتكلمين وإنما على أنها عقيدة لجمهور أهل السنة من المسلمين وكاد يستقر في أذهان الناس هذا لولا ظهور إمام مذهب السلف ابن تيميه الذي كشف عن أن عقائد الأشاعرة لا يمكن

---

١ - مجموع الفتاوي جـ٣ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
٢ - مذاهب الإسلاميين للدكتو ر عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين ط٣ سنة ١٩٨٣ ط ص ٦٧٤ .

أن ترد كلها إلى الرسول أو أئمة السلف (١) .

ومع هذا فإن البغدادي نفسه يذكر إختلاف أصحابه أحياناً وذلك عندما كان يورد مسائل أصوله فقال : " اختلف أصحابنا في أقسام التكليف " (٢) .

وقوله : فأما حقيقتهما [الإيمان والكفر] على لسان أهل العلم فإن أصحابنا أختلفوا فيهما على ثلاثة مذاهب (٣)، وقد ورد ذلك الإختلاف في مواطن أخرى .

ونصل إلى النتيجة وهي عدم وجود هذا الإتفاق حول تلك الأصول

؛ وأن هذا الفكر لم يكن ، ولم يتفق عليه أهل السنة والجماعة ولا يؤول إليهم في شئ .

؛ إن هذه الأصول إن صح القول فهي خاصة بفكر طائفة الأشاعرة والبغدادي منهم .

؛ إن الأشاعرة الذين هم الأصحاب عند البغدادي قد اختلفوا حول بعض مسائلها .

أما القول بأن الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة ، أو أنهم يجتمعون مع غيرهم تحت هذا المسمى فهذه دعوى تحتاج إلى بحث وتحرير وإقامة الأدلة على ذلك وهذا ما سنتمكن بإذن الله منه في نهاية البحث .*

١ - في علم الكلام للدكتور أحمد محمود صبحي مؤسسة الثقافيه الجامعيه الأسكندريه سنة ١٩٨٢ جـ٢ ص ٩٣ .

٢ - أصول الدين ص ٢٠٨ .

٣ - أصول الدين ص ٣٤٨ .

* أنظر البحث ص ٤٤٤ .

ثالثاً : العقل مصدر التلقي *:

لقد دأب البغدادي في تقرير مسائل العقيدة منهج المتكلمين الأشاعرة ، الذين استقلوا بعقولهم لإثبات تلك المسائل دون الرجوع إلى النص المنزل من عند الله في كتابه الكريم ، ، والمفسر والمبين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الذي لا ينطق عن الهوى ، وهم بهذا يقدسون عقولهم وينزهونها عن الخطأ ويلقون باللائمه على من سلك غير مسلكهم أو اهتدى بغير هديهم . فيقول البغدادي : " قال أصحابنا إن العقول تدل على حدوث العالم وتوحيد صانعة وقدمه وصفاته الأزلية وعلى جواز إرساله الرسل إلى عباده وعلى جواز تكليفه عباده ما شاء وفيها دلالة على حجة جواز كل ما يصح حدوثه وعلى إستحالة كل ما يستحيل كونه " (١) .

والبغدادي وأصحابه قد رضوا بتحكيم العقل فيما قد ورد في التنزيل ، وكان ذلك يعفي العقل من إقحامه في متاهة قد سلكها الفلاسفة والنظار من قبل ، وذلك حين لم يكن هناك وحي ولا رسالة فضلوا وأضلوا . أما وقد أكرمنا الله برسالة هي خاتمة الرسالات ، ودين ختم الله به الوحي ، ونبي هو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، فكيف نحيد عن هذا الطريق بسلوك طرق ملتوية لا تؤدي إلى المقصود ، فكيف وهي لا تؤدي إلي عين المقصود .

قال شيخ الإسلام : " قد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم والنقل المتواتر أنه دعا الخلق إلى الإيمان بالله ورسوله ، ولم يدع الناس بهذه الطريق التي قلتم إنكم أثبتم بهاحدوث العالم ونفي كونه جسماً ، وآمن بالرسول من آمن به

---

١ - أصول الدين ص ٢٤ . * وانظر نفس المصدر ص ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٠٥، قوله: "إن الأمور العقلية يدل عليها العقل قبل ورود الشرع"

من المهاجرين والأنصار ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ولم يدع أحداً منهم بهذه الطريقه ، ولا ذكرها أحد منهم ، ولا ذكرت في القرآن ولا حديث الرسول ، ولا دعا بها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الذين هم خيرهذه الأمة وأفضلها علماً وإيماناً ، وانما ابتدعت هذه الطريق في الإسلام بعد المائة الأولى وانقراض عصر أكابر التابعين بل وأوساطهم ، فكيف يجوز أن يقال : إن تصديق الرسول موقوف عليها ، وأعلم الذين صدقوه وأفضلهم لم يدعوا بها ، ولا ذكروها ، ولا ذكرت لهم ،ولا نقلها أحد عنهم ، ولا تكلم بها أحد في عصرهم ؟ (١) .

وقد أرسل محمد صلى الله عليه وسلم رسوله معاذاً إلى اليمن ليبلغهم الدعوة ، وقد قال العلماء إنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ، فكيف ورسول الله ﷺ هو صاحب الرسالة والمبلغ عن الله تعالى فماذا قال لمعاذ رضي الله عنه ؟

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : " انك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله " وفي رواية " إلى أن يوحدوا الله ، فإنهم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليله ، فإنهم طاعوك لذلك ، فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " متفق عليه (٢) .

إن هذا ليعطي صورة كاملة لمنهج دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم

---

١ - درء التعارض جـ١ ص ٩٧ - ٩٨ .

٢ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٢٤ كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة سنة ١٣٩٥ جـ٣ ص ٢٦١ دارالفكر واطرافه في «١٤٥٨ - ١٤١٦ - ٢٤٤٨ - ٤٣٤٧ - ٧٣٧١ - ٧٣٧٢» ، مسلم جـ١ ص١٩٦ ، ١٩٧

وأوليات الدعوة والمطلوب من الدعاة والمدعوين ، بل وألزم الداعي بأخد الحيطة ذلك أن المدعوين أهل علم . ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته في الدعوة ، تبين أنه لم يكن لديه أكثر من منهج ، فقد أرسل رسلاً إلى القبائل والأمصار والقرى بنفس دعوة معاذ ، وأرسل للملوك والأمراء من العرب والعجم رسائل تحمل نفس المنهج ، وهذا دليل على وحدة أسلوب الدعوة وسلامة المنهج وإستقامته وثباته .

إن ذلك المنهج العقلي الذي اتبعه البغدادي وأصحابه قد أدى إلى خلل في العقيدة وتعطيل النصوص عن مضامينها ، وتحجيم الرسالة عن دورها ، وقد أدى ذلك إلى :

١ - قبول إيمان من استدل بحدوث العالم قبل ورود الشرع ، فيقول البغدادي : " فإن استدل العاقل قبل ورود الشرع عليه على حدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله ، وحكمته فعرف ذلك واعتقده كان موحداً مؤمناً ولم يكن بذلك مستحقاً من الله ثواباً عليه فإن أنعم عليه بالجنة ونعيمها كان ذلك فضلاً منه عليه " (١) ومن هذا يعلم منتهى التعارض مع الشرع بل ومع العقل ، أما الشرع فإنه قد وردت الأدلة الصريحة فيه : إن المطلوب من الإنسان ليكون مؤمناً هو غير هذابلا شك وقد أرسل الله رسله تترى بدعوة التوحيد الصحيحة قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ (٢) وقال هود عليه السلام لقومه " اعبدوا الله مالكم من إله غيره " (٣) وكذلك نبي

١ - أصول الدين ص ٢٤ .
٢ - الأعراف : ٧٣ .
٣ - الأعراف : ٨٥ .

الله صالح عليه السلام وشعيب عليه السلام وكان أخرهم نبياً محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا الا اله إلا الله ، وان محمد رسول الله " (٢) .

وكانت تأتي الوفود إلى المدينة فيعرض عليهم الإسلام ويطلب منهم إعلان الشهادة ثم يتعلمون أمور دينهم أو يرسل معهم من يعلمهم ذلك .

أما معارضته للعقل ، فإن غايةهذا الإستدلال عندهم هو معرفة الله الخالق القديم والمشركون كانوا يقرون بهذا وقد أخبر الله عنهم فقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله ﴾ (٣) لكنهم يمتنعون عن إعلان شهادة أن لا إله إلا الله . فكيف يطلق على ذلك المستدل اسم الإيمان والتوحيد إن هذا ناتج عن خلل في المنهج يبينه شيخ الإسلام فيقول : " وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد فإن عامة المتكلمين الذي يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثه أنواع وفيقولون : هو واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له ، واشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث : وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد ، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وان هذا هو معنى

---

١ - الأنبياء : ٢٥ .
٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة جـ١ ص٧٥ .
: صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله جـ ١ ص ٢٠٠ .
٣ - لقمان : ٢٥ .

قولنا لا إله إلا الله ، حتى قد يجعلون معنى الألٰهية القدرة على الاختراع .
ومعلوم أن المشركين من العرب الذي بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا ، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شئ ، حتى أنهم كانوا مقرين بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون " (١) .

فكيف بهذا ولم يرد الشرع كما يقول البغدادي ؟!

٢ - مكانة النظر والاستدلال بالعقل عند البغدادي والمتكلمين .

إن اعتماد البغدادي على العقل في أمر العقيدة قد أودى به إلى تقديم النظر والاستدلال على النصوص بماجعله يصنفها في مرتبة متأخرة وتالية للنظر فيقول : العلوم النظرية أربعة أقسام :

أحدها : استدلال بالعقل من جهة القياس والنظر . . والثاني : معلوم من جهة التجارب والعادات . . والثالث : معلوم من جهة الشرع . . والرابع : معلوم من جهة الإلهام في بعض الناس أو بعض الحيوانات دون بعض (٢) .

ونجد البغدادي لم يكتف بتأخير النصوص عن النظر والتجارب في إفادة العلم وإنما قال " واما المعلوم بالشرع فكالعلم بالحلال والحرام والواجب والمسنون والمكروه وسائر أحكام الفقه وإنما أضيفت العلوم الشرعية إلى النظر لإن صحة الشريعة مبنية على صحة النبوة ، وصحة النبوة معلومة عن طريق النظر والإستدلال " (٣) .

وبالإضافة إلى تأخير النص في مرتبة تالية للنظر والتجربة ، فإنه يخصص دوره

---

١ - الرسالة الندميريه لأبن تيميه تحقيق محمد السعوي ط الأولى سنة ١٤٠٥هـ ص ١٧٩ .
٢ - أصول الدين ص ١٤ .
٣ - أصول الدين ص ١٤ .

في معرفة الأحكام الفقهية من الشرع بل لا يكفي قبول ذلك إلا بعد الإستدلال بالنظر على صحة النبوة ، وحينئذ يتم قبول النص .

ومن هنا كان الخلل وتعطيل النصوص وتحجيم الرسالة ، ولذا قال شارح الطحاوية " وغالب سور القرآن بل كل سورة فهي متضمنة لنوعي التوحيد فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته ، وهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، واما أمر ونهي والزام بطاعته ، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، واما خبر عن اكرامه لأهل توحيده ، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده ، واما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال أو يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد "(١) .

ويقول شيخنا محمد قطب " انما المتتبع لكل الآيات التي جاء فيها الأمر بالإخلاص يجد أنها متعلقة بتوجيه العبادة لله وحده دون شريك ، فهي إذن ليست متعلقة بالاعتقاد وحده ، وانما هي متعلقة كذلك بسلوك معين مرتبط بالاعتقاد فالعبادة سلوك واقعي وليست مجرد مشاعر واعتقادات ، سلوك مبنى علي المشاعر ومنبثق عن الاعتقاد . . فما العبادة وما كيفية البراءة من الشرك ؟

العبادة كما بينها الله في كتابه المنزل تشمل أموراً ثلاثة :

- الاعتقاد الجازم بأن الله واحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته .

- والتوجه إليه وحده بالشعائر التعبدية التي أفترضها على عباده .

---

١ - شرح الطحاوية ص ٢٩ .

- والالتزام بما أنزل الله من التحليل والتحريم والتحسين والتقبيح والإباحة والمنع .(١) .

فهذا كتاب الله قد اشتمل على أمور الهداية والرشاد لما فيه خير الأمة وفلاح العباد وتلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين وتوضح منهجه في التطبيق وهو يؤسس لهذه الأمة منهجها واسلوب حياتها . ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه أقر بشئ من تلك المقدمات في النظر والاستدلال ، أو قدمها على كتاب الله وسنة نبيه ، فكيف وقد أصّلها البغدادي والمتكلمون ضمن أصولهم للدين ؟!

٣ - إن البغدادي والأشاعرة قد شابهوا المعتزلة في أساس استدلالهم على وجود الله وقدمه ، مما أوقعهم في الزامات ومحاذير لم يستطيعوا الخروج منها إلا بتأويل في كتاب الله أو القول بألفاظ موهمة لم يتقبلها خصومهم ولم تف بقبول أهل الحق لها . وستتمكن من توضيح هذا في مباحث الصفات .

ولهذا قال شارح الطحاوية رحمه الله " وكيف يتكلم في أصول الدين من لايتلقاه من الكتاب والسنة وانما يتلقاه من قول فلان ؟! وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول ، ولا ينظر فيها ، ولا فيما قاله الصحابه والتابعون لهم بإحسان ، المنقول إلينا من الثقات النقله ، الذين تخيرهم النقاد ، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده ، بل نقلوا نظمه ومعناه ولا كانوايتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان ، بل يتعلمونه بمعانيه ومن لا يسلك

---

١ - واقعنا المعاصر للأستاذ الشيخ محمد قطب مؤسسة المدينة ط الثانية سنة ١٤٠٨هـ ص ٣٤ .

سبيلهم فإنما يتكلم برأيه ، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم وإن أصاب ، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ ، لكن أن أصاب يضاعف أجره" (١) .

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٤ .

رابعاً التأويل :

إن البغدادي حينما اعتمد على العقل - كغيره من المتكلمين - في إثبات العقيدة ظن أن الخبر المتواتر الذي يتعارض مع استدلاله ومقدماته ، انما يحتمل الخطأ والشبهة ، مما جعله يجزم بأن ذلك الخبر لا يفيد اليقين أو العلم فقال : " فإن تواتر النقل في شئ وطريق العلم به الاستدلال والنظر وطريق الخطأ الشبهة فإن ذلك التواتر لا يوجب علماً "(١) .

ومن البدهي أن يكون هذا نتيجة اقحام العقل بعيداً عن النص في مسائل العقيدة فكيف وقد ورد الخبر المتواتر في تلك المسائل ؟!

لم يذكر البغدادي كيفية التعامل مع تلك الأخبار المتواتره التي لا تفيد العلم عنده ، غير أنه من الواضح ومن خلال مؤلفاته قد عمد إلى تأويلها وصرفها عن ظاهرها التي وضعت له ، وذلك لكي تسلم مقدمات استدلاله كما هي مقدمات المتكلمين من أصحابه ، وهذا هو عين ما أعتمده الرازي (٢) في قانونه الكلي فقال : إن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شئ ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة أما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال ، واما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال وآما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية ، وذلك باطل لانه لايمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية اثبات الصانع وصفاته وكيفية

---

١ - أصول الدين ص ٢٢ .

٢ - هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين التيمي البكري الرازي ، ويعرف بابن الخطيب ، وبالأن خطيب الري ، ولد سنة ٥٤٤ وتوفى سنة ٦٠٦ هـ أصولي متكلم له تصانيف كثيره ، من أئمة الأشاعره الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال ، وقد رجع وتاب قبل موته .

دلالة المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وظهوز المعجزات على محمد صلى الله عليه وسلم ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول . ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبولاً في هذه الأصول وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة . فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وانه باطل ، ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أنه يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية اما أن يقال أنها غير صحيحة أو يقال أنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظاهرها : ثم أن جوزنا التأويل واشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل وان لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات"(١) .

ورحم الله الرازي فإنه لم يمت قبل أن يجهز على قانونه هو بنفسه فقال : "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية . فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات " الرحمن على العرش استوى"(٢). " إليه يصعد الكلم الطيب"(٣). واقرأ في النفي " ليس كمثله شئ " (٤)، "ولا يحيطون به علماً"(٥) .

ثم قال : " ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(٦) .

وإذا كانت الشبهة في الخبر المتواتر ومعارضته للاستدلال النظري فيما ظهر

---

١ - أساس التقديس لفحر الدين الرازي مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٨هـ ص ٢١٠ .
٢ - سورة طة آيه ٥ .
٣ - سورة فاطر ايه ١٠ .
٤ - سورة الشورى : ١١ .
٥ - سورة طه : ١١٠ .
٦ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٠ للأرناؤوط .

لهم ، قد اضطر البغدادي إلي التأويل فماذا يعني في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكيف فهمه سلف هذه الأمة ؟

يقول شيخ الإسلام : " إن لفظ التأويل قد صار بتعدد الإصطلاحات مستعملاً في ثلاثة معان :

أحدهما : و هو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله - ان التأويل هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وهل هذا محمود أو مذموم ، حق أو باطل ؟ ويجيب الشيخ في مكان آخر على تساءله فيقول :[واما التأويل المذموم والباطل فهو تأويل أهل التحريف والبدع ، الذين يتأولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك . ويدعون أن في ظاهره من المحذور - مما جعلهم - يصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه - بل هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه ، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفي مثله ، وإن كان المنفي باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله] (١) .

الثاني : أن التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب في اصطلاح مفسري القرآن ، كما يقول أبن جرير (٢) وأمثاله من المصنفين في التفسير : " واختلف علماء التأويل " فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره .

---

١ - التدمريه لشيخ الإ سلام تحقيق محمد السعوي ط أولى ص ١١٣ مع ملاحظة تقديم عبارة على أخرى ليستقيم المعنى، وأنظر ص ٩١ .

٢ - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري « ٢٢٤ - ٣١٠ هـ » أحد الأئمة المجتهدين وصاحب كتابي التفسير والتاريخ المشهورين وغيرهما ترجمته في : تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢ ، وفيات الأعيان ٤/ ١٩١ تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٥١ ، طبقات الشافعيه للسبكي ٢/ ١٣٥ ، البداية والنهاية ١١/ ١٤٥ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٦٠، الأعلام ٦/ ٢٩٤ .

الثالث : من معاني التأويل – هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام قال تعالى : "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق " (١) "فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله تعالى به فيه ، مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك" (٢) .

أما المتشابة في قول الله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخرى متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه أبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولي الألباب ﴾ (٣) .

قال شيخ الإسلام : " وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف عند قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلاالله ﴾ وهذا هوالمأثور عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وروى عن ابن عباس أنه قال : التفسير على أربعة أوجه ، تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لايعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله من أدعى علمه فهو كاذب .

وقد روى عن مجاهد (٤) وطائفة أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله ، وقد قال مجاهد ، عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أُقف عند كل آية واسأله عن تفسيرها (٥) .

---

١ – سورة الأعراف : ٥٣ .
٢ – التدمريه ص ٩٣ .
٣ – سورة ال عمران : ٧ .
٤ – أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي إمام المفسرين ، ولد سنة ٢٠ هـ ووفاته مابين ١٠٠ – ١٠٤ هـ ترجمته في طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦ ، حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٨٦ ميزان الأعتدال ٣/ ٤٣٩ تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢ الأعلام ٥/ ٢٧٨ .
٥ – التدمريه ص ٩١ .

وبهذا يتضح أن السلف كانوا يقصدون نوعين من التأويل :

الأول : وهو التفسير وبهذا يقول من جعل الوقف في الآية على قوله تعالي : ﴿والراسخون﴾* فهذا يعني أن الراسخين يعلمون تفسيره .

الثاني : الحقيقة والكيفية وما تؤول إليه الأمور كأخبار المعاد والبعث والأخرة وحقيقة صفات الله تعالى فلا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى وبهذا يكون الوقف على لفظ الجلالة في الآية ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ .

أما النوع الثالث : وهو صرف اللفظ عن ظاهرة فلم يتطرق إليه السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ، ويقول شيخ الإسلام : " ولم يكن لفظ التأويل " عندهم يراد به معنى التأويل الإصطلاحي الخاص ، وهو صرف اللفظ عن المعنى المدلول عليه المفهوم منه إلى معنى يخالف ذلك فإن تسمية هذا المعنى وحده تأويلاً إنما هو اصطلاح طائفة من المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ، ليس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ، لاسيما ومن يقول إن لفظ التأويل هذا معناه يقول : إنه يحمل اللفظ علي المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهؤلاء يقولون : هذا المعنى المرجوح لا يعلمه أحد من الخلق ، والمعنى الراجح لم يرده الله " (١) .

وهذا النوع الثالث هو ما اتخذه المؤولون دهليزاً للتأويل في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لِتَسلم لهم مقدماتهم العقلية التي أعتمدوها لأصول دينهم ، ومع هذا فإن علماء السلف قد تنبهوا لهذا وجعلوا ضوابط وبينوا محاذير ذلك التأويل والتحريف والتبد يل في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

١ - درء تعارض العقل والنقل لأبن تيميه تحقيق د . محمد رشاد سالم ط الأولى سنة ١٤٠١هـ جـ١ من ٢٠٦ .

* «والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا» آل عمران آية ٧ .

وقال شيخ الإسلام في الرسالة المدنية : "إذا وصف الله نفسه بصفة ، أو وصفه بها رسوله ، أو وصفه بها المومنون ، الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم – فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه ، وحقيقتها المفهومة منها ، إلى باطن يخالف الظاهر ، ومجاز في الحقيقة لابد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ مستعمل في المعنى المجازي، لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي ، ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب ، أو خلاف الألسنة كلها .

الثاني : أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة ، وفي معنى بطريق المجاز ، لم يجز حمله على المجاز بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء . .

الثالث : أنه لابد أن يسلم ذلك الدليل – الصارف – عن معارض . وإلا فإذا قام دليل قرآني أو ايماني يبين أن الحقيقة مراده أمتنع تركها . ثم إن كان هذا الدليل قاطعاً لم يلتفت إلى نقيضه ، وإن كان ظاهراً فلابد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته ، فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد مجازه . . ثم يقول – فإن الله سبحانه جعل القرآن نوراً وهدى وبياناً للناس وشفاء لما في الصدور . . ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات ، وأبين الألسن والعبارات . ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علماً ، وأنصحهم للأمة ، وأبينهم للسنة ، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره ، إلا وقد نصبوا دليلاً يمنع من حمله على ظاهره"(١) .

---

١ – الرساله المدنية لأبن تيمية تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان ط الأولى دار طيبة الرياض ص ٤٢ .

وقد بين الإمام ابن القيم أنواع التأويل الباطل فقال بإختصار :

أحدها : مالم يحتمله اللفظ بوضعه الأول .

الثاني : مالم يحتمله اللفظ ببينته الخاصة من تثنية أو جمع .

الثالث : مالم يحتمله سياقه وتركيبه وإن احتمله في غير ذلك السياق .

الرابع : مالم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب وإن الف في الاصطلاح الحادث .

الخامس : ماألف استعماله في غير ذلك المعنى لكن في غير التركيب الذي ورد له النص .

السادس : اللفظ الذي أطرد استعماله في معنى هو ظاهر فيه ولم يعهد استعماله في المعنى المؤول أو عهد استعماله فيه نادراً .

السابع : كل تأويل يعدو إلى اصل النص بالإبطال فهو باطل.الثامن : تأويل اللفظ الذي له ظاهر لا يفهم منه عند اطلاقه سواه بالمعنى الخفي الذي لايطلع عليه الإفرادى من أهل الـ نظر والكلام .

التاسع : التأويل الذي يوجب تعطيل المعنى الذي هو غاية العلو والشرف ويحطه إلى معنى دونه بمراتب .

العاشر : تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا قرينة تقتضيه"(١) .

ثم يقول هذا الإمام رحمه الله : "تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا

---

١ - الصواعق المرسله على الجهمية المعطلة لأبن القيم أختصره محمد الموصلي دار الندوة الجديدة بيروت سنة ١٤٠٥هـ أنظر ص ١١ - ١٥ .

في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها واثبات حقائقها وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً وأن العناية ببيانها أهم لأنها تمام تحقيق الشهادتين واثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه وتعالى بياناً شافياً" (١) .

وهذا الإمام أحمد إمام أهل السنة يرد على الزنادقة (٢) والجهمية (٣) فيما شكّت فيه من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله فيقول : " الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم . وينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ،

---

١ - الصواعق المرسله على الجهميه والمعطله لأبن القيم أختصره محمد الموصلي دار الندوه الجديده بيروت سنة ١٤٠٥ ص ١٥ .

٢ - الزنادقه : تطلق الزندقه علي التنويه وخاصة المالونيه كما تطلق على من أسرّ الكفر وأظهر الإيمان - ابن حجر - فتح الباري ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ويشمل المعتزله الذين أعتبرهم الإمام أحمد بن حنبل زنادقه - الحافظ بن الجوزي مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، حيث صرح بان علماء المعتزلة زنادقه وذلك لأنهم كانوا على صلة بالمانيين بجادلونهم ويتأثرون بهم .

وقد أشار صاحب المنتظم في حوادث ٢٩٨ إلى أبو الحسن الريوندي الملحد الزنديق فقال : إنما ذكرته ليعرف كفره ، فأنه معتمد الملاحدة والزنادقة . ويذكر أن أباه كان يهودياً وأسلم. أنظر المنتظم لابن أبي الجوزي دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطاء وأخرون دار الكتب العلمية بيروت ط أولى سنة ١٤١٢هـ جـ١٣ ص ١٠٨ .

٣ - الجهميه : هم أصحاب جهم بن صفوان ، وهو من الجبريه الخالصه . ضهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني . وافق المعتزله في نفي الصفات الأزليه وزاد عليهم أشياء فأثبت علوماً حادثه للباري وقال أن الأنسان مجبور في أفعاله ، وقال أن حركات الخالدين تنقطع والجنه والنار تفنيان وقال من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده فهو مؤمن ! والإيمان لا يتبعض إلى قول وعمل وعقد ولا يتفاضل أهله فيه ، وقال بنفي الرؤية وخلق كلام الله وإيجاب المعارف بالعقل قبل السمع - الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني - دار الباز بمكة للتوزيع - دار المعرفه بيروت سنة ١٤٠٤ جـ١ ص ٨٨ .

وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأُطلقوا عقال الفتنة فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون في الكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله ، وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم . فنعوذ بالله من فتن المضلين " (١) .

ومن المعلوم إن أولئك الذين تشابه عندهم شيئاً من كتاب الله إنما هم أول المخالفين والمفارقين والقائلين بغير علم في كتاب الله ، بل أنهم قد أعرضوا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تبين وتفسر كتاب الله ، ولم يهتدوا بهدي أولئك السلف الذين صاحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأقتدوا به ونزل الوحي وهو بين ظهرانيهم ، وسألوه عما خفي عنهم ، وعملوا بما آتاهم ومات صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأثنى عليهم الله سبحانه في كتابه الكريم ورضي عنهم ثم أنزل الله تعالى على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " (٢) .

أما من ظن أن في كتاب الله متشابهاً لا يعلم إلا بالتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره الذي ورد في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد خاب ظنه وانقلب بخفي حنين وإليك بيان ذلك مختصراً :

١ - ان الله تعالى قد وصف القرآن بأنه محكم كله وبانه متشابه .

قال تعالى : ﴿ آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ (٣) فأخبر أنه محكم كله .

وقال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾ (٤) فأخبر أنه كله متشابه .

---

١ - عقائد السلف على سامي النشار وعمار الطالبي - منشأة المعارف بالأسكندرية سنة ١٩٧١ ص ٥٢ .

٢ - آيه ٣ سورة المائدة .

٣ - آيه ١ سورة هود .

٤ - آيه ٢٣ سورة الزمر .

قال شيخ الإسلام : " فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضاً . . وهذا التشابه يكون في المعاني وان اختلفت الألفاظ . . والقرآن محكم بمعنى الإتقان فقد سماه الله حكيماً . . وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام ،بل هو مصدق له ، فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً ، لا يناقض بعضه بعضاً "(١) .

٢ - هناك أحكام خاص وتشابه خاص فيقول شيخ الإسلام " فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر ، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله ، وليس كذلك .

والأحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالأخر . وهذا التشابه انما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بيهما .

٣ - التشابه قد يكون أمراً نسبياً . ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما ، فيكون مشتبهاً عليه ، ومنهم من يهتدي إلي ذلك ، فالتشابه الذي لا تمييزمعه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض ، ومثل هذا يعرف من أهل العلم مايزيل عنهم هذا الإشتباه كما إذا أشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الأخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله ، فعلم العلماء أنه ليس هو مثله وإن كان مشبهاًله من بعض الوجوه .

٤ - حقائق الأسماء والصفات من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله وأما حقيقة ما دل عليه ذلك من حقائق الأسماء والصفات وما له من الجنود الذين يستعملهم في أفعاله ، فلا يعلمه إلا هو ،"وما يعلم جنود ربك إلا هو"(٢) ، وهذا هو تأ ويل

١ - التدمريه ص ١٠٥ .
٢ - سورة المدثر ايه ٣١ .

المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله"(١) .

إن هذا هو ما أنتهى إليه صاحب كتاب " الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل " محمد السيد الجليند فقال : ويتتبع " ابن تيمية" أقوال العلماء في معنى المتشابه ، فلا يجد رأياً منها إلا وقد بين السلف معناه ووضحوه .

فإذا جعلنا المتشابه هو المنسوخ كما روى ابن مسعود وابن عباس وقتاده والسدي وغيرهم علمنا يقيناً أن العلماء يعلمون معنى المتشابه لأنهم يعلمون معنى المنسوخ .

وإذا جعلنا المتشابه أخبار القيامة وما فيها ، فمعلوم بين المسلمين أن وقت القيامة وحقيقة أمرها لا يعلمه إلا الله ، لكن ذلك لا يدل على أننا لم نفهم معنى الخطاب الذي خوطبنا به في ذلك ، والفرق واضح بين معرفة الخبر وبين معرفة المخبر عنه ،

وإذا جعلنا المتشابه أوائل السور المفتتحه بحروف المعجم ، فهذه الحروف ليست كلاماً تاماً مكوناً من الجمل الاسمية والفعلية ، ولهذا فلم تعرب لأن الإعراب جزء من المعنى .

وإذا قيل إن المتشابه آيات الصفات ، فمعلوم بين المسلمين أنهم يفهمون من صفة الرحمة معنى غير صفة القدرة ، وانما نفى السلف علمهم بكيفية هذه وتلك ، وجهلهم بكيفية الصفة ، لا ينفي علمهم بمعناها . . ويحرص " ابن تيمية " على تأكيد القول بأن السلف قد فهموا معنى ما خوطبوا به في كتاب الله ويقول ابن تيميه : فإذا كان على هذا كل ما سوى هذه محكماً ، حصل المقصود ، فإنه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله وكلام رسوله"(٢) .

---

١ - أنظر التدمريه ص ١١٠ .

٢ - الإمام أبن تيمية وموقفه من قضية التأويل - محمد السيد الجليند - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريه سنة ١٣٩٣ ص ١٧١ .

فإذا كان كلام الله تعالى كله محكماً ، وقد فهمه المخاطبون به في حينه ، ثم قاموا بتطبيقه وامتثال أمره ونهيه والعمل به ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً عرباً وعجماً ، بل وقامت الدولة الإسلامية ، فهل يجوز بعد هذا أن يأتي من يقول إن في القرآن ظواهر تحتاج إلى التأويل ؟ إنه بعد ما تم توضيح ما سبق بيانه ، نجد أن ذلك الفهم ناتج عن أمور منها :

١ - إن اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم لا يفهمها الأعجمي حتى وان تعلمها وأتقن في ذلك كما يفهمها أصحابها ، فإن العرب كانوا يتكلمون لغتهم الفصحى وينشدون أشعارهم على فطرتهم وذلك لسلامة تلقيهم وعدم اختلاطهم بغيرهم ، وإذا كان أكثر الخائضين في علم الكلام والجدل هم من المولدين والأعاجم عرفنا أحد الأسباب في قولهم بالتحريف والتبديل .

٢ - إن مصدر التلقي الأساسي عندهم لم يكن كتاب الله العظيم فقد كان لعقولهم مكانة عظيمة وقد استعانوا بعقول أصحاب المنطق والفلسفة من اليونان والإغريق الذين سبقوهم بقرون عدة ، فجاز عندهم أن يحكموا عقولهم في فهم كتاب الله بعيداً عن الالتزام بالمنهج الصحيح .

٣ - إن عقيدتهم في كلام الله تعالى مخالفة لعقيدة السلف ، ذلك أنهم يقولون بالكلام النفسي وان القرآن عبارة عنه ودلالة عليه .

إن هذا مما سهل لهم الطريق في تحريفهم وإدعائهم فهم ما غاب عن أولئك السلف الكرام .

٤ - أما إذا كان أساس استدلالهم ومنهجهم قد ألزمهم بهذا فإن هذا ما نريد أن نثبت لهم أن هذا الإستدلال غير مجد ولا حاجة إليه .

ويقول ابن رشد في كتابه الكشف عن مناهج الأدلة : " وهؤلاء هم أهل الجدل

والكلام واشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيراً مما ظنوه ليس على ظاهره وقالوا إن هذا التأويل هو المقصود وانما أمر الله به في صورة المتشابه إبتلاء لعبادة وإختباراً لهم . ونعوذ بالله من سوء الظن بالله . بل نقول أن كتاب الله العزيز انما جاء معجزاً من جهة الوضوح والبيان فما أبعد من قصد الشارع ممن قال فيما ليس بمتشابه أنه متشابه ثم أول ذلك المتشابه - بزعمه - وقال لجميع الناس أن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل ، مثل ما قالوه في آية الأستواء على العرش وغير ذلك مما قالوا ان ظاهره متشابه . . ومثال من أول شيئاً من الشرع وزعم أن ما أوله هو الذي قصده الشارع مثال من أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر ليحفظ صحة جميع الناس أو أكثرهم ، فجاء رجل فلم يوافقه ذلك الدواء الأعظم لرداءة مزاج كان به ليس يعرض إلا للقليل من الناس .

وأول من غير في هذا الدواء الأعظم الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الأشعرية ، ثم المتصوفة ثم جاء أبو حامد* فطم الوادي على القرى "(١) .

---

١ - مقدمة ابن رشد في مناهج الأدله انظر ص١٨١ ، ١٨٢ , ١٨٣

* : هو الإمام أبو حامد الغزالي ولد بطوس ودرّس في بغداد ودمشق وله مصنفات كثيرة منها الإحياء ، توفي سنة ٥٠٥هـ شذرات الذهب جـ٤ ص ١٣ .

حقيقة التأويل :

وإذا علمنا بطلان القول بالتأويل في الآيات والتنزيل ، وفيما صح عن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم من سنته لإمته التي رواها عنه الثقات العدول بإسناد متصل خال من الشذوذ والعلل والأقاويل ، فإنه من الواجب معرفة حقيقة تأويلهم وما سيؤدي إليه والذي قد بين ذلك علماء الأمة منذ القرن الرابع الهجري فيقول شارح الطحاويةَ : " إن حقيقة قولهم : أن ظاهر القران والحديث هو الضلال ، وإنه ليس فيه بيان ما يصلح من الأعتقاد ، ولا فيه بيان التوحيد والتنزيه ؟! . . ثم يقول ← وباب التأويلات التي يدعي أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام . ويلزم حينئذ محذوران عظيمان :

أحدهما : أن لا نقر بشئ من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلةً عريضةَ في إمكان ذلك بالعقل ، وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدّعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه ، فيؤول الأمر إلى الحيرة المحذورة .

الثاني : ان القلوب تتخلى عن الجزم بشئ تعتقده مما أخبر به الرسول إذ لا يوثق بان الظاهر هو المراد ، والتأويلات مضطربةّ ، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ الله به العباد ، وخاصة النبي هي الإنباء ، والقرآن : هو النبأ العظيم . ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للإعتضاد لا للإعتماد ، ان وافقت ما آدعوا أن العقل دل عليه قبلوه ، وان خالفته أولوه ! وهذا فتح باب الزندقة نسأل الله العافية "(١) .

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

ثم يقول في مكان آخر : "واما أهل التحريف والتأويل ، فهم الذين يقولون : إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر ، وان الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا ! تم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى مايوافق رأيهم بأنواع التأويلات !! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل ، بل يقولون يجوز أن يراد كذا . وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ ."(١) .

أما البغدادي فقد سلك طريق أهل التحريف والتأويل في كتاب الله واخبار الصادق الأمين الصحيحة ، وذلك لأنها تعارض منهجهم الإستدلالي ولقولهم إنها توهم التشبيه ، فقال : قال أصحابنا : "لا نثبت لله عز وجل من الصفات القائمة بذاته إلا ما دل عليه فعله أو كان في رفعه إثبات نقص له أو ماكان شرطاً في صفة له (٢) . إنه يقصد منها الصفات السبع التي أختصوا بإثباتها – أي الأشاعرة - وهذا يبين مدى اعتمادهم على قدرة عقولهم في تحديد ما يستحق الله من صفات وما يجب له من تحديد تلك الصفات لانها المناسبة في حق الله بمحض استنتاجهم وقدرة عقولهم ، وهم يسمونها بالصفات الذاتية ، وهي القدرة والعلم والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام .

ثم أورد البغدادي مسائل من أصوله خاصة بالتأويل فقال :

"المسألة الرابعة عشرة من هذا الأصل في تأويل اليد المضافه إلى الله تعالى"(٣) .

"المسألة الخامسة عشره من هذا الأصل في معنى الاستواء المضاف إليه . . ثم قال واختلفوا في تأويل قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ واختلف أصحابنا في هذا . ."(٤) .

---

١ – شرح العقيدة الطحاويه ص ٥٣١ .
٢ – أصول الدين ص ٧٨ .
٣ – أصول الدين ص ١١٠ .
٤ – أصول الدين ص ١١٢ .

" المسألة الثالثة عشر من هذا الأصل في تأويل الوجه والعين من صفاته "(١) .

" المسألة التاسعة من هذا الأصل في إحالة الآفات والسرور والغم عليه . فقال : أجمع الموحدون على نفي الآفات والغموم والآلام واللذات عن الله تعالى "(٢) .

وقد جمع في هذه المسألة بين أقوال المجوس والهشامية من الرافضة وغيرهم وبين أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة ، ثم أول مضمونها مثل فرح الله - والضحك . وقدم الجبار - وأصابع الرحمن . . وغيرها .

وأما صفتا الكلام والرؤية فقد ذهب كالأشاعرة في أثبات كلام نفسي لله تعالى ورؤية الله لكنها في غير جهة العلو ، وهذا كلام متناقض ويحتاج إلى بحث في مبحث الصفات . قال شيخ الإسلام : " والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا يريد جميع المرادات بإرادة واحدة ، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به انما هو شئ واحد لا يتعدد ولا يتبعض ، وإذا رؤي رؤي لا بمواجهة ، ولا بمعاينه ، وانه لم يسمع ولم ير الأشياء حتى وجدت : ثم لما وجدت لم يقم به أمر موجود ؛ بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك ، إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح "(٣) .

---

١ - أصول الدين ص ١٠٩ .
٢ - اصول الدين ص ٧٩ .
٣ - مجموع الفتاوى جـ٥ ص ٥٤٥ .

خامساً : الشك في الخبر المتواتر وعدم قبول علم خبر الآحاد .

أما الخبر المتواتر وهو الذي "يستحيل التواطء على وضعه وهو موجب للعلم الضروري (١) . ثم قال فأما أن تواتر الخبر في شئ يعرف صحته بالنظر والإستدلال فإنه لا يوجب العلم"(٢) وهو الذي أفاد أنه موجب للعلم الضروري لكنه استثنى منه ما يتعارض مع النظر والاستدلال ، وهذا هو أساس منهجهم فلا غرابة في ذلك ! .

أما الأمر الآخر وهو الأكثر إيلاماً وبعداً عن الحق - وهو تشبيه المتواترفي الإسلام بتواتر الأمم والأديان السابقة فقال : "ولهذالايقع للدهرية وسائر الكفرة العلم بصدق أخبار المسلمين عن صحة دين الإسلام لأن صحة الدين معلومة بالنظر والإستدلال دون الضرورة ثم قال : ولذلك أهل الكفر كل صنف منهميتواتر نقلهم الخبر عن صحة أديانهم بشبه أعترضت لهم ولاسلافهم فيها ولا يقع من خبرهم علم ومتى وقع التواتر في أصله عن شئ علمه الناقلون بالحس أو الضرورة وقع العلم بخبرهم على العادة المعتادة فيه "(٣)

إن هذا التشبيه بأخبار الأمم السابقة فيه عدول عن الحق واجماع العلماء فإنه لم يُحفَظ لأمة دينها كما حفظ الله لهذه الأمة دينها فقال تعالي : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾(٤) وقد حُفظت سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن هيأ الله لها علماء جهابذة ينفون عنها انتحال الواضعين ، وتحريف الواهمين ، وتأويل الجاهلين، ومعرفة الضعفاء من الرواة ودراسة الأسانيد والمتون .

---

١ - أصول الدين ص ٢٠ ، ٢١ .
٢ - أصول الدين ص ٢٢ .
٣ - أصول الدين ص ٢٢ .
٤ - سورة الحجر آيه ٩ .

وهذه خاصية لهذه الأمة الإسلامية ، فكيف يعلم أن تلك الأمم السابقة قد حفظ دينهم بأخبار متواتره وهم لا يعلمون ذلك إلا بأخبار قصص واهية ومتفرقة ومتعارضة بل خرافاتهم وضلالهم هما مصدرا تواترهم .

إن تشبيه ما علم من الحق بتلك الضلالات والمخاريق والأحلام لهو قول مردود من أساسه : الم تر ان السيف ينقص قدره إذا قيل آن السيف أمضى من العصا.فلا يشبه التبربالتراب ولا الذهب بالنحاس .

ويقول ابن القيم :"قالوا : الأخبارقسمان ، متواتر وآحاد ، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة ، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين ، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات والآحاد لا تفيد العلم : فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى واسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خياليه سموها ،

قواطع عقلية ، وبراهين نقلية وهي في الحقيقة "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب"(١) (٢) .

ونحن نجد التفريق واضحاً عند البغدادي ، فكل ما يتعلق بمعرفة الله وصفاته وتوحيده وجواز بعثه الرسل وجوازالتكليف ، كل هذايعلم بالعقول فقال : " أعلموا أن العقول تدل على صحة الصحيح واستحالة المحال وعلى حدوث العالم وتناهيه وعلى جواز بعثة الرسل من غير وجوب لذلك وعلى جواز التلكيف للعباد (٣) .

أما الأحكام الشرعية فإن طريقها الشرع دون العقل فيقول : فإذا صح أن الأحكام

---

١ - آيه ٣٩ س ورة النور . ٢ : مختصر الصواعق المرسلة جـ٢ ص ٤٥٤ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص٢٠٢ .

الشرعية مدركة من الشرع دون العقل فأدلة الأحكام الشرعية أربعة أنواع : القرآن والسنة والإجماع والقياس"(١) .

وهذا التقسيم ناتج عن قوله السابق بأن التواتر لا يفيد العلم إذا تعارض مع الإستدلال النظري . فالقرآن بزعمهم لا تفيد نصوصه شيئاً في معرفة الله وصفاته وتوحيده وانما هو العقل والعقل وحده الذي يدل على الصحيح وإستحالة المحال عليه ، ثم قال " أما القرآن فإن أدلته مختلفة : نص وظاهر وعموم وخصوص ودليل خطاب ولحن قول وتنبيه بالشئ على غيره وتصريح وتعريض وكناية وتأكيد "(٢) ثم أنه خاص بمعرفة الأحكام الشرعية .

أما السنة المتواترة فإنها خاصة بمعرفة أعداد الصلوات المفروضة واعداد ركعاتها أو أكثر أركانها ونحو ذلك كثير (٣) .

أما المتواتر بالأستفاضة فإنه " يوجب العلم المكتسب كالأخبار الواردة في الرجم والمسح على الخفين ، وكأخبار الرؤية والحوض والشفاعة وعذاب القبر ونحو ذلك"(٤) .

اما أخبار الأحاد فإنها توجب العمل دون العلم بشروط (٥) .

وبهذا يكون البغدادي قد انتهى إلى تأويل في المتواتر ورد لخبر الآحاد في مجال العلم دون العمل ، أما خبر المتواتر بالإستفاضة فإنه يقبل فيما لا يتعارض مع العقل .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٢ وانظر ٢٠٤ .
٢- أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٢ وانظر ٢٠٤ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٢ وانظر ٢٠٤ .
٤- أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٢ وانظر ٢٠٤ .
٥ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٢ وانظر ٢٠٤ .

سادساً : التوحيد

إن توحيد الله سبحانه عند البغدادي قائم علي أمور ثلاثة :

١ - إحالة الأبعاض على الصانع فقال : " ودليلنا علي أن الله واحد في ذاته ليس بذي أجزاء وأبعاض أنه قد صح أنه حي قادر عالم مريد فلو كان ذا أجزاء وأبعاض يصح وقوع الخلاف بين أعضائه . . فتتمانع أعضائه " (١) مما أدى إلي تأويل للوجه واليد والعين وغيرها .

٢ - إحالة الافات والسرور والغم على الله . فقال : " قال أصحابنا لا نثبت لله عز وجل من الصفات القائمة بذاته إلا ما دل عليه فعله أو كان في رفعه إثبات نقص له أو ما كان شرطاً في صفة له (٢) . فأثبت الصفات السبع ثم أول ما عداها مما ورد في النقل كالفرح لله والغضب وغيرها .

٣ - انه الصانع لأنواع الحوادث كلها فقال : " واما الدلالة على توحيد الصانع وانفراده بخلق العالم كله اعراضه وأجسامه فمن حيث أنه لو كان للعالم صانعان قديمان لوجب أن يكونا حيين قادرين مريدين عالمين مختارين لأن من لم يكون بهذه الصفة لم يكن صانعاً." (٣)* . . وهذا هو دليل التمانع الذي أعتمده في توحيد الله سبحانه بأفعاله .

إن هذا التفسير لتوحيد رب العالمين وقد سبق إليه شيخ البغدادي ابن فورك فقال : " إنه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له (٤) . وحكى عن أبي اسحق الأسفراييني - الذي هو شيخ

---

١ - أصول الدين ص ٧٥ .

٢ - أصول الدين ص ٧٨ .

٣ - أصول الدين ص ٨٥ . * وأنظر البحث ص ٢٠٩ .

٤ - تم تبعه الشهرستاني فقال بمثل هذا : نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستان مكتبة المتبنى القاهره ص ٩٠ .

البغدادي أيضاً . أنه قال : "الواحد هو الذي لا يقبل الرفع والوضع : يعني الوصل والفصل" (١) . وقال الجويني "(٢) فإن قال قائل فما التوحيد ؟ قلنا التوحيد اعتقاد الوحدانيه ، وهو مراد المتكلم بإطلاق هذه اللفظة " (٣) .

ومن هذا التعريف للتوحيد عند البغدادي وأصحابه يتبين الخلل في منهجهم والنقص في استدلالهم ومجانبتهم للنصوص في عرضهم فيقول شيخ الإسلام "وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر . غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون هو واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له ، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث : وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما يذكرون من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب ، وأن هذا هو معنى قولنا : لا إله إلا الله ، حتى قد يجعلون معني الإلٰهية القدرة على الاختراع ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بُعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولاً : لم يكونوا يخالفونه في هذا بل كانوا يقرون بان الله خالق كل شئ حتى انهم كانوا مقرين بالقدر أيضاً ، وهم مع هذا مشركون " .

ـ ومن هنا يبين الشيخ أن خلاصة توحيدهم هو إثبات توحيد الربوبية فيقول : وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار أهل الإثبات للقدر ، المنتسبون للسنة ، انما هو

---

١ - تلبيس الجهمية لابن تيمية تعليق محمد بن قاسم ص ٤٦٩ ج٢ .

٢ - الجويني . هو عبد الملك بن عبد الله يوسف الجويني أبو المعالي ابن ركن الإسلام ابن محمد إمام الحرمين أخذ في التحقيق وجد وأجتهد في المذهب در س في مدرسة البيهقي عاد إلى نيسابور وقعد للتدريس فيها والف نهاية المطلب في دراية المذهب « توفى سنة ٤٧٨ هـ . -بتبين كذب المفترى لابن عساكر دار الفكر ط الثانيه ١٣٩٩ دمشق ص ٢٧٨ .

٣ - الشامل في أصول الدين للجويني حققه د . علي النشار وآخرون منشأة المعارف الأسكندرية سنة ١٩٦٩ ص ٣٥١

توحيد الربوبية ، وان الله رب كل شئ ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون"(١) .

وإذا كان هذا هو التوحيد والتنزيه كما يسمونه ، وزعموا أنهم موحدون بذلك ، فكيف يردعليهم شيخ الإسلام وما هو توحيد الرسل ؟

قال شيخ الإسلام " والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالإضطرار من دين الإسلام ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون ، وإن كان فيها ماهو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول ، فهم مع زعمهم أنهم الموحدون ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله ؛ بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة ؛ ذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هوعبادة الله وحده ، فمن عَبد الله وحده لم يشرك به شيئاً فقد وحده"(٢) .

ولهذا فإن هذا الفهم للتوحيد عند البغدادي وأصحابه قد أدى إلى قولهم بأن أول واجب على المكلف هو النظر والاستدلال . فقال البغدادي : " الصحيح عندنا قول من يقول أن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته " (٣) .

لكن الصحيح والثابت بالضرورة من دين الإسلام أن أول واجب على المكلف هو الشهادتان وهما أصل هذا الدين العظيم " ولهذا كان المحققون على أن الشهادتين أول واجبات هذا الدين ، كما عليه خُلّص أهل السنة " (٤) .

١ - التدمريه ص ١٨٦ .
٢ - تلبيس الجهميه ص ٤٧٨ جـ ١ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٢١٠ .
٤ - مجموع الفتاوى جـ١ ص ٧٦ .

ثم يقول شيخ الإسلام : " ونحن نعلم بالاضطرار من دين الرسول وسلف الأمة بطلان قول هولاء ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر أحداً بهذه الطرق ، ولا علق إيمانه ومعرفته بالله بهذه الطرق ، بل القرآن وصف بالعلم والإيمان من لم يسلك هذه الطرق . ولما أبتدع بعض هذه الطرق من أبتدعها ، انكر ذلك سلف الأمة وائمتها ووسموا هؤلاء بالبدعة والضلالة .

ثم القول بأن أول الواجبات هو المعرفة والنظر ، لا يمشي على قول من يقول لا واجب إلا بالشرع كما هو قول الأشعرية " (١) .

وإذا علمنا أن التوحيد عندالبغدادي وأصحابه قائم على معرفة الله بالنظر والإستدلال وأن أول واجب على المكلف هو ذلك النظر فكيف يتحقق الإيمان عندهم ؟

الإيمـــان :

إن صحة الإيمان عند البغدادي وأصحابه قائم على المعرفة بالأصول العقلية فقال :

" من شرط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقلية في التوحيد والحكمة والعدل وثبوت النبوة والرسالة واعتقاد أركان" الشريعة " الإسلام . ومن شرطه معرفة صحة ذلك كله بأدلته المشهورة وإن لم يعلم دليل فروعها صح إيمانه" (٢) .

ثم يقول في بيان أقسام الطاعات : " الطاعات عندنا أقسام : أعلاها يصير بها المطيع عند الله مؤمنا ويكون عاقبته لاجلها الجنة إن مات عليها . وهي معرفة أصول الدين في العدل والتوحيد والوعد والوعيد والنبوات والكرامات ومعرفة أركان الشريعة الإسلام وبهذه المعرفة يخرج عن الكفر " (٣) .

---

١ - درء تعرض العقل والنقل جـ٨ ص ١٢ ، ١٣ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٦٩ .
٣ -أصول الدين للبغدادي ص ٢٦٨ .

وهذه هي المعرفة النظرية القائمة على استدلالهم السابق أما النطق بتلك الأمور فيقول : "والقسم الثاني إظهار ما ذكرناه باللسان مرة واحدة وبه يسلم من الجزية والقتال والسبي والاسترقاق وبه تحل المناكحة واستحلال الذبيحة والموارثة والدفن في مقابر المسلمين والصلاة عليه وخلفه" (١) .

أنما يقصده هنا وهو إعلان شهادة لاإله إلاالله وأن محمداً رسول الله وهي شهادة الإسلام " والشهادة تتضمن الإقراربالصانع تعالى وبرسوله ، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمنا بل ولا يصير مؤمناً بأن يعلم أنه رب كل شئ حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، ولا يصيرمؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمداً رسول الله" (٢) .

وعلي هذا فلا يقر لهم بإيمان المعرفة ، وإنما الايمان مستلزم للشهادتين ولا ينفك عنها ، والشهادتان متضمنتان العمل والاعتقاد .

وبهذا يُعلم منهج البغدادي في عقيدته ويتضح ذلك أيضاً في

فى النبوة والتصوف وغيرها .

فبعد دراسة عصر البغدادي من الناحية السياسية والإجتماعية والعلمية يتضح أن الأمة تعيش فقدان الأمن في الغالب وعدم الإستقرار مع ظروف حياتية بالغة الصعوبة، وعلى العكس مما تقدم فإنها تعيش نهضة علمية قام فيها العلماء بالنهوض بأداء الأمانة العلمية الملقاة على عواتقهم مع العلم بأن الأمة تمر بها أفكار ومذاهب متصارعة ولاشك أن هذه الأوضاع قد كان لها طابع وأثر على حياة الناس وعقائدهم ومعاملاتهم مع بعضهم وحيث أن جميع ذلك حتماً سيكون له الأثر البليغ في توجه عطاء البغدادي ، فإنه كان من اللازم أن تدرس تلك الحقبة من الزمن من

جميع الجوانب وكان ذلك متمثلاً في أمورٍ سيأتي التفصيل فيها غير أنه يستحسن إيرادها إجمالاً وهي : عقيدة البغدادي وذلك نظراً لوجود عقائد متضاربة وسيتبين أن البغدادي كان أشعرياً في عقيدته ثم أنه تابع أصحابه وقال بأقوالهم ؛ فأستدل على وجود الله بالنظر العقلي ، وغلط في مفهوم التوحيد وقال بوجوب النظر، ثم التأويل فكان التناقض ثم الإختلاف ، والقول بالتحسين والتقبيح ، والتعجب من مبدأ التجويز عنده ثم التكفير بغير ضابط شرعي، وحصر دلائل النبوة في المعجزة والقول بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان وقد عُدَّ ذلك إرجاء وخاتمة المطاف علاقته بالصوفية والتصوف فألف فيها ودرّس مشائخها وتم في عهده تلك العلاقة الثابته مع التصوف ومذهب الأشاعرة إلى يومنا هذا .

وإلى بيان هذه الأمور بالتفصيل إن شاء الله تعالى :

سابعاً : لقد سبق في بحث الناحية العلمية أن هناك إتجاهين فكريين* وهما :

الإتجاه العقلي والإتجاه السلفي ، وحيث أن البغدادي كان يعيش في منطقة

خراسان " وهي مركز للتيارات الكلامية"(١) . بل أن نيسابور كانت معقلاً من معاقل المتكلمين الأشاعرة فقد نحا نحو ذلك الإتجاه وذلك المذهب .

فالبغدادي أشعري العقيدة وذلك للآتي :

أ - إنه سيتبين ذلك بعد دراسة منهجه في الفصل القادم ، فهو متابع لمنهج الأشعري بل من الذين أصلوا هذا المذهب (٢) .

ب - شيوخه .

لقد ترجم له إبن عساكر الدمشقي في كتابه تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري ، وذلك في طبقات أصحاب الأشعري فقال : " باب ذكر جماعة من أعيان مشاهير أصحابه إذ كان فضل المقتدي يدل على فضل المقتدى به . . ـثم قال ـ: ذكر بعض المشهورين من الطبقة الثالثة منهم من لقى أصحاب أصحابه وأخذ العلم عنهم . . ومنهم الأستاذ أبو منصور النيسابوري المعروف بالبغدادي رحمه الله"(٣).فالبغدادي من الطبقة الثالثة ممن لقي أصحاب أصحاب الأشعري .

وقال عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية : " إمام عظيم القدر جليل المحل كثير العلم حبر لا يساجل في الفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم والكلام . . حمل عنه العلم أكثر أهل خرسان"(٤).فهو أحد أعلام

---

١ - مذاهب الإسلاميين د . عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين بيروت الطبعه الثالثه سنة ١٩٨٣ ج١ ص ٦٣٨ .
٢ - نفس المصدر ج١ ص ٦٧٤ .
٣ - أنظر تبيين كذب المفترى لابن عساكر دار الفكر الطبعه الثانيه دمشق سنة ١٣٩٩ هـ ص ١٧٧ - ٢٤٨ - ٢٥٣ .
٤ - طبقات الشافعيه الكبرى للسبكي تحقيق محمود الطناحي وآخر مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه ج٣ ص ٢٣٨ .

الشافعية . . وكان الأستاذ أبو منصور من أئمة الأصول (١) .

وكان البغدادي يذكر شيوخه في مؤلفاته ويثني عليهم ويستشهد بأقوالهم ويحيل على معتقدهم فيقول : " هذا تقدير مذهب شيخنا أبي الحسن الأشعري" (٢).أو"قال أصحابنا" (٣) ، أو"اختلف اصحابنا" (٤) ، أو"أجمع اصحابنا" (٥) ، أو"تأول بعض أصحابنا" (٦) ويقول :" فكان شيخنا أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي" (٧) ،"وقال شيخنا أبو محمد عبد الله بن سعيد" (٨) أو"قال القلانسي من أصحابنا" (٩) .

---

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرساله تحقيق شعيب وآخرون الطبعه الرابعه سنة ١٤٠٦هـ ج ١٧ ص ٢٧٢ .
٢ - أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٢٥ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ١٤٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٣٠٦ .
٣ - نفس المصدر ص ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٧٨ .
٤ - نفس المصدر ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٨٧ ، ١١٢ ، ٢٢٢ .
٥ - نفس المصدر ص٩٠ ، ٢٣٠ ، ١٣٩ ، ١٠٩ .
٦ - نفس المصدر ص١١١ .
٧ - نفس المصدر ص ٣٠٦ .
٨ - نفس المصدر ص١٠٤ ، ١٤٦ ، ١٠٩ .
٩ - نفس المصدر ص ٢٣٤ .

ج - أقواله من مؤلفاته .

إن مما يثبت أشعرية البغدادي ما سطره بيده في كتابه أصول الدين والذي وضّح فيه منهجه وعقيدته حيث يقول :

" من شروط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقلية " (١٠) .

" قال أصحابنا من اعتقد أركان الدين تقليداً من غير معرفة بأدلتها ننظر فيه " (١١) .

" قال أصحابنا بتجانس الأجسام كلها " (٣) .

" أختلفوا في تأويل قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٤) .

" الصحيح عندنا قول من يقول أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله تعالى " (٥) .

" لابد للرسول من حجة وبرهان يعلم به أن الله تعالى قد أرسله *" (٦) .

" جائز من الله تعالى أن يأمر بكل ما ورد أمره به ولو نهى عما أمر به جاز (٧) .

" أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية " (٨) إن هذه الأقوال وغيرها من دلائل ذلك المذهب الأشعري الذي سلكه البغدادي .

---

١ - أصول الدين ص ٢٦٩ .
٢ - نفس المصدر ص٢٥٤ .
٣ - نفس المصدر ص ٥٤ .
٤ - نفس المصدر ص١١٢ ، وسورة طه آيه ٥ .
٥ - نفس المصدر ص٢١٠ .
٦ - نفس المصدر ص١٥٦ .
٧ - نفس المصدر ص ٢١٣ .
٨ - نفس المصدر ص١٣٩ .

* إن الاشاعرة يستدلون بالمعجزة وحدها على صدق الرسول وهذا خلاف الحق

د - انتسابه إلى أئمة أصول الدين وعلماء الكلام .

دأب علماء الكلام إلى تشريف صنعتهم الكلامية بالانتساب إلى أصحاب خير البرية وسلف الأمة المرضية ؛ لتقوى بين الناس حجتهم ويكثر بين الورى أتباعهم ، وهكذا فعلُ كل فرقة أو جماعة مستحدثة في هذا الدين .

وفي مضمار علم الكلام كانت المعتزلة قد خرجت على الناس بأصولها ، وسامت علماء السنة عذابها ونكولها ، وسخّرت علماءوولاة أمر لغايتها وإنحرافها ، ثم اثبتت انتسابها وعددت طبقاتها ، فكان الخلفاء الراشدون هم الطبقة الأولى (١).فبئس مادبج القوم في صحفهم ويالسوء خاتمة مذهبهم .

وإلى ذلك ذهب الأشاعرة الذين هم أقرب إلى أهل السنة فيما عندهم من خير وهم إلى المعتزلة أقرب بما عندهم من البدعة والمتابعة لأولئك في منهجهم (٢) . وقد تميز البغدادي بهذا التأصيل للأشاعرة وذكر أن " أول المتكلمين من الصحابة علي بن أبي طالب . . ثم من بعدهم الإمام أبي الحسن الأشعري الذي صار شجى في حلوق القدرية .

ومن تلامذته المشهورين أبو الحسن الباهلي ، وأبو عبد الله بن مجاهد . . وقد أدركنا منهم في عصرنا ابن مجاهد ، وابن الطيب ، وابن فورك ، وابراهيم ابن محمد رضي الله عنهم ، وهم القادة السادة في هذا العلم (٣) .

---

١ - أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دارالمعرفه بيروت ص ٣٦٢ وأنظر مذاهب الإسلاميين للبدوي دار العلم للملايين بيروت الطبعه الثالثه سنة ١٩٨٣ ج ١ ص ٤٠ - ٤٦ .

٢ - أنظر مباحث في عقيده أهل السنه والجماعه وموقف الحركات الإسلاميه المعاصره منها د . ناصر العقل دار الوطن الرياض الطبعه الأولي ص ٥٧ .

٣ - المصدر السابق - الفرق بين الفرق ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

وعلى هذا فإن البغدادي قد لقي تلامذة أبي الحسن الأشعري من أئمة أصول الدين والكلام .

فهو متكلم وله كتاب في أصول الدين وقال : " قد أتفق جمهور أهل السنة على أصول من أركان الدين ، كل ركن منها يجب على كل عاقل معرفة حقيقته، ولكل ركن منها شعب ، وفي شعبها مسائل" (١) .

هـ - تأويله الصفات الخبرية .

لقد أول البغدادي صفات الله تعالى الثابتة له في كتابه أو سنة نبيه ﷺ ، وذلك خلاف ما أثبته لله من الصفات الأزلية السبع عند الأشاعرة ، فأول صفة الوجه والعين واليد والاستواء وكذلك الصفات الاختيارية والخبرية(٢) واثبت لله سبع صفات فقط (٣) .

ثامناً : لقد تابع البغدادي علماء الكلام من الأشاعرة فيما أثبتوه وعرف عنهم بأصول الدين فخالفوا بذلك منهج سيد المرسلين وأوجبوا على الأمة أراء وأفكار الأولين فقال البغدادي : " قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته . . وأول الأركان التي رأوها من أصول الدين اثبات الحقائق والعلوم ، على الخصوص والعموم الركن الثاني : هو العلم بحدوث العالم في أقسامه ، من أعراضه وأجسامه" (٤) .

١ - الفرق بين الفرق ص ٣٦٣ .
٢ - انظر أصول الدين للبغدادي أنظر ٧٧ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١٢٤ .
٣ - أنظر نفس المصدر ص ٧٨ - ٧٩ .
٤ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٢١ .

إن هذا المنهج الذي سلكه البغدادي وأصحابه قد أضطرهم إلى مخالفة المنهج السلفي الذي التزم به أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ويظهر هذا جلياً عند البغدادي الذي تأثر بذلك المنهج في الأمور التالية :

١ - الاستدلال على وجود الله بالنظر العقلي بعيداً عن الوحي " وليس الأمر كما زعموا ، فالعقل غير مستقل ألبته ، ولا ينبني على غير أصل ، وإنما ينبني على أصل متقدم مسلّم على الإطلاق ، . . فعلى الجملة : العقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي فالابتداع مضاد لهذا الأصل "(١) .

غير أن البغدادي قد أقحم هذا النظر في معرفة التكاليف والنبوة وعدل الله وحكمته فقال : " فأما المعلوم بالنظر والإستدلال من جهة العقول فكالعلم بحدوث العالم وقدم صانعه وتوحيده وصفاته وعدله وحكمته وجواز ورود التكليف منه على عباده وصحة نبوة رسله بالإستدلال عليها بمعجزاتهم ونحو ذلك من المعارف العقلية النظرية"(٢) .

ثم خصص البغدادي المعلوم بالشرع فقال : " أُما المعلوم بالشرع فكالعلم بالحلال والحرام والواجب والمسنون والمكروه وسائر أحكام الفقه " (٣) .

ولا شك أن هذا الفهم الخاطئ لمصادر التشريع الإلهي قد جنى على الأمة في إعتقادها وأفرز فرقاً وأُحزاباً ، فمنهم من يلوذ بعقله لفهم التشريع ومنهم من يلوذ بوجده وذوقه ومنهم من أُستعان بالكشف والتجلي ؛ ذلك أنهم حادوا عن الصراط الستقيم .

---

١ - الإعتصام للشاطبي تحقيق سليم بن عيد الهلالي دار بن عفان سنة ١٤١٢هـ الخبر السعوديه ج ١ ص ٦٣

٢ - أصول الدين للبغدادي ص١٤ . وأنظر ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ حيث يدل العقل على ذلك قبل ورود الشرع .

٣ - نفس المصدر ص ١٤ .

٢ - غلطهم في فهم توحيد رب العالمين : لقد كان همّ المتكلمين هو إثبات توحيد الربوبيه وهو توحيد يشتمل عندهم على نفي التبعيض والتركيب والتجزئه واثبات أن الله هو الخالق القادر على الاختراع وهنا يقول البغدادي : " ودليلنا على أن الله واحد في ذاته ليس بذي أجزاء وأبعاض أنه قد صح أنه حي قادر عالم مريد فلو كان ذا أجزاء وأبعاض لم يخل من أن يكون في كل جزء منه حياة وقدرة وعلم وإرادة "(١) .

ودليل الاختراع قوله : " واما الدلالة على توحيد الصانع وانفراده بخلق العالم كله اعراضه وأجسامه فمن حيث أنه لو كان للعالم صانعان ، قديمان لوجب أن يكون حيين قادرين مريدين عالمين جاز اختلافهما في المراد"(٢) .

إن البغدادي كغيره من علماء الأشاعرة لا يثبتون توحيد الألوهية الذي من أجله أرسل الله الرسل والأنبياء فقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٣) .

وبهذا فإن التوحيد الحق الذي يريده الله سبحانه وتعالى لا تجد ذكره في أصول أئمة الأشاعرة بل أن الشرك المضاد للتوحيد وهو عبادة غير الله معه والتوسل بغيره سبحانه والإستغاثة والذبح والدعاء والتوكل على غير الله لا يوجد أي منهما في أصول دين البغدادي. قال تعالى " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين "(٤) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٥ .
٢ - نفس المصدر ص ٨٥ .
٣ - سورة الذاريات آيه ٥٦ .
٤ - سورة الانعام ايه ١٦٢

٣ - ولعل هذا ناتج تأصيلهم الذي أصلوه لانفسهم فقال البغدادي : " الصحيح عندنا قول من يقول إن أول الواجبات على المكلف النظر والإستدلال المؤدي إلي المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته . ثم النظر والإستدلال المؤدي إلي جواز إرسال الرسل منه وجواز تكليف العباد ماشاء . ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه . ثم النظر المؤدي إلى تفصيل أركان الشريعة ثم العمل بما يلزمه منها على شروطه " (١) .

وهذا التأصيل مخالف بالطبع لما أراده صاحب التشريع فلم يطلب ممن جاء ليؤمن به ويصدقه ويجاهد معه أن يسلك تلك الدرجات ليصل أخيراً إلى ما يجب عليه أولاً . بل إنه ﷺ عندما أرسل رسوله معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن لم يأمره بشئ من ذلك في الحديث المشهور* ويمكن القول أن غلط البغدادي وأصحابه في معرفة أول واجب وهو شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله قد أوقعهم في محاذير وبدع تجنبها أهل السنة والجماعة لالتزامهم بالسنّة والكتاب .

وحيث أن البغدادي قد تابع أصحابه في معنى الإيمان وأنه المعرفة والتصديق بالقلب فقال : " إن الركن الأول من أركان الإسلام ، كما ورد به الخبر ، شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله . ولهذه الشهادة شروط منها أنها لا تقبل ولايثاب عليها صاحبها إلا إذا عرف صحتها وقالها عن معرفة وتصديق لها بالقلب " (٢) .

ثم قال : " من شرط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقلية في

---

١ - أصول الدين ص ٢١٠ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٨٨ . وأنظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد [illegible] محمد بن عبد الوهاب ص [illegible] وما بعدها

* أنظر البحث ص ٦ ٠

التوحيد والحكمة والعدل وثبوت النبوة والرسالة واعتقاد أركان شريعة الإسلام. ومن شرطه معرفة صحة ذلك كله بأدلته المشهورة " (١) .

وبهذا يمكن القول أن البغدادي قد أخر معرفة الشهادة ضمن أركان شريعة الإسلام ثم صرفها إلى المعرفة والتصديق بدون تحقيق " ودين الإسلام مبني على أصلين ، وهما : تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله : وأول ذلك أن لا تجعل مع الله الهاً آخر فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله ، ولا ترجوه كما ترجو الله ، ولا تخشاه كما تخشى الله ، ومن سوّى بين المخلوق والخالق في شئ من ذلك فقد عدل بالله ، وهو من الذين بربهم يعدلون ، وقد جعل مع الله إلهاً آخر ، وان كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض .

(الأصل الثاني) أن نعبده بما شرع على ألسن رسله ، لا نعبده إلا بواجب أو مستحب ، والمباح إذا قصد به الطاعة دخل في ذلك . والدعاء من جملة العبادات فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم كان مبتدعاً في الدين ، مشركاً برب العالمين " (٢) .

السجود للصنم أو للشمس علامة كفر وليس بكفر !

نعم لقد وقع البغدادي وأصحابه في محذور عقدي نتيجة تأصيلهم السابق وهذا بلا شك لم يقل به أحد من علماء أهل السنة والجماعة حين قال البغدادي : " .. السجود للشمس أو للصنم وما جرى مجرى ذلك من علامات الكفر وأن لم

---

١ - أصول الدين ص ٢٦٩ .

٢ - فتاوى شيخ الإسلام م ج١ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

يكن في نفسه كفراً إذا لم يضامّه عقد القلب على الكفر . ومن فعل شيئاً من ذلك أجرينا عليه حكم أهل الكفر وإن لم نعلم كفره باطناً " (١)." ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ، ويدعوها كما يدعو الله تعالى ، ويصوم لها ، وينسك لها ، ويتقرب إلي ثم يقول : إن هذا ليس بشرك ، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي ، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً . ومن المعلوم بالإضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك ، فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله ، وهم لايدخلونه في مسمى التوحيد الذي أصطلحوا عليه (٢) .

" والمتأمل في مناهج المتكلمين عموماً يجد أن التوحيد عندهم اعتقادي فقط وأن الشرك في الإرادة إذا لم يتضمن الشرك في الإعتقاد لا يكون شركاً عندهم . فإتخاذ الوسائط والطلب عندهم ليس شركاً بمجرد طلب غير الله مالا يقدر عليه إلا الله مثلاً بل لابد أن يتضمن ذلك اعتقاد استقلالية المطلوب وقدرته على الاختراع الذي هو حقيقة الألوهية عندهم . وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ليس شركاً لذاته عندهم إلا إذا تضمن إعتقاد استحقاق العباده لمن صرفت له "(٣) .

ولاشك أن قول البغدادي السابق بأن السجود للشمس والقمر من علامات الكفر وليست بكفر ؛ هو ناتج عن تأثره بمذهبه الكلامي الذي يحصر التوحيد في قدرة الله على الخلق والإبداع ، وهذا أولاً .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٦٦ .
٢ - درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ج١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
٣ - ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة تأليف عبد الله محمد القرني مؤسسة الرسالة ط الأولى سنة ١٤١٣هـ ص ٩٩-١٠٠ .

وثانياً : فإنه لا يوجد في أصولهم ولا في كتب البغدادي ما أصطح عليه أهل السنة وأسموه بتوحيد الألوهية في قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(١) .

ثالثاً : فإن همَّ أولئك المتكلمين هو ما سُمي عندهم بتوحيد المعرفة بالله تعالى واثبات وجوده . ومعلوم أن هذا ليس هو المقصود من خلق العباد فالمشركون يقرون بوجود الله وكذلك اصحاب الكتب المحرفةّ ولولا توحيد ألالوهيةّ لاستوى المسلمون معهم والعياذ بالله ، فقد وصفهم الله بالكفر والضلال وغضب عليهم ولعنهم ووصفهم بالخسران " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "(٢)

رابعاً : فإن الإيمان عند البغدادي كما هو ثابت من النص عنده ، هوالتصديق بالقلب ولا ينافيه إلا عدم التصديق به أما العمل فإنه دلالات فقط ويتضح ذلك من قوله : " إذا لم يضامّه عقد القلب على الكفر " (٣) .

كيف وقد كفّر رسول الله ﷺ من لم يقم بآداء الصلاة لله تعالى ، والإيمان يقتضي العمل ويزيد وينقص . ولولا العمل لاستوى الفجار والفساق مع العشرة المبشرين بالجنة وهيهات هيهات ! .

١ - الذاريات آيه ٥٦ .
٢ - آل عمران آيه ٨٥ .
٣ - اصو ل الدين للبغدادي ص ٢٦٦ .

٤ - التأويل .*م

ذلك المبدأ الذي استخدمه المتكلمون ومنهم البغدادي وأسموه الاستدلال والنظر قد أخذ يفتك بمقومات الشريعة فبدأ بالتوحيد والشهادة والإيمان وهاهم الآن يجهزون به على ما خالف استدلالهم ونظرهم ومعقولهم من النقل الصحيح المتواتر وهنايقول البغدادي : " فإن تواتر النقل في شيء وطريق العلم به الإستدلال والنظر وطريق الخطأ الشبهة فإن ذلك التواتر لا يوجب علماً " (١) .

نعم أن تلك الشبهة هي إعتقاده وأصحابه أن ما ورد في النقل مخالفاً لأصولهم ومقدماتهم فإنه يجب عليهم تأويله ليوافق معتقدهم ، وبهذا القانون الذي وضعه البغدادي نراه يسلط التأويل على آيات في كتاب الله فيقول :"والصحيح عندنا أن وجهه ذاته وعينه رؤيته للأشياء ، وقوله : ويبقى وجه ربك معناه ويبقى ربك ولذلك قال ذو الجلال والإكرام بالرفع ، وقوله : ولتصنع على عيني أي على رؤية مني" (٢) . وقوله :"والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك" (٣).وغيرها*ن من الصفات . أما السنة فإن أمرها ليسير عند هؤلاء وذلك باستخدامهم سلاحاً آخر بالإضافة إلي التأويل إذا لزم الأمر فقال البغدادي : "وأما أخبار الآحاد الموجبة للعمل دون العلم فلوجوب العمل بها شروط . . والشرط الثالث أن يكون متن الخبر مما يجوز العقل كونه . فإن روى الراوي ما يحيله العقل ولم يحتمل تأويلاً صحيحاً فخبره مردود" (٤) .

وإذا كان البغدادي قد وافق رجال الحديث في شرطي اتصال الإسناد وعدالة

---

١ - أصول الدين ص ٢٢ .

٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١١٠ .

٣ - نفس المصدر ص ١١٢ .

٤ - نفس المصدر ٢٢ ، ٢٣ .

*م أنظر البحث ص ٦٧ ، -١١٠-

*ن إن الذين يتفون ويؤلون العرش إنما قصدهم نفي علو الله وفوقيته سبحانه على مخلوقاته واستوائه سبحانه الا ئق به على عرشه .

الرواة فلاشك أنه قد خالفهم في شرطه الثالث الذي ذكره وهو عرضه الحديث على عقول أولئك المتكلمين . أما أهل الحديث فقد عرّفوا الحديث الصحيح فقالوا : " هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ، حتى ينتهي إلي رسول الله ﷺ أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذاً ولا معللاً " (١) .

غير أن البغدادي وأصحابه والمتكلمين عامة قد عرضوا الحديث على عقولهم وأصولهم بالإضافة إلى قولهم بأن خبر الأحاد لا يفيد العلم* وهو أمر لم يقل به الصحابة والتابعون والسلف الصالح ، أن هذا وغيره قد أفضى بهم إلى تأويل صفات الله تعالى التي وردت في حديث رسول الله ﷺ ، ومن ذلك قول البغدادي : " وأما الجبار الذي يضع قدمه في النار فهو الذي قال الله تعالى فيه : جبار عنيد من ورائه جهنم . والأصبع المذكورة في الخبر بمعنى النعمة وقلب المؤمن بين نعمتي الخوف والرجاء " (٢) وقوله : " وأما الفرح فعلى ثلاثة أوجه : أحدها السرور الذي ذكروه والثاني البطر . . والثالث الفرح بمعنى الرضا كقوله : كل حزب بما لديهم فرحون ، أي راضون وهذا معنى الفرح المضاف إلي الله تعالى في توبة عبده . والضحك المضاف إليه على معنى الإبانة والإظهار من قولهم هذا طريق ضاحك إذا كان بيناً واضحاً " (٣) .

نعم إن هؤلاء المتكلمين قد أجازوا لأنفسهم صرف الألفاظ عن ظواهرها وما تقتضيه تلك الظواهر وذلك لموافقة أصولهم وعقائدهم وهنا يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانوناً فيما

١ - علوم الحديث مصطلحه للدكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين الطبعه ١٤ سنة ١٩٨٤ ص ١٤٥ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٦ .
٣ - نفس المصدر ص ٨٠ . * أنظر أصول الدين ص ١٠١ ، ١٠٢ .

جاءت به الأنبياء عن الله ، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته ، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً له ؛ فما وافق قبلوه ، وما خالفه لم يتبعوه . وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم ، وردوا نصوص التوارة والإنجيل إليها (١) ، لكن تلك الأمانة أعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء ، أو ما بلغهم عنهم ، وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل ، كسائر الغالطين ممن يحتج بالسمعيات ، فإن غلطه إما في الإسناد وإما في المتن ؛ وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على مارأوه بعقولهم ، وقد غلطوا في الرأي والعقل" (٢) .

مخالفة البغدادي لأصحاب الحديث والتفسير في إيراد حديث القدم وفهمه :

لقد عُرف المتكلمون بإعراضهم عن الإستدلال بالنقل فيما ظنّوه دلائل عقلية لا تعلم إلا بالعقل عندهم ، وعندما يوردون أحاديث الآحاد كما زعموا ! فإنهم لا يوردون سندها ولا درجة صحتها بل إن البغدادي نفسه قد زاد في هذا المقام فأورد حديثاً مغلوطاً ونسبه خطأً إلي غير موضعه في كتاب الله فقال : " وكذلك ما روى أن الجبار يضع قدمه في النار صحيح وتأويله محمول على الجبار المذكور في قوله تعالى : ﴿ وخاب كُل جبار عنيد ﴾ ﴿ من ورائه جهنم ﴾ (٣) ومثل هذا كثير " (٤) والحديث قد رواه البخاري في صحيحه ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم غير أنه يكتفي بتخريجه في الصحيحين فقد رواه البخاري رحمه

---

١ - أنظر عقيدة النصاري في بلدة قسطنطينيه في الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد الكيلاني توزيع دار الباز دار المعرفه ج١ ص ٢٢٣ ، وذلك في اتفاقهم على القول بالتثليث (الأب - الابن - روح القدس).

٢ - درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ج١ ص٦ ، ٧ .

٣ - آيه ١٥ - ١٦ سورة ابراهيم .

٤ - اصول الدين للبغدادي ص ٢٣ .

الله في باب " وتقول هل من مزيد عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يلقى في النار وتقول هل من مزيد ، حتي يضع قدمه فتقول قط قط". وعن أبي هريره رضي الله عنه يرفعه " يقال لجهنم هل إمتلأت وتقول هل من مزيد ؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط"(١) .

فالحديث بلفظه مخالف لما أورده البغدادي أولاً .

وثانياً : فإن موضوعه في سورة ق وليس في سورة ابراهيم .

وثالثاً : فإن ائمة الصحيحين وغيرهم قد رووه بلفظ قدم الرب تعالى بدون تأويل .

ورابعاً : فإن الإمام ابن كثير قد أورد تلك الأحاديث الصحيحة في تفسيره لقوله تعالى " هل من مزيد » في سورة ق (٢) (٣) وذكره كغيره من أئمة التفسير بالمأثور .

خامساً : قال الإمام الترمذي في جامعة الصحيح بعد أن أورد الحديث مطولاً في باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار : قال أبو عيسى : " هذا حديث حسن صحيح . وقد روى عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية أن الناس يرون ربهم وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء . والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ، ومالك ابن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينه ، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا : تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ، ولا يقال كيف ؛ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن

---

١ - رواه البخاري في كتاب التفسير باب وتقول هل من مزيد فتح الباري دار الفكر ج٨ ص ٥٩٤ ، ٥٩٥ ؛ ورواه في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى سبحان ربك رب العزه عما يصفون فتح الباري ج١٣ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ؛ ورواه مسلم شرح النووي باب جهنم أعاذنا الله منها ج١٧ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

٢ - سورة ق ايه ٣٠

٣ - تفسير بن كثير دار القلم بيروت ج٤ ص١٩٩ ، ٢٠٠ .

بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف وهذا أمر أهل العلم الذي أختاروه وذهبوا إليه"(١). وقد علق الشيخ محب الدين الخطيب في الفتح فقال : " وهذا هو الصواب الذي كان عليه سلف الأمة من الصحابه إلى الأئمة المتبوعين ، وباب التأويل هو الذي دخل منه جميع أصحاب مذاهب الضلال إلى ضلالاتهم ، والغيب قد استأثر الله بعلمه ، وكما قال الإمام مالك في الإستواء " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة (٢) « وكتبه محب الدين » .

ومما يثبت مخالفة البغدادي لمذهب أهل السنة والجماعة وقوله بالتأويل في كتاب الله قوله :"والصنف الخامس منهم : هم الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن ، وبوجوه تفسير آيات القرآن ، وتأويله على وفق مذاهب أهل السنة ، دون تأويلات أهل الأهواء الضالة " (٣) وقطعاً فإن التأويل لم يكن مذهباً لأهل السنة كما هو معلوم في إعتقادهم بل ومن المعلوم أن البغدادي لم يقصد ذلك التأويل الذي هو التفسير عند المفسرين من السلف ، حيث أنه أورد علمهم بالتفسير ثم بين قدرتهم على التأويل وهذا القول لم يقل به أحد من صحابة رسول الله ﷺ ولاالتابعين ولا السلف الصالح . وهو حينما أنشأ قولاً أخر وهو علمهم بالتأويل كان يقصد بلاشك صرف ظاهر الآيات ومادلت عليه معانيها إلى المعنى الموافق لمذهبهم وأصولهم عند المتكلمين .

" وقد أعاذ الله " أهل السنة " من التحريف والتكييف ، ومنَّ عليهم بالتفهيم

---

١ - الجامع الصحيح لسنن الترمذي كتاب صفة الجنه باب ما جاءت خلود أهل النار مكتبة ابن تيميه تحقيق ابراهيم عطوه عوض مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولادة بمصر ج٤ ص ٦٩٢ .

٢ - فتح الباري كتاب التفسير باب وتقول هل من مزيد دار الفكر ج ٨ ص ٥٩٦ وقد علق بهامشه الشيخ محب الدين الحطيب الذي قام بإخراجه باشراف وتصحيح الأصل والتحقيق لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

٣ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣١٥ .

والتعريف ، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه . وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه . وأكتفوا بنفي النقائص بقوله عز من قائل : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾(١) وبقوله تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٢) . . فمذهب السلف رضوان الله عليهم : إثبات الصفات واجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية عنها . لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام عن الذات واثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية ، فكذلك إثبات الصفات . وعلى هذا مضى السلف كلهم" (٣) .

وبهذا يتبين أن البغدادي قد جنح إلى التأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، بل أن البغدادي قد أضفى على تأويل ذلك شرعية اعتقاده عند أهل السنة والعمل به وهم براء من ذلك ، الا إذا كان يقصد مَن وصفهم في أصوله وفرقه بأنهم أهل السنة من المتكلمين والصوفية والشعراء وغيرهم* ! ، وقد سبق بيان شيئاً من أصول واعتقاد أهل السنة على لسان شيخ الإسلام والذي يرفض التأويل في كتاب الله والمزايدة على مفهوم رسول الله ﷺ لألفاظ القرآن والسنة فاللهم جنبنا الزلل واقوال أهل الملل المضالة .

---

١ - ايه الشورى ايه ١١ .

٢ - آيه الخلاص ايه ٤ .

٣ - فتاوى شيخ الإسلام ج ٤ أنظر ٥ ، ٦ .

* أنظر اصول الدين ص ٢١٥ ، ٢١٦ ـ ١١٥ ـ

٥ - التناقض :

إن أصول البغدادي التي اُلتزم بها قد أدت به إلى الوقوع في التعارض والتناقض ، فهو حيناً يلتزم أمراً شرعياً ثم يجد أنه يتعارض مع أصل من أصول اعتقاده الكلامية فلا يلبث حتي ينقض قوله السابق في مكان أخر من غير أن يشير إليه أو يجد مبرراً له ، وتلك مزية علماء الكلام في حيرتهم وترددهم بين الأخذ بالشرع أو الدليل المسلم به عندهم وهم الذي انتصبوا معارضين للمعتزلة في أدلتهم العقلية .

لكن البغدادي قد سلط دليل الحدوث على النصوص المعارضة له في ظنهم فقال " وكل قول لا يصح معه الإستدلال على حدوث الأجسام وعلى حدوث الجواهر فهو فاسد" (١) ويتضح التعارض عند البغدادي فيما يلي :

أ - لقد التزم البغدادي بالوقف في عدم علم وتأويل المتشابه كغيره فقال : " واختلف أصحابنا في إدراك علم تأويل المتشابه فذهب الحارث المحاسبي وعبدالله بن سعيد وأبو العباس القلانسي إلى أن المتشابه هو الذي لا يعلم تأويله إلا الله . وقالوا منهاحروف الهجاء في أوائل السور . وهذا قول مالك والشافعي وأكثر الأمه ومن قال بهذا وقف على قوله وما يعلم تأويله إلا الله ثم إبتدأ من قوله : ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنابه كل من عند ربنا﴾(٢) . . والوقف الأول أصح عندنا " (٣) . غير أن البغدادي قد أوّل جميع الصفات الخبرية الواردة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فقال : " والصحيح عندناتأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك كأنه أراد أن الملك ما اَستوى لاحد غيره (٤) " .*

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٥٨ .
٢ - آيه ١٠ سورة ال عمران .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
٤ - نفس المصدر ص ١١٣ .

* وله كتاب "تأويل الآيات المتشابهة" وأنظر تفسير أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحة رقم ٢٢٧ "مخطوط".

فكيف يأخذ بالتأويل وهو الذي قال : " واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال أن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله وهو قول مالك بن أنس وفقهاء المدينة والأصمعي . وروى أن مالك سئل عن الاستواء فقال الاستواء معقول وكيفيته مجهولة والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب"(١) .

فكيف يوافق مالكاً ثم يخالفه . وماذاك إلا تسلط دليل إستدلالهم على نصوص الكتاب والسنةوالتزام أصحاب الكلام بذلك وإلا انفرط دليلهم .

ب - وإذا كان البغدادي قد تناقض في القول بالتأويل وعدم القول وأنه الصحيح عنده ، ثم قال به واستندعليه في نفي صفات الله الخبرية . ولكن لا العرش* فإننا نجده يثبت العرش وأنه فوق السموات وذلك في أثناء رده على من زعم حركة الأفلاك ولا شك أن هذا ثابت لأنه يرد على خصومة وهذا يتطلب البيان وقوة الحجة ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة فقال : " وقد دللنا على حدوث الأفلاك والكواكب بالدلالة على حدوث الأجسام كلها . ومن زعم أن الأفلاك متحركة حركة دورية أبطل كون العرش والملائكة فوق السموات"(٢) .

ومن المعلوم إن البغدادي لا يقصد بالعرش هنا الملك كما أوّل سابقاً وإنما هو عرش الرحمن لأنه قال فوق السموات" ويدل على ذلك استشهاده بعرش ملكة سبأ في قصة سليمان عليه السلام فقال : " أنكرت القدرية كرامات الأولياء على وجه ينقض العادة واثبتها الموحدون لاستفاضة الخبر عن

١ - أصول الدين ص ١١٢ ، ١١٣ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٦٥ .
* أنظر البحث ص ٢١ .

صاحب سليمان في إتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف إليه "(١)
ولله المثل الأعلى غير أن هذا لا يثبت أن البغدادي قد أقر باستواء الله على عرشه فهو ينفيه أطلاقاً ويرد على من أثبت علو الله واستوائه على عرشه وأنه فوق سمواته بائن من خلقه ، بأنهم يثبتون له مكاناً وهوينفي أن يكون لله مكان ! .

وهذا يتعارض مع الأدلة القطعية المتواترة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الدالة على علوه سبحانه وأنه مستوٍ على عرشه .

وأهل السنة والجماعة لا يثبتون لله مكاناً كما زعم المتكلمون ولكنهم يثبتون لله جهة العلو والفوقية والإستواء على العرش الذي هو أعظم مخلوق وسيأتي تفصيل هذا في مبحث العلو.إن شاء الله .

جـ - ويظهر التعارض جلياًعند البغدادي في كلام الله فقد أثبت لله سبع صفات أزلية كأصحابه (٢) ومنها الكلام لله تعالى ثم قال : " ولا ينسخ كلامه لأنه لا يجوز عدمه ورفعه (٣). ويقول : " ونقول كلام الله في المصحف مكتوب وفي القلب محفوظ وباللسان متلو"(٤) .

ولا يلبث البغدادي حتى يثبت النسخ في كلام الله فيقول: " المسألة الرابعة عشر من هذا الأصل في بيان نسخ الخطاب . وحكم النسخ عندنا على ضربين أحدهما نسخ جميع الحكم كنسخ وجوب الوصية للوالدين والأقربين بميراثهم . والثاني نسخ بعض حكم الشئ كالصلاة إلى بيت المقدس نسخ منها التوجه إلى الكعبة "(٥) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
٢ - نفس المصدر أنظر ص ٩٠ .
٣ - نفس المصدر ص ١٠٨ .
٤ - نفس المصدر ص ١٠٨ .
٥ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٢٦ .

إن النسخ الوارد كان في كتاب الله بلا شك وهو يثبت أن كلام الله في المصحف وهنا ترد أسئلة منها : كيف يكون النسخ إذا كان كلام الله أزلي وهو ينفي أن يكون الله متكلماً بما شاء متى شاء لأن هذا يثبت حلول الحوادث بالله تعالى : على أصولهم التي سلموا بها ؟! .

ومنها أنه إذا كان يثبت النسخ في كلام الله فإن الناسخ متأخر عن المنسوخ وهذا شرط النسخ كما ذكره هوفقال : " شروط النسخ كثيرة منها أن يكون الناسخ منفصلاً عن المنسوخ (١) .

ومنها أنه إذا كان يقول بالنسخ في الأحكام كقوله : " وفي أحكامه ناسخ ومنسوخ" (٢) .

فهل أحكامه إلا من كلامه سبحانه ! وهل في القران شئ إلا كلام الله ومنها إنه إذا كان يقول بأن كلام الله في المصحف فكيف به وقد قال : " وقراءة كلامه بالعربية قرآن وقراءته بالعبرانية توراة وبالسريانية انجيل" (٣) .

ولا يفهم من هذا إلا القول بأن الله لم يتكلم بالقرآن الذي بين أيدينا الآن وليس هذا القرآن العظيم إلا افهام للأمة من محمد ﷺ ويبين هذا قول الباقلاني الأشعري : " وبُعث نبينا ﷺ بلسان العرب ، فأفهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم ، فلغة العرب غير لغة العبرانية ، ولغة السريانية غيرها ، ولكن الكلام القديم القائم بالنفس شئ واحد لايختلف ولا يتغير " (٤) .

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٢٧ .
٢ - نفس المصدر ص ١٠٨ .
٣ - نفس المصدر ص ١٠٨ .
٤ - الإنصاف للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب البقلاني تحقيق الكوثري المكتبه الأزهريه للتراث ١٣٦٩ هـ ص ٩٤

وإذا كـان البغـدادي لم يقل بالكلام النفسـي فـلا شك أن قـوله بالكلام الأزلي وأنه لا يجوز عدمه ولا رفعه ولا ينسخ ثم يقول أنه في المصحف مكتـوب لهـو منتـهى التناقض والتـعارض ولا يزول ذلك حتى وأن قـال بالكلام النفسي الذي ترد عليه إعتراضات بل إنه مرفوض قطعياً عند أهل السنة والجماعة وسلف الأمة وصحابتهم قبل ذلك .

٦ -الاختلاف :

وهذه ميزة لا يحسد عليها البغدادي وأصحابه خاصة وأنهم يختلفون في مسائل أصول الأعتقاد كما أثبتوه في أصولهم ، فلا تجد مسألة عقدية وإن عظمت إلا ولهم فيها أقوال متعددة بل يكاد كل عالم من علمائهم أن يكون له في كل مسألة قولاً وفي كل أصل إعتقاد . وهل يؤخذ الاعتقاد إلا من رب العباد ورسول الهدى والرشاد؟ ! .

أما البغدادي فيقول : " فهذه جملة أصول الدين على قواعد فريقي الرأي والحديث دون من يشتري لهو الحديث . وقد جاءت في الشـريعة أُحكام مرتبة على خمسة عشر من العدد . وأجمعت الأمة على بعضها وأختلفوا في بعضها "(١) .

فهل تسمى أصولاً للدين وهم مختلفون ، وهل أمرنا إلا بمتابعة الرسول ﷺ وصحابته السابقين ؟! وهل أختلف الأصحاب في قول رب الأرباب أو هدي ثابت صحيح مسند إلى المصطفى ﷺ موثق في كتاب ؟! .

إن هـذا الاختلاف الذي هو سمة لأصول البغدادي وغيره من المتكلمين لا يكاد يخلو من أصل من تلك الأصول فيقول البغدادي : " واختلف أصحابنا في

١ - أصوال الدين للبغدادي ص ٢ .

هذا فمنهم من قال أن آية الأستواء من المتشابه" (١). وقوله : "اختلفوافي الاسم : فقال أكثر أصحابنا" (٣). و " اختلف أصحابنا في آسماء المخلوقات" (٢) ، و" إختلف أصحابنا في تحديد العدل من طريق المعنى " (٤). و " واختلف اصحابنا في تفسير معنى الكسب " (٥). و " اجمع أصحابنا على نفوذ مشيئة الله تعالى في مراداته . . واختلفوا في التفصيل " (٦). و " اختلف أصحابنا في اقسام التكليف " (٧) . " و اختلفوا في الأمرإذا ورد ممن يلزم المأمور طاعته " (٨). " واختلف أصحابنا في إدراك علم تأويل الآيات والأحاديث المتشابهه " (٩) .

" واختلفوا في كيفية فناء الأجسام " (١٠). " و أصحابنا اختلفوا في الإيما ن على ثلاثة مذاهب فقال أبو الحسن الأشعري أن الإيمان هو التصديق (١١). و " اختلفوا في زيادته " (١٢) . "واصحاب الحديث مختلفون في الإستثناء " (١٣)، و"هو الذي اختلف فيه أصحابنا " (١٤) .

وهناك عبارات تدل على الاختلاف والفرقة بين أصحابه مثل قوله : " زعم بعض أصحابنا " (١٥)." و قال القدماء من أصحابنا " (١٦)." وقال أكثر أصحابنا".

و " من قال من أصحابنا " (١٧). وقوله : " قال بعض أصحابنا " (١٨). " ومن أحال من أصحابنا " (١٩). و"ذهب أبو الحسن . . وقال القلانسي من أصحابنا" (٢٠) و" قال أبو العباس القلانسي ومن تبعه من أصحابنا" (٢١). مع العلم أن أكثر هذه الأقوال والاختلافات لا تستند إلى دليل شرعي ، بل ومن قال منهم بدليل فإنه لا يعارضه الآخربدليل مثله ، وإنما يلجأ إلى العقل والرأي . والحاصل أنها مجرد وجهات نظر وتخرصات في أصول الدين عندهم والسبب أنهم بدأوها بأفكار ونظريات الأمم السابقة وجعلوها أصلاً من أصولهم.

---

١ - ٢١ - أنظر الصفحات من أصول الدين برقم : ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢١٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٦ .

الخلاف الأكبر مع أهل السنة والجماعة :

لعل البغدادي قد فطن لما كان عليه مذهبهم الكلامي من الخلاف فيما بين علمائه، والمخالفة لما جرى عليه علماءأهل السنة والجماعة ، ومعارضته للنصوص التي اعتمدها السلف ، فأخذ يبرهن على أن تلك الأصول الكلامية التي اعتمدها إنما هي عقيدةأهل السنةوالجماعة ؟!

ويعلم الله سبحانه أن فيها من الأصول مالم يقل به محمدﷺ ولم يأمربه وليس من دين الاسلام في شيء فكيف به وقدعُدَّ عندهم من الأصول فقال : "قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته ، ولكل ركن منها شعب ، وفي شعبها مسائل اتفق أهل السنة فيها على قول واحد، وضللوا من خالفهم فيها "(١) .

ومن المعلوم أن هذا النص للبغدادي يتضمن مسائل خلافية متناقضة فكيف وقد أتبعه بتلك الأركان الخمسة عشر . في بيان الأصول التي أجتمع عليها أهل السنة(٢) التي لم يقل بها أحد قبله مجتمعه وان قال بها علماء الأشاعرة فيما بعد . ويظهر من ذلك النص وتلك الأصول الخلاف الجلي مع أهل السنة والجماعة ويمكن بيانه فيمايلي :

أ - إن تلك الأصول عند البغدادي تقوم أساساً على اثبات الجواهر الفردة والاعراض . فكيف يكون أصلاً للدين ولم يقل به سيدالبشر وخاتم المرسلين ؟ ! .

١ - الفرق بي الفرق للبغدادي ص ٣٢٣ .
٢ - نفس المصدر ص ٣٢٣ .

بل كيف اتفق عليه أهل السنة والجماعة وهم الذين ذموه ولاموا أصحابه بل عدوا القول به عداوة للدين " ولهذا كان السلف والأئمة يذمون كلامهم في الجواهر والأعراض ، وبناءهم علم الدين على ما ذكروه من هذه المقومات . . والأصل الذي يؤسسة المتكلمون والأصل الذي يجعلونه قاعدة علومهم : مسألةالعرض والجوهر واثباتهما وأنهم قالوا : ان الأشياء لا تخلو من ثلاثةأوجه : أما أن تكون جسماً أو عرضاً ، أو جوهرا فالجسم ما اجتمع من الإفتراق ، والجوهر ما أحتمل الأعراض والعرض مالا يقوم بنفسه وانما يقوم بغيره ، وجعلوا الروح من الأعراض ، وردوا اخبار النبي ﷺ التي لا توافق نظرهم وعقولهم ، ولهذا قال بعض السلف : إن اهل الكلام اعداء الدين ، لأن اعتمادهم على حدسهم وظنونهم ، وما يؤدي إليه نظرهم وفكرهم ، ثم يعرضون عليه الأحاديث فما وافقه قبلوه ، وما خالفه ردوه .

واما أهل السنة سلمهم الله تعالى فإنهم يتمسكون بما نطق به الكتاب وورد به السنة ، ويحتجون بالحجج الواضحة على حسب ما أذن فيه الشرع ، وورد به السمع "(١) .

ب - قوله : اجتمع أهل السنة . . واتفق جمهور اهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين . . وضللوا من خالفهم فيها . . وكل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته (٢) .

---

١ - بيان تلبيس الجهميه لشيخ الإسلام أبن تيميةْ تعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم مؤسسة قرطبة جـ ١ ص١٣١/ ١٣٢ .

٢ - الفرق بين الفرق للبغدادي أنظر ص ٢٨٣ .

فمن المعلوم أنه لاَ يمكن المساواة بين الإجماع وقول الجمهور في مسألة فقهية فرعية فكيف به في أصول الدين وأركانه عند البغدادي ، وكلاهما قد وردا في نص واحد بل وفي صفحة واحدة. وقد علم مماسبق أن أهل السنة لم يتفقوا على تلك الأصول ولم يقولوا بها ، بل هاجموا مدعيها وقائليها ، فكيف القول بالإجماع ؟!

أما تضليل المخالف فإن أهل الكلام أحرى بذلك، " وإنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة ، فلمادخلوا في البدع وقع الاختلاف وهكذا طريق العبادة، عامة ما يقع فيه من الإختلاف ، انما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع ، فيقعون في البدع فيقع فيهم الخلاف "(١) .

بل " إنا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول والصحابة والتابعين وائمة المسلمين لم يبنوا شيئاً من أمر الدين على ثبوت الجوهر الفرد " (٢). " فمحمد ﷺ أُرسل إلي كل أحدٍ من الأنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم ، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة ، في عقائده وحقائقه ، وطرائقه وشرائعه فلا عقيدة ولا حقيقة إلا حقيقته ولا طريقة إلا طريقته ولا شريعة الإ شريعته ، ولا يصل أحد من الخلق إلي الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراًفي الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده ، وأحوال القلب وحقائقه ، واقوال اللسان وأعمال الجوارح"(٣) .

١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ١٩ ص ٢٧٤ .
٢ - بيان نلبيس الجهميه لشيخ الإسلام جـ١ ص٢٨٣ .
٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ١٠ ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

ج - وأما قوله : وكل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته (١) .

فيقال : " لا ريب انه يجب على كل أحدأن يؤمن بما جاء به الرسول ايماناً عاماً مجملاً ، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية ، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله ، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه ، وعلم الكتاب والحكمة ، وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن النكر ، والدعاءإلى سبيل الرب بالحكمةوالموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين ، فهذا واجب على الكفاية منهم ، وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم وما أمر به أعيانهم فلايجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم حقيقه ما يجب على القادر على ذلك ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل مالايجب على من لم يسمعها ، ويجب علي المفتي والمحدث والمجادل مالا يجب على من ليس كذلك" (٢) .

وهذا بخلاف " ما سمّى أصول الدين وليس هو أصولاً في الحقيقة لادلائل ولامسائل ، أو هو أصول لدين لم يشرعه الله ، بل شرعه من شرع من الدين مالم يأذن به الله " (٣).و " ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل فليس ذلك من أصول الدين وأن أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة مثل نفي الصفات ، والقدر ، ونحو ذلك من المسائل ، ومثل الاستدلال علي حدوث العالم بحدوث الاعراض التي

١ - الفرق بين الرفق للبغدادي ص ٢٨٣ .
٢ - درء تعارض العقل والغفل ج١ ص ٥١ ، ٥٢ .
٣ - نفس المصدر ج١ ص ٤٦ .

هي صفات الأجسام القائمة بها : أما الأكوان وأماغيرها . وتقرير المقدمات التي يحتاج إليها هذا الدليل . . فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها إلي الأقرار بالخالق ونبوة انبيائه .

ولهذا قد أعترف حذاق أهل الكلام - كالاشعري وغيره - بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولاسلف الأمة وائمتها ، وذكروا أنها محرمةعندهم ، بل المحققون على أنها طريقة باطلة" (١) .

٧ - التحسين والتقبيح :

لقد تابع البغدادي أصحابه الأشاعرة في القول والاعتقاد بالتحسين والتقبيح الشرعيين فقال : " وكذلك لو أباح الشرع ما حرمه وحرم ما أباحه كان جائزاً " (٢) .

" وقال أصحابنا جائز من الله تعالى أن يأمربكل ما ورد أمره به ولو نهى عما أمربه جاز وكذلك لو أمر بما نهى عنه جاز . فإذا سئلوا على هذا الأصل هل كان جائزاً أن ينهى عن الصلوات والزكاوات والصيام قالوا لو نهى عن ذلك لم يكن نهيه عنه بأعجب من نهي الحائض والنفساء عن الصلاة ونهي العباد عن الصيام في عيدي الفطر والنحر وفي الليل ولم يكن النهي عن الحج إلى الكعبة أعجب من النهي عن الحج إلى البيت الذي هو بمولتان ونحو ذلك . وإذا قيل لهم هل كان جائزاً أمره بما قد نهى عنه من الكبائر . قالوا قد كان شرب الخمر مباحاً في أول الإسلام ثم حرمه ثم يقول البغدادي : وقد بينا قبل هذا أن الوجوب والحظر والإباحة كل ذلك مستفاد بالشرع دون العقل وإن كان العقل دالاً على جواز ورود الشرع" (٣) .

١ - نفس المصدر جـ١ أنظر ص ٣٨ ، ٣٩ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٤٩ .
٣ - نفس المصدر ص ٢١٣ .

ويقول في نص آخر : " وكذلك لزوم طاعة الأبوين فيما أمرا به من أجل أن الله تعالى أمر بها لامن أجل أمرهما ولولا إيجاب الله ما وجب على أحد شيء ولا حرم على أحد شئ "(١) .

ويقول : إن التكليف عندنا انما يحسن ممن لو ابتدأ بالألم لحسن منه ، ومن قبح منه الإبتداء بالألم من غير استحقاق فليس له تكليف غيره شيئاً إلا أن يكون قد أمربتكليف غيره "(٢) .

ومن المعلوم أن الناس في مسألة التحسين والتقبيح على ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالطرف الأول " قول من يقول: بالحسن والقبح، ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل لازمة له ولا يجعل الشرع إلا كاشفاً عن تلك الصفات ، لا سبباً لشيء من الصفات، فهذا قول المعتزلة وهو ضعيف. وإذا ضم إلى ذلك قياس الرب على خلقه ، فقيل : ما حسن من المخلوق حسن من الخالق ، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق ، ترتب على ذلك أقوال القدرية الباطله ، وما ذكروه في التجويز والتعديل ، وهم مشبهة الأفعال ، يشبهون الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق في الأفعال ، وهذا قول باطل ، كما أن تمثيل الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق في الصفات باطل . .

ومذهب السلف اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ليس كمثله شيء.

وهذا رد على الممثلة . وقوله : "وهو السميع البصير " (١) رد على المعطلة وأفعال الله لا تمثل بأفعال المخلوقين فإن المخلوقين عبيده ، يظلمون ويأتون

---

١ - نفس المصدر ص ٢٠٧ .

٢ - نفس المصدر ص ٢٠٩ .

٣ - الشورى، ايه ١١

الفواحش ، وهو قادر على منعهم ولو لم يمنعهم ؛ (١) ولكان ذلك قبيحاً منه وكان مذموماً على ذلك . والرب تعالى لا يقبح ذلك منه ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة والنعمة السابغة ، هذا على قول السلف والفقهاء والجمهورالذي يثبتون الحكمة في خلق الله وأمره . .

وأما الطرف الآخر في مسألة التحسين والتقبيح . فهو قول من يقول : إن الأفعال لم تشتمل على صفات هي احكام . ولا على صفات هي علل للأحكام ، بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر ، لمحض الإرادة لا لحكمة ولا لرعاية مصلحه في الخلق والأمر ومن قال أنه لا يخلق شيئاً بحكمة ولا يأمر بشيء بحكمة ، فإنه لا يثبت إلا محض الإرادة التي ترجح أحد المتماثلين على الآخربلا مرجح ، كما هو أصل ابن كلاب ، ومن تابعه ، وهو أصل قولي القدريةوالجهمية .

ويقولون : أنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله ، وينهى عن عبادته وحده ، ويجورأن يأمر بالظلم والفواحش ، وينهى عن البر والتقوى ، والأحكام التي توصف بهاالأحكام مجرد نسبة واضافة فقط ، وليس المعروف في نفسه معروفاً عندهم ، ولا المنكرفي نفسه منكراً عندهم بل إذا قال " يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث " (٢) فحقيقة ذلك عندهم انه يأمرهم بما يأمرهم ، وينهاهم عما ينهاهم ، ويحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، بل الأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، ليس في نفس الأمر عندهم لامعروف ولامنكر ولا طيب ولا خبيث ، إلا أن

---

١ - أضيف حرف الواو للنص ليستوي معنى العبارة فلعلها سقطت من الطابع ﴿handwritten﴾ .
٢ - الأعراف ايه ١٥٧ .

يعبـرعن ذلك بمـا يلائم الطبـائع ، وذلك لا يقـتـضـي عندهم كـون الرب يحب المعروف ويبغض المنكر .

فـهذاالقـول ولوازمه هو ايضـاً قول ضـعيف مـخالف للكتـاب والسنة ، ولإجمـاع السلف والفقهاء ، مع مخالفته أيضاً للمعقول الصريح" (١) .

وهذا القـول الأخير هو نفس ما ذهب إليه البغـدادي واصحابه بل قالـوا : " وكان جائزاً من الله عز وجل أن لا يكلف عباده شيئاً . . ولو خلق الكفرة دون المؤمنين أو خلق المـؤمنين دون الكفرة جاز ، ولو خلق الجمادات دون الأحياء والأحياء دون الجـمادات جاز . وكانت كل هذه الوجوه منه صـواباً وعدلاً وحكمةً (٢) . بل يقول البغدادي :" المسألةالثانية عشرة في بقاء حكمة الله عز وجل لو لم يخلق الخلق أو لم يخلق غير الكفرة"(٣) .

فهل كان البغدادي يثبت حكمة الله تعالى ؟ وإذا كان يثبتها فلماذا هذا التخبط في مسـألة التـجويز هذه ؟ والتي تتعـارض مع نصـوص كـتـاب الله تـعالى في خلقه سبحانه للجن والإنس . بل تتعارض مع رسـالة محـمد ﷺ والذي نعتقد إعتقاداً جازمـاً أنه ما من خيـر إلا وقد دلنا عليـه وأمرنا به ومـا من شر إلا وقـد نهـانا عنه وحذرنا منه فكيف بقـولهـم :"جائزمن الله تعـالى أن يأمر بكل مـاورد أمره به ولو نهى عما أمر به جاز وكذلك لو أمر بما نهى عنه جاز"(٤) .

إن هذا التعـارض بل والتـخبـط عند الأشاعـرة إنمـا هو ناتج إعـراضـهـم عن منهج

---

١ - فتاوي شيخ الإسلام جـ٨ أنظر ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ .
٢ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ١٥٠ .
٤ - نفس المصدر ص ٢١٣ .

السلف وتأويلهم النصوص ومتابعتهم للمنهج الكلامي البحت ، بل أنهم شبهوا الخالق بالمخلوق ثم نفوا لوازم صفات الخالق لإعتقادهم أنها تشبه صفات المخلوق ومنها الحكمة فما هي الحكمة عند البغدادي التي أثبتها لله ثم نفى لوازمها الثابتة له سبحانه ؟ !

الحكمة عند البغدادي :

لقد اثبت البغدادي بقاء حكمة الله تعالى ثم فسرها بالعلم الأزلي لله سبحانه وتعالى أوالإتقان لإفعاله فقال : " فإن قلنا إن الحكمة بمعنى العلم وأن الحكيم هو العالم بالمستور الخفي على غيره فوصف الله عز وجل بأنه حكيم من الأوصاف الثابتة له في الأزل لأنه كان في الأزل عالماً بجميع المعلومات على التفصيل .

وإن قلنا أن الحكمة هي اتقان الفعل وإحكامه والحكيم هو المحكم لأفعاله على إتقانها . أو قلنا أن الحكمة هي المنع والحكيم هو الممتنع عن الفساد فوصف الله عزوجل بأنه حكيم إذاً من الأوصاف التي استحقها بفعله ولا يكون حينئذ من أوصافه الفعليةالأزلية لأنه لم يكن في الأزل فاعلاً فقد صح أن هذا الاسم يحتمل معنيين يكون على أحدهما من أوصافه الأزلية وعلى المعنى الآخرمن أوصافه المشتقة من أفعاله" (١) .

وعلى هذا فإن البغدادي ينفي تعليل أفعال الله وحكمته في أفعاله فيقول : "ولا يصح أن يكون القديم على الوصف الذي يحتاج معه إلي دفع الضرر عن نفسه فبطل أن تكون حكمته من أجل نفع غيره ، وانما كانت حكمته من جهةوقوع فعله موافقاً لقصده ولذلك قلنا يستحيل أن يقع منه فعل بخلاف قصده هذا في حكمة أفعاله . فاما حكمته لعلمه فهو صفة أزلية غير متعلقة بالفعل" (٢) .

---

١ - أسماء الله الحسنى للبغدادي قائمه ١١٦ مخطوط .

٢ - نفس المصدر قائمة ١١٨ مخطوط .

ومن هذا يتضح أن البغدادي قد أوّل صفة ثابتة لله سبحانه وهي صفة الحكيم ؛ ذلك أنه قد التزم كأصحابه الأشاعرة باثبات سبع صفات لله تعالى واسموها معاني لإن العقل يدركها وقد ورد بها السمع ثم أوّلوا ماعداها وماجاء بها السمع ودلت عليها النصوص من الكتاب والسنة فقال : " والخبير والشهيد والمحصي بمعنى العليم " (١)

والخبير هو الحكيم لقوله : " وان الحكيم هو العالم بالمستور الخفي علي غيره" (٢) ؛ وكذلك فإنه عد الحكمة اجتلاب النفع ودفع الضرعن الله تعالى وذلك في اثناءرده علي القدرية فقال . " وزعمت القدرية انه انما خلقهم ليشكروه مع علمه بكفر الكثيرمنهم وقالوا لو لم يكلفهم معرفته وشكره لم يكن حكيماً . وهذا يوجب عليهم أن يكون انما كلفهم لحفظ الحكمة على نفسه وفي هذا إجتلاب نفع ودفع ضرر إلى نفسه . تعالى عن ذلك علواً كبيراً" (٣) .

وأما قوله" إن الحكيم من أوصاف الله المشتقة من أفعاله التي استحقها بفعله ولا يكون حينئذ من أوصافه الفعلية الأزلية لإنه لم يكن في الأزل فاعلاً" (٤). فهذا مخالف لقول أهل الحق من وجهين :

أولاً : لم يرد قول قبل هذا بأن الحكمة هي المنع وان الحكيم هو الممتنع عن الفساد ، - وكذلك قوله ان الحكيم هو الحكيم لأفعاله على اتقانها . كما قال البغدادي وانما " قال أهل الحق وكل ما خلقه الله فله فيه حكمة كما قال : " صنع الله الذي اتقن كل شئ" (٥) وقال " الذي أحسن كل شئ خلقه " (٦) وهو سبحانه غني

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٢٤ .
٢ - الأسماءالله الحسنى للبغدادي قائمه ١١٦ مخطوط .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٨٢ ، ٨٣ .
٤ - أنظر الأسماء الحسنى للبغدادي قائمه ١١٦ ، وأنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٣٨ .
٥ - سورة النمل ايه ٨٨ .
٦ - سورة السجده ايه ٧

عن العالمين " فالحكمة " تضمن شيئين :

احدهما : حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها .

والثاني : إلى عباده هي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذون بها : وهذا في المأمورات وفي المخلوقات " (١) وبعض هذه الحكم تعود إلى العباد وبعضها يعود إلى الله تعالى فما يعود إلى العباد هو ما فيه خيرهم وصلاحهم في العاجل والآجل ، وما يعود إلى الله تعالى هو محبته أن يعبد ويطاع ويثاب إليه ويرجى ويخاف منه ويتوكل عليه ويجاهد في سبيله قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٢) وقال : ﴿ ايحسب الانسان ان يترك سدى﴾ (٣) وقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٤) .

وقال ﴿ أفحسبتم انما خلقنكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ (٥) .

والنصوص الداله على أن لله حكماً في خلقه وأمره كثيرة وافره يصعب حصرها والعقول البشرية تستطيع ان تدرك شيئاً من هذه الحكم ، وذهب جمهور أهل العلم أيضاً إلى أن العقل يستطيع أن يدرك ما في الأفعال من حسن وقبح ، فالعقول تدرك أن الظلم والكذب والسرقة وقتل النفوس قبيح ، وان العدل والصدق وإصلاح ذات البين وانقاذ الغرقى حسن وجميل " (٦) .

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٨ ص ٣٥ ، ٣٦.
٢ - الذاريات ايه ٥٦ ،
٣ - القيامه ايه ٣٦ .
٤ - الأنبياء ايه ١٠٧ .
٥ - المومنون آيه ١١٥ .
٦ - القضاء والقدر لعمر الأشقر دار النفائس الطبعه الثالثه سنة ١٤١١هـ ص ٥٠ ، ٥١ .

الوجه الثاني : قوله : إن الله لم يكن في الأزل فاعلاً." وهو قول كثير من أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الكرامية والأشعرية والشيعة .

والرب سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء ويتكلم إذا شاء قال تعالى : ﴿ قال كذلك الله يفعل مايشاء ﴾ (١) فإنه سبحانه لم يزل حياً ، والفعل من لوازم الحياة ، فلم يزل فاعلاً لما يريد . كما وصف بذلك نفسه ، حيث يقول : ﴿ ذو العرش المجيد * فعال لما يريد ﴾ (٢) والآية تدل على أمور :

أحدها : انه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته .

الثاني: أنه لم يزل كذلك ، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه ، وان ذلك من كماله سبحانه ولا يجوز ان يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات ، وقد قال تعالي : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾(٣). ولما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله ، لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن . . والقول بأن الحوادث لها أول ؛ يلزم منه التعطيل قبل ذلك ، وان الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ، ثم صار فاعلاً (٤) .

إن دليل الحدوث الذي التزم به البغدادي وأصحابه في اثبات وجود الله قد ألزمه باطلاً في حق المولى سبحانه وتعالى وهو تعطيله عن الأفعال وصفات الكمال اللائقة بجلاله سبحانه وتعالى . وهذا القول للبغدادي وأصحابه ناتج عن نفي الحكمة لله لانها تؤدي إلى حاجته عندهم وقد بين شيخ الإسلام هذا الأمر فقال : " ولأهل

---

١ - آل عمران ايه ٤٠ .

٢ - البروج ايه ١٥ ، ١٦ .

٣ - النحل آيه ١٧ .

٤ - شرح العقيدة الطحاوية مكتبة دار البيان دمشق تحقيق الأرناووط الطبعة الأولي سنة ١٤٠١ هـ أنظر٧٩/ ٨٠ .

الكلام هنا ثلاثة أقوال لثلاث طوائف مشهورة . . القول الأول : قول " من نفى الحكمة " . وقالوا هذا يفضي إلى الحاجة ؛ فقالوا يفعل ما يشاء لا لحكمة ، فأثبتوا له القدرة والمشيئة ، وانه يفعل ما يشاء . وهذا تعظيم ، ونفوا الحكمة لظنهم انها تستلزم الحاجة . وهذا قول الأشعري واصحابه . . وهذا القول في الأصل قول جهم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة(١) .

ثم وضح شيخ الاسلام وبين ان " الحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

(احدها) : ان يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ؛ لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخره إذا لم يرد الشرع بذلك وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ؛ فإنهم قالوا : ان العباد يعاقبون على افعالهم القبيحة ، ولو لم يبعث إليهم رسولاً ، وهذا خلاف النص قال تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾(٢) .

النوع الثاني : ان الشارع إذا أمر بشئ صار حسناً ، وإذا نهى عن شئ صار قبيحاً ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

والنوع الثالث : ان يأمر الشارع بشئ ليمتحن العبد ، هل يطيعه أم يعصيه ! ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر ابراهيم بذبح ابنه . .

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام ج٨ أنظر ص ٣٧ - ٣٨ .
٢ - الاسراء آيه ١٥ .

فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به وهذا النوع الذي قبله لم يفهمه المعتزلة وزعمت ان الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك ، بدون أمر الشارع ، والأشعرية أدّعوا : أن جميع الشريعة من قسم الامتحان ، وان الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع ؛ وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة ، وهو الصواب "(١) .

وبهذا يتبين مخالفة البغدادي وأصحابه الأشاعرة لما ذهب إليه السلف في التحسين والتقبيح والحكمة والتعليل وبيان مخالفةأولئك للدليل ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

" وهذا الذي عليه جمهور أهل السنة من أن أفعال الله معلله وان العقل بإمكانه أن يدرك ما في الأفعال من حسن وقبح ، يفتح الباب أمام العقول الانسانية لتبحث في الحكمة الإلهية التي خلق الله من أجلها المخلوقات ، وشرع من أجلها ما شرعه من أحكام ، وهو باب كبير ، يحصل العباد منه على علم عظيم ، يثبت الإيمان ، ويزيد اليقين ، ويعرف العباد بإبداع الخالق العظيم" (٢) .

٨ - غرائب البغدادي :

إن من حكم الله تعالى في خلقه وأوامره ، والتي ندرك بعضها واختص بعض عباده بمعرفة ما أراد الله لهم معرفته . وغاب عنهم ما أراد سبحانه ؛ أن أظهر أمر هذا الدين العظيم وأتمه وجعل من نبيه المصطفى ﷺ خاتم الأنبياء لأتم الأديان والذي آرتضاه الواحد الديان فقال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (٣) .

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ٨ أنظر ص ٤٣٤ - ٤٣٦ .
٢ - القضاء والقدر عمر الأشقر دار النفائس ط الثالثه سنة ١٤١١ هـ ص ٥٢ .
٣ - آيه ٣ سورة المائده .

أفليس من العجيب الغريب بعد هذا كله أن يأتي من يأتي في القرن الثالث الهجري وما بعده من يوجب على الله بعقله فيقف الآخر على النقيض من ذلك فيجوّز على الله ما شاء بغير دليل نافياً الحكمة والتعليل . وكأن القوم ما قرأوا تلك الأية العظيمةوقول رسول الهدى ﷺ " تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعه وإن كل بدعة ضلاله"(١) .

نعم انها البدعة في الدين والإعراض عن منهج سلفنا الصالحين فقالوا بمالم يقله سيد الأولين والآخرين حتى أُجازوا وأوجبوا على رب العالمين بغير هدى ولا كتاب مبين فكان لزاماً بيان الغث من السمين عند البغدادي وأصحابه الأشعريين في مبدأ التجويزوالقول بلا علم ولا دليل .

أ - مبدأ التجويز .

لقد تعجب البغدادي نفسه مما قاله هو وأصحابه فقال : " قال أصحابنا جائز من الله تعالى أن يأمر بكل ما ورد أمره به ولونهي عما أمربه جاز وكذلك لو أمر بما نهى عنه جاز . ثم قال فإذا سئلوا على هذا الأصل هل كان جائزاً أن ينهى عن الصلوات الخمس والزكوات والصيام قالوا لو نهى عن ذلك لم يكن نهيه عنه

١ - من حديث العرباض بن ساريه أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٤ ص ١٢٦ المكتب الإسلامي واللفظ له .
وأخرجه الترمذي في جامعه الصحيح باب ما جاء في الأخذ بالسنه وإجتناب البدع جـ ٥ ص ٤٤ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .
؛ أبو داوود في سننه تعليق الدعاس وعادل السيد دار الحديث بيروت سنة ١٣٩٤ ط الأولى باب لزوم السنه جـ ٥ ص ١٣ .
؛ ابن ماجه في سننه حاشيه السندي دار الجيل بيروت باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين حديث ٤٢ .
؛ سنن الدارمي دار الكتب العلميه بيروت دار إحياء السنّة النبويّة طبع عناية محمد دهمان باب اتباع السنه جـ ١ ص ٤٤

أعجب من نهي الحائض والنفساء عن الصلاة ونهي العبادعن الصيام في عيدي الفطر والنحر وفي الليل ولم يكن النهي عن الحج إلى الكعبة أعجب من النهي عن الحج إلى البيت الذي هو بحولتان ونحو ذلك . وإذا قيل لهم هل كان جائزاً أمره بما قد نهى عنه من الكبائر .

قالوا قد كان شرب الخمر مباحاً في أول الأسلام ثم حرمه . . . (١) . !

ب - **تعظيمه الرقم ٥ خمسة فقال :** " ولأجلها لم يكره تقسيم قواعد الدين على خمسة عشر أصلاً وتقسيم كل أصل من الخمس عشرة مسألة . ."(٢) .

ثم أوجب على كل مسلم بالغ عاقل معرفة تلك الأصول عنده فقال :"كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقة . . فهذه أصول اتفق عليها اهل السنة وعلى قواعدها ، وضللوامن خالفهم فيها . . (٣) .

أما أهل السنة فيشهد الله سبحانه أنهم لم يقروا تلك الأصول خلاف أن يتفقوا عليها ، وأما تضليلهم لمن خالفهم فهذا مبدأ ثابت عند القوم . فقال البغدادي : " وكل قول لا يصح معه الإستدلال على حدوث الأجسام وعلى حدوث الجواهرفهو فاسد " (٤) .

فهل تكلم الفقهاء الأربعة في القرن الثاني والثالث في الجوهر والعرض والأجسام أو أستدلوا بها على الله سبحانه كما فعل البغدادي وأصحابه ، وهل أقوالهم أي الفقهاء الأربعة من الأقوال الفاسدة لانهم لم يستدلوا بأدلةالمتكلمين ؟!

وسنصرف القول عن القرن الأول فهم أعز فإن السيف ينقص قدره إذا شبه بالعصا . .

---

١ - أصول الدين ص ٢١٣

٢ - أصول الدين ص ٣ .

٣ - الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

٤ - أصول الدين ص ٣ .

ج - **قوله** : " وأما الجبار الذي يضع قدمه في النار فهو الذي قال الله تعالى فيه جبار عنيد من ورائه جهنم " (١) .

فإن البغدادي لم يكتف بتأويل النصوص من الكتاب والسنة التي تتعارض مع دليل الحدوث عندهم ، بل أنه عمد إلى مخالفة أصحاب الحديث والمفسرين لهذه الآية فلم يقل أحد منهم بمثل قوله ذلك (٢) .

وهذا يدل على قلة بضاعة البغدادي في الحديث وفهمه له ومما يدل على ذلك رفعه لبعض الآثار عن الرسول ﷺ كقوله : " وقال النبي ﷺ : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل" (٣) .

وهذا أثر مروي عن الحسن البصري كما ذكر ذلك ابن تيميه في فتاويه فقال : "وقال الحسن البصري : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال " وهذا مشهور عن الحسن يروى عنه من غير وجه" (٤) .

وهذا ما أثبته محقق كتاب أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حيث قال : " والمعروف أن هذا الأثر موقوف على الحسن وقد وراه الخطيب عنه . . في كتاب إقتضاء العلم العمل رقم ٥٦ " (٥) .

د - **قوله** : "والصحيح عندنا أن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقربحدوث العالم وتوحيد صانعه ، وقدمه ، وانه عادل حكيم ، مع نفي التشبيه والتعطيل عنه" (٦)

---

١ - أصول الدين ص ٧٦ .

٢ - أنظر مبحث مخالفة البغدادي لأصحاب الحديث .ص ٢٢ .

٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

٤ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٧ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

٥ - شرح أصول أعتقاد أهل السنه والجماعه من الكتاب والسنه لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي . تحقيق د . أحمد سعد حمدان دار طيبه للنشر الرياض الطبعة الثانيه سنة ١٤١١ هـ جـ٤ ص ٨٤ .

٦ - الفرق بين الفرق ٢٣١ .

أن هذا القول مخالف للأخبار المتواترة والواردة عنه ﷺ وكيف كان يبلغ رسالته ويرسل الوفود ويستقبل الأخرى ويبايعهم على الشهادتين ويقبل منهم إسلامهم ثم يعلمهم الإسلام " ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله . لا النظر ولا القصد إلى النظر ، ولا الشك ، كما هي أقوال لارباب الكلام المذموم ، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان ، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه " (١) " وأصل الإسلام : أشهدأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فمن طلب بعبادته الرياء والسمعة فلم يحقق شهادة أن لا إله إلااله ، ومن خرج عما أمر به الرسول من الشريعة وتعبدبالبدعة فلم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ وانما يحقق هذين الأصلين من لم يعبد إلا الله ولم يخرج عن شريعة رسول الله ﷺ التي بلغها عن الله" (٢) .

بل إن محمداً ﷺ قد اكتفى بالشهادتين والنطق بهما لوقف القتال فقال : "أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ."(٣) .

مع أن تلك المصطلحات مخالفةلما جاءبه الرسول ﷺ ولم يقل بها قطعاً ؛ فإنه قد وردت عليها إعتراضات جمه بل أن قائليها قد عادوا عنها في أخر مطاف حياتهم ، بل أن تلك المسائل والأصول إذا بحث كل منها لم تغنِ من الحق شيئاً فحدوث العالم يتضمن التسليم بالجوهر والعرض ، والجزء الذي لا يتجزأ ، وتجانس الأجسام ، وان الخالق بقى سبحانه معطلاً ، وهذا يتعارض مع النصوص كيف وقد أمرنا بالتفكر في مخلوقات الله بعيداً عن البحث في ذاته سبحانه

١ - شرح العقيده الطحاويه دار البيان دمشق سنة ١٤٠١هـ ص ١٥ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ١١ ص ٦١٧ . ٦١٨ .
٣ - في الصحيحين وغيرها : صحيح البخاري جـ١ ص٧٥ ؛ وصحيح مسلم كتاب الايمان جـ ١ ص٢٠٦

أما توحيدصانعه : فإن التوحيد عندهم هو الإقرار بإن الله هو الخالق المخترع وأن العالم مخلوق لله وحده بل يمتنع وجود خالقين وهو المشهور بدليل التمانع وهل أنكر المشركون أن الله هو الخالق؟ !بل أنهم عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى . .

أما توحيد الألوهية التي أمرت بتبليغه الرسل وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فلا ذكر له عندالبغدادي وأصحابه .

هـ - الوقـوع في الدور عند البـغـدادي فـهـو وأصـحـابه لا يعـرفـون الله إلا بالنظر والإستدلال وبدليل الحدوث بمقدماته ، ثم يقولون ان وجوب هذا الإستدلال قد جاءبه الشرع فهو يقول : " وطريق المعرفة بالله تعالى في دار التكليف النظر والاستدلال عليه بدلائل العقول . ووجودبهـذا الإستدلال بالشرع " (١) وحرى عند العقلاء أن من أطلع على الشرع وأمتثل لواجباته فإنه يكون مؤمناً ولا حاجة به إلى سلوك تلك المقدمات الواهية ليتعرف على المشرع وإذا لم يكن هذا ! فإنه يقع في الدور فلا يعرف الله إلا بالنظر وقد أمر الشرع بالنظر ثم يتعرف على المشرع والمشرع يأمر بالشرع والشرع يأمر بالنظر ، وهلمجرا .

و - العقول عند البغدادي وأصحابه تحيط بمصادر التشريع وتعجز عن فهم الحكمة من التشريع ، فالعقل مصدر للتلقي عندهم " فأما الأحكام الشرعية في الوجوب والحظر والإباحة فطريق معرفته ورود الخبر والأمر من الله تعالى فيه بالخطاب أو على لسان رسول دلت المعجزة على صدقة(٢) .

---

١ - ٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٣ ، ٢٠٣ .

ثم يقول : " واعلموا أن العقول تدل على صحة الصحيح واستحالة المحال وعلى حدوث العالم وتناهيه وجواز الفناء عليه جملة وتفصيلا وعلى إثبات صانعه وتوحيده وصفاته وعلى جواز بعثة الرسل من غير وجوب لذلك وعلى جواز تكليف العباد "(١) .

وعجيب أمر هذه العقول التي أحاطت ودلت على مصادر التشريع ثم عجزت عن فهم احكام هذا التشريع أو بعضها فوقعت في التعارض بل ووصف الله سبحانه بما لم يصف به نفسه تعالى عن ذلك علواً كبيراً كيف وقد قال البغدادي :"جواز تخلية العباد عن التكاليف "(٢) "و جواز الزيادة والنقصان في الشرع "(٣)."وجواز بعثه الرسل وتكليف العباد "(٤) ".و جواز الآقتصار على خلق الجمادات" (٥) .

" والعبادة هي الحكمة التي خلق الله الخلق لإجلها ؛ كما قال تعالى: " وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون"(٦) فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ؛ ازداد كماله ،وعلت درجته ، ولهذا ذكر الله نبيه بلقب العبد في أسمى أحواله وأشرف مقاماته ؛ كالإسراءبه ، وقيامه بالدعوة إليه ، والإيحاء إليه ، والتحدي بالذي انزل عليه ونبّه بوصف العبودية أيضاً إلى الرد على أهل الغلو الذين قد يتجاوزون بالرسول قدره ، ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية ؛ كما يفعل ضلال الصوفية قبحهم الله " (٧) أما الدين فقد أتمه الله وأكمله واما الرسول ﷺ فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانه ونصح الأمة .

---

١ إلى ٥ – أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٢ ، ١٤٩ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٢ .

٦ – الذاريات ايه ٥٦ .

٧ – شرح العقيده الواسطيه للهراس ضبطه وخرجه علوي السقاف دار الهجره للنشر الرياض الطبعه الأولى سنة ١٤١١هـ ص ٥٤ / ٥٨ .

و - العقل مصدر التلقي عند البغدادي في أصول الدين

والكتاب والسنه مصدر للفقه والأحكام .

وإذا كان العقل محيطاً بمعرفة الله ، وحدوث العالم وتناهيه وجواز الفناء عليه واثبات صانعه وتوحيده وصفاته وعلى جواز بعثه الرسل وعلى جواز التكليف وصحة نبوة رسله ؛ فقد أخبر البغدادي أن هذه الأمور العقلية عنده مدركة بالعقل قبل ورود الشرع فقال : " واعلموا أن الأمور العقلية يدل عليها العقل قبل ورود الشرع والأحكام الشرعية لادليل عليها غير الشرع (١) ثم يقول : " واما المعلوم بالشرع فالعلم بالحلال والحرام والواجب والمسنون والمكروه وسائر أحكام الفقه " (٢) فإذا صح أن الأحكام الشرعية مدركة من الشرع دون العقل فأدلة الأحكام الشرعيّة من الشرع أربعة أنواع : القرآن والسنة والإجماع والقياس" (٣) .

وعلى هذه فقد فرّق البغدادي بين أصول الدين والأحكام الشرعية و سمّى تلك بالعقليات وهذه بالشرعيات فقال :" المسألة الخامسة عشر ة من هذا الأصل في وجوه الفرق بين العقليات والشرعيات . أن ما جاز فيه النسخ والتبديل في حياة النبي ﷺ فهو من جملة الأحكام الشرعية وما لم يجز فيه النسخ والتبديل فهو من الأحكام العقلية" (٤) .

وقد وضح الشهرستاني مقصد المتكليمن فقال " قال بعض المتكلمين :

١ - أصول الدين ص ٢٠٥ .
٢ - نفس المصدر ص ١٤ .
٣ - نفس المصدر ص ٢٠٤ .
٤ - نفس المصدر ص ٢٠٦ .

الأصول : معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم . وبالجملة : كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي في الأصول . ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة ، والمعرفة أصل والطاعة فرع ، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً ، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً . فالأصول هي موضوع علم الكلم والفروع هو موضوع علم الفقه .. وأما السمع والعقل ، فقد قال أهل السنة : الواجبات كلها بالسمع ، والمعارف كلها بالعقل (١) » .

وبهذا يتبين أن البغدادي واصحابه قد أستغنوا عن الاستدلال بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأقوال السلف الصالحين في فهم أصول هذا الدين والاحتجاج بها عليه ، واكتفوا بعقولهم وآرائهم وافكار علمائهم ومنظّريهم ثم حصروا مهمه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والإجماع والقياس في أبواب الفقه والأحكام من حلال وحرام وواجب ومسنون ومكروه .

أهذه مهمة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فقط ! وهل جاء الرسول ﷺ لبيان هذه الفروع ونسي من الأصول التي علمها أولئك وجهلها غيرهم ! .

ان هذا القول لمن أعظم المفارقات بين مذهب أهل السنة والجماعة وبين مذهب البغدادي وأصحابه الأشعريين " فدين المسلم مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة : فهذه الثلاثة هي أصول معصومة ، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول ، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها ، غير النبي ﷺ ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه

---

١ - الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد الكيلاني توزيع دارالباز مكة المكرمة دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٤ هـ جـ ١ ص ٤١ .

ويعادي ، غير كلام الله ورسوله وما أجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة ، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون . ويجب أن يعلم أن الأمور المعلومة من دين المسلمين لابد أن الجواب عما يعارضها جواباً قاطعاً لا شبهة فيه بخلاف ما يسلكه من يسلكه من أهل الكلام"(١) .

و "أهل السنة والجماعة أول ما يميزهم عن غيرهم هو منهاج التلقي لعلومهم ومصدر الحق الذي ينهلون منه عقائدهم وتصوراتهم وعبادتهم ومعاملاتهم وسلوكهم وأخلاقهم فمصدر العلم والحق في سائر فروع المعرفة الشرعية عند أهل السنة هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فلا كلام لأحد قبل كلام الله ، ولا هدي لأحد مثل هدي محمد ﷺ "(٢). "ولا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله ﷺ بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه"(٣) .

و " ما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر أو الوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن النكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله ، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والإختلاف . وماكان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه ، وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه ، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس فإن اتباع الظن جهل ، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم"(٤) .

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ٢٠ أنظر ص ١٦٤ .
٢ - أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى جمع وإعداد محمد عبد الوهاب المصري دار طيبة الرياض الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٩ هـ ص ٦٥ .
٣ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ٣ ص ٣٤٧ .
٤ - نفس المصدر جـ ٣ ص ٣٤٧ .

ز – أركان الصلاة خمسة فرضها الشافعي ؟! .

قال البغدادي : " ومنها خمسة أركان فرضها الشافعي رضي الله عنه في الصلاة وهي التكبيرة الأولى وقراءة الفاتحة والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد والتسلمية الأولى" (١) .

فهل فرض الشافعي رحمه الله فروضاً من عنده ؟ ثم هل أركان الصلاة خمسة فقط ؟ .

بل لقد ذكر بعض العلماء : أن أركانها أربعة عشر بالدليل من الكتاب والسنة " وأركان الصلاة أربعة عشر : القيام مع القدرة ، وتكبيرة الإحرام . وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والرفع منه والسجود على الأعضاء السبعة ، والاعتدال منه والجلسة بين السجدتين ، والطمأنينة في جميع الأركان ، والترتيب ، والتشهد الأخير ، والجلوس له والصلاة على النبي ﷺ والتسليمتان" (٢) ، ثم أورد الشيخ السلمان رحمه الله ، أدلة كل ركن منها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهي من المباحث الجلية في كتب الحديث وكتب الفقه ، بل أجمعت عليها الأمة وتواترت عن المصطفي ﷺ في أبواب صفة الصلاة في كتب الحديث (٣) .

ح – تكفيره للكرّاميه لإسقاطهم نية الصلاة واكتفائهم بنية قبول الإسلام .

لقد كفّر البغدادي الكرّامية فقال : " ولهذا كفرنا الكرامية في قولها إن نية الصلاة المفروضة غير واجبه ونية قبول الإسلام في الابتداء كافية" (٤) .

---

١ – أصول الدين للبغدادي ص ١٨٦ .

٢ – الاسئله والأجوبه الفقهية المقرونة بالأدله الشرعية تأليف / عبد العزيز السلمان طبع على نفقة من يبتغي وجه الله الطبعة العاشرة سنة ١٤١٢هـ جـ١ ص ١١٢ .

٣ – أنظر سبل الإسلام شرح بلوغ المرام مطبوعات جامعة الإمام الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥ جـ١ ص ٣١٠ .

٤ – أصول الدين للبغدادي ص ١٩٠ ، ٢٦٦ .

وليس هذا مقام الدفاع عن الكرامية فلايدافع عن صاحب بدعة ، ولا شك أن النية شرط من شروط الصلاة . غير أنه يستحيل أن يقوم الإنسان للصلاة إلا وهو عازم على أدائها لله سبحانه وتعالى فيصبح القيام لها والذهاب للمسجد نية وأن لم يذكرها . أما التلفظ بها فإنه بدعة في الدين ، فإن قصد البغدادي ذلك فليس معه الدليل . بل كيف يكّفر الكرّامية على هذا ، وقد عد هو نفسه السجود للصنم علامة كفر وان لم يكن في نفسه كفراً !! (١). وأين هذه البلوى والمصيبة العظمى من تلك المسألة الخلافية الفقهية ، بل إنها محسومة إذا قبل القول بأن القيام للصلاة في وقتها والذهاب لمساجد الله لآدائها متضمن للنية . فماذا على الكرامية بعد هذا ؟ ، ثم هل ذكر البغدادي النية من أركان أو شروط الصلاة ؟ لقد ذكر البغدادي أركاناً وشروطاً للصلاة . ولم يذكر منها النية (٢).

ط - لا يستحق الشفاعة من لم يقل بأصول التوحيد والنبوات عند البغدادي وأصحابه .

لقد ضمّن البغدادي شروط قبول الشفاعة اعتقاد تلك الأصول فقال : "وان حلف أن يعمل عملاً يصير به من أهل الشفاعة أمرناه بأن يعتقد أصولنا في التوحيد والنبوات . . ، فإنه إذا اعتقد ذلك بر في يمينه وكان ممن يجوز الشفاعة إن كان له ذنب وجاز أن يكون هو شفيعاً لغيره "(٣) وقد علم أن تلك الأصول لا تلزم المسلمين عامة .

ي - قوله : إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أئمة أصول الدين وعلماء الكلام . . إن أهل السنة والجماعة عند البغدادي هم الذين ائمتهم وعلماؤهم هم

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٩٠ ، ٢٦٦ .
٢ - أصول أصول الدين ص ١٨٦ ، ١٩٠ .
٣ - نفس المصدر ص ٢٤٥ .

علماء الكلام وأئمة أصول الدين ، فأول متكلميهم من الصحابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج . . وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز . . ومن بعد هذا جعفر بن محمد الصادق . . وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب ، أبو حنيفة ، والشافعي . . "(١) .

وإذا كان علي رضي الله عنه من أئمة وعلماء الكلا م فهل قال بأصولهم أو اعتقدها ؟!

وقد عُلم أن الكلام المقصود هو ما سمّي " مجموعه علم الكلام أما لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليس براجعة إلى عمل وإما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفسي . . وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري أمام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفي التشبيه وإثبات الصفات المعنوية . . وأقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره واخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول "(٢) .

وعلى هذا فإن إمام المتكلمين هو أبو الحسن الأشعري وليس علي بن أبي طالب، وعلم الكلام ابتدأ في نهاية القرن الثالث الهجري وليس في عصر الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان ، بل أنه مخالف لما أعتقدوه وعملوا به ،

---

١ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٦٣ .
٢ - مقدمةأبن خلدون دار أحياء التراث الإسلامي بيروت سنة ١٤٠٨هـ أنظر ص ٤٦٥ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

«ومن المحال أن يكون ﷺ قد علمهم آداب الغائط ، قبله وبعده ومعه ، وآداب الوطء والطعام والشراب ، ويترك أن يعلمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف ، والوصول إليه أتم المطالب ؛ وعبادته وحده لا شريك له أقرب الوسائل ، ويخبرهم بما ظاهره ضلال والحاد ، ويحيلهم في فهم ما أخبر به عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله على مستكرهات التأويل وما تحكم به عقولهم»(١) .

بل إن الإعراض عن حقائق علوم الكتاب والسنة في آخر الزمان هو الذي أحوجهم إلى علم الكلام " وأعلم أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام ، وهذا النوع من النظر عجزاً عنه ولا انقطاعاً دونه ، وقد كانوا ذوي عقول وافرة ، وافهام ثاقبة ، وكان في زمانهم هذه الشبه والآراء ، وهذه النحل والأهواء ، وانما تركوا هذه الطريقة ، واضربوا عنها لماتخوفوه من فتنتها ، وحذروه من سوء معينها ، وقد كانوا على بينه من أمرهم ، وعلى بصيرة من دينهم لماهداهم الله به من توفيقه ، وشرح به صدروهم من نور معرفته ، ورأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب والحكمة وتوقيف السنة وبيانها غنى ومندوحه عما سواهما . وأن الحجة قد وقعت بهما ، والعلة أزيحت بمكانهما ، فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة ، وقلت عنايتهم بها ، واعترضهم الملحدون بشبههم ، والمتحذلقون بجدلهم ، حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ، ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل لم يقووا ، ولم يظهروا في الحجاج عليهم ، فكان ذلك ضلة من الرأي وغباء فيه وخدعة من الشيطان " (٢)

١ - مختصر الصواعق المرسلة لأبن القيم أختصره محمد الموصلي دار الندوة الجديدة بيروت سنة ١٤٠٥هـ ص ٧ .

٢ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني تحقيق محمد المدخلي دار الراية سنة ١٤١١هـ ط الأولى جـ ١ ص ٣٧٣ .

ومما تقدم يتبين إن علم الكلام لم يوجد في عصر السلف ولا القرون المفضلة ، فكيف ينسب إلى علي رضي الله عنه والأئمة من بعده؟ ! .

ك - قوله : " وإن كان التحكيم بعد أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص تضييعاً للحزم"(١). وقوله : " إن علياً أصاب في التحكيم ، غير أن الحكمين أخطأ في خلع علي من غير سبب أوجب خلعه ، وخدع أحد الحكمين الآخر"(٢). وذكر أن هذا معتقد أهل السنة والجماعة ، ولقد أساء البغدادي الظن بمن كانوا أصحاب رسول الله ﷺ وأورد أقوالاً لم تثبت بل ليست اعتقاداً لأهل السنة والجماعة في أولئك النفر من صحابة رسول الله ﷺ كما ذكر." وقد تحكّم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله وإذا لحظتموه بعين المروءة دون الديانة . رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين وفي الأقل جهل متين . هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط ، وانما هو شئ أخبر عنه المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع ، وانما الذي روى الأئمة الثقات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر - في عصبة كريمة منهم ابن عمرو ونحوه - عزل عمرو معاوية"(٣) .

وبهذا يتبين أن الحكمين قد عزلا علياً ومعاوية معاً واعادا الأمر إلى صحابة رسول الله ﷺ . فلم يخدع أحد منهما الآخر ، وكيف يكون هذا خلقاً لمن رضي الله عنهم "فالتحكيم لم يقع منه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة ، وكان يكون محلاً للمكر والغفلة لو أن عمراً أعلن في نتيجة التحكيم أنه

---

١ - الفرق بين الفرق ص ١٤٠ .
٢ - الفرق بين الفرق ص ٣٥١ .
٣ - العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي حققه محب الدين الخطيب المكتبة السلفية القاهرة الطبعة السادسة سنة ١٣٧٤هـ ص ١٧٥ .

ولّى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين . وهذا مالم يعلنه عمرو ، ولا أدعاه معاوية ، ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرناً الماضية . وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي ، وقد تمت مبايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سمى معاوية أمير المؤمنين . فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ، لأنه لم يعط معاوية شيئاً جديداً ، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى . ولم يخرج عما أتفقا عليه معاً" (١). أفبعد هذا البيان يصح اللمز والغمز من البغدادي رحمه الله وغفر له في قوله ان التحكيم تضييعاً للحزم وان أحد الحكمين قد خدع الآخر ؟! . ثم قوله أن هذا معتقد أهل السنة والجماعة ، بينما الصحيح أنهم يعتقدون غير ذلك " ويمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون أن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون : أما مجتهدون مصيبون ، واما مجتهدون مخطئون " (٢) .

ل - قوله : " واجمعوا على وقوف الأرض وسكونها ، وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها "(٣) .

وقوله " المسألة الثانية عشر من الأصل الثاني في بيان وقوف الأرض ونهايتها"(٤) . لقد عدّ البغدادي اعتقاد وقوف الأرض أصلاً من أصول الدين ثم ذهب في الرد على أصحاب الأقوال الأخرى وعاب عليهم أقوالهم و " قد ثبت بأدلة علمية أن الأرض تدور ، وليس في القرآن ولا في السنة الصحيحة نص

١ - العواصم من القواصم حاشيه محب الدين الخطيب ص ١٧٥ .
٢ - العقيده الواسطيه للهراس دار الهجره ط١ الأولى سنة ١٤١١هـ السقاف ص ٢٤٩ .
٣ - الفرق بين الفرق ص ٣٣٠ .
٤ - أصول الدين للبغدادي ص ٦٠ .

صريح قاطع لا يقبل التأويل يدل على أنها ليست تدور . . وانما هي أقوال لبعض أهل النظر يبطلها نظر مثل النظر الذي يثبتها ، وليس في اثباتها ما يخالف عقيدة الاسلام لا في جملتها ولا في تفاصيلها ، لهذا كان القول الحق في هذه المسألة هو ما تقوم على تأييده أدلة العلم الصحيحة"(١) .

---

١ - الفرق بين الفرق، حاشية المحقق محمد محب الدين عبد الحميد دار المعرفه، بيروت ص ٣٣٠ .

تاسعاً : **التكفير .**

لقد كان من آثار عصر البغدادي عليه أن عقد أصلاً في أصول الدين في بيان أحكام الكفر وأهل الأهواء والبدع (١) ثم الف كتاب الفرق بين الفرق وبين سبب تأليفه هذا الكتاب فقال : " سألتم - أسعدكم الله بمطلوبكم - شرح معنى الخبر المأثور عن النبي ﷺ ، في أفتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة منها واحدة ناجية ، تعبر إلى جنة عالية ، وبواقيها عادية تصير إلى الهاوية والنار الحامية ، وطلبتم الفرق بين الفرقة الناجيةالتي لا يزل بها القدم ولا تزول عنها النعم ، وبين فرق الضلال الذين يرون ظلام الظلم نوراً ، واعتقاد الحق ثبوراً ، وسيصلون سعيراً ، ولا يجدون من دون الله نصيراً" (٢) .

ثم أورد حديث افتراق الأمة بسنده هو من ثلاث طرق : قال عبد القاهر : «للحديث الوارد على أفتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة" (٣) .

وهنا يبين البغدادي الضابط في تحديد وبيان المعنى الجامع للأمة فقال : " والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه وقدمه ، وصفاته ، وعدله ، وحكمته ، ونفي التشبيه عنه . ونبوة محمد ﷺ ورسالته إلى الكافة ، وبتأييد شريعته ، وان كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها ، فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه بدعة تؤدى إلى الكفر فهو السني الموحد وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه ، بدعة شنعاء نظر " (٤).

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٣١٨ .
٢ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣ .
٣ - نفس المصدر ص ٨ .
٤ - نفس المصدر ص ١٣ .

ولا شك أن أولئك المقرين بما تقدم هم الفرقة النّاجية عند البغدادي وأصحابه الأشاعرة الذين يعتقدون أصول الدين عند البغدادي ويقدمون الاصول العقلية على الشرعية ، فإن اعتقادهم هو أن تلك الأصول التي سبقت القرآن في النص السابق جميعها تعلم بالعقل (١) وكذلك فإن تلك الأصول مخالفة لاعتقاد السلف الصالح ولما جاء به محمد ﷺ فهل أمر الناس بمعرفة حدوث العالم والجوهر والعرض ، ثم هل صفاته سبحانه سبعاً تعلم بالعقل؟ وهل التوحيد عندهم إلا توحيد الربوبية ، فأين توحيد الألوهية والأسماء والصفات؟ وهل من حكمته سبحانه أن يخلق عباده ثم لا يكلفهم ويأمرهم بعبادته ؟ أما نفي التشبيه فإنه أصل عندهم يقوم على تأويل الصفات الخبرية الثابته لله سبحانه وتعالى مثل وجهه سبحانه ويده ونزوله واستوائه وغضبه وفرحه . . وعلى هذا فإن ذلك المعنى الجامع للفرق المختلفة في اسم ملة الأسلام عند البغدادي انما هو خاص بالأشاعرة الذين يرون تلك الأصول عقيدة وأصحابها هم الفرقة الناجية " وسوادها الأعظم من أصحاب الشافعي ومالك . وأبي حنيفة والأوزاعي (٢) ، والثوري (٣) وأهل الظاهر" (٤).(٥).

---

١ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ١٤ .

٢ - هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي . ونزل في محلةُ الأوزاع بدمشق ، وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام ، أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم . قال سفيان بن عينيه وغيره : كان الأوزاعي أمام أهل زمانه . أجتمع بالمنصور حين دخل الشام ووعظه . لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً وأختلفوا في سنة وفاته ..وتوفى سنة ١٥٧ وهو الذي عليه الجمهور وهو الصحيح . . انظر البداية والنهاية جـ٥ ص١١٨

٣ - هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد أئمة الإسلام والمقتدى بهم أبو عبد الله الكوفي ، روى عن غير واحد من التابعين : وهو أمير المؤمنين في الحديث . قال الإمام أحمد : لا يتقدمه في قلبي أحد. توفى بالبصره سنة ١٦١ . البدايه والنهايه جـ ٥ص ١٣٧ .

٤ - نسبه إلى داود بن علي الأصبهاني ثم البغدادي الفقيه الظاهري إمام أهل الظاهر ، روى عن أبي ثور واسحق بن راهويه. روي عن الامام احمد انه تكلم فيه بسبب كلامه في القرآن . حصر نفسه بنفيه للقياس الصحيح فضاق بذلك ذرعه توفي سنة ٢٧٠ هـ البدايه والنهايه. جـ٦ ص٥١ .

٥ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨ .

فأين أحمد وأصحابه ؟ نعم أنهم في الحقيقة لا يقبلون الإعتقاد بتلك الأصول أما من عداهم فقد تمذهب بتلك الأصول واعتقدها وذلك " لإشتهار المذهب الأشعري ، وانتشاره في أمصار الإسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يعد مذهب يخالفه إلا أن يكون مذهب الحنابلة اتباع الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ما ورد في الصفات إلي أن كان بعد السبعمائه من الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه الحراني ، فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على مذهب الأشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية " (١) .

وهذه شهادة من عالمين جليلين من علماء الأمة وهما ابن تيميه والمقريزي وذلك يثبت مخالفة الأشاعرة لمنهج أهل السنّة والجماعة .

وإذا كان البغدادي قد حصر النجاة في الأخرة لمن أقر بتلك الأصول السابقة فماذا كان حال بقية الفرق الأخرى وعددها اثنان وسبعون فرقة كما حصرها في كتاب الفرق ؟

لقد حصر البغدادي تلك الفرق في قسمين الأول منها متضمناً للأخر .

فالقسم الأول : فهم أهل الأهواء والبدع وقد بين فضائح كل فرقة منها على التفصيل فقال : " هذا باب يشتمل على فصول ثمانية وهذه ترجمتها "(٢) .

ثم عدد تلك الفرق من الرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة والمشبهة وغيرها " وهؤلاء من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين ، وفي أن لا يمنع حظه من الفيء والغنيمة إن غزا مع المسلمين ، وفي أن لا يمنع من

---

١ - الخطط للمقريزي جـ ٤ ص ١٨٥ .
٢ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨ .

الصلاة في المساجد ، وليس من الأمة في أحكام سواها ، وذلك أن لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية ، ولايحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم " (١) .

وأما القسم الثاني : فهم الفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر مع خروجها عن جملة الأمة (٢) . فكل من انتسب إلي تلك الفرق فليس هو من أمة الإسلام ولا كرامة له " (٣) .

لكن البغدادي عاد إلى فرق الأهواء فكفّر بعضها ثم أطلق التكفير .

فأما تكفير البعض فكقوله في فرقة الجارودية من الزيدية : " وتكفيرهم واجب ؛ لتكفيرهم أصحاب رسول الله ﷺ" (٤). ثم قال: "واهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضي الله عنه" (٥). وقد كفر البغدادي الكراميه فقال : "فلهذا أكفرنا الكرامية" (٦) .

وقوله : "وأما جسمية* خرسان من الكرامية فتكفيرهم واجب" (٧) .

ثم قال : وسائر فرق الأمة يكفرونهم (٨) .

ويكفر زعماء المعتزلة فقال : " أعلم أن تكفير كل زعيم من زعماء المعتزلة واجب من وجوه" (٩). ويكفر الخوارج ومن وافقهم من الرافضة في الإجماع فقال : " وكفروا الخوارج في ردهم حجج الإجماع والسنن ، وأكفروا من قال من الروافض لا حجة في شئ من ذلك" (١٠) .

---

١ - الفرق بين الفرق ص ١٤ .
٢ - ٣ - ٤ - ٥ - الفرق أنظر ص ٢٢٢ ، ص ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣ .
٦ - أصول الدين ص ١٩٠ .
٧ - ٨ - ٩ أصول الدين ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٥ . * والصحيح قوله : " وأما مجسمة .. "
١٠ - الفرق بين الفرق ص ٣٤٨ .

إطلاق التكفير على تلك الفرق عند البغدادي :

ثم عاد البغدادي في أخر كتاب الفرق فذكر أن تلك الفرق التي تنتسب إلى الإسلام وليست منه في شيء بل استتروا بظاهر الإسلام واغتالوا المسلمين في السر "فإن حكم هذه الطوائف التي ذكرناها حكم المرتدين عن الدين ، ولا تحل ذبائحهم ، ولا يحل نكاح المرأة منهم ، ولا يجوز تقريرهم في دار الإسلام بالجزية ، بل يجب استتابتهم فإن تابوا وإلا وجب قتلهم واستغنام أموالهم" (١) .

حكم أهل الأهواء من الفرق عند البغدادي على الإطلاق .

لقد تبين مما سبق أن البغدادي قد اطلق التكفير على الكرامية والجاروديه وزعماء المعتزلة ، غير أنه عاد فأطلق التكفير وقال : " وأما أهل الأهواء . . فإنا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة ، ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم" (٢) .

بل أنه عد الشاك في كفر أهل الأهواء كافر فقال : " وأما الشك في كفر أهل الأهواء فإن شك في أن قولهم هل هو فاسد ؟ أم لا فهو كافر . وان علم أن قولهم بدعة وضلال وشك في كونه كفراً فبين أصحابنا في تكفير هذا الشاك خلاف وقد قال أكثر المعتزلة بتكفير الشاك في كفر مخالفيهم ونحن بتكفير الشاك في كفرهم أولى . والحمد لله على عصمته إيانا من بدع أهل الأهواء" (٣) .

أهل الأهواء لا يدخلون الجنة بعد العقاب عند البغدادي :

ومما يدل على تكفير أهل الأهواء عند البغدادي أنه عد الكرامية شر فرق الأمة لإنهم "يزعمون أن أهل الأهواء بعد العقاب يصيرون إلى الجنة ولا يدوم عقابهم وجميع مخالفيهم على أنهم من أهل النار فصاروا عن هذه الجهة شر فرق الأمة" (٤) .

---

١ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٥٧ .
٢ - نفس المصدر ص ٣٥٧ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٣٤٣ .
٤ - أصول الدين ص ٣٣٨ .

فقال في اعتقاد أهل السنة : "بأن القدرية والخوارج يخلدون في النار لا يخرجون منها " (١)

بل أن صاحب المواقف قد ذ كر أن بعض الأصحاب قد أطلق التكفير فقال في " المقصد الخامس في أن المخالف للحق هل يكفر أم لا ؟جمهور المتكلمين والفقهاء عل أنه لا يكفر أحدمن أهل القبلة والمعترلة الذين قبل أبي الحسين تحامقوا فكفروا الأصحاب . فعارضة بعضنا بالمثل ، وقد كفر المجسمة مخالفهيم . وقال الأستاذ كل مخالف يكفرنا فنحن نكفره ، وإلا فلا "(٢) .

وقد نقل هذه القول شيخ الإسلام عن الرازي من نهاية عقوله الذي قال فيه " وكان الأستاذ أبو اسحاق يقول : اكفر من يكفرني ، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفره وإلا فلا "(٣) .

وكذا ذكر أبن عساكر أن البغدادي " قد درس على الأستاذ أبي اسحاق الأسفراييني وأقعده بعده في مسجد عقيل للإملاء مكانه وأملى سنتين واختلف عليه الأئمة "(٤) .

وقال البغدادي : " وقد أدركنا منهم في عصرنا . . وابراهيم بن محمد المهراني "(٥) الأسفراييني .

ومن هنا يتضح مدى تأثير الشيخ على تلميذه وذلك مستمد من اعتقادهم في من لم يوافقهم في أصولهم الكلامية التي تعلم بمجرد العقل . ومن العجب قول من يقول من أهل الكلام :" أن أصول الدين التي يكفر مخالفها هي علم الكلام الذي يعلم

١ - الفرق بين الفرق ص ٣٤٨ .
٢ - المواقف للأيجي مكتبه المتنبي القاهرة ص ٣٩٢ .
٣ - درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٩٥ .
٤ - تبين كذب المفترى لأبن عساكر ص ٢٥٣ .
٥ - أصول الدين للبغدادي ص ٣١٠ .

بمجرد العقل . وأما مالا يعرف بمجرد العقل فهي الشرعيات عندهم ، وهذه طريقة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم كاتباع صاحب الإرشاد وأمثالهم"(١) .

وإلى هذا ذهب البغدادي فقال " والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه وقدمه . . " (٢) وهي الأصول الكلامية التي أعتمدها في كتابه أصول الدين منهجاً لعقيدته والتي أثبتنا أنها لم تكن ولن تكون عقيدة محمد ﷺ والتي تناقلها أصحابه من بعده وسلف الأمة الكرام .

وقد " أثبت البغدادي للدين أصولاً لا لإعتبارها رأياً شخصياً أو مذهباً معبرا عن فكر فرقة من المسلمين وانما لتشكل للمسلمين عقيدة منسوبة إلى أهل السنة والجماعة جميعاً ممثلين في أئمة الفقه والحديث الذي يشير إليهم بلفظ أصحابنا حينا وبقوله : أجمع الموحدون حيناً أخر ليستبعد مخالفيه في الرأي عن جملة الموحدين (٣) ". ولاشك أن البغدادي يقصد الموحدين الأشاعرة أما أئمة الفقه والحديث فإنهم لم يعتقدوا عقيدته في أصوله الكلامية بل الخلاف معه ظاهر في وجود الله عندهم وتوحيده وصفاته والإيمان وغير ذلك .

الرد على البغدادي في تكفيره فرق الأمة عدا الفرقة الناجية .

مما سبق بحثه في مسألة التكفير عند البغدادي يتضح جلياً مدي تأثر البغدادي بمشائخ عصره وطائفته في تكفير فرق الأمة واستثناء من قال بمقالتهم واعتقد عقيدتهم وسماهم الفرقة الناجية . وهذا تجن على الأمة وفرقها وماذاك إلا بسبب التعصب

---

١ - درء التعارض جـ ١ ص ٢٤٢ .

٢ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٣ .

٣ - في علم الكلام جـ ٢ الأشاعرة دكتور أحمد محمود صبحي ط ١ الرابعه سنة ١٩٨٢ الثقافة الجامعيه الأسكندريه ص ٩٧ .

والاعتماد على مقالة المشائخ وعلماء الكلام والرأي والإعراض عن سنة المصطفي ﷺ ويمكن الرد عليه بما يلي :

أولاً : أن حديث افتراق الأمة الذي بنى عليه تقسيمه لفرق الأمة وحصرها في زمانه لا يدل على ما ذهب إليه من تكفيره لتلك الفرق ؛ بل لقد فهمه علماء الأمة كما أراد ﷺ الذي قال : " ستفترق أمتي " ويستحيل أن ينسبها إليه ﷺ وقد خرجت احداها بالكفر . وفي هذا يقول الإمام الخطابي رحمه الله صاحب كتاب معالم السنن : " قوله ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة " فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين ، إذ قد جعلهم النبي ﷺ كلهم أمته ، وفيه : أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله " (١) .

ثانياً : ان تلك الفرق المتوعده بالنار من أمة محمد ﷺ إنما هي " الفرق الضالة المبتدعة التي لم تصل بها بدعتها إلى الكفر ، بل هي فرق من الأمة لكنها متوعدة بالنار لا على جهة التكفير ولا التخليد ، بل وعيد كسائر ما يردمن نصوص الوعيد . ومما يدل على أن المراد بهذا الحديث الفرق المبتدعة الضالة وليست الكافرة نفس الحديث ، فقد ذكر فيه أن اليهود افترقوا على أحدى وسبعين فرقة ، ولم يخرجهم ذلك عن كونهم يهودا . . فكذلك الفرق في هذه الأمة لا تخرجهم فرقتهم عن أن يكونوا من الأمة وأهل القبلة وإن كانوا من أهل التفرق والبدعة " (٢) قال شيخ الإسلام : " ومن قال: ان الإثنين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراًينتقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجميعن .

---

١ - سنن أبي داود إعداد عزت الدعاس وعادل السيد دار الحديث بيروت جـ ٥ ص ٥ ط الأولى سنة ١٣٩٤هـ
٢ - ضوابط التكفير عند أهل السنه والجماعه تأليف عبد الله محمد القرني مؤسسة الرساله ط الأولى سنة ١٤١٣هـ ص ٢٥٢ .

بل واجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة ، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة ، وانما يكفر بعضهم بعضاً من تلك الفرق ببعض المقالات " (١) .

فهم أصحاب بدع عظمى كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله : " وقد أختلفت الأمة في تكفير هؤلاء أصحاب البدع العظمى ، ولكن الذي يقوى في النظر ، وبحسب الأثر عدم القطع بتكفيرهم . والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم ، ألا ترى إلى ما صنع على رضي الله عنه في الخوارج ؟ وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام على مقتضى قوله تعالى : " وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما " (٢) فإنه لما أجتمعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهاجمهم علي ولا قاتلهم ، ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام " من بدل دينه فأقتلوه " * ولأن أبا بكر رضي الله عنه خرج لقتال أهل الردة ولم يتركهم ، فدل ذلك على اختلاف ما بين المسألتين " (٣) .

ثالثاً : نعم هناك فرق ليست من الإسلام في شيء وقد بينها علماء الأمة فقال شيخ الإسلام : "هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين ، لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم بل ولا يقرون بالجزية ، فإنهم مرتدون عن دين الإسلام ، ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى ، لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ولا وجوب صوم رمضان ولا وجوب الحج ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرها . وإن أظهروا الشهادتين مع هذا فهم كفار باتفاق المسلمين " (٤) .

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٧ ص ٢١٨ .

٢ - آيه ٩ سورة الحجرات .

٣ - الإعتصام للشاطبي دار المعرفة بيروت تعليق محمد رشيد رضا سنة ١٤٠٢ هـ جـ٢ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

٤ - فتاوى شيخ الاسلام جـ٣٥ ص ١٦١ ، ١٦٢ .

* خرجه البخاري جهاد ١٤٩ ، المرتدين ٢ ، استتابة ٢ ، حدود ١
الترمذي حدود ٢٥
النسائي تحريم ١٤
ابن ماجه حدود ٢
أحمد ١ / ٢ / ٧ / ٢٨٢ / ٢٨٣

والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير الجهمية المحضة " الذين ينكرون الصفات ، وحقيقة قولهم إن الله لايتكلم ولا يرى ، لا يباين الخلق " ولا له علم ولا قدرة ، ولا سمع ولا بصر ولا حياة ، بل القرآن مخلوق ، وأهل الجنة لا يرونه كما لا يراه أهل النار "(١) .

وعلى هذا " فالمشهور من مذهب أحمد وعامة علماءالسنة رحمهم الله تكفيرهم لأن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل وانزلت به الكتب ، وحقيقة قولهم جحود الصانع وجحود ما أخبربه عن نفسه بل جميع الرسل ، ولهذا قال الإمام عبد الله بن المبارك أنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية " (٢) .

ومن هذا يتبين أن تلك الفرق ليست من فرق المسلمين على الراجح من أقوال علماء الأمة ولما أحدثوه من زندقة ونفاق وخروج عن الثابت من منهج الأمة .

رابعاً : أن منهج أهل السنة والجماعة في هذه الفرق المنتسبة إلى نبينا وسيدنا محمد ﷺ كما ورد في حديث افتراق الأمه" من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء"(٣) .

وقال شيخ الإسلام : " وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من مبلغ الفرقة الناجية فضلاً عن أن تكون بقدرها ، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة . وشعار هذه الفرق مفارقة

١ - فتاوى شيخ الاسلام جـ٣ ص ٣٥٢ .
٢ - عقيدة الموحدين والرد على الضلال والمبتدعين جمع عبد الله بن سعدي العبدلي تقديم الشيخ عبد العزيز بن باز دار الهجره ط أولى سنة ١٤١١هـ ص ٤٥٠ .
٣ - العقيده الطحاويه خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت ط التاسعة سنة ١٤٠٨ ص ٥٢٠ .

الكتاب والسنة والإجماع . فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة . وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات ، وذكرهم في كتب المقالات ، ولكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل ، فإن الله حرم القول بلا علم عموماً ؛ وحرم القول عليه بلا علم خصوصاً (١)" .

خامساً : أما حديث افتراق الأمة فهو حديث صحيح كما أخبر بذلك الأمام الترمذي رحمه الله وغيره ، فقال شيخ الإسلام " الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ؛ كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم ولفظه : أفترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحده ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وفي لفظ على ثلاث وسبعين ملة . وفي رواية قالوا : يارسول الله من الفرقة الناجية ؟ قال : " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " (٢) .

وفي رواية قال : " هي الجماعة يد الله على الجماعة " ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة ، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم . . وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة ؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة

---

١ - فتاوى شيخ الاسلام جـ٣ ص ٣٤٦ .
٢ - سنن أبي داوود تعليق الدعاس وعادل السيد دار الحديث ط الأولى سنة ١٣٩٤ جـ٥ ص ٤ ، ٥ ، ٦ .
، الجامع الصحيح لسنن للترمذي تحقيق ابراهيم عطوه عوض مصطفى الباني الحلبي الطبعةَ الثانيةَ سنة ١٣٩٥ جـ٥ ص ٢٥ قال أبو عيسى حديث أبي هريرةَ حديث حسن صحيح .
؛ مسند الإمام أحمد المكتب الإسلامي جـ٢ ص ٣٣٢ .
؛ شرح سنن أبن ماجه للسندي دار الجيل بيروت جـ٢ ص ٤٧٩ .

بمعانيها واتباعاً لها : تصديقاً وعملاً . حبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاءبه من الكتاب والحكمة ؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم ان لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه " (١) .

وهذا بخلاف أصحاب البدع االذين ينصبون مقالات مشائخهم واتباع ائمة الكلام فيعادون ويوالون عليها " فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ عليه من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك- كان من أهل البدع والضلال والتفرق ".(٢) .

سادساً : ان أول تلك الفرق وهم الخوارج الذين كفرهم البغدادي وخلدهم في النار (٣) لم يكفرهم أحد من الصحابة وهم الذين قاتلوهم بعد أن ثبت ضلالهم وقال فيهم شيخ الإسلام : " والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين ، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة ، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم ، ولم يقاتلهم على حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا علي أموال المسلمين ، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لانهم كفار . ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم . - ثم بين شيخ الإسلام أنه لا يحل لأحد إطلاق

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٣ أنظر ٣٤٥ ، ٣٤٧ .
٢ - نفس المصدر جـ٣ ص ٣٤٧ .
٣ - الفرق بين الفرق لبغدادي ص ٣٤٨ .

القول بالتكفير على احدى فرق الأمة فيقول : "وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسول الله ﷺ بقتالهم ، فكيف بالطوائف المختلفين الذين أشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها . وإن كانت فيها بدعه محققه فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً ؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه " (١)

" فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وان كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب عليه (٢)." ثم يوضح شيخ الإسلام أن مخالفة أولئك للسنة على درجات وأن بعضهم أبعد عن السنة من الآخر أو العكس فيقول : " ومما ينبغي أيضاً أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام. على درجات منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة ومنهم من يكون انما خالف السنة في أمور دقيقة . ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين أبعدوا عن السنة منه ؛ فيكون محموداً فيما رده من الباطل وقاله من الحق ؛ لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل ، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها ؛ ورد بالباطل باطلاً بباطل أخف منه ، وهذه حال أكثر أهل الكلام "(٣) .

سابعاً : أن من الكتاب المعاصرين الذين حققوا كتب الفرق أو تناولوا تلك الفرق بالدراسة والتصنيف من قد هاجم فكرة الحصر لتلك الفرق في القرون الثلاثة بل

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٣ ص ٢٨٢ ، ٣٨٣ .
٢ - الرد على البكري لأبن تيمية الدار العلمية دلهي الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ ص ٢٥٨ .
٣ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٣ ص ٣٤٨ .

وقد هاجموا تكفير أولئك المؤلفين لها " والحق أن أصول الفرق لا يصل إلي هذاالعدد ، بل إنه لا يبلغ نصفه ولا ربعــه ، وأن فروع الفرق يختلف العلماء في تفريعها . . بل لايزال الأمر يسير على المنهج الذي سار عليه أول الأمر ، تكون الفرقة واحده ثم يكون من رجالها أثنان أو كثر يبتدعــون في مقالتهم شيئاً لم يكن عليه أسلافهم فيصبح كل واحد منهم فرقةمنفصلة . . من أجل ذلك كله رأينا أن الأخذ بهذا الحديث على ظاهرة ومحاولة إيجاد هذا العدد من الفرق من أهل القرون الثلاثة الأولى التي جاء في أعقابها هؤلاء المؤلفون قصور وتقصير وقصر نظر "(١) .

وإذا كان محقق كتاب الفرق بين الفرق محمد محيي الدين عبد الحميد ، قد أعتبر ذلك الحصر والتقسيم تقصيراً وقصر نظر ، فإن محقق مختصر كتاب الفرق بين الفرق والذي رمز لاسمه" ف- ح". غير أن محقق كتاب الملل والنحل للبغدادي قد وضح لنا اسم المحقق الذي رمز لاسمه فقال : " وقد ذكر الدكتور فيليب حتى في مقدمة طبعته لكتاب " مختصر كتاب الفرق بين الفرق " (٢) ومن العجيب أن هذين المحققين لكتابي الملل والنحل والفرق بين الفرق للبغدادي انما هما نصرانيان من نصارى لبنان ومصر وتلامذة المستشرقين واعوانهم الذي يحرصون علي تفريق كلمة الأمة ، ومعرفة تاريخ تلك الفرق لإبقاء جذور التفريق والبعد عن المنهج الصحيح لهذه الأمة فيكثر التخبط وتتسع الفجوة .

بل أن رمزه لاسمه يبين مقاصده حتى لا يعرف ، كيف وهو لم يترك في التحقيق ما يدل على معرفة اسمه لولا أن أشار إليه صاحب ومحقق الملل والنحل .

---

١ - الفرق بين الفرق، المقدمة لمحمد محي الدين عبد الحميد ص ٧ .

٢ - الملل والنحل للبغدادي تحقيق دآلبير نادر دار المشرق بيروت سنة ١٩٧٠ ص ٤١ .

وعلى أي حال فإن محقق اختصار الفرق بين الفرق يهاجم ذلك الحصر للفرق فيقول : " تقيد البغدادي بمنطوق هذا الحديث وجعله فاتحة لبحثه واساساً لتقسيم فرقه فجاهد . . كيما يطبق عدد فرق الاسلام على العدد القانوني المنصوص عليه في الحديث ، لاسيما وأن الفرق متداخل بعضها ببعض . وكذلك فعل الشهرستاني والمقريزي والجرجاني وغيرهم فقسموا وفرقوا وجمعوا وطرحوا بغيه الاتيان بالعدد المطلوب "(١) .

وهذا المحقق لا يقر على الفاظه في شخص البغدادي والتي تم حذفها من النص السابق ولا يستغرب من تلامذة الاستشراق الضالين قدحهم في علماء الأمة بل وجهلهم بشريعتنا وتحريفهم لما وصل إليهم فهم ضالون بلا هدى وليس لهم حظ في الأخرة والأولي ومن ذلك أنه تحامق هو وأستاذه بالغرايف المستشرق الذي قال : " ان الحديث في وضعه الأصلي انما هو الحديث الوارد للمرة الأولي في صحيح البخاري ١ : ٨ " الإيمان بضع وستون شعبه والحياء شعبة من الإيمان " وأنه بتوالي الأعوام أسيء فهم المقصود من " شعبة " - فصيله - وحرف الحديث بحيث أصبح ما هو عليه . وهو أيضاً وارد في صحيح مسلم"(٢)(٣) .

بل إن هذين الضالين هما الذين انتهيا إلى التحريف والتخريف فما دخلهما في تصحيح حديث محمد ﷺ فالحديث صحيح مشهور كما قال بذلك شيخ الإسلام وقد صححه علماء الحديث كالإمام الترمذي وغيره ولا علاقة لحديث افتراق الأمة بحديث الإيمان .

---

١ - مختصر الفرق بين الفرق عبد الرزاق الرسعني المركز الإسلامي للطباعه القاهره تحقيق فيليب حتى ص ١٥ الهامش .

٢ - صحيح مسلم كتاب الايمان جـ٢ ص٣ ؛ صحيح البخاري كتاب الإيمان جـ١ ص٥٠ .

٣ - مختصر الفرق بين الفرق ص١٥ .

أما الدكتور أحمد محمود صبحي صاحب كتاب في علم الكلام فقد لام البغدادي لتكفيره المعتزلة الذين كان الصبحى يتلهف اندثار مذهبهم العقلي! فيقول : " أدى عبدالقاهر البغدادي في مذهب الأشاعرة دورين متكاملين أحداهما سلبي والآخر إيجابي .

أما الدور السلبي فتلك الصورة المشوهة التي انطبعت في أذهان أهل السنة : (هكذا) منذ القرن الخامس الهجري إلي عهد قريب وربما إلى يومنا هذا عن المعتزلة . وقد أقترن هذا المسخ المتعمد بأحكام الإدانه باسم الدين ، إذ عقد الفصل الأخير لبيان حكم الإسلام من الكفرة وأهل الأهواء والبدع الذين أدرج تحتهم الشيعة والخوارج والمعتزلة " . ثم ينقل صبحي عن البغدادي قوله : " وأجمع أصحابنا على أن أهل الأهواء لا يرثون من أهل السنة ولا تجوز الصلاة خلفهم ولا الصلاة عليهم إذا ماتوا . . ومن شك في كفرهم فهو كافر"(١)،ثم يبين صاحب الكتاب اسباب تلك الأحكام عند البغدادي فيقول :"وقد مكن لهذا الأرهاب الفكري عدة عوامل : منها - مشايعة كتاب الفرق من الأشاعرة كالإسفرايني والشهرستاني وغيرهما لهذا الأسلوب في عرض آراء الخصوم ، وان لم تبلغ حدة البغدادي (٢) " .

وها هو محقق آخر لكتابه الفرق بين الفرق قد وصفه بالتعصب الشديد علي المخالفين فيقول : " والمؤلف الذي كان شديدالتعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه ، وانه لهذا السبب وقع الخلل في نقل هذه المذاهب في كتاب الشهرستاني (٣) " .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٣٤٠ ، ٣٤٠ .

٢ - في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية الأشاعرة د.أحمد محمود صبحي مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية سنة ١٩٨٢ ط الرابعة ص ٩٢ .

٣ - نفس المصدر ص ٩٣ ، ٩٤ . وأنظر كتاب [illegible] بتحقيق زاهد الكوثري ص ٢ - ٧ .

وبهذا يمكن القول أن محققي كتب البغدادي وغيرهم من المعاصرين قد وصفوه بأوصاف التقصير وقصر النظر والدور السلبي في المذهب والإرهاب الفكري والحدة وشدة التعصب على المخالفين وبكونه لا ينقل المذهب على الوجه ، وهذه الأوصاف وغيرها قد سلم منها علماء السلف الذين أخذوا بالحديث الشريف وأن فرق الأمة لا يلحقها التكفير ولا يمكن حصرها فيما مضي وقالوا : " ومن السنة هجران أهل البدع ، ومباينتهم ، وترك الجدال والخصومات في الدين ، وترك النظر في كتب المبتدعة ، والإصغاء إلى كلامهم ، وكل محدثة بدعة ، وكل متسم بغير الإسلام مبتدع ، كالرافضة ، والجهمية ، والخوارج والقدرية والمرجئة ، والمعتزلة والكرامية ، والكلابية والسالمية ، ونظائرهم ، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع "(١) .

---

٤ - التعليق على متن لمعة الإعتقاد لابن قدامة الحنبلي تعليق الشيخ عبد الله الجبرين دار الصميعي الرياض ط الأولى سنة ١٤١٢ ص ١٠٦ .

عاشراً: حصر دلائل النبوة في المعجزة

أُجاز البغدادي وأصحابه علي الله سبحانه فعل كل شئ وان كان مخالفاً لحكمته سبحانه (١)! ثم أوجب على الله تأييد رسله بالمعجزات فقال : " النبي لابد له من إظهار معجزة تدل على صدقه . فإذاأتى بها وبان لقومه وجه الإعجازفيها لزمهم تصديقة وطاعته ولم يكن لهم مطالبته بمعجزة أخرى" (٢). ثم بين أن سلامة المعجزة عن المعارضة أهم من سلامة الشرع عن التخليط والنقص فقال : " وقال أصحابنا أن سلامة معجزته عن المعارضة دليل على صحته وأماسلامة شرعه عن التخليط والنقص فيه فلا يدل على صحته" (٣) . وقد عرف البغدادي المعجزة فقال : " وحقيقة المعجزة على طريق المتكلمين :" ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي النبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى به عن معارضته" (٤) .

والبغدادي متابع للباقلاني في إيجاب إظهار المعجزة الذي قال : " ويجب أن يعلم أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه وانما يثبت بالمعجزات وهي أفعال الله الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك" (٥) .

وهنا وجب الرد على البغدادي من وجوه :

أولاً : قوله " لابد له من المعجزة " وهذا متضمن أنه يوجب على الله تعالى إظهار تلك المعجزة " فقيل لهم : "لم أوجبتم هذا في هذا الموضع دون غيره وأنتم لا توجبون على الله شيئاً ؟ فقالوا لإن المعجزة علم الصدق فيمتنع أن يكون لغير صادق : فالمجموع هو الممتنع وهو خارق العادة ودعوى النبوة ، أوهذان مع

١ - أصول الدين للبغدادي أنظر ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ . . . إلي ١٥٤ وغيرها .
٢ - نفس المصدر ص ١٧٣ وأنظر الفرق بين الفرق ص ٣٤٤ .
٣ - ٤ - أصول الدين ص ١٧٠ ، ١٧٦ .
٥ - الإنصاف للباقلاني تحقيق الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث ص ٥٤ .

السلامة عن المعارض . . وهذا ممتنع فإنكم تقولون يجوز أن يخلق على يد مدعي النبوة والساحر والصالح لكن أن أدعي النبوة دلت على صدقه وأن لم يدع النبوة لم يدل على شيء مع أنه لافرق عند الله بين أن يخلقها على يد مدعي النبوة ، وغير مدعي النبوة ، بل كلاهما جائز فيه ، فإذا كان هذا مثل هذا فلم كان أحدهما دليلاً دون الآخر ؟ (١) .

ثانياً : إن المعجزات لهي دليل واحد من الأدلة الدالة على النبوة : " ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لكن الدليل غير محصور في المعجزات ، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ، ولا يلتبس هذا بهذا على أجهل الجاهلين ، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما ، وتعرف بهما والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة ، فكيف بدعوى النبوة ، وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه :

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر " (٢) .

ثالثاً : فإذا عُلم أن النبوة تعلم بالمعجزات وبغيرها بل " قد تبين أن النبوة تعلم بالمعجزات وبغيرها على أصح الأقوال ؛ وأما نبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام فإنها تعرف بطرق كثيرة (منها) المعجزات ومعجزاته منها القرآن ، ومنها غير القرآن ، والقرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه" (٣) .

رابعاً : " وأخبار أهل التواتر بما جاءت به الأنبياء من الآيات ، هو من أدلة ثبوتها - فكل من آمن بالرسول عن بصيرة ، فلابد أن يكون في قلبه علم وبأنه نبي حق ،

---

١ - النبوات لشيخ الإسلام دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ص ٦ ، ٧ .
٢ - شرح العقيدة الطحاوية المكتب الإسلامي تخريج الألباني ص ١٥٠ ؛ أنظر الجواب الصحيح جـ ٤ ص ٣١٦ .
٣ - شرح العقيدة الأصفهانية قدمها حسنين مخلوف دار الكتب الإسلامية القاهرة سنة ١٣٨٥ ص ١٦٥ .

أماعلم ضروري ، أو علم نظري بدليل من الأدلة ، والعلوم النظرية مع أدلتها تبقى ضرورية" (١) .

خامساً : أن الذين آمنوا بمحمد ﷺ في بداية البعثة لم يشهدوا معجزة بل أنهم لم يسألوا عنها ولم يطلبوها. " فإن النبي ﷺ بل وغيره من الأنبياء كان في نفس أقوالهم وأفعالهم وصفاتهم وأخلاقهم وسيرهم أمور كثيرة تدل على نبوتهم" (٢).
ولهذا قال شيخ الإسلام : " وإيمان خديجة وأبي بكر وغيرهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر ، وقبل اخباره بالغيوب ، وقبل تحديه بالقرآن ، لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آية مستلزمه لصدقه ؛ ونفس كلامه واخباره بأني رسول الله ، مع ما يعرف من أحواله مستلزم لصدقه ، إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه" (٣) .

سادساً : أنه من الثابت عند الأمة أن الرسول ﷺ لم يدع الناس إلا إلى الإيمان بالله مستعيناً بكتاب الله العزيز " وأنت تتبين من حال الشارع ، ﷺ ، أنه لم يدع احداً من الناس ، ولا أمة من الأمم إلى الإيمان برسالته ، وبما جاء به بأن قدم على يدي دعواه خارقاً من خوارق الأفعال ، مثل قلب عين من الأعيان إلي عين أخري . وما ظهر على يديه ، ﷺ من الكرامات الخوارق فإنما ظهرت في أثناء أحواله ، من غير أن يتحدى بها - ثم يبين ابن رشد أن الرسول ﷺ قد طلب منه المشركون دلالة إعجاز - وقد يدلك على هذا قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ إلى قوله : ﴿ قل سبحان ربي هل كنت

١ - النبوات لأبن تيميه ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢ - نفس المصدر ص ٣٨٨ .
٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٤ / ص ٣٠٦ .

إلا بشراً رسولاً ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ (٢) وإنما الذي دعا به الناس وتحداهم به هو الكتاب العزيز ، فقال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (٣)(٤).

سابعاً : ان من أصحاب البغدادي المتأخرين كصاحب المواقف من أثبت آيات أخرى للدلالة على النبوة غير المعجزه فقال : " المقصد الرابع في اثبات نبوة محمد ﷺ وفيه مسالك : المسلك الأول : وهو العمدة . أنه أدعى النبوة وظهرت المعجزةعلى يده . . المسلك الثاني - الاستدلال بأحواله قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها ، وأخلاقه العظيمة ، وأحكامه الحكيمة ، وإقدامه حيث يحجم الابطال . . المسلك الثالث : اخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته . . المسلك الرابع : أنه عليه السلام أدعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم ، أني بعثت بالكتاب والحكمة لأتمم مكارم الأخلاق " (٥) .

وهذا حال المتأخرين من علماء الأشاعرة الذين عادوا في الكثير من أقوال متقدميهم وقناعاتهم وهذا القول الأخير موافق للحق .

ثامناً : اما علماء السلف فقد كان لهم باع في جمع دلائل نبوة المصطفى ﷺ ومنهم الحافظ اسماعيل بن محمدبن الفضل التيمي الاصبهاني الملقب : " قوام السنة " وصاحب كتاب الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة

١ - سورة الإسراء ايه ٩٠ - ٩٣ .
٢ - نفس الاسراء ايه ٥٩ .
٣ - سورة الاسراء ٨٨
٤ - مناهج الأدله في عقائد المله لأبن رشد تقديم د . محمود قاسم الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩م مكتبة الأنجلو المصرية ص ٢١٤ ، ٢١٥ .
٥ - المواقف للأيجي مكتبة المتبني القاهره أنظر ص ٣٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

والذي قال في كتابه دلائل النبوة " ثم أن جماعة من أهل العلم سألوني أن أملي عليهم مختصراً في دلائل النبوة ، ومعجزات النبي ﷺ ، يعتمدون عليه ، ويسكنون إليه ، فاجبتهم إلي ذلك . . ثم بدأ بدلائل نبوته ﷺ قبل مولده وفي صباه فقال : فمن علامات نبوة النبي ﷺ وما كان قبل مولده ، ومن علامات نبوته ﷺ في حال صباه . . وقد قال في مقدمته .

" وضممت إلي ذلك طرفاً من مبعثه ، ومغازيه ، ومولده ﷺ وسراياه" (١) . وقد عقد محقق هذا الكتاب عفا الله عنه مطلباً في الفصل الثالث هو المؤلفات في دلائل وأعلام النبوة منها (٢)...ثم ذكر أربعين مؤلفاً مابين الفترة من بداية القرن الثالث وحتى قبيل منتصف القرن التاسع . ونختم هنا بما قاله شيخ الإسلام :
" أن دلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة ، كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب ، وبينا أن من يخصص دلائل النبوة بنوع واحد فقد غلط ، بل هي أنواع كثيرة ، لكن الآيات نوعان منها : ما مضى وصار معلوماً بالخبر ، كمعجزات موسى وعيسى ومنها : ما هو باق إلى اليوم ، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ ، وكالعلم والإيمان الذين في اتباعه ، فإنه من أعلام نبوته ، وكشريعته التي أتى بها ، فإنها أيضاً من أعلام نبوته ، وكالآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته ، ووقوع ما أخبر بوقوعه ، كقوله : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك " وقوله " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بأرض الحجاز تضيء لها ، أعناق الابل ببصري " وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وسبعمائه ، وشاهد الناس أعناق الأبل في ضوء النهار

١ - دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني حققه أبو عبد الرحمن مساعد الحميد د ار العاصمة ط الأولى سنة ١٤١٢هـ الرياض جـ١ ص ٢٣٧ / ٢٣٨ .
٢ - نفس المصدر جـ١ ص ٢٢١ .

ببصرى ، وظهور دينه وملته بالحجة والبرها ن واليد والسنان ، ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق بأعدائه ، وغير ذلك ، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله " (١) وبهذا يتبين أن نبوته ﷺ لا تتوقف على المعجزة وحدها بل إن الذين شاهدوا معجزة انشقاق القمر في مكة لم تذكر الآثار إيمان أحد منهم غير أنها زادت الذين آمنوا من قبل إيماناً .

١ - الجواب الصحيح لأبن تيمية جـ ٤ ص ٧٠ ، ٧١ .

الحادي عشر: الإرجاء .

لقد كان من تأثير عصر البغدادي ومشائخه عليه القول بالإرجاء وأن الايمان هو التصديق بالقلب فقال : "اصل الإيمان في اللغة التصديق ، يقال منه آمنت به وآمنت له إذا صدقته ومنه قوله تعالى ﴿ وما انت بمؤمن لنا ﴾ أي بمصدق . فالمؤمن بالله هو المصدق لله في خبره وكذلك المؤمن بالنبي مصدق له في خبره ، والله مؤمن لأنه يصدق وعده بالتحقيق . .

ثم يبين حقيقة الإيمان عند أصحابه - فأما حقيقتهما - أي الأيمان والكفر - على لسان أهل العلم فإن أصحابنا اختلفوا فيهما على ثلاثة مذاهب فقال أبو الحسن الأشعري إن الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام في أخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحاً إلا بمعرفته . والكفر عنده التكذيب .

وكان عبد الله بن سعيد يقول : إن الإيمان هو الإقرار بالله عز وجل وبكتبه وبرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب ، فإن خلا الإقرار عن المعرفة بصحته لم يكن إيماناً . وقال الباقون من أصحاب الحديث : ان الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها . . " (١) .

وحيث أن البغدادي لم يصرح هنا بمنهجه الذي التزمه في الإيمان غير أنه سيتضح متابعته لأبي الحسن الأشعري وان الإيمان عنده التصديق والمعرفةبالقلب ولبيان هذا أمور منها :

أ - انتصاره لتعريف الإيمان اللغوي وهذا ما سلكه علماء الأشاعرة " وأعلم أن حقيقة الإيمان هو التصديق . والدليل عليه قوله تعالى اخباراً عن أخوة يوسف عليه

---

١ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

السلام " وما أنت بمؤمن لنا (١) أي بمصدق لنا (٢) .

ب - قوله : " وأستدل من جعل جميع الطاعات إيماناً بظواهر الكتاب والسنة" (٣). والبغدادي لو كان ممن يستدل بالظاهر الجلي من الكتاب والسنة ما كان ليؤول الوجه واليد والاستواء وأُصابع الرحمن والعرش وغيرها .

ج - إنه ليس من أصحاب الحديث فهو من " أئمة الدين في علم الكلام . . وقد أدركنا منهم في عصرنا أبا عبد الله بن مجاهد . . " وذلك بعد أن ذكر أصحابه من علماءالأشاعرة الذين " أحاطوا علماً بأبواب التوحيد والنبوه ، واحكام الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، وشروط الاجتهاد ، والإمامة ، والزعامة ، وسلكوا في هذا النوع من العلم طرق الصفاتيه من المتكلمين الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل . . - ثم قال : والصنف الثاني منهم : أئمة الفقه والحديث من فريقي الرأي والحديث ، من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتيه في الله وفي صفاته الأزلية ، وتبرأوا من القدر والأعتزال . . ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك والشافعي " (٤) وحيث أن طريقته في تقريرالعقيدة في كتبه هي طريقة كلامية حيث ابتدأها بالنظر في العلوم وتقرير الجوهر الفرد والأعراض وعلى هذا يتبين أن البغدادي لا يقول بأن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها .

د - قوله : " والسجود للشمس أو للصنم وما جرى مجرى ذلك من علامات الكفر وان لم يكن في نفسه كفراً إذا لم يضامّه عقد القلب على الكفر ومن فعل شيئاً من ذلك أجرينا عليه حكم أهل الكفروأن لم نعلم كفره باطناً" (٥) . *

---

١ - سورة يوسف ايه ١٧ .

٢ - الأنصاف للبقلاني تقديم محمد زاهد الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث ص ٤٨ .

٣ - أصول الدين للبغدادي ص٢٥٠ .

٤ - الفرق بين الفرق ص ٣١٣ ، ٣١٤ .

٥ - أصول الدين ص ٢٦٦ . * والبغدادي لا يقصد بذلك المكره ، لأنه قد حكم بكفره ظاهراً .

وهذا دال على اعتقادالبغدادي بأن الإيمان هو تصديق القلب والإيمان اعتقادي فقط ، بل كيف يكون السجود للصنم علامة كفر وليس في نفسه كفراً ، ولايقول هذا القول إلا من أتخذ الأرجاء مذهباً وفصل بين مستلزمات الإيمان وأركانه من قول واعتقاد وعمل " ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة ، كما نفي فيها الإيمان عن المنافق ، وأما العلم بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة فهذالم يسم قط مؤمناً ، وعند الجهمية إذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان ، إيمانه كإيمان النبيين ، ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل ، ولايتصور عندهم أن ينتفي الإيمان إلا إذا زال ذلك العلم من قلبه" (١) .

ثم يقول شيخ الإسلام منفراً من بدعة الإرجاء : "ومن قال بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شئ من الواجبات ، سواء جعل فعل تلك الواجبات لازماً له ؛ أو جزءاً منه ، فهذا نزاع لفظي ، وكان مخطئاً خطئاً بيناً ، وهذه بدعة الارجاء ، التي أعظم السلف والأئمة الكلام في أهلها ، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف " (٢) .

هـ - ثم يوضح البغدادي حقيقة الإيمان عنده وانه إعتقادي فقط وان الكفر لا يكون إلا بعكس ذلك فيقول : " الطاعات عندنا أقسام : أعلاها يصير بها المطيع عند الله مؤمناً وتكون عاقبته لاجلها الجنة أن مات عليها .

وهي معرفة أصول الدين في العدل والتوحيد والوعد والوعيد والنبوات والكرامات ومعرفة أركان شريعة الإسلام وبهذه المعرفة يخرج عن الكفر .

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام/الإيمان جـ٧ ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
٢ - الإيمان الأوسط لأبن تيمية دار الفرقان ص ١٦٣ .

والعمل ، وان لما سماه المعاصي مرتبتان هما ما يضادالاعتقاد فيكون كفراً وترك العمل وهذا عنده ليس بكفر . واما الأقرار فمشروط عنده مرة واحدة لأنه الغاية منه مجرد اجراء الأحكام الدنيوية بإظهار الاعتقاد الباطن . وبهذا يظهر أن من ترك العمل بالكلية فهو عنده مؤمن ، وفي أحكام الدنيا مسلم إذا أظهر مجرد الأقرار مرة واحدة ، لأن الإيمان عنده اعتقادي فقط "(١) .

بل كيف يكون من عقيدة أهل السنة والجماعة ان من أرتكب الكبائر أو ترك الفرائض من غير عذر فإنه يصح إيمانه وهومؤمن كما ذكر البغدادي آنفاً . ولا شك أن هذا مذهب الإرجاء " فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين هذين المذهبين ، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان ، قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية ، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً ، كالخوارج والمعتزلة ، ولا يقولون بأنه كامل الإيمان ؛ كالمرجئة والجهمية .

وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفو الله عز وجل عنه فيدخل الجنة ابتداء ، أو يعذبه بقدر معصيته ، ثم يخرجه ويدخله الجنة ، وهذا الحكم أيضاً وسط بين من يقول بخلوده في النار ، وبين من يقول أنه لا يستحق على المعصية عقاباً "(٢) .

ويقول شيخ الإسلام : والأشعرية الأغلب عليهم انهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام " جبرية في باب القدر " وأما في الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم " (٣) .

---

١ - ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة تأليف عبد الله محمد القرني مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٣ الطبعة الأولى ص ١٥٢ .

٢ - شرح العقيدة الواسطية للعلامة محمد خليل الهراس ضبط وتخريج علوي السقاف دار الهجرة ط الأولى سنة ١٤١١هـ ص ١٩١ / ١٩٢ .

٣ - فتاوى شيخ الاسلام جـ٦ ص ٥٥ .

و - لقد جعل البغدادي العمل بأركان الشريعة في المرتبة الأخيرة بل أنه جزء من تلك المرتبة وذلك حين قال : " المسألة الرابعة من هذا الأصل بيان ترتيب التكليف الصحيح عندنا قول من يقول أن أول الوجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلي المعرفة بالله تعالى وصفاته وتوحيده وعدله وحكمته ثم النظر والاستدلال المؤدي إلى جواز إرسال الرسل منه وجواز تكليف العباد ما شاء ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه .

ثم النظر المؤدي إلي تفصيل أركان الشريعة ثم العمل بما يلزمه منها على شروطه" (١) .

وقد جاء الرد على هذا في بيان أول واجب على المكلف وهو الشهادتان والعمل بما تقتضيه من الإخلاص والإتباع ، وهذا دين محمد ﷺ إخلاص العباده لله سبحانه والتوحيد له والعمل بما جاءبه محمد ﷺ من التشريع .

أما مراتب النظر هذه فلم يأمر بها محمد ﷺ وقد تواتر مجيء الوفود لأخذ الإسلام فما أمرهم بشئ منها على الإطلاق وقد أرسل رسله إلى الملوك والأقطار فما حملهم بشيء منها وفي حديث معاذعندما أرسله إلي اليمن النور الساطع والخبر اللامع حول ترتيب التكليف الصحيح على أمة محمد ﷺ .

ز - وحيث إن البغدادي قد أختار الجمع بين مناهج شتى وعدّهم أهل السنة والجماعة في جمع لم يسبقه إليه غيره و " في صياغة آراء الإشاعرة لا علي أنها مجرد فكر لفرقة من فرق المتكلمين وانما على أنها عقيدة لجمهور أهل السنة والجماعة من المسلمين ، وكاد يستقر في أذهان الناس هذا لولا ظهور أمام مذهب السلف ابن تيمية الذي كشف عن أن عقائد الأشاعرة لا يمكن أن ترد كلها إلى الرسول أو أئمة السلف " (٢) . وعلى هذا فقد جمع البغدادي بين المتكلمين الأشاعرة في

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٢١٠ .

٢ - في علم الكلام - الأشاعرة أحمد محمود صبحي مؤسسة الثقافة الإسكندرية سنة ١٩٨٢ ط الرابعة ص ٩٣ .

شتى أطوار مذهبهم المتأرجح وبين أهل الحديث الثابتين على النص والدليل الصحيح من السنة والكتاب وبين الصوفية من أهل العبارات والإشارات وغيرهم ثم قال : "فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة ومجموعهم أصحاب الدين القويم . والصراط المستقيم " (١) .

ومن هنا فإن البغدادي يعرض عقيدة ممتزجة بأقوال واعتقادات متعارضة .

ح - لقد اشترط البغدادي شروطاً لصحة الإيمان وهي شروط نظرية وهذا دليل على أن الإيمان عند البغدادي هو التصديق بالقلب والعلم فقال : " من شروط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقلية في التوحيد والحكمة والعدل وثبوت النبوة والرسالة واعتقاد أركان الشريعة الإسلام . ومن شرطه معرفة صحة ذلك كله بأدلته المشهورة وان لم يعلم دليل فروعها صح إيمانه " (٢) .

ويقول : "والصحيح عندنا قول من يقول ان أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته" (٣) .

وهذا مخالف لاعتقاد أهل السنة والجماعة من حيث الشروط التي ذكر البغدادي ومن حيث أول واجب على المكلف فإن أول واجب كما هو عند أهل السنة والجماعة هو الشهادتان وتحقيقهما والإيمان قول وعمل واعتقاد ، وهذا ما تواتر عند الأمة منذ عهد رسالة المصطفى ﷺ .

---

١ - الفرق بين الفرق ص ٣١٨ أنظر ٣١٣ إلى ٣١٨ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٦٩ .
٣ - نفس المصدر ص ٢١٠ .

الرد على البغدادي في مسألة الإرجاء .

لقد أوضحنا فيما سبق أن البغدادي قد انتصر للقول بالإرجاء وأن الإيمان عقد القلب بالتصديق والمعرفة وبالتالي فإن هذا القول يردمن وجوه :

أولاً : رد أهل السنة على الأشعرية في قولهم أن الإيمان هو التصديق والعلم فقال شيخ الأسلام : وللجمهور من أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبه :

١ - الإيمان يكون بمعنى الإقرار وغيره .

٢ - الإيمان وإن كان في اللغة هو التصديق ، فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائرالجوارح كما قال النبي ﷺ " والفرج يصدق ذلك أو يكذبه "

٣ - الإيمان وإن كان هو التصديق : فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلوب والجوارح . فإن هذه لوازم الإيمان التام ، وانتفاءاللازم دليل على انتقاء الملزوم .

٤ - لفظ الإيمان باق على معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً ، أونقله من المعنى اللغوي إلى معنى شرعي جديد .

ثانياً : إن الله سبحانه قد أثنى على المؤمنين وبين من هم أولئك في كتابه العزيز فقال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ (١) (٢) .

فالله سبحانه وتعالى قد قرر بكلامه أنه قد فاز ونجح وفلح المؤمنون ثم وصفهم

---

١ - سورة المؤمنون آيه ١ - ٤ .

٢ - الإيمان لإبن تيمية ، تحقيق حسين الغزال دار أحياء العلوم بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٩ هـ ص ١٠٧ .

بأبلغ أساليب الوصف وهو اسم الموصول ثم بين حقيقة إيمانهم وهو العمل مبتدئاً بالصلاة .

وهذا أمر ثابت في كتاب الله فما وصف المؤمنين بوصف إلا وأثني على ما قدموه من عمل خالص لله سبحانه . وهذا مفهوم الإيمان كما أراده رسول الله ﷺ يبينه شيخ الإسلام فيقول : " وقد أراد بالإيمان ما بينه بكتابه وسنة رسوله من أن العبد لا يكون مؤمناً إلابه ، كما مّر في الأيات . وهذا متواترفي القران والسنن ومتواترأيضاً أنه لم يكن يحكم لاحد بحكم الإيمان إلا أن يؤدي الفرائض ومتواتر أيضاً أنه أخبر أنه من مات مؤمناً دخل الجنة ولم يعذب، وأن الفساق لا يستحقون ذلك ، بل هم معّرضون للعذاب ، فقد تواتر عنه من معاني أسم الإيمان وأحكامه ما لم يتواتر عنه في غيره ، فأي تواتر أبلغ من هذا ، لكن أخبر أنه يخرج منها من كان معه شيءمن الإيمان ولم يقل أن المؤمن يدخلها ، ولا قال أن الفساق مؤمنون ، لكن ادخلهم في مسمى الإيمان في مواضع"(١) .

وهنا يتبين أن الشارع حدد المراد بالإيمان .

ثالثاً : إن الله سبحانه وتعالى قد نفى الإيمان عمن لم يعمل فقال تعالى : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعدذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ (٢) . وقال تعالى ﴿ فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصو بالحق وتواصوابالصبر " (٤) .

---

١ - الإيمان لإبن تيميه تحقيق حسين الغزال دار إحياء العلوم بيروت ص ١١١ ، ١١٢ .

٢ - سورة النور ايه ٤٧ .

٣ - ايه٣١ ، ٣٢ سورة القيامه .

٤ - سورة العصر .

" فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول . . وفي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة ، كما نفى منها الإيمان عن المنافق ، وأما العالم بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمناً" (١) .

وهذا أساس الخطأ عند المرجئه وهوقولهم أن الإيمان مجرد التصديق والعلم ولهذا قال شيخ الإسلام : " لقد غلط المرجئه في أصلين : أحدهما ظنّهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ، ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب " (٢) وأما الخطأ الآخر عند المرجئة فإن ذلك يتبين من الأمر التالي .

رابعاً : ويقول شيخ الإسلام : " والثاني من غلط المرجئة ؛ ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافرمخلد في النارفإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شئ من العلم والتصديق . وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع ؛ فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع ذلك يمجد ذلك لحسده آياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى في النفس ، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون ولكنهم يكذبونهم . والمشاهد أن هناك خلقاً من الكفار يعرفون في الباطن أن دين الأسلام حق ، ويذكرون ما يمنعهم من الإيمان اما معاداة أهلهم وإما ما لا يحصل من جهتهم يقطعونه عنهم ، واما خوفهم إذا آمنوا أن لا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم " (٣) .

ويقول : " فقد اعترفوا بأن الرسل أتتهم وتلت عليهم آيات ربهم وأنذرتهم لقاء

---

١ - الإيمان لابن تيميه تحقيق الغزال ص ١١٥ ، ١١٦ .
٢ - الإيمان لأبن تيميه تحقيق الغزال ص ١٣٨ .
٣ - نفس المصدر ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

يومهم هذا ، فقد عرفوا الله ورسوله واليوم الآخر وهم في الأخرة كفار ، وقال تعالى " كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء "(١). فقد كذبوا بوجوده وكذبوا بتنزيله وأما في الآخرة فعرفوا الجميع الى آيات أخر كثيرة تدل على أن الكفار في الأخرة يعرفون ربهم ؛ فإن كان مجرد المعرفة إيماناً كانوا مؤمنين في الأخرة . فإن قالوا الإيمان في الآخرة لا ينفع ، وإنما الثواب على الإيمان في الدنيا ، قيل هذا صحيح لكن إذا لم يكن الإيمان إلا مجرد العلم فهذه الحقيقة لا تختلف ، فإن لم يكن العمل من الإيمان فالعارف في الآخرة لم يفته شيء من الإيمان "(٢) .

خامساً : ولهذا علم مما تقدم ان الإيمان قول واعتقاد وعمل وهذا مذهب أهل السنة والجماعة " ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وان الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين : ظاهره وباطنه ، أصوله وفروعه ، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئاً . ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان ؛ كان الإيمان قابلاً للزيادة والنقصان ، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة "(٣) .

أما البغدادي فإنه يتضح مما تقدم أن الإيمان عنده هو التصديق بالقلب والعلم وقد بين الشهرستاني في الملل والنحل أن القول بهذا موافق لقول جهم وهكذا أخبرنا

---

١ - سورة الملك آيه ٨ .

٢ - الإيمان لابن تيميه تحقيق الغزال ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

٣ - شرح العقيدة الواسطية للهراس حققه علوي السقاف دار الهجرة ط الأولى سنة ١٤١١هـ ص ٢٣١ .

ابن تيمية (١) " والإرجاء على معنين :

أحدهما : بمعنى التأخير كما قال تعالى ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ (٢) أي أمهله وأخره .

والثاني : أعطاء الرجاء أما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح . لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد .

وأما بالمعنى الثاني فظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية . كما لا تنفع مع الكفر طاعة (٣) .

وهنا يقول شيخ الإسلام : " وبهذا وغيره يتبين فساد قول جهم والصالحي ومن أتبعهما في الإيمان كالأشعري في أشهر قوليه ، وأكثر أصحابه ، وطائفة من متأخري أصحاب أبي حنيفة : كالماتريدي ونحوه حيث جعلوه مجرد تصديق القلب يتساوى فيه العباد . وانه أما أن يعدم وأما أن يوجد لا يتبعض ، وانه يمكن وجود الإيمان تاماً في القلب مع وجود التكلم بالكفر والسّب لله ورسوله طوعاً من غير إكراه ، وإن ما علم من الأقوال الظاهرة أن صاحبه كافر ، فلأن ذلك مستلزم عدم ذلك التصديق الذي في القلب في الأفعال وان الأعمال الصالحة الظاهرة ليست لازمة للإيمان الباطن الذي في القلب ، بل يوجد إيمان القلب تاماً بدونها فإن هذا القول فيه خطأ من وجوه :

أحدهما : أنهم أخرجوا ما في القلوب من حب الله وخشيته ونحو ذلك أن يكون من نفس الإيمان .

وثانيهما : أنهم جعلوا ما علم أن صاحبه كافر - مثل ابليس وفرعون واليهود وأبي طالب وغيرهم - انما كان كافر : لان ذلك مستلزم عدم تصديقه في الباطن . وهذه مكابرة للعقل والحسن .

١- أنظر فتاوى شيخ الإسلام جـ٦ ص ٥٥ .

٢ - سورة الشعراء آيه ٣٦ .

٣ - الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص ١٣٩ .

وثالثهما : أنهم جعلوا ما يوجد من التكلم بالكفر من يسب الله ورسوله والتثليث وغير ذلك قد يكون مجامعاً لحقيقة الإيمان الذي في القلب . ويكون صاحب ذلك مؤمناً عند الله حقيقة ، سعيداً في الدار الأخرة . وهذه يعلم فساده بالإضطرار من دين الإسلام

ورابعهما : أنهم جعلوا من لا يتكلم بالإيمان قط مع قدرته على ذلك ، ولا طاع الله طاعة ظاهرة مع وجوب ذلك عليه وقدرته ، يكون مؤمناً بالله تام الإيمان سعيداً في الدار الأخرة . وهذه الفضائح تختص بها الجهمية دون المرجئة من الفقهاء وغيرهم .

وخامسها : وهو يلزمهم ويلزم المرجئة . أنهم قالوا : ان العبد قد يكون مومناً تام الإيمان ، ايمانه مثل ايمان الأنبياء والصديقين . ولو لم يعمل خيراً لا صلاة ولا صلة ولا صدق حديث . ولم يدع كبيرة إلا ركبها .

وسادسها : أنه يلزمهم أن من سجد للصليب والأوثان طوعاً . والقى المصحف في الحش عمداً ، وقتل النفس بغير حق . . يجوز أن يكون مع ذلك مومناً"(١) .

وهذا ما أورده البغدادي في أصول الدين حيث قال : " والسجود للشمس أو للصنم وما جرى مجرى ذلك من علامات الكفر وان لم يكن في نفسه كفرا إذا لم يضامّة عقد القلب على الكفر"(٢) .

ثم يقول إن صاحب المعرفة بالله وأصول الدين مؤمناً وعاقبته الجنة : والطاعات عندنا أقسام : أعلاها يصير بها المطيع عند الله مؤمناً وكون عاقبته لاجلها الجنة أن

١- فتاوى شيخ الإسلام جـ ٧ أنظر ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ .
٢ - اصول الدين للبغدادي ص ٢٦٦ .

مات عليها . وهي معرفة أصول الدين في العدل والتوحيد والوعد والوعيد والنبوات والكرامات ومعرفة أركان شريعة الإسلام وبهذه المعرفة يخرج عن الكفر (١) .

وقد تقدم تأخيره العمل في المرتبة الأخيرة من مراتب التكليف التي أبتدعها في الأصل العاشر المسألة الرابعة (٢) .

ولا يخفى على الباحث محاولـــة الجمع بين مذاهب شتى في تلك الأصول عنده ومن هنا بدأ التوفيق عند الأشاعرة من المراحل الأولى للمذهب غير أن المذهب الكلامي الذي سلكه البغدادي يبقى واضحاً وجلياً ولا علاقة له بمذهب أهل السنة والجماعة .

---

١ - اصول الدين للبغدادي ص ٢٦٨ .

٢ - نفس المصدر ص ٢١٠ .

جمع البغدادي أصناف من أعتقد أنهم أهل السنة والجماعة فقال " أعلموا – أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس : ثم قال " والصنف السادس منهم : الزهاد الصوفية الذين أبعدوا فأقصروا ، وأختبروا فأعتبروا ، ورضوا بالمقدور ، وقنعوا بالميسور ، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر ، ومحاسب على مثاقيل الذر ، فأعدوا خير الإعداد ، ليوم المعاد ، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة" (١) .

ثم عقد البغدادي مسألة من مسائل أصول الدين عنده في ترتيب أئمة التصوف والإشارة ثم عدد زهاد القرن الثالث ثم قال :"وقد أشتمل كتاب تاريخ الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي على زهاء ألف شيخ من الصوفيه"(٢) .

ولا شك أن هذا ناتج عن تأثر البغدادي بالعصر الذي عاش فيه فقد ذكر ابن عساكر في تبيين كذب المفترى " أن أبا القاسم القشيري قد تتلمذ وقرأ على البغدادي"(٣).ومعلوم أن القشيري هو صاحب الرسالة في التصوف ويمثل ذلك بداية التقاء التصوف بالمذهب الأشعري وذلك مما أدى إلي " تصوف بعض الأشاعرة وتبنى بعض الصوفية مذهب الأشاعرة كما سيأتي بيانه وربما ليس بين فرق المسلمين من فرقة أوثق صلة بالصوفية من الأشاعرة " (٤) .

ثم يقول صاحب كتاب الأشاعرة أن من عوامل الإرهاب الفكري عند البغدادي هو : " إتصال الأشاعرة بالصوفية ، ومن شأن التصوف – كما سبقت الاشارة – أن

١ – الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣١٧ .
٢ – أصول الدين للبغدادي ص ٣١٥ .
٣ –تبيين كذب المفترى لابن عساكر الدمشقي دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٩ أنظر ص ٢٥٤ .
٤ – في علم الكلام الأشاعره لأحمد محمود صبحي أنظر ص ٩٢ .

يمكن التسليم والتصديق والتقديس والكف عن المناقشة والإعتراض فليس من شأن الصوفية الجدل والاستدلال ، وانما يسلك المريد طريق التصوف وهو من الإيمان على يقين ، ولقد كان هذا الإيمان هو الإعتقاد بما يقول به الأشاعرة . ومن ثم فقد أشار البغدادي إلي أن كتاب طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي قد أشتمل على زهاء الف شيخ من الصوفية كلهم من أهل السنة" (١) .

ولقد سبق إلي هذا القول شيخ الاسلام ابن تيمية في الاستقامة معلقاً على رسالة القشيري فقال : " فيما ذكره الشيخ أبو القاسم القشيري في رسالته المشهورة من إعتقاد مشايخ الصوفية . فإنه ذكر من متفرقات كلامهم ما يستدل به على أنهم كانوا يوافقون إعتقاد كثير من المتكلمين الأشعرية ، وذلك هو اعتقاد أبي القاسم الذي تلقاه عن أبي بكر بن فورك وأبي اسحاق الأسفرايين" (٢) بل والبغدادي الذي " اختلف إليه الأئمة فقرؤا عليه مثل ناصر المروزي وأبي القاسم القشيري وغيرهما " (٣) .

ويقول إبن الجوزي في تلبيس أبليس " والتصوف طريقة كان أبتداؤها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص ، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام ، لما يظهرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب . . ثم يقول . . كانت النسبة في زمن الرسول ﷺ إلى الإيمان والإسلام ، فيقال مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا ،وانقطعوا إلي العبادة ، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ، واخلاقاً تخلقوا بها ورأوا أن أول من أنفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى

١ - نفس المصدر ص ٩٦ ، ٩٧ .
٢ - الإستقامه لشيخ الإسلام تحقيق د . محمد رشاد سالم مكتبة السنه القاهره طبعة الثانيه سنة ١٤٠٩ جـ ١ ص ٨١ ، ٨٢ .
٣ - تبين كذب المفترى لأبن عساكر الدمشقي ص ٢٥٤ .

عند بيته الحرام رجل يقال له : صوفة . . فأنتسبوا إليه ؛ لمشابهتهم إياه في الأنقطاع إلى الله سبحانه وتعالى ، فسموا بالصوفية . . وقال أخرون : بل هو منسوب إلى الصوف . وهذا يحتمل والصحيح الأول"(١) .

وهذا شيخ الإسلام يجيب على سائل عن الصوفية فقال :" والصواب : للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وخير القرون القرن الذي بعث فيهم ، وأن أفضل الطرق والسبل إلي الله ما كان عليه هو وأصحابه ، ويعلم من ذلك أن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم . . فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع"(٢) . ثم يبين شيخ الإ سلام المرجع في الطاعات فيقول :" يجب أن يعرف أن المرجع في القرب والطاعات والديانات والمستحبات إلى الشريعة ، ليس لأحد أن يبتدع ديناً لم يأذن الله به ، ويقول : هذا يحبه الله ، بل بهذه الطريق بدل دين الله وشرائعه ، وابتدع الشرك وما لم ينزل الله به سلطاناً . وكل ما في الكتاب والسنة ، وكلام سلف الأمة ، وأئمة الدين ومشايخه ، من الحض على أتباع ما أنزل إلينا من ربنا ، واتباع صراطه المستقيم ، واتباع الكتاب ، واتباع الشريعة ، والنهي عن ضد ذلك ، فكله نهي عن هذا ، وهو ابتداع دين لم يأدن الله به ، سواء كان الدين فيه عبادة غير الله وعبادة الله بمالم يأمر به ، بل دين الحق أن نعبد الله وحده لا شريك له بما أمرنا به على ألسنة رسله"(٣) .

---

١ -تلبيس أبليس لأبن الجوزي تحقيق علي حسن علي عبد الحميد دار ابن الجوزي الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

٢ - فتاوي شيخ الإسلام التصوف جـ ١١ ص ١٤ ، ١٥ .

٣ - الإستقامة لشيخ الإسلام تحقيق د محمد رشاد سالم مكتبة السنة القاهرة ط الثانية سنة ١٤٠٩ جـ ١ ص ٢٤٨ .

علاقة التصوف بالمذهب الأشعري في زمن البغدادي :

لقد أضبح واضحاً مما سبق أن التصوف والصوفية ملازمان لمذهب البغدادي الذي عد الصوفية صنفاً من أصناف أهل السنة والجماعة الثمانية عنده (١) .

ثانياً : لقد ذكر شيخ الإسلام في الإستقامة أن أبا القاسم القشيري والذي تتلمذ ودرس وقرأ على البغدادي - كان قد ذكر في رسالته أن اعتقاد مشائخ الصوفية على اعتقاد الأشاعرة (٢) .

ثالثاً : إن التصوف أصبح منهجاً له شيوخه ومؤلفاته وذلك في عصر البغدادي وقد ذكر ابن خلدون التصوف في مقدمته فقال : " فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقتهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الأقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين الأمرين في كتاب الإحياء فدون فيه أحكام الورع والأقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح أصطلاحاتهم في عباراته وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال " (٣) وعلى هذا فقد رسخ التصوف في معتقد الأشاعرة عند الغزالي وهو إمام من أئمة الأشاعرة.

---

١ - أنظر أصول الدين للبغدادي والفرق بين الفرق ٣١٥ ، ٣١٧ .

٢ - أنظر نفس المصدر السابق الإستقامة جـ١ ص ٨١ ، ٨٢ .

٣ - مقدمة بن خلدون دار التراث العربي بيروت سنة ١٤٠٨ ص ٤٦٩ .

رابعاً : كان اسماعيل بن نجيد النيسابوري وهو شيخ البغدادي شيخاً للصوفية في خراسان وانفق ماله على الزهاد والعلماء وصحب الجنيد وأبا عثمان الحيري . وكان صاحب أحوال ومناقب قال سبطه عبد الرحمن السلمي - الذي - ذكر البغدادي أنه الف كتاباً فيه الف صوفي :"سمعت جدي يقول كل حال لا يكون عن نتيجة علم وان جل فإن ضرره على صاحبه أكبر من نفعه"(١) .

خامساً : قال الشيخ ابن الصلاح :"ورأيت له كتاباً في معنى لفظتي التصوف والصوفي جمع فيه من أقوال الصوفية زهاء الف قول مرتبه على حروف المعجم ، ومن قوله فيه : التصوف مجانبة الأجانب من كل جانب ، التصوف غيث بلا عيث الصوفي هو الذي لا يطمع فيمن يطمع ، الصوفي من لا يبالي أن يكون ملوما إذا لم يكن مليماً . الصوفي مفهم ملهم ، عن دعواه مفحم"(٢) .

سادساً : أورد السبكي في طبقاته :"وكتاب تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر "(٣) وذلك في اثناء ترجمته للبغدادي وفي كل خير لكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء . غير أن في هذا دلالة على الإتجاه الصوفي عند البغدادي وتبرير الزهد والأنزواء والعطالة عن الكسب الحلال والنظر شزراً للناس وتصنيفهم إلى عباد وعامة وخاصة .

---

١ - شذرات الذهب لابن العماد جـ ٣ ص ٥٠ دارالفكر .

٢ - طبقات الفقهاء الشافعيه لأبن الصلاح هذبه النووي حققه محب الدين نجيب دار البشائر الإسلاميه ط أولى سنة ١٤١٣ هـ جـ ٢ ص ٥٥٤ .

٣ - طبقات الشافعية السبكي جـ ٣ ص ٢٣٨ .

حقيقة التصوف

يقول الشيخ صالح الفوزان : " لفظ التصوف والصوفيــة لم يكن معروفاً في صدر الاسلام وانما هو محدث بعد ذلك أو دخيل على الإسلام من أمم أخرى" (١) .
وقال شيخ الإسلام : " أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرن الثالث ، وانما أشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ " (٢)
وقد أنبرى علماء هذا العصر فبينوا حقيقة التصوف وجذوره فقالوا : " ويبدو أنه لتأثير الرهبنة المسيحية* التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف وهم في أديرتهم كثرة كثيرة من المنقطعين لهذه الممارسة على إمتداد الأرض التي حررها الإسلام بالتوحيد أعطى هو الأخر دوراً في التأثر الذي بدا على سلوك الأوائل " (٣) من كتاب الصوفية معتقداً ومسلكاً للدكتور صابر طعيمة .

ويقول الشيخ إحسان الهي ظهير في كتابه التصوف المنشأ والمصادر " عندما نتعمق في تعاليم الصوفية الأوائل والأواخر وأقاويلهم المنقولة منهم والمأثورة في كتب الصوفية القديمة والحديثة نفسها نرى بوناً شاسعاً بينها وبين تعاليم القرآن والسنة ، وكذلك لا نرى جذورها وبذورها في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ وأصحابه الكرام البررة خيار خلق الله وصفوة الكون ، بل بعكس ذلك نراها مأخوذة مقتبسة من الرهبنة المسيحية والبرهمة الهندوكية وتنسك اليهودية وزهد البوذية ".

ويقول الشيخ عبد الرحن الوكيل في مقدمة كتابه مصرع التصوف " إن التصوف أدنأ وألأم كيداً أبتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ولرسوله ، إنه قناع

---

١ - مجلة البحوث الإسلاميه الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء العدد ٢٢ سنة ١٤٠٨هـ ص ١٤٩ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ١١ ص ٥ .
٣ - نفس المصدر السابق مجلة البحوث أنظر ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .
* النصرانية .

المجوس يتراءى بأنه رباني ، بل قناع كل عدو صوفي للدين الحق فتش فيه تجد برهمية وبوذية وزراد شتبه وما نويه وديصانية تجد أفلاطونيه وغنوصية تجد فيه يهوديه ونصرانيه ووثنية جاهلية » ثم يقول الشيخ صالح الفوزان : ومن خلال عرض آراء هؤلاء الكتاب المعاصرين في أصل الصوفية وغيرهم مما لم نذكره ، كثيرون يرون هذا الرأي .

يتبين أن الصوفية دخيلة على الإسلام يظهر ذلك في ممارسات المنتسبين إليها تلك الممارسات الغريبة على الإسلام والبعيدة عن هديه » (١) .

وبعد فهؤلاء الصوفية الذين سماهم البغدادي أهل العبارات والإشارات وصنفهم وعدهم صنفاً من أهل السنة والجماعة ولا أدري كيف أعتمد هذه الأصناف وحدّها بثمانية أصناف غير أن له سابقة في أصول الدين حيث قسمها خمسة عشر أصلاً وأحتج على تقسيمه بما لا طائل تحته .

أما هؤلاء الصوفية فإن كان الإسلام يشملهم فلا داعي لهذه الطقوس والتسميات والشطحات والعبارات والإشارات وإن كانوا مصرين عليها فإن الإسلام غني عنهم .

كيف وعصر الصحابة وصدر الإسلام علم وجهاد ودعوة واتباع واخلاص فهل ما عند هؤلاء القوم زيادة على ذلك العصر الناصع البياض الساطع بنور النبوة والرسالة. وقد أتم الله دينه ونعمته ثم رضي لنا بما بلغنا به رسول الهدي وخاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

والمبحث ينتهي إلي أن الصوفية رمز لا يشرف أصحابه كيف وقد أصبحت كتبهم وإشاراتهم وعباراتهم مصدر معلومات المستشرقين والمغرضين ضد هذا الدين

---

١ - مجلة البحوث الإسلاميه الأمانهٔ العامهٔ لهيئة كبار العلماء العدد ٢٢ سنة ١٤٠٨هـ ص ١٥٠ , ١٥١ , ١٥٢
وقد نقل الشيخ الفوزان من الكتب الثلاثه في التصوف .

الحنيف فلا يعرف الإسلام في الغرب والشرق إلا من مباحث المستشرقين الذين توغلوا في دراسة تلك المذاهب المنحرفة .

بل أن مساجد للمسلمين اليوم في شتى الأقطار قد ملئت من الاضرحة والمزارات التي يطوف عليها الناس كطوافهم على البيت العتيق إلا من هدى الله .

وأفضل ما يختتم به هذا المبحث ما سجله الإمام ابن الجوزي في نهاية القرن السادس حيث قال : "فلبّس أبليس عليهم في أشياء ، ثم لبّس على من بعدهم من تابعيهم ، فكلما مضى قرن ؛ زاد طمعه في القرن الثاني ، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن . وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم ، تخبطوا في الظلمات . . ثم ما زال الأمر ينمي ، والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً . ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بُعدهم عن العلماء ، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم ؛ حتى سمّوه العلم الباطن ، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . . ثم تشعبت باقوام منهم الطرق ، ففسدت عقائدهم : فمن هؤلاء من قال بالحلول ، ومنهم من قال بلاتحاد .

وما زال أبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً" (١)

فكيف يُعد هؤلاء القوم من أهل السنة والجماعة فلاشك أن البغدادي قد تأثر بعصره ، وجانب الصواب والحق في تقسيمه وتقييمه لأولئك الصوفيه .

وإذا كان هذا حال أولئك في القرن السادس واتصالهم بالأشاعرة فإنهم اليوم أتم حالاً وأكثر اتصالاً .

---

١ - تلبيس ابليس لابن الجوزي تقديم علي حسن عبد الحميد دار ابن الجوزي سنة ١٤١٠هـ الطبعة الأولى ص أنظر ٢١٠ ، ٢١١ .

الفصل الثالث

وجود الله

إن الذين أخضعوا وجود الله سبحانه وتعالى للبحث والنظر والاستدلال ! لم يقصدو ا بهذا إلا صرف الأمة عما أُمرت به وما بسببه خلقت قال تعالى : "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " (١) وإذا كان المتكلمون من المسلمين قد تابعوا أولئك في منهجهم الإستدلالي لمعرفة الله واثبات وجوده إعتماداً على العقل وإعراضاً عن الشرع ، فقد أدى بهم إلى مجرد المعرفة وإهمال ونسيان ما يجب لله . بل أن تلك المعرفة لم تكن كما ينبغي لله كما عرّف هو نفسه في محكم تنزيله وكما أخبر بذلك رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وذلك بما أسموه توحيداً فتعدوا على جناب التوحيد ، أو تنزيها فقصروا عن كمال الله سبحانه وتعالى بمحض إجتهاداتهم وإقحام عقولهم ، وعدّواذلك أول واجب على المكلف (٢) .

وإذا تجوّزنا ما يرد على استدلالهم من اعتراضات شرعية وعقلية ، فإنهم قد أثبتوا توحيد الربوبية بعد عناء التدقيق وطول الطريق "فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر رب البرية بقوله " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله "(٣) وعندما دعاهم المصطفى صلى الله عليه وسلم للإيمان بالله لم ينكرو ا وجوده ولكنهم أنكروا أن يكون الإله واحداً زعماً منهم أن تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها إنما هي أرباب من دون الله تقربهم إلى الله زلفى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا

---

١ - آيه ٥٦ سورة الذاريات .

٢ - أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٢١٠ .

٣ - آيه ٢٥ سورة لقمان .

لِيقربونا إلى الله زلفى ﴾(١) فجحدواالتوحيد وامتنعوا عن الشهادة بلا إله إلا الله لأنهم يعلمون ما سيترتب على ذلك الإقرار وهو صرف العبادة لله وحده لا شريك له .

ثم نصر الله عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وخفقت رأية التوحيد والجهاد ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فكمُلت الرسالة و خُتمت النبوة .

ومضى عصر السلف رضوانالله عليهم والتابعين لهم وفُتحت الدنيا أمام الإسلام من الأندلس غرباً إلى الصين شرقاً وجميع ذلك والإسلام لم يتجاوز القرن الأول من الهجرة الشريفة .

وفي نهاية القرن الثاني الهجري بدأت عوامل شتى في التأثير على منهج الأمة السليم

فمنهم من بقى ثابت المنهج سليم العقيدة " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " (٢) ومنهم من اجتالته الشياطين واستمرأ الفكر الإعتزالي الذي أخذ ينخر في طود الأمة وثباتها وما لبث أن تابعته مناهج أخرى تستقي من نفس المصدر على إستحياء وذلك ما أصاب الأمة من البلواء .

إثبات وجود الله عند المتكلمين ! .

لقد حصر صاحب المواقف طرق الاستدلال على الله في خمسة مسالك ثم قال : " المسلك الأول للمتكلمين : قد علمت أن العالم إما جوهر أوعرض وقد يستدل على إثبات الصانع بكل واحد منهما : إما بإمكانه أو بحدوثه بناءً على أن علة الحاجة عندهم إما الحدوث وحده أوالإمكان مع الحدوث "(٣) .

١ - ايه ٣ سورة الزمر .
٢ - ايه ٢٧ سورة إبراهيم .
٣ - شرح المواقف للجرجاني الموقف الخامس تحقيق د . أحمد المهدي مكتبة الأز هر - دارالحمامي للطباعة سنة ١٩٧٦ ص ٥ .

المبحث الأول

طريقة البغدادي في الاستدلال على وجود الله

ذهب البغدادي في الاستدلال على وجود الله تعالى مذهب المتكلمين المعتزلة والأشاعرة وغيرهم الذين أعملوا العقل وأهملوا النقل في إثبات الصانع فقال : "وقال أصحابنا إن العقول تدل على حدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته الأزلية"(١).

ومما يثبت أنه يقول بقول أصحابه الأشاعرة قوله : "الصحيح عندنا قول من يقول إن أول الواجبات على المكلف النظر والإستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته"(٢).

وقد اعترف البغدادي للذين يستدلون بمخلوقات الله على الله بأنهم أصح من دليله وذلك أثناء تعريفه للعالم فقال : "وقال آخرون أنه مأخوذ من العَلَم الذي هو العلامة وهذا أصح لأن كل ما في العالم علامة ودلالة على صانعه "(٣) .

فهل أستدل بدليل الخلق على وجود الله؟ الواضح من قوله بأن أول الواجبات على المكلف هو النظر أنه لم يأخد بدليل الخلق ولم يعتمده وإن كانت فطرته تنازعه في ذلك كما أنه لم يذكر في مصنفاته شيئاً من ذ لك وهذا دليل على أنه أعتمد دليل الحدوث للجواهر والأعراض الذي قال فيه : "العالم عند أصحابنا كل شيء هو غير الله عزوجل . والعالم نوعان : جواهر واعراض . والجواهر كل ذي لون، والأعراض هي الصفات القائمة بالجواهر من الحركة والسكون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وسائر الأعراض"(٤). وإلى هذا ذهب

---

١ - أصول الدين ص ٢٤ .

٢ - أصول ادين ٢١٠ .

٣ - أصول الدين ص ٣٤ .

٤ - أصول الدين ص ٣٣.

البغدادي فقال : "وقولنا أن العالم جملةالجواهر والأعراض شامل للأعداد التي ذكرها" (١) وذلك في رده على اختلاف المفسرين في العالم .

الجوهر والعرض عند البغدادي :

حينما أستدل البغدادي بدليل الجواهر والأعراض كغيره من المتكلمين فإنه من الواجب معرفة ماهيةالجوهر والعرض عنده حين قال : "المفردات من العالم نوعان : أحدهما مفرد في ذاته ينفي الأنقسام عنه . والثاني مفرد في الجنس دون الذات . فالمفرد في ذاته نوعان أحدهما جوهر واحد وهو الجزء الذي لا يتجزء وكل جسم من أجسام العالم ينتهي بالقسمة إلى جزء لا يتجزئ . والنوع الثاني مما لا يتجزئ كل عرض في نفسه فإنه شئ واحد مفتقر إلى محل واحد" (٢).ثم قال : "فإما اثبات الجوهر جزألا يتجزئ فعليه جمهور المسلمين غير النظام" (٣) فإنه زعم أنه لانهاية لا جزأ الجسم الواحد وبه قال أكثر الفلا سفة ولوكان كما قالوه لم يكن الجبل أعظم من الخردلة إذا لم يكن لا جزاء كل واحد منهما نهاية لأن مالا نهاية في الوجود لا يزيد علي مالانهاية له في الوجود" (٤) .

وأما الأعراض فقد نفاها الأصم وطوائف من الدهرية والسمنية فرد عليهم البغدادي وقال : "دليلنا عليهم وجودنا الجسم يتحرك بعد كونه ساكناً ولا يجوز أن يكون تحركه لعينه لوجود عينه في حال سكونه غير متحرك فعلمنا بذلك أن تحركه

---

١ - أصول الدين ص ٣٤ .

٢ - أصول الدين ص ٣٥ .

٣ - هو أبو اسحاق ابراهيم بن سيار ابن أخت الهزيل وأخذ عنه الإعتزال وشيخ الجاحظ من أذكياء المعتزله قرر مذهب الفلاسفة في القدر اطلع على كثير من كتب الفلاسفه وذهب مذهبهم وتوفي ما بين سنة ٢٢١ وسنة ٢٢٣ هـ العبر ١ / ٣١٥ .

٤ - أصول الدين ص ٣٦ .

كان لمعنى فيه غير ذاته وكذلك رأينا الجسم أسود بعد أن كان أبيض ولم يكن أسود لعينه لوجود عينه في حال لم يكن فيها أسود فعلمنا أنه إنما كان أسود لمعنى قام به فمن سلم لنا قيام معنى به ونازع في اسمه والخلاف معه في الإسم دون المعنى (١) .

وأثبت البغدادي أن التركيب في الجوهر والجسم أما الأعراض فلا تركيب فيها فقال : "التركيب أنما يصح في الجواهر والأجسام ، والأعراض لا يصح فيها تركيب ولا مماسه ولا أنتقال من مكان إلى مكان "(٢) .

أما الأعراض فإنها قد بلغت عند البغدادي ثلاثين نوعاً فقال : " . . . والثلاثون كل اعتقاد صحيح كان أو فاسداً فإن الإعتقاد عندنا ليس من جنس العلم ولا من جنس الجهل . فهذه أنواع الأعراض عندنا . ثم قال : واختلف أصحابنا في الإعادة فأثبتها القلانسي معنى يقوم بالمعاد ولذلك منع اعادة الأعراض "(٣) .

الأعراض غير باقية :

قال البغدادي إختلفوا في بقاء الأعراض : فأحاله أصحابنا والكعبي (٤) واجازت الكرامية بقاءجميع الأعراض ثم قال : ودليلنا على استحالة بقاء الأعراض أن القول ببقائها يؤدي إلى إحالة عدمها لأن العرض لو بقى لم يكن بقاؤه لحدوث معنى فيه حتى إذا قطع عنه ذلك المعنى فني لوجب أن لا يجوز عدمه ، لطريان ضده عليه بان يوجب عدمه ، أولى من أن يكون وجوده مانعاً من طريان ضده عليه . ثم أخذ يرد علي الكراميه فيقول : وقلنا للكراميه إذاكان عدم العرض عندكم بقول الله تعالى

١ - أصول الدين ص ٣٧ .
٢ - أصول الدين ص ٣٨ .
٣ - أصول الدين ص ٤٥ .
٤ - هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي الكعبي من شيوخ المعتزله ورأساً لطائفة الكعبية نسبة إليه توفي سنة ٣١٩ شذرات الذهب .

إفن وارادته لعدمه وصح وجود المقول له مع هذا القول وهذه الإرادة في حال حدوثها عندكم فهلاّ صح بقاء هذه الثلاثة أحوالاً كثيرة لأن كل شيئين لايتنافى وجودهما في حالة واحدة لا يتنافيان بعد ذلك . وقلنا لأبي الهذيل (١) إذا كان بقاء الباقي عندك بقول الله أبق وهذا القول حادث عندك لافي محل فما الذي يمنعه من أن يقول الإرادة أبق فيلزمك على هذا إجازة بقاءالحركة والإرادة وذلك خلاف أصلك" (٢) .

ويرى البغدادي وأصحابه أن الأجسام متجانسه وأن اختلافها في سائر الأحكام انما هو لإختلاف الأعراض ثم قال : "ودليل هذا القول أن أعظم أنواع الإختلاف بين الأجسام مانراه من الإختلاف بين الأرض والماء والنار والهواء وما نراه من الإختلاف بين الحيوان والجمادات وأنواع النبات وهذه الأنواع مع اختلافها في الصورة واللون والطعم والرائحة والوزن يستحيل بعضها إلى بعض" (٣) .

وبعد عرض مقدمات دليل الحدوث عند البغدادي يمكن لنا أن نورد خطوات الدليل عنده :

أولاً : إثبات حدوث الأعراض :

لقد أثبت البغدادي في مقدمته وجود الأعراض وأنواعها ليثبت بعد ذلك حدوثها فقال : " قال المسلمون وكل من أقر بشريعة بحدوثها واختلفت الدهرية فمنهم من قال بحدوثها وزعم أن الأجسام سابقة وهم أصحاب الهيولي ، ومنهم من قال أن الأعراض حادثة إلا أنه لا حادث إلا وقبله حادث . . وزعم آخرو ن منهم

١ - محمدأبن الهذيل بن عبد الله البصري العلاّف شيخ المعتزلة ومقرر طريقتهم والمناظر عليها أخذ الإعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء أختلف في سنة وفاته ٢٢٦ - ٢٣٥ - ٢٣٧ هـ شذرات الذهب .
٢ - أصول الدين ص٥٢ .
٣ - أصول الدين ص ٥٤ .

أن الأعرض قديمة في الأجسام غير أنها تكمن وتظهر فإذا ظهرت الحركة في الجسم كمن السكون وإذا ظهر السكون كمنت الحركة . ثم يرد عليهم البغدادي " فقلنا لأصحاب الكمون والظهور لو كان العرض يظهر ويكمن لوجب أن يكمن بعد ظهوره لمعنى يقوم به وهذا يؤدي إلي قيام عرض بعرض وذلك محال فما يؤدي إليه مثله .

وإذا استحال ذلك استحال الظهور والكمون على الأعراض فصح أنها كلها حوادث في الأجسام "(١)

ثانياً : إستحالة تعري الأجسام من الأعراض :

وهنا يثبت البغدادي أقوال أصحابه فيقول : ذهب شيخنا أبو الحسن الأشعري إلي إستحالة تعري الأجسام من الألوان والأكوان والطعوم والرو ائح ، وقال لا بد أن يكون في كل جوهر لون وكون وطعم ورائحة وحرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وحياة أوضدها وإذا وجد في حالين فلابد من وجود بقاء فيه في كل حال بعد حال حدوثه .

ثم أخذ يورد اعتراضات مَن أعترض عليه فقال : " وزعم أبو هاشم واتباعه أن الجوهر في حال حدوثه يجوز تعريه من الأعراض كلها إلا من الكمون ، وزعم الصالحي وأتباعه : أنه يجوز وجود الجوهر خالياً من الأعراض كلها ، وزعم ابن المعتمر أن الجوهر الواحد لا يحتمل الأعراض فإذا اجتمعت ثمانية أجزاء وصارت جسماً أحدثت في أنفسها الأعراض طباعاً .

وزعم أصحاب الهيولي أن هيولي العالم كان شيئاً واحداً خالياً من الأعراض ثم حدثت فيه الأعراض فتركب منها العالم .

١- أصول الدين للبغدادي ص ٥٥ .

ثم يرد البغدادي على أصحاب الهيولي فيقول : "هل كانت الهيولي في الأصل جوهراً واحداً أوجواهر ؟ فإن قالوا كانت جوهراً واحداً قيل فكيف صارت بحدوث الأعراض فيه جواهر كثيرة وحدوث العرض في الشئ أنما يغير صفته ولا يزيد في عدده ، وإن قالوا كانت الهيولي قبل حدوث الأعراض فيها جواهر وأشياء قيل الجواهر لا تخلو من اجتماع وافتراق وهما عرضان . وفي هذا بطلان قولهم بتعريتهامن الأعراض .

وقلنا للصالحي إذا خرق تعري الجواهر من الأعرض فبم تنفصل من أهل الهيولي إذا أدعوا من قدم الهيولي وزعموا انها كانت في الأزل خالية من الأعراض ثم حدثت الأعراض فيها وكل قول يلزمك عليه مقالة فاسدة فهو فاسد مثلها " (١)

ثالثاً : حدوث الأجسام : وبعد أن أثبت تلازم الجوهر والعرض وأثبت أن الأعراض حادثه فقال : "وقال أهل الحق بحدوث جميع الأجسام والأعرض ودليل ذلك: أنا قد دللنا قبل هذا على حدوث الأعراض في الأجسام ودللنا أيضاً على أستحالة تعري الأجسام من الأعراض الحادثة فيها فإذا صح أن الأجسام لم تسبق الأعراض الحادثه وجب حدوثها لأن مالم يسبق الحوادث كان محدثاً كما أن مالم يسبق حادثاً واحداً كان محدثاً " (٢) .

وبهذا يتحقق حدوث الأجسام عند البغدادي وهي الخطوة الثالثة من خطوات الدليل عنده ثم يقول للرد على المعترضين : "ولا معنى لاعتراضهم على هذه الأدلة بأن الأجسام لم تسبق الألوان والأعراض ولا يجب كونها الواناً ولا عرضاً

---

١ - أصول الدين أنظر ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .
٢ - نفس المصدر ص ٥٩ ، ٦٠ .

كذلك لم تسبق الحوادث ولا يجب كونها حوادث ، لإنا نقابل الجملة بالتفصيل فإذا جاز أن لا يسبق لونا واحداً وعرضاً واحداً مالا يكون لوناً ولا عرضا جاز أن لا يسبق الألوان والأعراض مالا يكون لوناً ولا عرضاً وكل ما لا يسبق حادثاً واحداً وجب كونه حادثاً كذلك ما لم يسبق الحوادث كونه حادثاً "(١) .

وقد أورد هذه الردود على تلك الفرقة التي ذكر الخلاف معها فقال : " والخلاف في حدوث الأجسام مع فرق : أحداها الدهرية المعروفة بالأزلية لدعواها أن العالم كان في الأزل على هذه الصورة في أفلاكه وكواكبه وسائر أركانه وأن الحيوانات متناسلة كماهي الآن كذلك والخلاف الثاني مع أصحاب الهيولي في قولهم هيولي العالم قديمة وأعراضها حادثة والخلاف الثالث مع الثنوية في قولهم بقدم النور والظلمة .

والخلاف الرابع مع أهل الطبائع الذين قالوا بقدم الأرض والماء والنار والهواء .

والخلاف الخامس مع من قال بقدم هذه الأربعة وبقدم الأفلاك معها "(٢). وقد تقدم جوابه حيث أثبت البغدادي وأصحابه أن الأجسام حادثه فإنه ينتهي إلى قوله:

رابعاً : "الحوادث لابد لها من محدث" : ثم يقول :

" وقد دللنا على حدوث الجواهر والأجسام وافتقارهما إلى صانع وان كان غير قائم بنفسه فهو عرض ولا يصح كون العرض فاعلاً ثم يقول : " والدليل على أن الحادث لا بد له من محدث أنه يحدث في وقت ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه لوجب أن يحدث في وقته كل ما

---

١ - أصول الدين أنظر ص ٦٠ .
٢ - أصول الدين ص ٥٩ .

هو من جنسه وإذا بطل اختصاصه بوقته لأجل الوقت صح أن اختصاصه لأجل مخصص خصصه به لولا تخصيصه إياه به لم يكن حدوثه في وقته أولى من حدوثه قبل ذلك أو بعده . ولأنه إذا لم يصح حدوث كتابة لا من كاتب ونسج لا من ناسج وبناء لا من بان كذلك لا يصح وقوع حادث لا من محدث "(١) وهو بهذا يرد على الدهرية الذين قالوا : ان كل حادث يحدث في نفسه لا من صانع وادعوا ذلك في الثمار الخارجة من الأشجار وقد أقروا بحدوثها وأنكروا محدثها وأنكروا الأعراض . . ومن قال من الدهرية بأن الطبع هو الفاعل ولم يصف الطبع بصفة الصانع الحي القادر العالم فهو ايضاً من جملة منكري الصانع"(٢) .

وبعد إثبات أن للحوادث محدثاً فإن البغدادي يمنع التسلسل ويثبت الصانع بقوله :

خامساً : " ولو كان الصانع محدثاً لافتقر إلى محدث له ولو كان محدثه أيضاً محدثاً لافتقر إلى محدث ثالث وهذا يتسلسل لا إلى نهاية وهومحال وما أدى إلي محال فهو محال وصح بإستحالة ذلك وجوب كون الصانع قديماً"(٣) .

وبعد أن أثبت الصانع فإنه يثبت أيضاً أنه قائم بنفسه فيقول : "لو لم يقم بنفسه لافتقر إلى محل وكان محله بكونه صانعاً أولى منه وإذا صح وجود الصانع وبطل افتقاره إلى محل صح أنه قائم بنفسه"(٥) .

ثم انتهى بالرد على المعتزلة الذين قالوا : " انه خلق الشئ من شئ فاضمروا قدم

١ - أصول الدين ص ٦٩ .
٢ - أصول الدين ص ٦٨ .
٣ - أصول الدين ص ٧٢ .
٤ - أصول الدين ص ٧٢ .
٥ - أنظر أصول الدين ص ٧١ .

الأشـــياء لقـولهم بمـا يؤدي إليـه كـانـهم أضـمـــروا قـدم العـالم ولم يجســـروا على إظهاره فقالوا بما يؤدي إليه ثم قال : "وقد قال المسلمون خلق الله عز وجل الشئ لا من شئ " (١) .

وبهذا يتضح خلاصة الاستدلال عند البغدادي وهو :

إن العالم عبارة عن الأجسام والأعراض .

؛ الأعراض حادثه .

؛ حاجة الأجسام للأعراض .

؛ مالم ينفك عن الحوادث فهو حادث : فالأجسام حادثة .

؛ منع التسلسل واثبات الصانع .

فالعـالم حـادث - وكل حـادث فله محـدث - فالعـالم له مـحـدث ؛ منع التسلسل واثبات الصانع .

وأخيراً فإن البغدادي قد أخذ بالإجماع بعد إثبات الدليل عنده ليثبت دليله ويقويه ويعززه فقال : "أجمع العالم على أن الصانع للعالم قديم " (٢) .

وقال : "ذهب المـوحـــدون إلى أن الصـانع خلق الأجسـام والأعـراض ابتـداء لا من شئ" (٣) .

وليت البغدادي أعتمد هذا الإجماع الذي أثبته في أصوله ، وترك سلوك طريق

١ - أصول الدين ص ٧١ .
٢ - أصول الدين ص ٧١ .
٣ - أصول الدين ص ٧٠ .

العرض والجوهر والذي اضطره إلى القول بذلك الإجماع لضعف ذلك الطريق .

وقد سبق البغدادي إلى إنكار العلم الضروري بالله سبحانه وذلك حينما رد على غيلان وأبي الهذيل فقال : "وزعم غيلان القدري أن معرفة الأنسان بأنه مصنوع ، وأن صانعه غيره ضروري وقال أبو الهذيل معرفة الله ومعرفة الدليل الداعي إلى معرفته بالضروره .

فأجاب البغدادي وقال : "ويلزم غيلان والهذيل أن يكون الدهرية عارفة بالله تعالى ضرورة فيكونوا كمنكري الضرورات من السوفسطائيه ولو كانوا كذلك لسقطت المناظرة معهم وهذاخلاف الدين فما يؤدي إليه خلافه أيضاً"(١) .

١ - أنظر أصول الدين ص ٣٢ .

معرفة الأسباب والأسس التي أعتمدها البغدادي في إثبات وجود الله .

لقد كرم الله الإنسان وجعله خليفة في الأرض وميزه عن سائر الخلق وخلقه في أحسن تقويم وتوّجه بالعقل ، فكان الخطاب والتكليف الألهي منصباً على تقبل العقل أو امتناعه ، ثم كان التكليف مناطاً بوجوده عبر مسيرة الرسل والرسالات .

وجاء الإسلام خاتماً ومهيمناً على تلك الرسالات السابقة فكان الوحي ينزل بالقرآن العظيم على نبي الرحمة المهداةّ صلى الله عليه وسلم بلفظ عربي مبين لا يتعارض مع العقل الصريح .

قال تعال : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيٰت لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هٰذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار * ربنا أننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فأغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ (١) .

إن معرفة الله سبحانه لم تخف على أحد من الذي تفكروا في آياته ومخلوقاته ، بل أن البغدادي في تفسيره للعالم قال : " وقال آخرون أن العالم مأخوذ من العَلم الذي هو العلامة وهذا أصح لإن كل ما في العالم دلالة على صانعه " (٢) ولو أن البغدادي أعتمد هذا الدليل لم يحتج إلى تلك المقدمات التي لا تغني عن الحق شيئاً .

والبغدادي كغيره من أصحابه الأشاعرة الذين سلكوا طريق الإستدلال بالنظر بناء على مقدمات أعتمدوها ومناهج أقوام أتبعوها فأبعدوا النجعة وزادت عليهم المشقة . وأصّلوا أصولاً في الدين لم يأمر بها ملك يوم الدين ، وغاب عنهم ذلك الاستدلال

---

١ - آيه ١٩٠ - ١٩٣ سورة آل عمران .

٢ - أصول الدين ص ٣٤ .

الرباني البديع والذي ينتهي بسالكه إلى الإيمان الحق برب العالمين وعبادته سبحانه كما أمر الله به المرسلين . وإذا كان الوصول إلى معرفة الله سبحانه بهذا اليسر فكيف سلك أولئك المتكلمون ومنهم البغدادي وأصحابه ذلك الطريق الشاق الذي أوقعهم في محاذير كثيرة يصعب التخلص منها ، ولم يصلوا بها إلى المقصود فكيف يرام عين المقصود ! ؟

ولكي يمكن الجواب على هذا فإنه يجب معرفة الأسباب والأسس التي قام عليها الدليل عندهم :

أ - أول واجب عند البغدادي وأصحابه .

لقد أوضح البغدادي في أصوله أن أول الواجبات هو النظر فقال : " الصحيح عندنا قول من من يقول إن أو الواجبات على المكلف النظر والإستدلال المؤدي إلي المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته . ثم النظر والإستدلال المؤدي إلى جواز إرسال الرسل منه وجواز تكليف العباد ما شاء ، ثم النظر المؤدي إلي وجوب الإرسال والتكليف منه . ثم النظر المؤدي إلي تفصيل أركان الشريعة ثم العمل بما يلزمه منها على شروطه " (١) .

وهذا صاحب المواقف يجمع آراء أكثر أصحابه فيقول : " النظر في معرفة الله واجب إجماعاً وهي لا تتم إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ثم يقول : وقد اختلف في أول واجب على المكلف فالأكثر على أنه معرفة الله تعالى إذ هو أصل المعارف الدينية وعليه يتفرع وجوب كل واجب وقيل هو النظر فيها لأنه واجب وهو قبلها ، وقيل أول جزء من النظر وقال القاضي واختاره ابن فورك القصد إلى النظر" (٢) .

---

١ - أصول الدين ص ٢١٠ .
٢ - أنظر المواقف للأيجي مكتبة المتنبي القاهره ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ .

والبغدادي كغيره من الأشاعرة قد أعتمد النظر والإستدلال أصلاً من أصول الدين عنده فبدأ كتابه أصول الدين ببيان الحقائق والعلوم ثم أصل في حدوث العالم من أعراضه وأجسامه ثم معرفة صانع العالم ونعوته في ذاته وقد أدى بهم هذا الطريق إلى القول بإشتراطه في الإيمان بل إن النظر والإستدلال هما أساس التوحيد عندهم وهو السبب الثاني لسلوك طريق الاستدلال والنظر .

ب - ربط الإيمان بالله بمعرفته بالإستدلال والنظر .

ذهب البغدادي وأصحابه مذاهب بقية المتكلمين بالهجوم على ما أسموه التقليد في الإيمان وأعتبروا الإستدلال بالنظر هو أساس معرفة الله والإيمان به فقال البغدادي : " قال أصحابنا كل من أعتقد أركان الدين تقليداً من غير معرفة بأدلتها ننظر فيه . فإن أعتقد مع ذلك جواز ورود شبهة عليها وقال لا آمن من أن يرد عليها من الشبه ما يفسدها فهذا غير مؤمن بالله ولا مطيع له بل هو كافر . وإن اعتقد الحق ولم يعرف دليله واعتقد مع ذلك أنه ليس في الشبه ما يفسد اعتقاده فهو الذي اختلف فيه أصحابنا . فمنهم من قال هو مؤمن وحكم الإسلام له لازم وهو مطيع لله تعالى بإعتقاده وسائر طاعاته وإن كان عاصياً بتركه النظر والإستدلال المؤدي إلى معرفة أدلة قواعد الدين . . ثم قال . وبه نقول . ومنهم من قال إن معتقد الحق قد خرج بإعتقاده عن الكفر لأن الكفر واعتقاد الحق في التوحيد والنبوات ضدان لا يجتمعان ، غير أنه لا يستحق اسم المؤمن إلا إذا عرف الحق في حدوث العالم وتوحيد صانعه وفي صحة النبوة ببعض أدلته سواء أحسن صاحبها العبارة عن الدلالة أو لم يحسنها . وهذا اختيار الأشعري"(1) .

---

١ - أصول الدين ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

ومن هذه النصوص نعلم مدى إرتباط عقيدة الإيمان بذلك الإستدلال الذي أعتمده البغدادي وأصحابه ونبذهم لما قالوا أنه تقليداً وتعميم ذلك الحكم على سائر أفراد الأمة في المكان والزمان ، ويمكن إيجاز قولهم في إيمان المقلد في الآتي :

١ - من أعتقد الحق تقليداً ولم يعرف الدليل ولم يأمن ورود الشبهة عليه فهو كافر إجماعاً عندهم .

٢ - من أعتقد الحق تقليداً ولم يعرف الدليل واعتقد عدم وجود الشبهة فقد أختلف فيه عندهم :

أ - "هو مؤمن عاص بتركه النظر والإستدلال المؤدي إلى معرفة أدلة قواعد الدين وبهذا القول قال به البغدادي ثم قال : " هذا قول الشافعي ومالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأهل الظاهر وبه قال المتقدمون من متكلمي أهل الحديث كعبد الله بن سعيد و الحارث المحاسبي وعبد العزيز المكي والحسين بن الفضل البجلي وأبي عبد الله الكرابيسي وأبي العباس القلانسي وبه نقول"(١) .

ب - " قد خرج بإعتقاده عن الكفر غير أنه لا يستحق اسم المؤمن . ثم قال البغدادي : " وهذا أختيار الأشعري وليس المعتقد للحق بالتقليد عنده مشركاً ولا كافراً وان لم يسمه على الإطلاق مؤمناً وقياس أصله يقتضي جواز المغفرة له لأنه غير مشرك ولا كافر"(٢) .

---

١ - أصول الدين ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
٢ - أصول الدين ص ٢٥٥ .

جـ - مكانة النظر والإستدلال عند البغدادي وأصحابه .

لقد بلغت تلك المكانة العظمى عندهم فلا يرقى إليها الشك في أي حال بل أصبحت مشرعاً أخر عند البغدادي وأصحابه حيث قال : " فإن استدل العاقل قبل ورود الشرع عليه على حدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته فعرف ذلك واعتقده كان موحداً مؤمناً ولم يكن بذلك مستحقاً من الله ثواباً عليه فإن أنعم الله عليه بالجنة ونعيمها كان ذلك فضلاً منه عليه "(١) .

د - إعتقادهم أن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين بل هي ظنية ترد عليها الشبه .

وقد أضاف البغدادي شرطاً للتواتر فقال : " أن يكون ناقلوه في العصر الأول قد نقلوه عن مشاهدة أو علم بما نقلوه ضرورة "(٢) ولا شك أن هذا يمهد لهم القول بأن الخبر المتواتر قد يتعرض إليه الظن وعدم اليقين حيث قال : " فإن تواتر النقل في شئ وطريق العلم به الإستدلال والنظر وطريق الخطأ الشبهة فإن ذلك التواتر لا يوجب علماً ولهذا لا يقع للدهرية وسائر الكفرة العلم بصدق أخبار المسلمين عن صحة دين الإسلام لإن صحة الدين معلومة بالنظر والإستدلال دون الضرورة "(٣) ولقد ظنّوا أن تلك الأخبار المتواترة لا تتضمن أدلة عقلية فهي خبرية لأنه أخبر بها الصادق .

هـ - لقد خلط البغدادي وأصحابه بين النظر الذي أمر الله به والنظر الذي عرفوا به ربهم ! فقال البغدادي : " قد ورد التكليف بالمعارف النظرية عند أصحابنا في العلوم العقلية والأحكام الشرعية "(٤) .

---

١ - أصول الدين ص ٢٤ .
٢ - أصول الدين ص ٢١ .
٣ - أصول الدين ص ٢٢ .
٤ - أصول الدين ص ٣١ .

و - متابعة جماعة من الأشاعرة للمعتزلة في منهجهم الكلامي أدى بهم إلى الخوض فيما خاض فيه أولئك . فتأثروا بنزعتهم العقلية ومجادلة الخصوم بعيداً عن منهج الوحي وأخضعوا وجود الله سبحانه وتعالى - ونستغفر الله - للبحث والتنظير والجدال بل تعدى ذلك إلى ما يلزم له سبحانه من كمال الصفات التي يتعبد بها عباده ويدير بها مخلوقاته فتعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وكان للنظر والإستدلال مكانه هنا فقال البغدادي :" فأما المعلوم بالنظر والإستدلال من جهة العقول فكالعلم بحدوث العالم وقدم صانعه وتوحيده وصفاته وعدله وحكمته وجواز ورود التكليف منه على عباده وصحة نبوة رسله بالإستدلال عليها بمعجزاتهم ونحو ذلك من المعارف العقلية" (١). ثم حصر الشرع في زاوية الحلال والحرام وأحكام الفقه .

نعم تلك نهاية القسمة الضيزى عند البغدادي وأصحابه وسابقيهم فقد أجزلوا للعقل واستدلاله العطية ووهبوا للنظر والتفكير المكانة العلية ثم قال البغدادي: " وأما المعلوم بالشرع فكالعلم بالحلال والحرام والواجب والمسنون والمكروه وسائر أحكام الفقه" (٢) .

ح - الطعن في خبر الآحاد من حيث العلم وتسليط العقل على قبوله في العمل .

وإذا كان الخبر المتواتر لم يصمد أمام شروط البغدادي وأصحابه فأنهالوا عليه بالتأويل والتفويض وقالوا أنه لا يتضمن الأدلةالعقلية ، فأنهم قد شبهوا أخبار الآحاد بشهادة العدول التي تلزم الحاكم الحكم بها وان لم يعلم صدقهم . فقال البغدادي : " وأخبار الآحاد متى صح اسنادها وكانت متونها غير مستحيله في العقل كانت موجبه للعمل بها دون العلم وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم يلزمه الحكم بها في الظاهر وان لم يعلم صدقهم في الشهادة " (٣) .

---

١ - أصول الدين ص ١٤ .
٢ - أصول الدين ص ١٤ .
٣ - أصول الدين ص ١٢ .

وهنا يتسلط العقل مرة أخري بالحكم على خبر الآحاد فلا يقبل في العمل به إذا لم يوافق العقل عند أصحاب الكلام الذين يُخضعون عقولهم تبعاً لمناهج إستدلالهم ونظرهم فأما العلم فإن خبر الآحاد لا يفيد علماً عند البغدادي وأصحابه .

ط - البغدادي لا يقول بدليل الفطرة في اثبات وجود الله ولا يستدل بمخلوقاته وآياته .

سبق أن عرضنا طريقة البغدادي في إثبات وجود الله فهو يقول بدليل الأعراض وحدوثها ، وبهذا يكون البغدادي كأصحابه الذين ينكرون معرفة الله بالفطرة ويستدلون بدليل الجواهر والأعراض .

ي - لقد تأثر البغدادي بذلك الفكر اليوناني الذي تُرجم في نهاية القرن الثاني وما صاحبه من العلوم اليونانيّة والفلسفة كقولهم بالجوهر والعرض ووقوف الأرض وغير ذلك من المفردات التي أثبتها في أصوله كأصحابه الأشاعرة .

وبعد أستعراض جملة من الأسباب التي أودت بالبغدادي وأصحابه إلي سلوك طريق الاستدلال والنظر لإثبات وجود الله سبحانه واثبات صفاته وعدله وحكمته وإرسال رسله ، وحيث أن هذا الطريق الوعر لم يأمر به الله سبحانه ولم يتعبدنا بمعرفته وهذا ثابت بالضرورة من دين الإسلام وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لم يأمرنا بهذا الطريق ولم يوجب علينا سلوكه كيف وقد تركنا على المحجة البيضاء التي لا يزوغ عنها إلاهالك ضال قلد في دينه قول فلان وفلان ممن أتخدوا عقولهم نبراساً وضياءاً وأعرضوا عن منهج البشير النذير فأصبح نورهم حلكة وظلاماً .

وستتضح الصورة بنقد تلك الأسباب على ضوء منهج أهل السنة والجماعة .

نقد الأسباب والأسس والتي أعتمدها البغدادي لسلوكه منهج الإستدلال علي إثبات وجود الله .

إن البغدادي لم يشر مباشرة إلي تلك الأسباب والأسس التي دعته بل أضطرته إلى سلوك ذلك المنهج الاستدلالي النظري على إثبات وجود الله تعالى ، غير أنه عند تتبع خطوات استدلاله ومقدماته أمكن معرفة تلك الأسباب والدواعي التي مهدت له ذلك الإتجاه وكذلك الأسس التي أقام عليها ذلك الإستدلال . وقد تم جمعها كما تقدم ليسهل بعد ذلك نقدها والرد عليها على ضوء عقيدة منهج أهل السنة والجماعة ثم يرد بعد هذا نقداً أخراً للدليل الذي أعتمده في ذلك الإستدلال .

أ - قوله إن أول الواجبات على المكلف النظر والإستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله فقد سلك البغدادي طريق المتكلمين قبله الذين قالوا بإن أول الواجبات النظر أو القصد أو الشك أو المعرفة . وقد استقر البغدادي على قوله بإن أول واجب هو النظر وحيث أن هذا الواجب عنده غير معلوم من الدين بالضرورة فقد أعتبره علماء أهل السنة والجماعة بدعة في الدين مبتكرة ليس لها أصل في الشرع ولم يأمر بها الشارع فقال شيخ الإسلام : " ولما كان الكلام في هذه الأبواب المبتدعة ، مأخوذاً في الأصل عن المعتزلة والجهمية ونحوهم : وقد تكلم هؤلاء في أول الواجبات هل هو النظر أو القصد ، أو الشك ، أو المعرفة ؟ صار كثير من المنتسبين إلى السنة المخالفين للمعتزلة في جمل أصولهم ، يوافقونهم على ذلك ثم الواحد من هؤلاء إذا انتسب إلى إمام من أئمة العلم . . وصنف كتاباً في هذا الباب يقول فيه : " قال أصحابنا " و " أختلف أصحابنا " فإنما يعني بذلك أصحابه الخائضين في هذا الكلام ، وليسوا من هذا الوجه من أصحاب ذلك الإمام " (١) .

---

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ٣ ، ٤ .

وإذا كان شيخ الإسلام قد أعتبر هذا النظر البدعي من جملة الخوض في الكلام عندهم ، وأنه لا حقيقة لقولهم بأن النظر هو أول واجب لأنه لم يرد في القرآن ، ولا السنة فقال " والقرآن العزيز ليس فيه أن النظر أو الواجبات ، ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد "(١).ثم قال : ونحن نعلم بالإضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة بطلان قول هؤلاء ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر أحداً بهذه الطرق ، ولا علق إيمانه ومعرفته بالله بهذه الطرق ، بل القرآن وصف بالعلم والإيمان من لم يسلك هذه الطرق . . ولما أبتدع بعض هذه الطرق من أبتدعها ، أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها ، ووسموا هؤلاء بالبدعة والضلالة - ثم أخذ شيخ الإسلام يبكت الأشاعرة ويزدري تناقضهم فقال : " ثم القول بأن أول الواجبات هو المعرفة أو النظر لا يمشي علي قول من يقول : لا واجب إلا بالشرع كما هو قول الأشعرية " (٢) .

بل هو قول البغدادي أيضاً الذي قال : " وقد قال أصحابنا أن التكليف الذي يجب به شئ أو يحرم به شئ أنما هو أمر الله تعالى ونهيه ، ولا يجب بأمر غيره شئ ولا يحرم بنهي غيره شئ وإنما وجب على كل أمة طاعة نبيها واتباع أمره واجتناب نهيه لان الله تعال أمرهم بذلك "(٣) ، ولكن البغدادي قد أورد في مقدمته ما يخالف قوله هذه فقال"قد ورد التكليف بالمعارف النظرية عند أصحابنا في العلوم العقلية والأحكام الشرعية"(٤).ويقصد بالمعارف النظرية والعلوم العقلية ، النظر والإستدلال . ونحن نعلم من دين الإسلام بالضرورة إنه لم يرد التكليف بمعرفة الجوهر والفرد والعرض والجسم وتلك أسس أستدلالهم ونظرهم ولكنه التناقض والمتابعة لمقلديهم وجحر الضب الذي أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم .

---

١ -.درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ٨ .

٢ - درء تعرض العقل والنقل جـ٨ ص ١٢ ، ١٣ .

٣ - أصول الدين ص ٢٠٧ .

٤ - أصول ادلين ص ٣١ .

النظر الشرعي :

إن الله سبحانه قد خاطب الإنسان ودعاه للتفكر والتدبر والتعقل وهذا تشريفه للإنسان وإعلاء منزلته ، ولولا ذلك العقل الذي خلقه الله فيه لم يتم ذلك الخطاب الرباني وقد غرس الله الفطرة لتعين صاحبها للإهتداء إلى الحق والنور قال تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ . (١)

وهذا النظر الشرعي في آيات الله ومخلوقاته بل في النفس التي يمتلكها الأنسان نفسه وكيفية تكوينه إنما يزيد به الذين أهتدوا هدى وإيماناً ، بل يصبح واجباً في حق من لم يحصل له الإيمان إلا به ، أما النظر البدعي والجوهر والعرض فلا مجال له في هداية المؤمن كماسيرد ذلك في الرد على دليلهم .

« وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس ، وهذا موافق لقول من يقول : إنه واجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به ، بل هو واجب على كل من لا يؤدي واجباً إلا به . وهذا أصح الأقوال فقوله تعالى ﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾ (٢).ثم قال تعالى : ﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (٣).فالضمير عائد إلى الذين يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون "(٤) . وإذا كان قولهم بأن أول واجب هو النظر لم يرد به الشرع ولم يقره

---

١ - من آيه ٣٠ سورة الروم .

٢ - سورة الروم ايه ٨ .

٣ - سورة الروم آيه ٦ ، ٧ .

٤ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ٨ .

علماء الأمة وإنما النظر الذي يلزم البعض هوالنظر الشرعي في آيات الله ومخلوقاته لا نظر الجواهر والأعرض والمقدمات ، وحيث أن الشرع جاء كاملاً فلابد من معرفة أول واجب على المسلم لتتضح الصورة ويزول الغبش .

أول واجب في الإسلام على المكلف :

حيث أنه لا يجوز في مثل هذا الأمر الجلل أن يخفى على الأمة منه شيءٌ كيف وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون نبيهم صلى الله عليه وسلم أمور دينهم ومادق منها ، وهو بين ظهرانيهم والوحي يأتيه من السماء فكل أمر بدليل وكل حجة ببرهان " والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله ولكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً ، بل ولا يصير مومناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، ولا يصير مؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله " (١) .

" ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك ، كما هي أقوال لارباب الكلام المذموم بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان " (٢) .

وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف ، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله ، كما هي أقوال لمن لم يدر مابعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من معاني الكتاب والحكمة ، فهو أول واجب وآخر واجب ، وأول ما يدخل به الإسلام واخر مايخرج به "(٣) . "فالعلم بمعرفة الله ضروري ، وإلا لو كان نظرياً

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ١١ .
٢ - شرح العقيدة الطحاوية تحقيق شعيب الأرناؤوط مكتبة دار البيان دمشق الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ ص ١٥
٣ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب الكتب الإسلامي الطبعة الخامسة ١٤٠٢ ص ٣٧ .

لكان يجب على الرسل أول ما يدعونهم إلى النظر ، وهذامما علم فساده من دين الإسلام فإن كل كافر إذا أراد الدخول في دين الإسلام أول ما يؤمن بالشهادتين ، فلو قال أنا أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلماً لو قال : أنا أعرف الله أنه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلماً . فمعرفة الله فطرته حاصلة لجمهور الخلق .
ثم يقول شيخ الإسلام للرد على من أنكر الفطرة واستدل بالأدلة العقلية على المطالب الألهية " فإن قيل : إذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد ، وكيف ينكر ذلك كثير النظار ـ نظار المسلمين أو غيرهم ـ وفي زعمهم أنهم الذين يقيمون الأدلة العقلية على المطالب الالهية فيقال لهم : أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين أتفق السلف على ذمهم من الجهميه والقدرية ، وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف وأجهلهم . . .

وكذلك ما أركزه الله في فطرة كل أحد أنه إذا دعا لم يلتفت يمنة ولا يسرة ، بل يجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ، ولهذا قال إمام الحرمين لما أورد عليه معنى هذا : قال حيرني الهمداني .

وشيخ الإسلام لا ينكر النظر الشرعي فقال : " وأما العلم الذي لا يحصل إلا بالنظر ، فيجب لأجله النظر لفهم القرآن الذي لا يحصل إلا بتدبره والنظر فيه ، وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لا يعلم الحق فيها إلا بالنظر فإذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر ، فإذا أجتهد غاية الإجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر إلى غير الحق فيها ، فخطؤه مغفور له وله أجر أجتهاده ، وأن أصاب الحق فله أجران " (١)

وبهذا يبطل إحتجاجهم بذلك النظر والإستدلال من هذا الوجه .

---

١ - مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيميه دار الباز مكه المكرمه جـ٢ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

ب - نقد ربط الإيمان بالله بمعرفة النظر والإستدلال .

لقد أعتبر البغدادي وأصحابه من آمن بالله ولم يعرف إستدلالهم المبني على الجوهر الفرد والعرض مقلداً ثم أصدروا أحكامهم على إيمان المقلد كما هو واضح في عرض قولهم غير أنه من المناسب هنا توضيح من هو المقلد ؟ وما هو التقليد في الشرع ؟

التقليد :

التقليد لغة : هوجعل القلادة في العنق (١) وإصطلاحاً : "هو الرجوع إلي قول لا حجة لقائله عليه" (٢) . وقد ورد ذم المقلدين في كتاب الله فقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ (٣) .

قال الشوكاني رحمه الله " وفي هذه الآية من الذم للمقلدين والنداء بجهلهم الفاحش واعتقادهم الفاسد ما لا يقدر قدره " (٤) ويقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن " فالآية تندد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله وتندد بالتقليد في هذا والنقل بلا تعقل ولا إدراك" (٥). والآيات التي تنهي عن تقليد الآباء كثيرة في كتاب الله تعالى حيث قال : " وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان أباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون " (٦). قال أبن

١ - الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عطار الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ جـ٢ ص ٥٢٧ .
٢ - جامع بيان العلم وفضله لأبن عبد البر جـ ٢ / ١١٧ دار الباز بمكة الكرمة سنة ١٣٩٨ ص ١١٧ .
٣ - آيه ١٧٠ سورة البقرة .
٤ - فتح القدير للشوكاني جـ ١ ص ١٦٧ .
٥ - في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق جـ ١ ص ١٥٥ .
٦ - سورة المائدة ايه ١٠٤ .

كثير رحمةُ الله في تفسيره " أي إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه قالوا : يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك"(١) .

وعلى هذا فالمقلد هو الذي أتبع هواه وعارض ما جاء في شرع الله وتابع الآباء والأجداد بدون حجة من كلام الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم ويقول ابن القيم رحمه الله " رحم الله ابن عباس كيف لو رأى قوماً يعارضون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أرسطو وأُفلاطون وابن سينا والفارابي وجهم بن صفوان وبشر المريسي وأبي الهذيل العلاف واضرابهم "(٢) . ويقول شيخ الإسلام "وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعوا إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي ، غير كلام الله ورسوله ، وما أجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أوتلك النسبة ويعادون" (٣) " ولهذا كان رأس دين الإسلام الذي بعث به خاتم المرسلين كلمتان : شهادة أن لا إله إلا الله تثبت التأله الحق الخالص ، وتنفي ما سواه من تأله المشركين . . والكلمة الثانية شهادة أن محمداً رسول الله ، وهي توجب التأله الشرعي النبوي ، وتنفي ما كان خارجاً عنه " (٤) .

ولهذا فنحن مأمورون بالإ تباع للوحي لا بالإبتداع ومأمورون بالتقيد بالنصوص لا بالتقليد وأيضاح ذلك " أن كل حكم ظهر دليله من كتاب الله أو سنة رسول صلى الله عليه وسلم ، أواجماع المسلمين لا يجوز فيه التقليد بحال . . فليس فيما دلت

---

١ - تفسير القرآن العظيم لأبن كثير جـ ٢ / ص ١٠٨ .
٢ - مختصر الصواعق المرسلة لأبن القيم ص ٢٢٤ جـ ١ .
٣ - مجموع الفتاوى جـ ٢٠ ص ١٦٤ .
٤ - مجموع الفتاوى جـ ٢٠ ص ٧١ ، ٧٢ .

عليه النصوص إلا الإتباع فقط . ولا أجتهاد ولا تقليد فيما دل عليه نص من كتاب او سنة ، سالم من المعارض . والفرق بين التقليد والإتباع أمر معروف عند أهل العلم ، لا يكاد ينازع في صحة معناه أحد من أهل العلم "(١) .

ثم أورد رحمه الله آيات الأمر بالإتباع كقوله تعالى ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾ (٢) .

ومن هنا نعلم أن اتباع الوحي والعمل به هو ما أمرنا به وهو الإتباع المطلوب من الإنسان كي يكون مؤمناً وإن أعلى الأمر ورأسه هو الشهادتان .

فكيف يجوز للبغدادي وأصحابه تسمية هذا الأمر العظيم والشأن الجليل تقليداً ولم يكتفوا بهذا بل صنفوا أصحاب هذا التقليد عندهم إلى فئات ثلاث ، أجمعوا على أولاهما وأختلفوا في الآخريين (٣).وإن هذا لهو الضلال والتقليد عندهم وحسابهم على الله وحده " ومن العجب أن أهل الكلام يزعمون أن أهل الحديث والسنة أهل تقليد ليسوا أهل نظر واستدلال ، وانهم ينكرون حجة العقل . وربما حكى إنكار النظر عن بعض أئمة السنة ، وهذا مما ينكرونه عليهم فيقال لهم : ليس هذا بحق ، فإن أهل السنة والحديث لا ينكرون ما جاء به القرآن ، وهذا أصل متفق عليه بينهم والله قد أمر بالنظر والأعتبار والتفكير والتدبر في غير آية ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة وأئمة السنة وعلمائها : أنه أنكر ذلك ، بل كلهم متفقون على الأمر بما جاءت به الشريعة من النظر والتفكر والإعتبار والتدبر وغير ذلك ، ولكن وقع إشتراك في لفظ النظر والإستدلال ولفظ الكلام فإنهم أنكروا ما أبتدعه المتكلمون من باطل نظرهم

---

١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الشنقيطي مكتبة ابن تيمية القاهرة سنة ١٤٠٨ جـ٧ ص ٥٤٧ - ٥٤٨

٢ - آيه ٣ سورة الأعراف .

٣ - أنظر أصول الدين ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

وكلامهم واستدلالهم ، فأعتقدوا أن إنكار هذا مستلزم لإنكار جنس النظر والإستدلال وهذا كما أن طائفة من أهل الكلام يسمى ما وضعه : أصول الدين ، وهذا أسم عظيم ، والمسمى به فيه من فساد الدين ماالله به عليم فإذا انكر أهل الحق والسنة ذلك ، قال المبطل : قد أنكروا أصول الدين وهم لم ينكروا مايستحق أن يسمى أصول الدين ، وانما أنكروا ما سماه هذا أصول الدين وهي أسماء سموهاهم وآباؤهم بأسماء وما أنزل الله بها من سلطان ، فالدين ما شرعه الله ورسوله ، وقد بين أصوله وفروعه ، ومن المحال أن يكون الرسول قد بين فروع الدين دون أصوله ، فهكذا النظر والإعتبار والإستدلال " (١) .

الرد على قول البغدادي وأصحابه بأن الإستدلال المبني على الجوهر هو أصل في الإيمان .

حيث ورد عرض الإستدلال على وجود الله عند البغدادي وأصحابه واعتمادهم على الجوهر والعرض وقولهم بالجزء الذي لا يتجزئ ثم ربط استدلالهم بقبول الإيمان أورده عند المتكلمين " وأصل هؤلاء المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم الذين بنوا عليه هذا هو مسألة الجوهر الفرد فإنهم ظنّوا أن القول بإثبات الصانع، وبأنه خلق السموات والأرض وأن يقيم القيامة ويبعث الناس من القبور لا يتم إلا بإثبات الجوهر الفرد ، فجعلوه أصلاً للإيمان بالله واليوم الآخر . . وأعجب من هذا أنهم يجعلون إثبات الجوهر الفرد دين المسلمين ، حتى يعد منكره خارجاً عن الدين كما قال أبو المعالي وذووه (وقد قال به البغدادي أيضاً) (٢) أتفق المسلمون على أن الأجسام تتناهى في تجزيها وأنقسامها حتى تصير أفراداً ، وكل جزء لا يتجزأ ولا ينقسم" (٣) . وبعد أن قرر شيخ الإسلام مقالتهم تلك فإن البغدادي قد ذهب إلى ذلك

---

١ - نقض المنطق لشيخ الاسلام حققه محمد عبد الرزاق حمزه وسليمان الصنيع صححه محمد الفقي مكتبة السنه المحمديه القاهره سنة ١٣٧٠ ص ٤٧ ، ٤٨ .

٢ - أنظر أصول الدين ص ٣٦ .

٣ - بيان تلبيس الجهميه لأبن تيمية تعليق محمد بن قاسم جـ ١ ص ٢٨٠ .

أيضاً في قبول الإيمان و جميع مقالاتهم وأقوالهم تفتقر إلى الدليل والبرهان فكيف وقد قالوا بالكفر والعصيان " (١) .

قال الطحاوي رحمه الله : " ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ما داموا بماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم موقنين*، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين" (٢). ثم يقول : ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله ، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله" (٣) .

إن هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في قبول الإيمان من الناس وذلك كما بينه الله في كتابه العظيم وأرسل به رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وبعد هذا فإن شيخ الإسلام قد رد علي أولئك بعد توضيح مقالتهم فيما سبق فقال : " والكلام في ذلك من وجهين : أحدهما إنانعلم بالإضطرار من دين الإسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وأئمة المسلمين لم ينوا شيئاً من أمر الدين علي ثبوت الجوهر الفرد ولاانتفائه ، وليس المراد بذلك أنهم لم ينطقوا بهذا اللفظ فإنه قد تجدد بعدهم الفاظ اصطلاحية يعبر بها عما دل عليه كلامهم في الجملة وذلك بمنزلة تنوع اللغات وتركيب الألفاظ المفردات ، وانما المقصود أن المعنى الذي يقصده المثبتة والنفاة بلفظ الجوهر الفرد لم ينن عليها أحد من سلف الأمة وائمتها مسألة واحده من مسائل الدين ، ولا ربطوا بذلك حكماً علمياً ولا عملياً ، فدعوى المدعي أنبناء أصل الإيمان بالله واليوم الآخر على ذلك يضاهي دعوى المدعي انما بينوه من الإيمان بالله واليوم الآخر ليس هو على مابينوه ، بل إما أنهم ما كانوايعلمون الحق ، أو يجوزوا الكذب في هذا الباب لمصلحة الجمهور ، كما يقول نحو ذلك من يقوله من المنافقين

١ - أنظر أصول الدين ص ٢٥٤ .

٢ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٦ مكتبة دار البيان دمشق وتحقيق شعيب الأرنؤوط الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ .

٣ - نفس المصدر ص ٢٩٠ .

* الأولى قوله : موقنين بدلاً من قوله : معترفين .

من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم من الباطنية ، فإنهم إذا أثبتوا من أصول الدين ما يعلم بالإضطرار أنه ليس من أصول الدين لزم قطعاً تغيير الدين وتبديله وبهذا زاد أهل هذا الفن في الدين ونقصوا منه علماً وعملاً . وإذا كان كذلك لم يكن الخوض في هذه المسألة مما يبنى الدين عليه ، بل مسألة من مسائل الأمور الطبيعية كالقول في غيرها من أحكام الأجسام الكلية .

ثم يبين شيخ الإسلام أن أقوالهم تلك قد ذمها أئمة الإسلام وشك فيها قائلوها من أهل الكلام فقال : " وأيضاً فإنه أطبق أئمة الإسلام على ذم من بنى دينه على الكلام في الجواهر والأعراض ثم هؤلاء الذين أدعوا توقف الإيمان بالله واليوم الآخر علي ثبوته قد شكوا فيه ، وقد نفوه في آخر عمرهم كإمام المتأخرين من المعتزلة أبي الحسين البصري ، وامام المتأخيرن من الأشعرية أبي المعالي الجويني ، وإمام المتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين أبي عبد الله الرازي ، فإنه في كتابه بعد أن بين توقف المعاد على ثبوته ، وذكر ذلك غير مرة في أثناء مناظرته للفلاسفة قال في المسألة : لما أورد حجج نفاة الجوهر الفرد فقال . . وأعلم أنا نميل إلى التوقف في هذه المسألة بسبب تعارض الأدلة فإن إمام الحرمين صرح في كتاب التلخيص في أصول الفقه أن هذه المسألة من محارات العقول وأبو الحسين البصري هو أحذق المعتزلة توقف فيها ، فنحن أيضاً نختار التوقف .

فأي ضلال في الدين وخذلان له أعظم من مثل هذا ؟!!

الوجه الثاني : دعواهم أن هذا قول المسلمين أو قول جمهور متكلمي المسلمين ومن المعلوم أن هذا إنما قاله أبو الهذيل العلاف ومن أتبعه من متكلمي المعتزلة والذين أخذوا ذلك عنهم وقد نفى الجوهر الفرد من أئمة المتكلمين من ليسوا دون من أثبته ، بل الأئمة فيهم أكثر من الأئمة في أولئك " (١) .

١ - أنظر تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام جـ١ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

الرد علي البغدادي عندما صنف إيمان غير الناظر في دليلهم إلى ثلاثة أصناف .

لقد وثق البغدادي وأصحابه العلاقة بين الإيمان وذلك النظر عندهم المبني على الجواهر والأعراض والمقصود هنا أن هؤلاء جعلوا هذا أصل دينهم وإيمانهم ، وجعلوا النظر في هذا الدليل هو النظر الواجب على كل مكلف وانه من لم ينظر في هذا الدليل ، فإماأنه لا يصح إيمانه فيكون كافراً على قول طائفة منهم ، وإما أن يكون عاصياً على قول آخرين ، وإما أن يكون مقلداً لا علم له بدينه لكنه ينفعه هذاالتقليد ويصير به مؤمناً غير عاص .

ثم يرد شيخ الإسلام على أصحاب هذه الأقوال الثلاثة فيقول : " والأقوال الثلاثة باطلة لانها مفرعة على أصل باطل ، وهو أن النظر الذي هو أصل الدين والإيمان ، هو هذا النظر في هذا الدليل ، فإن علماء المسلمين يعلمون بالإضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع الخلق بهذا النظر ، ولا بهذا الدليل لا عامة الخلق ولا خاصتهم ، فأمتنع أن يكون هذا شرطاً في الإيمان والعلم ، وقد شهد القرآن والرسول لمن شهد له من الصحابة وغيرهم بالعلم وأنهم عالمون بصدق الرسول ، وبما جاء به وعالمون بالله وبأنه لا إله إلا الله ولم يكن الموجب لعلمهم هذا الدليل المعين كما قال تعالى : " ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد" (١ ، ٢) .

وحيث إن أولئك الذي كفّروا المقلد في إيمانه قد قبلوا إيمانه ولم يلحقوا به مذمة العصيان (٣) .

---

١ - آيه ٦ سورة سبأ .
٢ - النبوات لشيخ الإسلام دارالكتب العلميه بيروت سنة ١٤٠٥ ص ٦١ .
٣ - أنظر أصول الدن ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

فقد وقعوا في تناقض مع أنفسهم وتعارض في أقوالهم وهذا جزاء من أعرض عن سواء السبيل الحق وتنكب طريق المشرعين من البشر وهنا يرد عليهم شيخ الإسلام ويبين إنحرافهم عن طريق الحق فيقول : " والمقصود هنا أن الذين أعرضوا عن طريق الرسول في العلم والعمل وقعوا في الضلال والزلل ، وأن أولئك لما أوجبوا النظر الذي ابتدعوه صارت فروعه فاسدة إن قالوا إن من لم يسلكها كفر أوعصى فقد عرف بالإضطرار من دين الإسلام أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يسلكوا طريقهم ، وهم خير الأمة ، وإن قالوا إن من ليس عنده علم ولا بصيرة بالإيمان ، بل قاله تقليداً محضاً من غير معرفة يكون مؤمناً فالكتاب والسنة يخالف ذلك ولو أنهم سلكوا طريقه الرسول لحفظهم الله من هذا التناقض ، فإن ما جاء به الرسول من عند الله ، وما أبتدعوه جاؤا به من عند غير الله وقد قال تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (١ ، ٢) .

ومن هنا يتبين أن ربط الإيمان بالنظر والإستدلال عند البغدادي وأصحابه كان سبباً مهماً من أسباب إعتمادهم على ذلك الإستدلال العقلي بعيداً عن الشرع مما أوقعهم في محاذير كثيرة أودت بكثير منهم إلى الشك فيه والرجوع عنه لمّا تبين فساده وأعوجاجه عن طريق الحق .

---

١ - آيه ٨٢ النساء .

٢ - النبوات ص ٦٩ ، ٧٠ .

ج - نقد قول البغدادي بأن من أستدل قبل وررود الشرع كان موحداًمؤمناً .

إن الموحد والمؤمن ألفاظ شرعية لا ينبغي اطلاقها جزافاً ، بل إن الله تعالى في محكم كتابه العظيم قد أنكر على الأعراب قولهم بالإيمان وهم قد شهدوا الشهادة وأدوا أركان الإسلام ، ذلك أن الإيمان مرتبة عليا وفضيلة عظمى تكسب صاحبهامزايا تدل عليها أفعاله وسماته قال تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعملكم شيئاً إن الله غفور رحيم ﴾ (١). قال ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم :"يقول تعالى منكراً على الأعراب ، الذين ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد . . وقد استفيد أن الإيمان أخص من الإسلام ، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان ، فترقى من الأعم إلى الأخص " (٢) ثم بين الله تعالى من هم المومنون حقاً وحصرهم بأداة الحصر ثم عرفهم بأكمل ضمائر التعريف فقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (٣). قال ابن كثير: "أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه" (٤) .

فالإيمان قول وعمل وتصديق ، وقد جاء الله تعالى ببيان ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فليس أمامنا بد إلا سلوك ذلك الطريق ، وبه النجاة

---

١ - آيه ١٤ سورة الحجرات .
٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤ ص١٩٣ .
٣ - آيه ١٥ سورة الحجرات .
٤ - تفسير القر آن العظيم لابن كثير جـ٤ ص١٩٣ .

والفوز على التحقيق بإذن الله أما قولهم بإيمان المستدل بعقله قبل ورود الشرع فتلك حجة ليس عليها دليل من الشرع وما كان كذلك فلا يعتد به ، بل أن هذاتجاوز على الله وعلى تشريعه حيث قد خصص من هم المؤمنون كما سبق في الآية من سورة الحجرات ، وغيرها .

وما ذلك إلا لتعظيمهم ذلك الإستدلال فأدى بهم إلى الانحراف والضلال فكل بدعة ضلالة أما أولئك الذين لم تبلغهم الرسالة ولم يعلموا الشرع وماتوا على ذلك فإنه قد ورد حكمهم " وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة والتابعين ، بأنه في الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا وهذا تفسير قوله الله أعلم بما كانوا عاملين وهذا هو الذي ذكره الأشعري في المقالات عن أهل السنة والحديث وذكر أنه يذهب إليه " (١) .

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ٤٠١ .

د – نقد قول البغدادي أن الأدلة النقلية المتواترة لا تفيد العلم إذا تعارضت مع العقل

لقد ذهب البغدادي كأصحابه إلى أن صحة الدين معلومة بالنظر والاستدلال دون الضرورة (١) مما جعله يعرض عن الأدلة النقلية إذا تعارضت مع استدلال العقل ، ثم اعتقد أن سبب تعارضها هو وجود الشبهة والخطأ الذان يطرأن عليهما (٢) .

والحقيقة أن قوله هذا يتعارض مع ما أثبته من قبل في تعريف الخبر المتواتر حيث قال : "أنه موجب للعلم الضروري"(٣). وهذا مما يدل على اعتقاده وأصحابه أن السمع لا يفيد اليقين وأن اعتمادهم على أدلة العقل وأنه المقدم في الأستدلال لمعرفة الله وتوحيده وصفاته مما جعلهم يذهبون إلى التأويل لما أعتقدوه خطأ وشبهة في السمع وهذا الأيجي الذي قرر مذهبهم يقول في مواقفه : " الدلائل النقلية هل تفيد اليقين ؟ قيل لا . لتوقفه على العلم بالوضع والإرادة . . ثم بعد الأمرين لابد من العلم بعدم المعارض العقلي إذ لو وجد لقدم على الدليل النقلي قطعاً إذ لا يمكن العمل بهما ولا بنقيضهما ، وتقديم النقل على العقل ابطال للأصل بالفرع . وفيه ابطال للفرع . .

ثم يقول بصيغة التضعيف والتمريض : والحق أنها قد تفيد اليقين بقرائن شاهدة أو متواترة تدل على انتفاء الاحتمالات ، فإنا نعلم استعمال لفظ الأرض والسماء في زمن الرسول في معانيها التي تراد منها الآن . والتشكيك فيه سفسطة نعم : في إفادتهما اليقين في العقليات نظر " (٤). وأقول بل كل النظر عندهم حتى لا يبطل الأصل ! وإذا كان البغدادي قد أعتقد ورو د الخطأ والشبهة على المتواتر من النقل فيجب العمل

---

١ – أنظر أصول الدين للبغدادي ص ١٥ .
٢ – أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٢٢ .
٣ – ص ٢٠ أصول الدين .
٤ – المواقف للأيجي ص ٤٠ .

بالعقل وما توصل إليه من الأدلة واعتبره الأصل في الأستدلال في العقليات ، فإن هذه ما ذهب إليه الرازي أيضاً في قانونه الكلي حيث قال : إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية ، أو السمع والعقل ،أو النقل والعقل ، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية ، أو نحو ذلك من العبارات ، فإما أن يجمع بينهما ، وهو محال لأنه جمع بين النقيضين ، وإما أن يردا جميعاً ، واما أن يقدم السمع وهو محال ، لأن العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل ، والقدح في أصل الشئ قدح فيه ،فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً ، فوجب تقديم العقل ، ثم النقل إما أن يتأول ، واما أن يفوض ، وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ، ولم يمتنع ارتفاعهما "(١) .

قال شيخ الإسلام : " وهذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام وما لا يستدل به ، ولهذا أرادوا الإستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى ،وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين " (٢) .

" وعامة هذه الضلالات انما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة ، كما كان الزهري يقول كان علماؤنا يقولون : الإعتصام بالسنة هو النجاة وقال مالك السنة سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج : هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله والرسول : هو الدليل

١ - أنظر أساس التقديس للرازي مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٨هـ ص ٢١٠ ، ٢١١ - بلفظه عن درء التعارض جـ١ ص ٤ .
٢ - درء التعارض لشيخ الإسلام جـ١ ص ٥ .

الهادي الخرّيت في هذا الصراط كما قال تعالى : ﴿ إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلي الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وإن هذا صراطي مسقيماً فأتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (٣). قال عبد الله بن مسعود : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذا سبيل الله ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ : " وإن هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (٤ ، ٥).

وإذا تأمل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثال ، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ، ثم المعتزلة ثم الجهمية والرافضة ، ومن قرب منهم إلى السنة من أهل الكلام ، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم ، وان كلاً منهم قد سلك سبيلاً له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعى أن سبيله هو الصواب وجدت أنهم المرادون بهذا المثال الذي ضربه المعصوم ، الذي لا يتكلم عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى .

ثم يبين شيخ الإسلام أولئك الذي يدعون أن ظواهر النقل لا تفيد العلم إذا تعارضت مع عقولهم ومقدماتهم فيقول : " والعجب أن من هؤلاء من يصرح بأن عقله إذا عارضه الحديث لاسيما في أخبار الصفات - حمل الحديث على عقله

---

١ - آيه ٤٥ ، ٤٦ سورة الأحزاب .
٢ - آيه ٥٢ ، ٥٣ سورة الشورى .
٣ - آيه ١٥٣ سورة الأنعام .
٤ - ايه ١٥٣ سورة الأنعام .
٥ - رواه الإمام أحمد في مسنده جـ١ ص٤٣٥ ، ٤٦٥ وغيره .

وصرح بتقديمه على الحديث ، وجعل عقله ميزاناً للحديث ، فليت شعري هل عقله هذا كان مصرحاً بتقديمه في الشريعة المحمدية ، فيكون من السبيل المأمور باتباعه ، أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله"(١) .

الرد على البغدادي في شرطه لقبول الخبر المتواتر بأن يكون مشاهداً .

لقد اشترط البغدادي في قبول الخبر المتواتر أن يكون مشاهداً لمن نقله في العصر الأول فقال : " ومن شرط التواتر أيضاً أن يكون ناقلوه في العصر الأول قد نقلوه عن مشاهدة"(٢)، وهذا الشرط مخالف لما أجمع عليه علماء الحديث ورواد علومه الأوائل ولما أجمعت عليه الأمة بقبول إصطلاحاتهم وأخبارهم لضبط الحديث والأخبار منذ عهد الرسالة وعبر عصر السلف الأول ، مما تميزت به اسانيد هذا الدين القويم من الصحة والعلو والتدقيق .

أما تعريف المتواتر فقد ذكر ذلك ممن يعتد بقوله كابن الصلاح والنووي والسيوطي وابن حجر فقال السيوطي في تدريب الراوي : " وهو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة بأن يكونوا جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الأسناد إلى آخره ثم قال ولذلك يجب العلم به من غير بحث عن رجاله ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح " (٣) .

وقد علم أن ما ذهب إليه البغدادي وأصحابه بشرطهم هذا انما هو تأييد لإستدلالهم علمى وجود الله بأدلتهم ومقدماتهم العقلية . مما جعل شيخ الإسلام يرد

١ - نقض المنطق لشيخ الإسلام ص ٤٨ ، ٤٩ .
٢ - أصول الدين ص ٢١ .
٣ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي جـ٢ ص ١٧٦ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثة .

عليهم بقوله : " وأما قولهم : لا يجوز أن تكون معرفتنا به واقعة بالخبر ، لأن الخبر انما يفضي إلى المعرفة ، إذا أخبر به خلق كثير عن مشاهدة ، وليس أحد يخبر بالله عن مشاهدة ، فهذا مما ينازعهم فيه المنازعون ، ويقولون ليس من شرط أهل التواتر أن يخبروا عن مشاهدة، بل إذا أخبروا عن علم ضروري حصل العلم بمخبر أخبارهم ، وإن لم يكن المخبر به مشاهداً . والمعرفة بالله قد تقع ضرورة وإذا كان كذلك أمكن المعرفة بتصديق أخبار المخبرين عن المعرفة الحاصلة ضرورة . . ثم يقول : وهذا وأمثاله باب واسع فالعلم بمخبر الأخبار يحصل إذا كان المخبر عالماً بالضرورة ، سواء كان المخبر به مشاهداً أولم يكن " (١)

هـ - نقد فهم البغدادي وأصحابه للنظر وعدم تمييزهم بين نظرهم البدعي والنظر المأمور به :

أعتقد المتكلمون أن النظر الذي أمر الله به في القرآن الكريم هو نظرهم البدعي الذي يعرفون الله به ، فقال البغدادي :"وطريق المعرفة بالله تعالى في دار التكليف النظر والاستدلال عليه بدلائل العقول . ووجوب هذا الاستدلال بالشرع"(٢) .

وهذا فهم سقيم لما أمر الله تعالى به في محكم آياته من النظر والتدبر وذلك لأمور منها :

١ - ان الله لم يأمر بذلك الفهم ولم يتعبدنا به ولم يبلغه رسوله صلى الله عليه وسلم لصحابته الذين أسسوا قواعد الدين الإسلامي وطبقوا تعاليمه إقتداءاً بنبيهم صلى الله عليه وسلم .

٢ - أن حصر معرفة الله عند البغدادي وأصحابه بطريق ذلك النظر وما عدا ذلك لايصح لهو تشريع في الدين وقول على الله بغير حق ولا يقين .

---

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ أنظر ص ٤٣ ، ٤٥ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ٢٠٣ .

٣ - لقد وقع البغدادي وأصحابه في الدور ذلك أنهم يقولون أن معرفة الله لا تتم إلا بالنظر ويقولون أن الشرع أمر بالنظر فكيف يستجيب للشرع من لم يعرف صاحب الشرع ؟! فقال البغدادي: "قد ورد التكليف بالمعارف النظرية عند أصحابنا" (١) .

٤ - أما حين أنتهى البغدادي وأصحابه إلى القول بالدور والتناقض ، فإنه من المعلوم أن النظر الذي أمر الله به في كتابه الكريم وأخبرنا به نبينا العظيم عليه الصلاة والتسليم إنما هو ليزداد الذين آمنوا إيماناً وصرف العبودية لله وحده وهو السبب الذي به أرسلت الرسل وخلق الله البشر من أجله .

٥ - لقد ظن المتكلمون أن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم تقليداً ، وهذا فهم سئ بل إلحاد عن الحق الذي أمر الله به ، وجمع بين متعارضين وانما التقليد الذي نهى الله تعالى عنه وذم أصحابه هو متابعة المشركين الضالين من الآباء والأجداد الذين أضلهم الله وأشركوا به ، أما متابعة أهل الحق فإن ذلك هو مما أمر الله به وتعبد به عباده فقال تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ (٢) .

كيف وقد تم الدين وكمل في عصر المصطفى صلى الله عليه وسلم وأخبر الله بذلك في محكم تنزيله فما على الأمة إلاالأتباع والبعد عن الابتداع ، وبعد نقد تلك الأسس التي بنى عليها البغدادي وأصحابه إستدلالهم لمعرفة الله يأتي نقد دليلهم .

---

١ - نفس المصدر ص ١٣ .

٢ - آيه ٣١ ، ٣٢ سورة ال عمران .

المبحث الثاني

نقد دليل البغدادي في إثبات وجود الله تعالى

تابع البغدادي أصحابه الذين أنكروامعرفة الله بالضرورة وأحتاجوا إلى الدليل العقلي لإثبات وجود الله تعالى بالنظر والبرهان واستعانوافي ذلك بافكار من سبقهم من علماء اليونان والإغريق الذين ضلوا الطريق ، فحادوا عن الحق ولم يحالفهم التوفيق .

البغدادي ينكر معرفة الله بالضرورة :

لقد أنكر البغدادي أن تكون معرفةالله تعالى ضرورية فطرية وأستدل على ذلك بدليل عقلي بناء على إستنتاج خاطئ وذلك حين يقول : "ويلزم غيلان وأبي والهذيل أن تكون الدهرية عارفة بالله تعالى ضرورة فيكونوا كمنكري الضرورات السوفسطائية ولو كانوا كذلك لسقطت المناظرة معهم وهذا خلاف الدين فما يؤدى إليه خلافه أيضاً" (١) .

وكذلك فإن البغدادي يذهب إلى القول "بأن أول واجب على المكلف هوالنظر" (٢). وهذا دليل آخر على أن البغدادي لا يقول بالمعرفة الفطرية الضرورية بالله سبحانه وتعالى .

بل أن البغدادي يشترط لصحة الإيمان تقدم المعرفة بالأصول العقلية في التوحيد فيقول : "من شرط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقليةفي التوحيد والحكمة والعدل وثبوت النبوة الرسالة واعتقاد أركان شريعة الإسلام" (٣). فهو يقدم النظر العقلي منكراً بذلك الفطرة والضرورة لإثبات وجودالله ومعرفته .

---

١ - أصول الدين ص ٣٢ .

٢ - أصول الدين ص ٢١٠ .

٣ - أصول الدين ص ٢٦٩ .

نقد ما أنكره البغدادي :

إن البغدادي قد أنكر معرفة الله بالضرورة وذلك رداً على غيلان والهذيل الذين أثبتاها ، وقد أحتج بالدهرية اللذين أنكروا وجودالله وقد غلط البغدادي من وجوه :

أ - أن الدهرية من الذين ضلت فطرهم فأنكروا الخالق وبهم لا يشذ الإجماع " ومعلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار ، والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله في خلق السموات والأرض بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال . بل ولا أثبت أحد من بني آدم الهاً مساوياً لله في جميع صفاته . بل عامة المشركين بالله : مقرون بأنه ليس شريكه مثله . . وقد ذكر أرباب المقالات : ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين ، في الملل والنحل . والآراء والديانات ، فلم ينقلوا عن أحد أثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ولا مماثل في جميع الصفات "(١) .

بل أن أولئك الذين عبدوا الكواكب والنجوم كانوا يقرون بالصانع فقال شيخ الإسلام : " ولا أعتقد أحد من بني آدم أن كوكباً من الكواكب خلق السموات والأرض ، وكذلك الشمس والقمر ، ولا كان المشركون قوم ابراهيم يعتقدون ذلك ، بل كانوا مشركين بالله يعبدون الكواكب ويدعونها ، ويبنون لها الهياكل ، يعبدون فيها أصنامهم ، وهو دين . . وقوم ابراهيم كانوا مقرين بالصانع ، ولهذا قال لهم ابراهيم الخليل: "أفرائتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لي إلا رب العالمين " (٢) فعادى كل ما يعبدونه إلا رب العالمين" (٣) .

---

١ - الفتاوى جـ٣ ص ٩٦ .

٢ - آيه ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ سورة الشعراء .

٣ - الفتاوى جـ٥ ص ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

ب - إن معرفة الله سبحانه مستقرة في الفطرة "بل جمهور العقلاء مطمئنون إلى الإقرار بالله تعالى وهم مفطورون على ذلك . ولهذا إذا ذكر لأحدهم اسمه تعالى ، وجد نفسه ذاكرةً له مقبلة عليه ، كما إذا ذكر له ما هو معروف عنده من المخلوقات .

والمتجاهل الذي يقول : إنه لا يعرفه ، هوعند الناس أعظم تجاهلاً ممن يقول : انه لا يعرف ما تواتر خبره من الأنبياء والملوك ، والمدائن والوقائع ، وذلك عندهم أعظم سفسطه من غيره من أنواع السفسطه . . فعلم أن معرفته في الفطرة أثبت وأقوى ، إذ كان وجود العبد ملزوم وجوده ، وحاجاته معلقة به سبحانه وتعالى ، بل كل ما يخطر بقلب العبد ويريده فهو ملزوم له ، وخواطر العباد وإراداتهم لا نهاية لها ، وانتقال الذهن من الملزوم إلى اللازم لا ينحصر ، بل اقرار القلوب به قد لا يحتاج إلى وسط وطريق ، بل القلوب مفطورة على الأقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات" (١) .

ج - ان الذين انكروا وجود الصانع قديماً أو حديثاً قد فضحهم الله وأعلن ما تخفيه صدورهم وخلجات أنفسهم . قال شيخ الأسلام : " وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون ، وقد كان مستيقناً في الباطن ، كما قال له موسى« : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر" (٢) وقال تعالى عنه وعن قومه " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً" (٣، ٤) .

ويقول الشهرستاني : " أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست

---

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ٣٧ ، ٣٨ .
٢ - آيه ١٠٢ سورة الإسراء .
٣ - ايه ١٤ سورة النمل .
٤ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ٣٨ ، ٣٩ .

أراها مقالة لأحد ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا العالم كان في الازل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة وأصطكت اتفاقاً فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه ودارت الأكوار وكرت الأدوار وحدثت المركبات ، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والأتفاق احترازاً عن التعليل فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها ، وبديهية فكرتها على صانع حكيم عالم قدير" (١)..

د - إن رسل الله سبحانه وأنبيائه عليهم صلوات الله وسلامه قد حذروا وأنكروا على من نازع في وجود الله سبحانه أوشك فيه فقال شيخ الإسلام : " ولهذا قالت الأنبياء عليهم السلام لأممهم : " أفي الله شك فاطر السموات والأرض " (٢) وهذا استفهام إنكار يتضمن النفي ، ويبين أنه ليس في الله شك

وقول القائل : ليس في هذا شك ، يراد به أنه قد بلغ في الظهور والوضوح ولزوم معرفته ، إلى حيث لا ينبغي أن يشك فيه ، والي حيث لا يشك فيه وعلى كلا التقديرين يتبين أن الأقرار بالصانع بهذه المثابة " (٣) .

وهذا الرازي صاحب المطالب العالية بعدأن عدد أصناف أهل الدنيا وأثبات إقرارهم بوجود الله يقول في مطالبه : " فهذا هو ضبط أصناف أهل الدنيا ، وكلهم مطبقون على وجود الإله . والتواريخ القديمة دالة على أن أهل الدنيا من الدهر الداهر والزمان الأقدم ، هكذا كانوا وما كان فيهم أحد ينكر وجود الإله تعالى .

---

١ - نهاية الاقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
٢ - آيه ١٠ سورة ابراهيم .
٣ - درء تعارض العقل والنقل ص ٤٠ جـ ٨ .

وإذا ثبت هذا فنقول : إن من المعلوم بالضرورة أن عقل جميع أهل المشرق والمغرب في مدة سبعة الآف سنة . أو أقل ، أو أكثر : أزيد من عقل واحد مضمور بين الخلق فعلى هذا لو اتفق لإنسان واحد شبهة ، أوشك في وجود الإله تعالى فيجب أن يقطع بأن ذلك الشك أو الشبهة لقصور عقله وقلة فهمه ، لا لعدم المطلوب " (١) .

بل إن الرازي الذي يقول بنظريتي الحدوث والإمكان لمعرفة الله قد ذكر في كتابه المطالب العاليه في العلم الإلهي انه يمكن التعرف على الله بالفطرة ، ولعل هذا من آخر ما كتبه فقال : " وأعلم . أن حاصل الكلام من هذه المباحث الطويلة : أن فطر جميع العقلاء شاهدة بوجود الروحانيات وشاهدة بان الروحانيات أعلى حالاً من الجسمانيات وشاهدة بأن الروحانيات مستولية على الجسمانيات وشاهدة بأنه كما أن مراتب الجمسانيات متفاوته بالكمال والنقصان فكذلك مراتب الروحانيات متفاوته بالكمال والنقصان فيجب أن يحصل في الوجود موجود روحاني هو أعلى وأكمل وأشرف من كل الروحانيات التي هي عالية في الشرف على جميع الجسمانيات وحينئذ يلزم أن يكون ذلك الموجودأعلى من كل الموجودات وأشرف وأكمل" (٢) .

وحيث قد ذكر محقق هذاالكتاب أنه لم يسبق أنه قد طبعه أحد قبله فقال : فهذا هو كتاب المطالب العالية من العلم الألهي للإمام الجليل : محمد بن عمر بن الحسين : الشهير بفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وهو كتاب في علم الكلام ، لم يطبعه أحد من قبل أن نطبعه" (٣) .

---

١ - المطالب العالية في العلم الإلهي جـ١ ص ٢٥٢ تحقيق د. أحمد السقا دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ بيروت .

٢ - المطالب العاليه في العلم الألهي جـ ١ ص ٢٧٦ للرازي .

٣ - نفس المصدر ص ٥ .

وحيث يظهر للقارئ لهذا الكتاب أنه يحاول جمع الأدلة لمعرفة الله فهذا دليل آخر على عودة الرازي في أخر حياته العلمية ويتضح ذلك من قول شيخ الإسلام: ولهذا يقول الرازي في آخر مصنفاته (١) : " لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات" إليه يصعد الكلم الطيب" (٢) . " الرحمن على العرش أستوى" (٣). واقرأ في النفي ((ليس كمثله شئ" (٤). "ولا يحيطون به علماً" (٥). قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي " (٦) .

نعم إنها نهاية العقول والإقدام بالعودة إلى كتاب رب السموات وخالق الأنام بل أن ذلك واجب ومتعين على الذين عاشوا القرون الأول الإسلامية وذلك لظهور الدين ومتابعة السلف الصالحين ، وأن ما نجده من إصرار البغدادي على عدم معرفة الله بالضرورة والإعتماد على النظر بينما كان يعيش في القرن الرابع الهجري لهو أمر لافت للنظر بل هو دليل على التعصب للمذهب متابعةً وتقليداً للمذهب والحقيقة انهم إذا قالوا بالمعرفة الضرورية لله تعالى لبطل دليلهم وأراحوا الناس واستراحوا وحقيقة الأمر أن الهوى والشبهة قد غذيا ذلك الفكر فعاش زمناً ثم تبرأ منه أهله فكمن في بطون كتبهم وابتلى الله به العامة وزينه علماء مُضلون فضلوا وأضلوا .

---

١ - ذكر المحقق أن هذا النص في كتابه نهاية العقول ص ٧٧ النبوات لشيخ الاسلام .
٢ - من ايه ١٠ سورة فاطر .
٣ - آيه ٥ سورة طه .
٤ - آيه ١١ سورة الشورى .
٥ - آيه ١١٠ طه.
٦ - النبوات لشيخ الإسلام دار الكتب العلميه بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ص ٧٧ ، ٧٨ وقد ذكر المحقق أنه ذكره في كتابه نهاية العقول .

الرد علي المصطلحات التي أعتمدها البغدادي في دليل أثبات وجود الله

حيث أن البغدادي قد أنكر معرفة الله بالضرورة أو الإستدلال على الله بآياته ، بل أوجب معرفة الله بالنظر المعين عندهم الذي يعتمد على الجوهر والعرض والجزيء والجسم ، وحيث أن هذه المصطلحات وغيرها هي عمدة البغدادي وأصحابه المتكلمين في إثبات وجود الله ، مما كان لأهل السنة والجماعة موقفهم لما آستجد عند المتكلمين وأعتبروه من أصول الدين فقال شيخ الإسلام : " فالسلف والأئمة لم يذمّوا الكلام لمجرد ما فيه من الأصطلاحات المولدة كلفظ "الجوهر" "والعرض" "والجسم" وغير ذلك ، بل أن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه ، لاشتمال هذه الألفاظ على معانٍ مجملة في النفي والإثبات ، كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع ، فقال :"هم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون علي مفارقة الكتاب . . يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم .

ثم يقول شيخ الإسلام نافياً وورود إصطلاحات أولئك في الشرع المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم " فإنه لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولاأحد من الصحابة والتابعين ، ولا أحد من الأئمة المتبوعين : أنه علق بمسمى لفظ الجوهر والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئاً من أصول الدين ، لا الدلائل ولاالمسائل .

والسلف والأئمة الذين ذمّوا وبدّعوا الكلام في الجوهر والجسم والعرض تضمن كلامهم ذم من يدخل المعاني التي يقصدها هؤلاء بهذه الألفاظ في أصول الدين ، في دلائله وفي مسائله نفياً واثباتاً "(١) .

---

١ - أنظر جـ ١ درء تعارض العقل والنقل ص ٤٤ ، ٤٥ .

تقديس الجوهر الفرد عندالبغدادي وأصحابه :

قال البغدادي " والعالم نوعان : جواهر وأعراض (١) ثم بين أن المفردات من العالم نوعان : أحدهما جوهر واحد وهو الجزء الذي لا يتجزئ وكل جسم من أجسام العالم ينتهي بالقسمة إلى جزء لا يتجزأ " (٢) ثم قال: "فأما اثبات الجوهر الذي لا يتجزأ فعليه جمهور المسلمين غير النظام فإنه زعم أنه لا نهاية لأجزاء الجسم الواحد وبه قال أكثر الفلاسفة ولو كان كما قالوه لم يكن الجبل أعظم من الخردلة إذا لم يكن لا جزأ كل واحد منهما نهاية لأن ما لا نهاية له في الوجود لا يزيد على ما لا نهاية له في الوجود" (٣) .

إن المتابع والباحث ليعجب مماتوصل إليه أولئك العلماء المتكلمون وحرصهم على اثبات خرافات وفلسفات اليونان والأغريق في ماضيهم السحيق وجهلهم بما يلزم لله من التبجيل والرفعة على التحقيق ، بل أن الباحث في أصولهم يقف على جهلهم بالعلوم الشرعية الصحيحة كما أورد البغدادي أجماع المسلمون على اثبات الجوهر الفرد ؟ ! وكقوله : "وأما الجبارالذي يضع قدمه في النار فهو الذي قال تعالى فيه : ﴿ جبارعنيد من ورائه جهنم ﴾ (٤) ؟! (٥) هكذا !

وأن يعجب الباحث والمتابع والقارئ لتلك الأقوال والمقدمات والإصطلاحات فقد عجب شيخ الإسلام رحمه الله من ذلك فقال : " وأعجب من هذا أنهم يجعلون اثبات الجوهر الفرد دين المسلمين ، حتى يعد منكره خارجاً عن الدين كما قال أبو

---

١ - أنظر أصول الدين ص ٣٣ . ٠

٢ - أصول الدين ص ٣٥ .

٣ - أصول الدين ص ٣٦ .

٤ - لقد بتر البغدادي الآيتين فأخل بالمعنى وفصل بين المضاف والمضاف إليه لغرض في نفسه والصحيح قوله تعالى ﴿ وأستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ﴾ آيه ١٥ ، ١٦ سورة ابراهيم .

٥ - اصول الدين ص ٧٦ .

المعالي وذووه : اتفق المسلمون على أن الأجسام تتناهى في تجزيها وانقسامها حتى تصير أفراداً ، وكل جزء لا يتجزأ ولا ينقسم ، وليس له طرف واحد وجزء شائع ولا يتميز .

والعجب أنهم اتفقوا على أن الأجرام متناهية الحدود والأقطار ، منقطعة الأطراف والأكتاف ، وكذلك على كل جملة ذات مساحة فإن لها غايات ومنقطعات بالجهات ، ثم قضوا بأنها تنقسم اجزاء بلا نهاية ، والجملة المحدودة كيف تنقسم اجزاء لا تتناهى ولا يحاط بها ؟!"(١) .

نقد الجوهر الفرد أو صنم المتكلمين :

لقد اتخذ المتكلمون الجوهر الفرد أساساً لدينهم وعمدة لاصولهم وسلاحاً ضد خصومهم بل وادعى البغدادي اجماع جمهور المسلمين على أثباته ! وقد رد عليهم شيخ الإسلام فقال : " قلت والكلام في ذلك من وجهين : أحدهما أنا نعلم بالإضطرار من دين الإسلام أن الرسول والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين لم يبنوا شيئاً من أمر الدين على ثبوت الجوهر الفرد ولا انتفائه ، وليس المراد بذلك أنهم لم ينطقوا بهذا اللفظ فإنه قد تجدد بعدهم الفاظ إصطلاحية يعبر بها عما دل عليه كلامهم في الجملة ، وذلك بمنزلة تنوع اللغات وتركيب الآلفاظ والمفردات ؛ وانماالمقصود ان المعنى الذي يقصده المثبته والنفاة بلفظ الجوهر الفرد لم يبن عليها من سلف الأمة وأئمتها مسألة واحدة من مسائل الدين ، ولا ربطوا بذلك حكماً علمياً ولا عملياً ، فدعوى المدعى انبناء أصل الإيمان بالله واليوم الآخر على ذلك يضاهي دعوى المدعي إنما بينوه من الإيمان بالله واليوم الآخر ليس هو على ما بينوه ، بل إما أنهم ما كانوا يعلمون الحق ، أو يجوز الكذب في هذا الباب لمصلحة الجمهور ، كما يقول

١ -بيان تلبيس الجهميه جـ١ ص ٢٨٢ .

نحو ذلك من يقوله من المنافقين من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم من الباطنية ، فإنهم إذا أثبتوا من أصول الدين ما يعلم بالإضطرار أنه ليس من أصول الدين لزم قطعاً تغيير الدين وتبديله ، وبهذا زاد أهل هذا الفن في الدين ونقصوا منه علماً وعملاً . وإذا كان كذلك لم يكن الخوض في هذه المسألة مما يبنى الدين عليه ؛ بل مسألة من مسائل الأمور الطبيعية كالقول في غيرها من أحكام الأجسام الكليه .

ثم يوضح شيخ الإسلام أمراً آخراً للرد على أولئك فقال : " وأيضاً فإنه أطبق أئمة الإسلام على ذم من بنى دينه على الكلام في الجوهر والأعراض . ثم هؤلاء الذين أدعوا توقف الإيمان بالله واليوم الآخر على ثبوته قد شكوا فيه . وقد نفوه في آخر عمرهم .

الوجه الثاني : دعواهم أن هذا قول المسلمين أو قول جمهور متكلمي المسلمين ومن المعلوم أن هذا انما قاله أبو الهذيل العلاف ومن أتبعه من متكلمي المعتزلة والذين أخذوا ذلك عنهم وقد نفى الجوهر من أئمة المتكلمين من ليسوا دون من أثبته بل الأئمة فيهم أكثر من الأئمة في أولئك . . " (١) .

وقد بين شيخ الإسلام مدى تعظيم المتكلمون لهذا الرمز عندهم وهو الجوهر ثم شبهه بما يعظم عند الفرق الأخرى كالقرامطة والرافضة والصوفية فقال : " هذا الأسم الهائل الذي هو الجوهر الفرد " عندهم ، وهو عند التحقيق مالا يمكن أحد أن يحصره بحسه ، أو : يحصره بجنسه (٢) باتفاقهم ، وعند المحققين لامس له . وما أشبهه بالمعصوم المعلوم الذي أبتدعته القرامطة والمنتظر المعصوم الذي أبتدعته الرافضة

---

١ - بيان تلبيس الجهميه جـ١ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

٢ - وفي الأصل " أن يحضر بجنسة " لكن المحقق عدل عن ذلك ص ٢٨٥ وذلك لمناسبتها للنص .

والغوث الذي ابتدعته جهال الصوفية : هو نظير ما يعظم هنا"(١) .

ومن هنا يتضح أن قول البغدادي غير ثابت وغير متحقق بل أن أولئك الذين يدعون أن لا نهاية لاجزاء الجسم الواحد وهم الفلاسفة ومن تبعهم قول يتناقض مع الحق " والتحقيق أن كلا المذهبين باطل ، والصواب ما قاله من قاله من الطائفة الثالثة المخالفة للطائفتين : إن الأجسام إذا تصغرت أجزاؤها فإنها تستحيل ، كما هو موجود في أجزاء الماء إذا تصغر فإنه يستحيل هواءاً أو تراباً ، فلا يبقى ممتنع عن القسمة كما يقوله المثبتون له ، فإن هذا باطل بما ذكره النفاة من أنه لا بد أن يتميز جانب له عن جانب ، ولا يكون قابلاً للقسمة إلي غير نهاية ؛ فإن هذا أبطل من الأول ؛ بل يقبل القسمة إلى حد ثم يستحيل إذا كان صغيراً وليس إستحالة الأجسام في صغرها محدوداً بحد واحد ، بل قد يستحيل الصغير وله قدر يقبل نوعاً من القسمة وغيره لا يستحيل حتى يكون أصغر منه . وبالجملة فليس في شئ منها قبول القسمة إلى غير نهاية ، بل هذا انما يكون في المقدرات الذهنية ، فاما وجود مالا يتناهى بين حدين متناهيين فمكابرة ، وسواء كان بالفعل أوبالقوة ، ووجود موجود لايتميز له جانب عن جانب مكابرة ، بل الأجسام تستحيل مع قبول الأنقسام ، فلا يقبل شئ منها إنقساماً لا يتناهى ، كما أنها إذا كثرت وعظمت تنتهي إلى حد تقف عنده ولاتذهب إلى ابعاد لا تتناهى"(٢) .

ورحم الله شيخ الإسلام وعبقري الأنام في عصره إلي حاضر هذه الأيام فهل كان يتنبأ بمبدأ تحطيم الذرة وتفجير النيترون واستحالتهما إلى سحب ملوثة قاتلة ثم إلي العدم والتلاشي ؟! نعم ذلك مما ثبته الله به في الحياة الدنيا من الأقوال الثابتة لإنه

١ - نفس المصدر جـ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
٢ - بيان تلبيس الجهميه جـ١ ص ٢٨٥ .

أخلص لله وتابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالي:﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ (١) وإذا كان شيخ الإسلام قد بين أن أولئك الذين أدعوه وانتصروا له واعتمدوه أساساً لدليلهم ونبراساً لمنهجهم قد شكوا فيه أخيراً وتوقفوا بل وأحتاروا وإلى ذلك ذهب أبن رشد في نقد أقوالهم :

نقد ابن رشد وكلامه في الجوهر :

لم يقتصر أهل السلف الذين هم أهل السنة والجماعة في ردهم على المتكلمين بوجه واحد بل جمعوا أدلة الذين نقدوا وعارضوا أدلة المتكلمين وإلى ذلك ذهب شيخ الإسلام الذي يستعين بأدلة الخصوم في رد بعضهم على بعض ثم يعلق عليها ويبين الحق الذي قصرت عنه أدلة الطرفين ، فهذا ابن رشد يرد عليهم فيقول : " وإن عنوا بالجوهر الجزء الذي لا ينقسم ، وهو الذي يريدونه بالجوهر الفرد ، ففيها شك ليس باليسير . وذلك أن وجود جوهر غير منقسم ليس معروفاً بنفسه ، وفي وجوده أقاويل متضادة شديدة التعاند ، وليس في قوة صناعة الكلام تخليص الحق منها ، وانما ذلك لصناعة البرهان ، وأهل هذه الصناعة قليل جداً . والدلائل التي تستعملها الأشعرية في اثباته هي خطابية (٢) في الأكثر . وذلك أناستدلالهم المشهور في ذلك هو أنهم يقولون :ومن المعلومات الأول أن الفيل مثلاً انما نقول فيه إنه أعظم من النملة (٣)، من قبل زيادة أجزاء فيه على أجزاء النملة . وإذ ذلك كذلك فهو مؤلف من تلك الأجزاء ، وليس هو واحد بسيطاً وإذا فسد الجسم فإليها ينحل . وإذا تركب فمنها يتركب .

١ - من آيه ٢٨٥ سورة البقره .
٢ - في الأصل خطبة والمحقق صححها خطابيه من نسخة أخرى .
٣ - وإلى ذلك ذهب البغدادي أنظر أصول الدين ص ٣٦ .

وهنا يوضح أبن رشد سبب غلطهم فيقول : "وهذا الغلظ انما دخل عليهم من شبه الكميه المنفصلة بالمتصلة فظنوا أن ما يلزم في المنفصلة يلزم في المتصلة . وذلك أن هذا انما يصدق في العدد ، أعني أن نقول : إن عدداً أكثر من عدد من قبل كثرة الأجزاء الموجودة فيه ، أعني الوحدات واما الكم المتصل فليس يصدق ذلك فيه .

ثم أورد شكوكاً على أدلتهم وذكر أنها شكوك معتاصة عليهم ثم قال : " فهذه الشكوك ليس في قوة صناعة الجدل حلها . فإذاً يجب الا يجعل هذا مبدأ لمعرفة الله تبارك وتعالى . . فإن طريقة معرفة الله تعالي أوضح من هذا"(١) .

ومن هنا فإنه يمكن القول بفساد الاعتماد على هذا الجوهر وذلك لمعرفة الله سبحانه ويتبين هذا الأمر من وجوه يمكن تلخيصها وجمعها فيما يلي :

أ - أن الله سبحانه لم يأمرنا بهذا وقد أنزل علينا كتاباً وأرسل إلينا رسولاً وآمن به السابقون من المهاجرين والأنصار وتقبل الله إيمانهم وبُشر بعضهم بالجنة ورضي الله عنهم .

ب - أن أولئك السابقين قطعاً ماقالوا بهذا الجوهر ولا اعتمدوه أساساً لدينهم ومعرفة ربهم وصدق نبيهم .

جـ - أن القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعامة الأمة في كل عصر ما علموا بهذا ومن علمه منهم في آخر المائة الثانية من الهجرة فقد شنع على قائله ورد عليه بضاعته المزجاة .

د - أن السلف والأئمة قد ذمّوا وبدّعوا الكلام في الجوهر والجسم والعرض .

---

١ - مناهج الأدلة لابن رشد أنظر ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

هـ - قال شيخ الإسلام : "وأعجب من هذا أنهم يجعلون اثبات الجوهر الفرد دين المسلمين ، حتى يعد منكره خارجاً عن الدين (١) ؟! وذلك أن علماء المتكلمين كالبغدادي وابي المعالي وغيرهما يقولون باجماع المسلمين وإتفاقهم على اثبات الجوهر وعدم انقسام جزئه وكذلك البغدادي في قوله وجمهور المسلمين على هذا ، وهذا مما يعلم جميع المسلمين مخالفته للواقع والحقيقة بل هذا طعن في نزاهة أحكامهم وبراءة ذممهم فإن مسلمي اليوم ومع تقدم العلوم فما علم بهذا الجوهر إلا أصحاب التخصص ومع هذا فإنهم يحتسبون بذلك عند الله تقرباً إليه بالرد على أقوال مثبتيه ونفي حججهم المعارضبه لأهل السنة والجماعة .

و - أن أولئك الذين أدعواتوقف الإيمان بالله بثبوته قد شكوّا فيه وقد نفوه في اخر عمرهم والعبرة بالنهايات وباب التوبة إلى الله مفتوح مالم تغرغر .

ز - لقد شبهه شيخ الإسلام بالمعصوم المعلوم عند القرامطة ، والمنتظر المعصوم عند الرافضة ، والغوث عند الصوفية وذلك لماعلمه رحمه الله من تعظيم المتكلمين وعلمائهم لهذا الجوهر وأشباهه ومن اعتمادهم عليه في اثبات أصول دينهم .

ح - أن شيخ الإسلام وعلماء الإسلام من أهل السنة والجماعة قد بينوا قولهم فيما أسماه أولئك بالجوهر وأنه ينقسم ويقبل القسمة إلي حد ثم يستحيل إذا كان صغيراً وقد يستحيل وله قدر يقبل القسمة وذلك اعتماداً على نوعه وهذا خلاف قولهم بتجانس الأجسام ووحدتها . وهذا ما وافق العلم الحديث بخلاف قول الأشاعرة الذين قالوا أن الجزء لا ينقسم وخلاف قول المعتزلة الذين قالوا بانقسام الجوهر إلى مالا نهاية .

---

١ - أنظر تلبيس الجهميه جـ ١ ص ٢٨٢ .

ط - وإذا كان ذلك كذلك لم يكن الخوض في هذه المسألة مما يبنى الدين عليه ؛ بل مسألة من مسائل الأمور الطبيعية كالقول في غيرها من أحكام الأجسام الكلية ورحم الله شيخ الإسلام الذي أعطى العقل قدره وفرّق بين أمور عظام لايعلم قدرها إلاالله ومنه يستمد علمها وحقيقتها ثم وفق بين العقل الصريح والنقل الصحيح . كيف وقد مضت عصور التخبط في الأديان والقول على الله بلا علم، فمن دين يحكمه العقل وحده إلى كهنوتية لا مجال للعقل فيها . . ثم ختم الله بهذا الدين العظيم فأنزل كتابه الكريم وتم حفظه من لدن العزيز العليم وبهذا فإنه لاتعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح كيف وكتاب الله العظيم أصح من الصحيح فحمداً لله وشكراً .

نقد أقوال البغدادي في الجوهر

مما تقدم في نقد الجوهر والإعتماد عليه يتبين عدم الحاجة إليه كأساس لمعرفة الله والإيمان به بل يتضح أن القول بالجوهر والعرض انماهي أقوال امم سابقة لم يكن لها حجة ولا برهان من الواحد الديان ، وحينما أكرمنا الله بالدليل من القرآن ، والتوجيه من رسول الرحمٰن عليه الصلاة والسلام ، فلا حجة لنا من غيرهما وإن عدلنا عن ذلك فإما التوبه إليه ، وإما الخسران .

ومما سبق عرضه من طريقة البغدادي في الإستدلال على وجود الله تبين تأثره بهذا المنهج والقول بأقوال أصحابه من الأشاعرة ، واعتماده على الجوهر ، وإثباته ، واثبات مستلزماته عندهم ويمكن بيان ذلك فيما يلي :

أولاً : اثباته للجوهر وقوله بأن جمهور المسلمين على ذلك . وقد تقدم نفي أجماع المسلمين واتفاقهم على القول بالجوهر وإثباته ، وانه جزء لا يتجزأ .

ثانياً : ضعف حجته على النظام وأكثر الفلاسفة الذين قالوا : انه لا نهاية لاجزاء الجسم الواحد حيث قال : ولو كان كما قالوه لم يكن الجبل أعظم من الخردلة ؛ إذا لم يكن لاجزاء كل واحد منهما نهاية ، لأن مالا نهاية له في الوجود لا يزيد على مالا نهاية له في الوجود" (١) .

« فإن منازعوهم جوزوا مثل هذا التفاضل ، وذلك إذا أخذ مالايتناهى في أحد الطرفين قدر متناهياً من الطرف الآخر ، كما إذا قدرت الحوادث المتناهية إلي زمن الطوفان وقدرت إلى زمن الهجرة ، فأنها وإن كانت لا تتناهى من الطرف المتقدم ، فأنها متناهية من الطرف الذي يلينا" (٢) .

---

١ - أصول الدين ص ٣٦ .

٢ - درء تعارض العقل والنقل ج ١ أنظر ص ٣٠٤ .

وليس القصد موافقة أولئك في قولهم بعدم تناهي الأجزاء ، ولكن ضعف حجة البغدادي وأصحابه في مثل هذه الأمور مما قوى حجة أولئك ، وقالوا بقدم العالم ، بل والزموهم بها .

ثالثاً : لقد تذكر البغدادي أن حجته على النظام والفلاسفة لا تقوى علي إبطال قولهم أن لانهاية لاجزاء الجسم الواحد فرمى بسهمه الأخير وليته لم يرم ذلك أنه وظّف كتاب الله العظيم ، ليثبت به نظرية الجزء ، والجوهر الإغريقيتي الأصل والمنشأ فقال : " وقيل للنظام إن كنت مقراً بالقرآن ففيه قوله " وأحصى كل شئ عدداً " (١) .

ولو لم تكن أجزاء كل جنس من الخلق محصورة عنده ماأحصاها عدداً" (٢) .

ولا شك أن البغدادي كان يقصد أجزاء كل جسم وذلك ليسلم له دليله ويفحم خصمه النظام ، وهذا تعدٍ على كتاب الله وقول بلاعلم ، ولا حول ولا قوة إلابالله .

ولقد ذكر شيخ الإسلام" أن هذه الآية قد أستدل بها النظار لإبطال حوادث لا أول لها كما ذكر ذلك طائفة من النظار ، فإن مالا ابتداء له ليس له كل ، وقد أخبر أنه أحصى كل شئ عدداً (٣) ثم قال شيخ الإسلام : " ولفظ الإحصاء لا يفرق بين هذا وبين هذا فإن كان الإحصاء يتناول مالا يتناهى جملة ، فلا حجة في الآية ، وإن قيل : بل أحصى المستقبل ، تقديره : جملة بعد جملة ، لم يكن في الآية حجة ، فإنه يمكن أن يقال في الماضي كذلك . ومسألة تناول العلم لما لا يتناهى مسألة مشكلة على القولين ، ليس الغرض هنا إنهاء القول فيها ، بل المقصود أن مثل هذه الآية لم يرد الله بها إبطال دوام كونه لم يزل متكلماً بمشئته وقدرته" (٤) .

---

١ - ايه ٢٨ سورة الجن .
٢ - أصول الدين ص ٣٦ .
٣ - درء تعارض العقل والنقل جـ١ ص ١٢٤ .
٤ - نفس المصدر ص ١٢٥ .

وإذا كانت الآية الكريمة ليست دليلاً لإبطال حوادث لا أول لها : بل لم يرد الله بها ذلك ؛ فإنه من الأولى عدم دلالتها على احصاء اجزاء كل جسم ، وانها لاتتناهى .

لكن طغيان ذلك الجوهر الفرد قد أستبد بأصحابه حتى قالوا على الله بلاعلم .

رابعاً : قال البغدادي : "ويصح عندنا وجود كل جنس من الأعراض في الجزء المنفرد" (١) .

ومن المعلوم أن البغدادي قد أثبت ثلاثين عرضاً تلحق بالجوهر ، أو الجزء المنفرد كما قال فهل من المعقول أن تلحق تلك الأعراض الثلاثون بذلك الجزء الذي لايتجزأ والذي لا يتميز يمينه عن شماله قال شيخ الإسلام : " ويقول الذين يثبتون الجوهر الفرد : . . . ، ويقول كثير منهم ان كل شئ فإنه يمكن رؤيته وسمعه ، ولمسه إلي غير ذلك من الأمور التي جعلوها أصول علمهم ودينهم ، وهي مكابرة للحس والعقل" (٢) .

خامساً : القول بتجانس الأجسام .

وهذا قول أصحابه الذين يوافقهم في ذلك عند عرض القول والإستدلال عليه فقال : " وقال أصحابنا بتجانس الأجسام كلها وقالوا ان أختلافها في الصورة وفي سائر الأحكام انما هو لأختلاف الأعراض القائمة بها . . ودليل هذا القول أن أعظم أنواع الأختلاف بين الأجسام ما نراه من الأختلاف بين الأرض والماء والنار والهواء . فدلت استحالة هذه الأصول بعضها إلى بعض انها في الأصل جنس واحد وان اختلافها في الصورة لاختلاف الأعراض القائمة بها كما بيناه" (٣) .

---

١ - تفسير أسماء الله الحسنى مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ٥٧٤٧ ونسخة عند الباحث لوحة ٣٠٢ .

٢ - النبوات لشيخ الإسلام دار الكتب العلميه بيروت سنة ١٤٠٥ ص ٤٣٢ .

٣ - أنظر اصول الدين ص ٥٤ ، ٥٥ .

وقد ذكر شيخ الإسلام اتفاق الأشاعرة على هذا كما نقلها الآمدي في أبكار الأفكار فقال : " الفصل الرابع في أن الجواهر متجانسة متماثلة غير متحدة أتفقت الأشاعرة وأكثر المعتزلة على أن الجواهر متماثلة متجانسة " (١) .

ويقول شيخ الإسلام : " ومن العجب أن كلامه وكلام أمثاله يدور في هذا الباب على تماثل الأجسام ، وقد ذكر النزاع في تماثل الأجسام وان القائلين بتماثلها من المتكلمين بنوا ذلك على أنها مركبة من الجواهر المنفردة ، وان الجواهر متماثلة .

ثم أنه في مسألة تماثل الجواهر ذكر أنه لادليل على تماثلها ، فصار أصل كلامهم الذي ترجع إليه هذه الأمور كلاماً بلا علم ! بل بخلاف الحق ، مع أنه كلام في الله تعالي" (٢) .

ثم يرد عليهم شيخ الإسلام مبطلاً قولهم بتجانس الأجسام والجواهر فقال : "هذا بناءاً على أصل تلقوه من المعتزلة ، وهو أن الجواهر والأجسام متماثلة ، بخلاف الأعرض ، فإنها قد تختلف وقد تتماثل . وحقيقة هذا القول أن الأجسام متماثلة من كل وجه ، والتراب مماثل للذهب من كل وجه ، بل الثلج مماثل للنار من كل وجه ، والخبز مماثل للحديد من كل وجه ، إذ كانا متماثلين في صفات النفس عندهم .

وهذا القول فيه من مخالفة الحس والعقل مايُستغنى به عن بسط الرد على صاحبه ، بل أصل دعوى تماثل الأجسام من أفسد الأقوال ، بل القول في تماثلها واختلافها كالقول في تماثل الأعراض واختلافها ، فإنها تتماثل تارة وتختلف تارة " (٣) .

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ ٤ ص ١٧٦ في أبكار الأفكار جـ١ ص ٢٨ - ٢٩ .
٢ - نفس المصدر ص ١٧٦ جـ ٤ .
٣ - نفس المصدر جـ ٥ ص ١٩٢ .

وبهذا يتبين فساد جوهرهم ، وبطلان حجتهم ومن ثم فما بنى على فاسد فهو فاسدمثله ، فلا عبرة لمصطلحاتهم الأخرى ، وسيكون الرد عليها ضمن نقد دليل الحدوث في المباحث القادمه إن شاءالله .

نقد مقدمات الدليل علي وجود الله عند البغدادي

حيث أن المتكلمين قد اعتمدوا الجوهروالعرض من مقدمات دليلهم واثبتوا ذلك بحجج عقلية عندهم ، فإن البغدادي زاد على ذلك بقوله وعليه جمهور المسلمين . ولقد أثبتنا فيما سبق عند نقد الجوهر بطلان ذلك القول للبغدادي وان الجوهر لا يصلح عمدة للإستدلال على الله وحده ، بل أن الجوهر الفرد الذي أثبتوا أنه جزء لايتجزء قد اختلف فيه أصحاب المذاهب والراجح كما قال شيخ الإسلام إنه ما من جزء إلا ويتلاشى أو يستحيل .

وبذلك يتبين بطلان تلك المقدمة الأولى للدليل عندالبغدادي وأصحابه وقد تعمد البغدادي تأخير ربط الأجسام بالأعراض وذلك حتى يثبت حدوث الأعراض أولاً : فقال البغدادي في اثبات حدوث الأعراض " اختلف الذين أثبتوا الأعراض في حدوثها : فقال المسلمون وكل من أقر بشريعة بحدوثها " (١) .

وهكذا فإن البغدادي يسند دليله العقلي دائماً بموافقه المسلمين أو جمهورهم ولاأدري كيف علم ذلك الإجماع !؟ كيف ذلك وكتبهم ومؤلفات المسلمين لا تقر له بذلك .

وإذا كان يقصد المتكلمين من أصحابه فإن المسلمين غيرهم هم الكثرة وهم الجماعة والجمهور بل أن علماء المسلمين قبل وبعد البغدادي قد ردوا على ذلك المنهج الذي سلكه هو وأصحابه وعابوا عليهم اعتمادهم على عقولهم لمعرفة الله سبحانه بعيداً عن النص والفطرة " وأما أصحاب الكلام . . فأنهم بنوا أصولهم العقلية وأصول دينهم الذي أبتدعوه على مخالفةالحس والعقل ، فإنهم يقولون أنا لا نشهد

---

١ - أصول الدين ص ٥٥ .

، بل ولا نعلم في زماننا حدوث شئ من الأعيان القائمة بنفسها ، بل كل ما نشهد حدوثه بل كل ماحدث من قبل أن يخلق آدم انماحدث أعراض في الجواهر التي هي باقية لا تستحيل قط بل تجتمع وتتفرق ، والخلق عندهم الموجود في زماننا ، وقبل زماننا انما هو جمع وتفريق لا أبتداع عين وجوهر قائم بنفسه ولا خلق شئ قائم بنفسه لا إنسان ولا غيره ، وانما يخلق اعراضاً ويقولون ان كل ما نشاهده من الأعيان فإنها مركبة من جواهر كل جوهر منها لا يتميز يمينه عن شماله ، وهذا مخالفة للحس والعقل كالأول .

ويقول كثير منهم ان الأعراض لا تبقى زمانين ، ويقولون أنه لا يغني ويعدم في زماننا شيئاً من الأعيان ، بل كما لا يحدث شيئاً من الأعيان لا يفنى شئ من الأعيان فهذاأصل علمهم ودينهم ومعقولهم الذي بنوا عليه حدوث العالم واثبات الصانع وهو مخالف للحس والعقل" (١) .

ولهذا نرى ابن رشد قد تعرض لتلك المقدمة عندهم فقال : "واما المقدمة الثانية وهي القائلة إن جميع الأعراض محدثة ، فهي مقدمة مشكوك فيها ، وخفاء هذا المعنى فيها كخفائه في الجسم . وذلك إنا انما شاهدنابعض الأجسام محدثه ، وكذلك بعض الأعراض فلا فرق في النقلة من الشاهد في كليهما إلى الغائب فإن كان واجباً في الأعراض أن ينقل حكم الشاهد منها إلى الغائب ، أعني أن نحكم بالحدوث على ما لم نشاهده منها قياساً على ما شاهدناه ، فقد يجب أن يفعل ذلك في الأجسام ونستغني عن الإستدلال بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام" (٢) .

وقد قال علماء الأصول أن الدليل يسقط إذا تطرق إليه الإحتمال كيف وقد تطرق

١ - النبوات لشيخ الإسلام دار الكتب العلميه بيروت سنة ١٤٠٥ ص ٤٣٢ .
٢ - مناهج الأد له لابن رشد ص ١٤١ .

إليه الشك ، بل يقول ابن رشد انها شكوكاً عويصة في ذلك بعد أن أورد اعتراضات أخرى على هذا الدليل .

ثم بين أن أدلتهم خطابية وليست يقينية ولا تخضع للحس فقال : " فتؤدى أدلتهم على حدوث جميع الأعراض إلى قياس الشاهد على الغائب ، وهو دليل خطابي إلا حيث النقلة معقولة بنفسها ، وذلك عند التيقن باستواء طبيعة الشاهد والغائب " (١) .

ولا يسوغ ذلك قولهم بتجانس الأجسام وتماثلها فقد بينا رد شيخ الإسلام على ذلك ، وانه مخالف للحس والعقل (٢) .

ولقد أحسن أبن رشد حين حدد مايمكن الأستدلال عليه عندهم فقال : " وانما بان من قولهم انما يظهر من الأعراض حادثاً فهو حادث ، لا ما لا يظهر حدوثه ولا ما لا يشك في أمره ، مثل الأعراض الموجودة في الأجرام السماوية " (٣) .

المقدمة الثانية : استحالة تعري الأجسام من الأعراض .

لقد تابع البغدادي شيخه في إثبات لزوم الأجسام والجواهر للأعراض فقال : " ذهب شيخنا أبو الحسن الأشعري إلى إستحالة تعري الأجسام من الألوان والأكوان والطعوم والروائح ، وقال لابد أن يكون في كل جوهر لون وكون وطعم ورائحة " (٤)

لاشك أن كل جسم لا يخلو من الصفات التي هي الأعراض ، بل أنها لازمة له فلا تعرف الأجسام إلا بصفاتها ، لكن الأشاعرة يرون أن الجوهر الفرد نفسه تلحق به

---

١ - مناهج الأدله ص ١٤٢ ، وأنظر ص ١٤٠ .
٢ - النبوات أنظر ص ٤٣٢ .
٣ - مناهج الأدله لابن رشد ص ١٤٢ .
٤ - أصول الدين ص ٥٦ .

تلك الصفات والأعرض وهذا منافياً للحس والعقل كما قال شيخ الإسلام (١) وقد نقد ابن رشد مقالتهم هذه فقال : " فإن عنوابها الأجسام المشار إليها القائمة بذاتها فهي مقدمة صحيحة وإن عنوا بالجوهر الجزء الذي لا ينقسم ، وهو الذي يريدونه بالجوهر الفرد ، ففيها شك ليس باليسير . وذلك أن وجود جوهر غير منقسم ليس معروفاً بنفسه وفي وجوده أقاويل متضادة شديدة التعاند ، وليس في قوة صناعة الكلام تخليص الحق منها "(٢) .

وهذه هي المقدمة التي أصطلح عليها المتكلمون بقولهم : إن الجواهر لا تنفك عن الأعراض .

المقدمة الثالثة : تحقيق حدوث الأجسام :

وهنا يعود البغدادي لأسلوبه التعميمي ليكسب الدليل قوة فيقول : " وقال أهل الحق بحدوث جميع الأجسام والأعراض ودليل ذلك : أنا قد دللنا قبل هذا على حدوث الأعراض في الأجسام ودللنا أيضاً على استحالة تعري الأجسام من الأعراض الحادثة"(٣) .

وهذه هي المقدمةالثالثة التي عرفت عند المتكلمين بقولهم " إن مالا يخلو من الحوادث فهوحادث" فهي مقدمة مشتركةالأسـم ، وذلك أنه يمكن أن تفهم على معنيين ؛ أحدهما مالا يخلو من جنس الحوادث ويخلو من أحادها ، والمعنى الثاني مالا يخلو من واحد مخصوص مشار إليه ، كانك قلت : مالا يخلو من هذا السواد المشار . فأما هذا المفهوم الثاني فهو صادق ، أعني مالا يخلو عن عرض مشار إليه ، وذلك العرض حادث ، أنه يجب ضرورة أن يكون الموضوع له حادثاً ، لأنه إن كان قديماً فقد خلا من ذلك العرض ، وقد كنا فرضناه لا يخلو ، وهذا خلف لا يمكن .

١ - النبوات ص ٤٣٢ .
٢ - مناهج الأدله ١٣٩ .
٣ - أصول الدين ٥٩ .

وأما المفهوم الأول ، وهو الذي يريدونه فليس يلزم عنه حدوث المحل أعني الذي لا يخلو من جنس الحوادث ؛ لانه يمكن أن يتصور المحل الواحد ؛ أعني الجسم تتعاقب عليه أعراض غير متناهية"(١) .

ويوضح شيخ الإسلام هذين المفهومين ثم يبين مورد النزاع وبيان غلط المتكلمين الذين التزموا بتلك المقدمات ، فعطلوا الخالق لإنهم مثلوه بالمخلوق ولله المثل الأعلى ، بل إن " مثل هذه المقدمة وأمثالها منشأ غلط كثير من الناس ، فإنها تكون لفظاً مجملاً يتناول حقاً وباطلاً ، وأحد نوعيها معلوم صادق ، والآخر ليس كذلك . . وذلك أن القائل إذا قال : مالا يسبق الحوادث فهو حادث فله معنيان : أحدهما أنه لا يسبق الحادث المعين ، أو الحوادث المعينة أو المحصورة ، أوالحوادث التي يعلم أن لها ابتداء ؛ . . وليس هذا مورد النزاع ،ولكن مورد النزاع هو : مالم يخل من الحوادث متعاقبة التي لم تزل متعاقبة ، هل هو حادث / وهو مبني على أن هذا هل يمكن وجوده أم لا؟ فهل يمكن وجود حوادث شيئاً بعد شئ دائمة لاابتداء لها ولا انتهاء ، وهل يمكن أن يكون الرب متكلماً لم يزل متكلماً إذا شاء ، وتكون كلماته لا نهاية لها ، لا ابتداء لها ولا انتهاء ، كما أنه في ذاته لم يزل ولا يزال لا ابتداء لوجوده ولاانتهاء له ، بل هو الأول الذي ليس قبله شئ ، وهو الآخر الذي ليس بعده شئ فهو القديم الأزلي الدائم الباقي بلا زوال . . . فلا يكون قد صار متكلماً بعد أن لم يكن ، ولا يكون كلامه مخلوقاً منفصلاً عنه ، ولا يكون متكلماً بغير قدرته ومشيئته ، بل يكون متكلماً بمشيئته وقدرته ، ولم يزل كذلك ، ولا يزال كذلك .

١ - مناهج الأدله لأبن رشد ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

هذاهو مورد النزاع بين السلف والأئمة الذين قالو بذلك ، وبين من نازعهم في ذلك " (١) .

وفي هذا يقرر شيخ الإسلام بطلان ما ذهبوا إليه في مقدمتهم تلك ، بل وينسفها ، كيف " وجمهورالعقلاء يقول أئمتهم : أنها لا تحتاج إلى هذه المقدمة ، بل لاتثبت إلامع نقيض هذه المقدمة ، ومع القول بابطالها . ويقولون : إن موجب هذه المقدمة ان كل موجود محدث ، وانه ليس في الوجود قديم ، مع أن هذا معلوم الفساد بالضرورة " (٢) .

أما فساد قولهم فقد بينه شيخ الإسلام حين" يقولون إنه : لم يزل الله لا يفعل شيئاً ولا يتكلم بمشيئة ، ثم حدثت الحوادث من غير سبب يقتضي ذلك ، مثل أن يقال : إن كونه لم يزل متكلماً بمشيئته أوفاعلاً بمشيئته ، بل لم يزل قادراً : هو ممتنع ، وأنه يمتنع وجود حوادث لا أول لها ، فهذا المعنى هو الذي يعنيه أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ، ومن اتبعهم بحدوث العالم " (٣) .

ثم يأتي شيخ الإسلام فيعرض قولهم ومقدمتهم تلك على مصادر أهل السنة والجماعة فيقول : " وليس في كتاب الله ، ولا سنة رسوله ولا عن أحد من السابقين الأولين ، والتابعين لهم بإحسان ، هذا القول الذي أحدثتموه وجعلتموه أصل دين المسلمين . ليس فيه أن الرب لم يزل لا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بشيء ، ولا يمكنه ذلك ، ثم أنه بعد تقدير أزمنة لا نهاية لها فعل وتكلم ، وأنه صار متمكناً من الفعل والكلام بعد أن لم يكن متمكناً ؛ بل القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين يناقض ما

---

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ١ أنظر ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ .
٢ - درء تعارض العقل والنقل جـ٨ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .
٣ - درءتعارض العقل والنقل جـ١ ١٢٥ ، ١٢٦ .

ذكرتموه ، فكان ما ابتدعتموه من الكلام الذي ادعيتم أنه أصل الدين مخالفاً للسمع والعقل ، ثم إنه صار من تقلدكم ينقل عن المسلمين واليهود والنصارى أن هذا قولهم . ولايعرف هذا القول عن أحد من الأنبياء ولا أصحابهم ، بل المعروف عنهم يناقض ذلك ، ولكن الثابت عند الأنبياء أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن " (١) .

وقد تعرض ابن رشد لمحاولة المتكلمين بترقيع مقدمتهم وإنهاض دليلهم فقال : " ولهذا لما شعر المتأخرون من المتكلمين بوهي هذه المقدمة راموا شدها وتقويتها بأن بينوا في زعمهم ، أنه لا يمكن أن تتعاقب على محل واحد أعراض لا نهاية لها .

ثم أورد استدلالهم على ذلك فأبطله ثم قال : " وانماسقناه ليعرف أن ماتوهم القوم من هذه الأشياء أنه برهان فليس برهاناً ، ولا هو من الأقاويل التي تليق بالجمهور ، أعني البراهين البسيطة التي كلف الله بها الجميع من عباده الأيمان به .

فقد تبين لكم من هذا أن هذه الطريقة ليست برهانية صناعية ولا شرعية " (٢) .

ويكفي هذه المقدمة فساداً ما أقدموا عليه من تعطيل الله سبحانه عن صفاته التي أقرها لنفسه تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي وعد عباده المؤمنين بلذة النظر إلى وجهه الكريم بعد السلام من رب رحيم .

---

١ - نفس المصدر جـ٩ ص ١٥٨ ، درء تعارض العقل والنقل .

٢ -مناهج الأدله لأبن رشد أنظر ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

معرفة الصانع عند البغدادي وأصحابه

أنتهى البغدادي كأصحابه بعد تلك المقدمات النظرية والإستدلالية إلى إثبات محدث للحوادث فقال : إن الحوادث لابد لها من محدث وحيث إن البغدادي قد ذكر في تلك المقدمات النظرية قوله إن العالم أجسام وأعراض ثم أثبت أن الأعرض حادثة وأن الأجسام يستحيل تعرّيها عن الأعراض فأثبت أن الأجسام حادثة وعلى هذا يمكن بيان مقدمته كالتالي : العالم حادث وكل حادث له محدث فالعالم له محدث (١) .

وتلك نتيجة قياسية فطرية ، غير أن البغدادي قد علم أن هذه النتيجة لا تفي بمقصوده في أثبات معرفة الصانع وذلك لضعفها وعموميتها لكثرة المحدثين في هذا العالم وقد فات البغدادي وأصحابه الإستدلال بمخلوقات الخالق عليه فلا خالق إلا الله في هذا الكون ، لكن البغدادي لما علم أن تلك النتيجة وأهية فأخد يشد أزرها بأدلة أخرى بل لم يكتف بذلك بل إستعان بالإجماع والإقرار من الموحدين بوجود الصانع وفي هذا نكسة لذلك الدليل وتلك المقدمات كيف وقد حصل الإجماع كماذكر هو في كتابه ومعلوم إنه لا يخالف الإجماع إلا الشواذ ، فهل المتكلمون هم أولئك ؟! .

وقبل الإجابة علي السؤال نبين تلك الأدلةالأخرى التي أحتاج إليها ليثبت الصانع :

أ - دليل التخصيص .

قال البغدادي : والدليل على أن الحادث لا بد له من محدث أنه يحدث في وقت ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر لو كان حدوثه في وقت لاختصاصه بوقته لوجب أن يحدث في وقته كل ما هو من جنسه وإذا بطل اختصاصه بوقته لأجل الوقت صح أن اختصاصه به لاجل مخصص خصصه به"(٢) .

---

١ - أنظر البحث دليل الحدوث عند البغدادي ص [illegible] .

٢ - أصول الدين ص ٦٩ .

ب - دليل الأفتقار :

قال البغدادي : " وقد دللنا على حدوث الجواهر والأجسام وافتقارهما إلى صانع وإن كان غير قائم بنفسه فهو عرض ولا يصح كون العرض فاعلاً "(١) .

ج - استحالة كون المعدوم فاعلاً :

قال البغدادي : " فإن قيل لم لا يجوز أن يكون الحادث أحدث نفسه ؟ قيل لإنه يستحيل من المعدوم أحداث نفسه لاستحالة كون المعدوم فاعلاً "(٢) .

د - منع التسلسل :

بعد أن حشد البغدادي أدلة مساندة ومفسرة لتلك النتيجة أضاف إلى ذلك دليلاً آخر وهو عدم التسلسل واثبات الصانع ولولا الضعف الذي شعر به أثناء عرض تلك الأدلة وعدم وفائها بمطلوبه ما احتاج إلى هذا الدليل الذي تقشعر منه النفوس المؤمنة المطمئنة ونستغفر الله عما بدر من أولئك المتكلمين في حق رب العالمين .

قال البغدادي : " ولو كان الصانع محُدثاً لافتقر إلى محُدث له ولو كان محُدثه أيضاً محُدثاً لافتقر إلى محُدث ثالث وهذا يتسلسل لا إلى نهاية وهو محال وما أدى إلي محال فهو محال وصح باستحالة ذلك وجوب كون الصانع قديماً " (٣).

هـ - عود على بدء :

لقد استنفد البغدادي أجزاء من أصول دينه في تلك المقدمات بالرغم أنها لم

---

١ - أصول الدين ص ٦٩ .
٢ - أصول الدين ص ٦٩ .
٣ - أصول الدين ص ٧٢ .

تبلغه إلى حقيقة ما أراد تحقيقه في نهاية الأمر فعاد أدراجه إلى أمر قد أجمع عليه كما ذكر هو بل أنه قد أقر من قبل ، وبهذا يتبين مرة أخرى عدم حاجة الموحدين إلى استدلال ومقدمات المتكلمين وتخرصاتهم في ربّ العالمين .

إقرار الموحدين أن الصانع خالق للأجسام والأعراض :

قال البغدادي : "ذهب الموحدون إلي أن الصانع خلق الأجسام والأعراض ابتداء لا من شئ" (١) .

و - إجماع الموحدين :

قال البغدادي : "أجمع الموحدون على أن الصانع للعالم قديم" (٢) .

وبهذا يُعلم جواب السؤال السابق وهو إذا كان البغدادي قد وقف عل ذلك الإجماع والإقرار من الموحدين فلماذا يلزمون الناس بالنظر البدعي ومقدماته من الجوهر والعرض الذي أطال البغدادي في عرضة وسبر أغواره كأصحابه؟! .

إن هذا يعني أن البغدادي كأصحابه ملتزمون بدليلهم ، لكنه لما علم إنه لا يقوم بنفسه إحتاج إلى تعضيده بذلك الإجماع .

أما المؤمنون فإنهم يعلمون أن الله معروف بالفطرة وان القرآن والسنة فيهما ما يغني عن أقوال أولئك ومقدماتهم واللذان أشتملا على أدلة نقلية عقلية .

أما إجماع وأقرار الموحدين الذي ذكره البغدادي فما علمته الأمة ، ذلك أنه

---

٢ - أصول الدين ص ٧٠ .
٣ -أصول الدين ص ٧١ .

خاص بلا شاعرة كما يتبين في الآتي :

أ - إن خلق الأجسام والأعراض لم يعرف إلا عند المتكلمين والأشاعرة منهم .

ب - قوله إبتداء لا من شئ هذا موافقة لدليلهم مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة قال شيخ الإسلام بعد أن عرض آيات الخلق " فأخبر أنه سواهن سبع سموات في يومين ، وإن السماء كانت دخاناً ، وهو بخار الماء ، كما جاء تفسيره في عدة آثار : أنه خلق السماء من بخار الماء ، والبخار دخان الماء كما أن دخان الأرض دخان . . فكل ذلك فيه أخبار الله أنه خلق السموات السبع من مادة أخرى . كما أخبر أنه خلق الإنسان من مادة ، وانه خلق الجان من مادة . ثم قال : ففي هذه الاثار المنقولة عن الأنبياء أنه كان موجوداً قبل خلق هذا العالم ماء وهواء وتلك الأجسام خلقها الله من أجسام آخرى فإن العرش أيضاً مخلوق كما أخبرت بذلك النصوص ، واتفق على ذلك المسلمون " (١) أما موافقة هذا الإجماع عندهم للدليل فذلك أنهمْ قالوا "بمنع الحوادث التي لا أول لها لانهم أعتقدوا كغيرهم أن الرب في الأزل كان يمتنع منه الفعل والكلام بمشيئته وقدرته " (٢) .

ج - قول البغدادي أجمع الموحدون وأقر الموحدون كان يقصد به أصحابه الأشاعرة الذين التزموا دليل الحدوث لمعرفة الصانع وقد دل على ذلك ما ورد في كتاب تبيين كذب المفترى فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر حيث قال " فإن عددتم القول بالتنزيه وترك التشبيه تمشعراً فالموحدون بأسرهم أشعريةْ ولايضر عصابة انتمت إلى موحد مجرد

---

١ - أنظر درء تعرض العقل والنقل جـ٨ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠

٢ - مناهج السنة جـ١ ص ١٥٦ .

التشنيع عليها بما هي منه بريئة(٣) .

وأما المعتزلة فلا يدخلون معهم وان أخذوا بنفس الدليل وكذلك الجهمية لما ورد من تكفير البغدادي لهم فقد أورد صاحب المواقف أقوال أصحابه في تكفير الفرق الأخرى والتي كفرت الأصحاب أيضاً (٤).وقد سلم الله أهل السنة والجماعة من هذه الأقوال فسلمت مصنفاتهم وبهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم إزداد تمسكهم وأشتد ثباتهم .

٣ - تبيين كذب المفترى فيما نسب إلي الإمام ابي الحسن أاشعري تصنيف ابن عساكر الدمشقي دار الفكر دمشق الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ ص٣٦٢ .

٤ - المواقف في علم الكلام للأيجي مكتبة المتنبى القاهره أنظر ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

نقد طرق أثبات وجود الله عند البغدادي

حيث أن علم الكلام يقوم على دليلي اثبات وجود الله عند الأشاعره وهما دليل الحدوث والإمكان ، وقد مر معنا إبطال مقدمات دليل الحدوث عند البغدادي وعلمنا كيف أن نتيجته أخفى من مقدماته مما أضطر بصاحبها إلى حشد أدلة أخرى ورد إلزامات ترد على دليله ثم رمى بسهمه الأخير عندما ذكر إجماع وأقرار الموحدين الذين أثبتوا وجود الله كما ذكر ، وقد تم نقد ذلك بالتفصيل فيما تقدم . وحيث إنما سلكه البغدادي في إثبات وجود الله بدليل الحدوث كأصحابه لهو منهج مخالف لأهل السنة والجماعة ، فمن هنا ينبغي الرد على هذا الدليل ونقده ثم بيان منهج أهل السنة والجماعة لمعرفة الله سبحانه وتعالى . ومن المعلوم أن هذاالدليل قد تعرض للنقد من سائر أصحاب الفلسفة والكلام و **أهل السنة والجماعة** . بل قد أنكره ونقده من كان يتزعم القول به من بعض أصحابه . وستتضح الصورة كاملة بعد إيراد تلك الردود من أصحابها إجمالاً .

أولاً : أن الطرق المشهورة للأشعريّة لمعرفة الله ليست طرقاً نظرية يقينية ولا شرعية .

وهــذا قـول من سبر مقدمات وأدلة الأشاعرة ثم تعامل معها بعقلية الفيلسوف ، ذلك هو ابن رشد الذي قال في كتابه مناهج الأدلة في عقائد الملة : " فقد تبين لك من هذا كله أن الطرق المشهورة للأشعرية في السلوك إلى معرفة الله سبحانه ليست طرقاً نظرية يقينية ولا طرقاً شرعية يقينية وذلك ظاهر لمن تأمل أجناس الأدلة المنبهة ، في الكتاب العزيز على المعنى ، أعني بمعرفة وجود الصانع ، وذلك أن الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين : **أحدهما** أن تكون يقينية ، **والثاني** أن تكون بسيطة غير مركبة ، أعني قليلة المقدمات ، فتكون نتائجها قريبة

من المقدمات الأول " (١) وهاهو محقق ومقدم كتاب مناهج الأدلة يبين أصل تلك النظرية وقائليها وإذا عرف الأصل قامت الحجة ، وبانت المحجة ، وعرف المقلد والمتابع ، وظهرت البدعة في دين الله ، فكيف إذاعلم " أن نظرية الجوهر الفرد ليست إسلامية ولا شرعية ، وإنما هي نظرية أغريقية ؛ وهي مذهب الذرات لدى ديمقريطس ذلك المذهب الذي كان موضع مناقشة وشك في العصر القديم ، والذي استخدم القول بقدم العالم وفي إنكار وجود الله ؟ ومع ذلك فإن الفلاسفة القدماء لم يسلموا جميعاً بوجود هذه الذرات وليس لأحد أن يحتج للمتكلمين بأن العلم الحديث قد كشف عن ذرات فإن فكرة ديمقريطس عنها ، وفكرة المتكلمين أيضاً ، تختلف تماماً عن فكرة علماء عصرنا ، ثم ما عسى أن يفهم الرجل العادي من أمر الجوهر الفرد ؟ وهل كان تلاميذ الأشاعرة والمعتزلة أسعد حظاً من الرجل العادي في وقتنا الراهن مع تقدم العلم وانتشاره ؟ إن هؤلاء الذين يستطيعون فهم نظرية الذرة قلة نادرة من الخاصة فكيف نبرهن أولاً على حدوثها ، ثم كيف نتخذها دليلاً على وجود الله " (٢) .

ثانياً : ان الدليل الذي أثبتوا به حدوث العالم يدل على امتناع حدوث العالم .

لقد وقع الأشاعرة في التناقض حينما سلكوا هذا الدليل بعيداً عن منار السبيل ، بل وألزمهم خصومهم الفلاسفة قولهم بقدم العالم وذلك على عادة الخصم وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام في مناهج السنة فقال : " ولم يفرق هؤلاء بين ما لا يخلو عن نوع الحوادث ، وبين مالا يخلو عن عين الحوادث ، ولا فرقوا فيما لا يخلو

١ - مناهج الأدلة في عقائد الملة لأبن رشد ص ١٤٩ .

٢ - مناهج الأدلة في عقائد الملة لأبن رشد تقديم وتحقيق دكتور محمود قاسم الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ مكتبة الأنجلو المصريه ص ١٢ ، ١٣

عن الحوادث بين أن يكون مفعولاً معلولاً ، أو يكون فاعلاً واجباً بنفسه .

فقال لهؤلاء ، أئمة الفلاسفة وأئمة أهل الملل وغيرهم : فهذا الدليل الذي أثبتم به حدوث العالم هو يدل على امتناع حدوث العالم وكأن ما ذكرتموه إنما يدل على نقيض ما قصدتموه وذلك لان الحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً ، فلابد أن يكون ممكناً ، والأمكان ليس له وقت محدد . فما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت قبله ، فليس لإمكان الفعل وجواز ذلك وصحته مبدأ ينتهي إليه ، فيجب أنه لم يزل الفعل ممكناً جائزاً صحيحاً ، فيلزم أنه لم يزل الرب قادراً عليه ، فيلزم جواز حوادث لانهاية لأولها" (١) .

ثم يبين شيخ الإسلام كيف عظمت حجة الفلاسفة على المتكلمين الذين قالوا بدليل الحدوث فقال : " وانما عظمت حجتهم وقويت شوكتهم على أهل الكلام المحدث المبتدع الذي ذمه السلف والأئمة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية . . فإن هؤلاء لما أعتقدوا أن الرب في الأزل كان يمتنع منه الفعل والكلام بمشيئته وقدرته لكون ذلك ممتنعاً لنفسه والممتنع لا يدخل تحت المقدور صاروا حزبين . . . ثم قال وحزباً قالوا : صار الفعل ممكناً بعد أن كان ممتنعاً منه . وأما الكلام فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة ، بل هو شئ واحد لازم لذاته ، وهو قول ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما" (٢) .

وهنا يرد شيخ الإسلام على كلا الطائفتين القائلتين بقدم العالم ، وان الله لم يزل لا يفعل شيئاً ولايتكلم بمشيئته ثم حدثت الحوادث من غير سبب يقتضي ذلك .

فقال : " والكلام في هذين الأصلين من محارات العقول . فالفلاسفة القائلون

---

١ - منهاج السنه جـ١ ص ١٥٩ .
٢ - منهاج السنه جـ١ ص ١٥٦ .

بقدم العالم كانوا في غاية البعد عن الحق الذي جاءت به الرسل ، الموافق لصريح المعقول وحجج المنقول ولكنهم الزموا أهل الكلام ، الذين وافقوهم على نفي قيام الأفعال والصفات بذاته أو على نفي قيام الأفعال بذاته بلوازم قولهم . فظهر بذلك من تناقض أهل الكلام ما استطال به عليهم هؤلاء الملحدون ، وذمهم به علماء المؤمنين ، من السلف والأئمة واتباعهم" (١) .

" وإذا كان الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأنه معلول لعلة قديمة أزلية أوجبته ، فلم يزل معها" (٢). قد ناظروا المتكلمين الذين قالوا انه يمتنع وجود حوادث لا أول لها وأنه لم يزل الله لا يفعل شيئاً ولا يتكلم بمشيئته ثم حدثت الحوادث" (٣). ولما ناظروهم واعتقدوا أنهم قد خصموهم وغلبوهم ، اعتقدوا أنهم قد خصموا أهل الملل مطلقاً لاعتقادهم الفاسد الناشئ عن جهلهم بأقوال أئمة أهل الملل ، وظنهم أنه ليس لأئمة الملل قول إلا قول هؤلاء المتكلمين وقولهم " (٤) .

فإذا علم ضلال كلتا الطائفتين في هذا الأمر الجلل تبين قول الحق وأئمة أهل الوسط ، أهل السنة والجماعة، وهو أن كل ما سوى الله مخلوق ، حادث ، كائن بعد أن لم يكن ، وان الله وحده هو القديم الأزلي ، ليس معه شئ قديم تقدمه ، بل كل ما سواه كائن بعد أن لم يكن ، فهو المختص بالقدم ، كما أختص بالخلق والإبداع والإلهية ، والربوبية ، وكل ما سواه محدث مخلوق مربوب عبد له ، ثم قال شيخ الإسلام : "وهذا المعنى هوالمعروف عن الأنبياء واتباع الأنبياء من المسلمين واليهود والنصارى وهو مذهب أكثر الناس غير أهل الملل من الفلاسفة وغيرهم "(٥) .

---

١ - منهاج السنه جـ ص ٢٩٩ .
٢ -درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ١٢٦ .
٣ - درء تعارض العقلوالنقل جـ ١ ص ١٢٥ .
٤ - منهاج السنه جـ ١ أنظر ص ١٦٧ .
٥ - درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ١٢٥ .

ثالثاً : إن الاستدلال بالجواهر والأعراض طريق غامض بل هو طريق من أنكر الرسالات والأنبياء : وقد بين أبو الحسن الأشعري أن الأستدلال بخبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو ما أمرنا به وفيه الوضوح وسلامة المقصد فقال : " أن طريق الإستدلال بأخبارهم عليهم السلام على سائر ما دعينا إلى معرفته مما لا يدرك بالحواس أوضح من الاستدلال بالأعراض ، إذ كانت أقرب إلى البيان على حكم ما شوهد من أدلتهم المحسوسة مما أعتمدت عليه الفلاسفة ومن أتبعهم من أهل الأهواء . . ولذلك منع الله رسله من الأعتماد عليه لغموض ذلك على كثير ممن أمروا بدعائهم وكلفوا - عليهم السلام - إلزامهم فرضه . فأخلد سلفنا رضي الله عنهم ومن أتبعهم بعدما عرفوه من صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما دعاهم إليه .

وأعرضوا عما صارت إليه الفلاسفة ومن أتبعهم من القدرية وغيرهم من أهل البدع من الأستدلال بذلك على ماكلفوا معرفته لاستغنائهم بالأدلة الواضحة في ذلك عنه . وانما صار من أثبت حدث العالم والمحدث له من الفلاسفة إلي الإستدلال بالأعراض والجواهر لدفعهم الرسل وإنكارهم لجواز مجيئهم" (١) .

ولم يكتف الإمام أبو الحسن الأشعري بذم دليل الأعراض في رسالة إلى أهل الثغر بل أنه بين قول أهل الحق والسنة ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وذلك بعد أن وفقه الله والتزم طريق السلف وأعرض عن طريق الخلف فقال : "قولنا الذي نقول به التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث

---

١ - رسائل إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري تحقيق ودراسة عبد الله شاكر الجنيدي مؤسسة علوم القرآن دمشق مكتبة العلوم والحكم المدنية المنورة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ أنظر ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١

ونحن بذلك معتصمون " (١) وهذا دليل واضح كالشمس على عودة الإمام أبي الحسن الأشعري إلى مذهب السلف وهجره للكلام المبتدع وأصحابه بل ويثبت بالبراهين القاطعة أن كتابه الإبانة لهو من آخر ماألف أن لم يكن آخرها ليقابل ربه بتلك العقيدة الصافية الخالصة من شوائب وتخرصات أهل البدع والضلال ، ومعلوم أن العودة عن قول أهل الحق خذلان وحاشا إمامنا إن يكون له في الحق قولان . فمن تنكب عن هذا فإنه من أهل الهوى والبهتان .

رابعاً : إن الأخذ بهذا الدليل مصادم للفطرة السوية التي أنشأها رب البرية .

إن الذين استدلوا بالجواهر والأعراض على وجود الله قد أستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وما علموا " أن أصل العلم الإلهي فطري ضروري ، وأنه أشد رسوخاً في النفوس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا : الواحد نصف الإثنين ، ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا : أن الجسم لا يكون في مكانين ، لأن هذه المعارف أسماء قد تعرض عنها أكثر الفطر ، وأما العلم الإلهي : فما يتصور أن تعرض عنه فطرة" (٢). لكن هولاء المتكلمون قد تجاهلوا فطرهم الدالة على معرفة ربهم فقال البغدادي : "والصحيح عندنا قول من يقول أن أول الواجبات على المكلف النظر والإستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله" (٣). وقد عرفنا أن من المقصود بالنظر والإستدلال عند أهل الكلام هو دليل الحدوث ومقدماته كالجوهر والعرض وهذا ما ذهب إليه البغدادي ، غير أن أحد أئمة أهل الكلام قد أستدل علي الباري بالفطرة فقال : "وأنا أقول ما شهد به الحدوث أو دل عليه الأمكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت به الفطرة الأنسانية من احتياج في ذاته إلي مدبر

---

١ - الأبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري تحقيق وتعليق دكتورة فوقيه حسين دار الأنصار بالقاهرة ص ٢٠
٢ - فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص ١٥ ، ١٦ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٢١٠ .

هو منتهي الحاجات فيرغب إليه ولا يرغب عنه ويستغني به ولا يستغني عنه ويتوجه إليه ولايعرض عنه ويفزع إليه في الشدائد والمهمات فإن احتياج نفسه أوضح له من أحتياج الممكن الخارج إلى الواجب والحادث إلى المحدث وعن هذا كانت تعريفاته الخلق سبحانه في هذا التنزيل على هذا المنهاج " أُمن يجيب المضطر إذا دعاه " (١) (٢).فكيف وقد ثبت بطلان مقدمات هذا الدليل ، وما الزمتهم به تلك المقدمات من نفي صفات الله الإختياريه اللائقة به سبحانه والتي أثبتها لنفسه ، وسمّوا ذلك تنزيها وما علموا أن الله أعلم بنفسه وقدأخبر بذلك في محكم تنزيله، ووصف نفسه بما يليق بجلاله وأرشد رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم بالحكمة فما ينطق عن الهوى وقد أخبر الأمة بما يستحق الله من النعوت وبما يليق بجلاله من الأوصاف وفي ذلك تمام التنزيه .

خامساً : إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس بهذه الطريقة لمعرفة الله ولا علّمها لأحد من المسلمين . وفي هذا يقول شيخ الإسلام : "فهذه الطريقة مما يعلم بالإضطرار أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس بها إلى الأقرار بالخالق ونبوة أنبيائه ، ولهذا قد أعترف حذاق أهل الكلام - كالأشعري وغيره - بأنها ليست طريقة الرسل واتباعهم ، ولا سلف الأمة وأئمتها ، وذكروا أنها محرمة عندهم ، بل المحققون على أنها طريقة باطلة ، وان مقدماتها فيهاتفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقاً ولهذا تجد من أعتمد عليها في أصول دينه فأحد الأمرين لازم له : أما أن يطلع على ضعفها ، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم ، فتتكافأ عنده الأدلة ، أويرجح هذا تارة وهذا تارة ، كما هوحال طوائف منهم ، وأما أن يلتزم لاجلها لوازم

---

١ - آيه ٦٢ سورة النمل .

٢ - نهاية الإقدام للشهرستاني ص ١٢٥ .

معلومة الفساد في الشرع والعقل . ."(١) .

وهذا الأخير هو ما اُلتزم به البغدادي وأصحابه " فأعطوا الأصول حقها من اللوازم ، فوافقوا المعتزلة على موجبها ، وخالفوا شيخهم أبا الحسن وأئمة أصحابه ، فنفوا الصفات الخبرية ، ونفوا العلو ، وفسروا الرؤية بمزيد علم لا ينازعهم فيه المعتزلة ، وقالوا : ليس بيننا وبين المعتزلة خلاف في المعنى ، وانما خلافهم مع المجسمة ، وكذلك قالوا في القرآن : إن القرآن الذي قالت المعتزلة : أنه مخلوق نحن نوافقهم على خلقه ، ولكن ندعي بثبوت معنى آخر، وانه واحد قديم والمعتزلة تنكر تصور هذا بالكلية ، وصارت المعتزلة والفلاسفة - مع جمهور العقلاء - يشنعون عليهم بمخالفتهم لصريح العقل ، ومكابرتهم .

وسبب ذلك تسليمهم لهم صحة تلك الأصول ، التي ذكر الأشعري أنها مبتدعة في الإسلام " (٢). ولو كان الناس محتاجين في أصول دينهم إلى ما لم يبينه الله ورسوله لم يكن الله قد أكمل للأمة دينهم ولا أتم عليهم نعمته ، فنحن نعلم أن كل حق يحتاج الناس إليه في أصول دينهم لابد أن يكون مما بينه الرسول ، إذا كانت فروع الدين لا تقوم إلا بأصوله ، فكيف يجوز أن يترك الرسول أصول الدين التي لا يتم الإيمان إلا بها لا يبينها للناس ؟ ومن هنا يعرف ضلال من أبتدع طريقاً أوأعتقاداً زعم أن الإيمان لا يتم إلا به ، مع العلم أن الرسول لم يذكره . . وهذا مما رد به علماء السلف على من زعم أن طريقة الاستدلال على اثبات الصانع سبحانه بإثبات الأعراض وحدوثها من الواجبات التي لا يحصل الإيمان إلا بها " (٣) .

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ١ ص ٣٩ .
٢ - درء تعارض العقل والنقل جـ٧ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
٣ - نفس المصدر جـ١ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

سادساً : إن أصحاب الكلام المذموم لا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا .

لقد ذم السلف الكلام المخالف للشرع والعقل وقد بين شيخ الإسلام ذلك فقال : " والسلف لم يذمّوا جنس الكلام فإن كل آدمي يتكلم ، ولا ذموا الإستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله ، والإستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذمّوا كلاماً هو حق بل ذموا الكلام الباطل ، وهو المخالف للكتاب والسنة ، وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل"(١) .

فهو " ذلك الأصل الذي تلقوه عن الجهمية ، وهو أن مالم يخل من الحوادث فهو حادث ، وهو باطل عقلاً وشرعاً ، وهذا الأصل فاسد مخالف للعقل والشرع ، وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية ، فلا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا بل قد خالفوا السلف والأئمة وخالفوا العقل والشرع ، وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة ، بسبب غلطهم في هذا الأصل الذي جعلوه أصل دينهم ، ولو أعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول ، وثبت لهم الأصل ولكن ضيعوا الأصول ، فحرموا الوصول ، والأصول اتباع ما جاء به الرسول " (٢) .

سابعاً : أنهم يعرضون القرآن والحديث على أصولهم ثم يحرفونهما ويؤلونهما إذا لم يوافقا أقوالهم وأصولهم تلك .

إن تحريف القرآن وتأويل معاني الفاظه أصبح منهجاً واضحاً لأولئك الذين سلكوا دليل الحدوث ، ذلك ليسلم لهم ذلك الدليل ولإعتقادهم الجازم أن ما

---

١ - الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام تحقيق الشيخ حسين الغزال دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ ص ١٧١ .

٢ - مجموعة الرسائل الكبرى لأبن تيميه دارالباز مكة المكرمة ص ١١٧ ، ١١٨ ج ـ

توصلوا إليه لا يتطرق إليه الطعن فما كان منهم إلا أن يعرضو القرآن والحديث على مسلمات ذلك الدليل عندهم ومحاولةالتوفيق أوالتحريف أو التفويض " والموفقة من أهل الضلال تجعل لها ديناً وأصول دين قد أبتدعوه برأيهم ، ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فإن وافقه أحتجوا به اعتقاداً (١) لا اعتماداً وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله ، وهذا فعل أئمتهم ، وتارة يعرضون عنه ويقولون : نفوض معناه إلى الله وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ما جاء به الرسول ، يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب أتباعها واعتقادموجبها ، والمخالف إما كافر وإما جاهل لا يعرف هذا الباب ، وليس له علم بالمعقول ولا بالأصول ، ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه إلا الله " (٢) .

ثامناً : لقد كان نهاية أمرهم الحيرة والشك والإضطراب والندم وذلك لتفريطهم في حقيقة العلم بالله وخالص معرفته وعبوديته .

إن عودة هؤلاء المتكلمين إلى الجادة وندمهم وذمهم لما قدموه ونبذهم لما أدعوا أنه الحق ، قد سهل الأمر أمام الباحث بتهميش ذلك الأرث الذي خلفوه والمتاع الساقط الذي تناسوه ، لولا أنه قد تسارع إلى إحيائه والتقاطه وتجليته من رأى أنه عنده حقاً وسمى نفسه خلفاً . قال شيخ الإسلام " والاشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذي كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما أنتهى إليه أمرهم حيث قال :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

١ - أو إعتضاداً ليصح المعنى .

٢ - مجموعة الرسائل الكبرى لأبن تيمية دار البارز مكة المكرمة ص ١٠٦ ، ١٠٧ جـ ١ .

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم :

نهايـــة أقـــدم العقـول عقال وأكثر ســـعي العالمين ضـــلال

وارواحنا في وحشة من جسومنا وحاصـــــل دنيـانا أذى وويـــال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ســــوى أن جمعنا فيــه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية : فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً . . ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر العظيم ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم . وخضت في الذي نهوني عنه . والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمى .

ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام(١) .

ثم يبين شيخ الإسلام سبب غلط أولئك فيقول : ثم هولاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر : لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر . ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون ، المنقوصون ، المسبوقون ، الحيارى ، المتهوكون : أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء والرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر

---

١ - مجموع فتاوى أبن تيمية جـ ٥ أنظر ص ١٠ ، ١١ .

اتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، واحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟! "(١).

وهنا يعقد شيخ الإسلام مقارنة بين خير قرون هذه الأمة وبين أولئك الأتباع لمناهج الدارسين من الأمم الغابرة والأفكار البالية فيقول : "ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة ، اتباع الهند واليونان ، ورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان "(٢) .

ويقول ابن القيم رحمه الله : " وأما سائر الفرق فطلبوا الدين بغير طريقه لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم ، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم ، فإن استقام لهم قبلوه ، وان لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه ، فإن اضطروا إلى قبوله حرّفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ، ونبذوا الدين وراء ظهورهم ، وجعلوا السنة تحت أقدامهم .

وأما أهل السنة فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم وطلبوا الدين من قبلهما وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم وآرائهم عرضوه على الكتاب والسنة ، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث آراهم ذلك ووفقهم له ، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على

---

١ - الفتاوى جـ٥ ص ١١ .
٢ - الفاوى جـ ٥ ص ١٢ .

أنفسهم ، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق ، ورأي الإنسان قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً " (١) .

تاسعاً : قال الله تعالي " ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٢) .

أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في يوم حجة وداعه صلى الله عليه وسلم لأمته وفيها يخبر الله تعالي نبيه والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة وأتمه فلا نقصان فيه وفي هذا يقول القاسمي رحمه الله : " ويكفي في دفع الرأي ، وأنه ليس من الدين قول الله تعالى هــذا ، فإنه إذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض إليه نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه ؟ لأنه إن كان من الدين في أعتقادهم فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم ، وهذا فيه رد للقرآن ، وإن لم يكن من الدين فأي فائدة في الأشتغال بما ليس منه ؟ وما ليس منه فهو رد بنص السنة المطهرة كما ثبت في الصحيح ، وهــذه حجــة قاهــرة ودليل باهر لا يمكن أهل الرأي أن يدفعوه بدافع أبداً . . فمن جاء بشيء من عند نفسه وزعم أنه من ديننا قلنا له : إن الله أصدق منك ، ومن أصدق من الله قيلاً ، أذهب لا حاجة لنا في رأيك وليت المقلدة فهموا هذه الآية حق الفهم حتى يستريحوا ويريحوا " (٣) .

١- مختصر الصواعق الرسله على الجهميه والمعطله لأبن القيم دار الندوه الجديده بيروت - أختصره الشيخ محمد بن الموصلي سنة ١٤٠٥ ص ٥١٧ .

٢ - المائده آيه ٣ .

٣ - محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعه الأولى جـ٦ ص ١٨٣٦ سنة ١٣٩٨هـ مطبعة الحلبي .

عاشراً : فساد طرقهم والتحذير منها فلا تجعل سبيلاً لتحصيل أشرف المطالب وهو الإيمان بالله، قال الشيخ محمد خليل الهراس رحمه الله في كتابه "ابن تيميه السلفي باعث النهضة الإسلامية" : "ومن الحق أن نقرر أن ابن تيميه وابن رشد كانا على صواب فيما عمدا إليه من إفساد هذه الطرق والتحذير من سلوكها . فإنها طرق معتاصة ويصعب تصورها على كثير من الناس وفي مقدمتها طول وخفاء ونزاع كثير بحيث لا يمكن اثباتها بطريق قطعي . فكيف تجعل سبيلاً لتحصيل أشرف المطالب وهو الإيمان بالله تعالى وإن من أعظم الحرج أن نكلف العامة ومن لا قدرة لهم على النظر أصلاً بتحصيل معنى الإمكان والحدوث والتغير والجوهر والعرض وغير ذلك مما يدخل في تركيب هذه الأدلة . ثم نقول لهم أنكم لا يصح إيمانكم بالله إلا من هذه الطريق فنضيق عليهم رحمة الله ونصدهم عن سبيله ونكلفهم من الأمر ما لا يطيقون " وإذا كان الشيخ الهراس لم يرتض تلك الطرق المنحرفة فإنه هنا يبين الطريقة القرآنية والهداية الربانية التي أخبرنا بها معلم البشرية وخير البريـة محمد ﷺ فقال : " بل لعل أولى من ذلك وأقرب إلى الفطرة وأضمن للوصول إلى الغاية أن ندعوا الناس إلى ما أرشد إليه القرآن من النظر في ملكوت السموات والأرض وما فيها من عجائب تدل على عظيم قدرة الله تعالى وجسيم نعمته ونشرح لهم ما أودع الله في الأشياء المختلفة من خواص ومنافع سخرها لهم وأنه كيف وهب كل مخلوق من القوى والآلات ما يحتاجه في تحصيل قوته وحفظ حياته ، هذه هي سبيل القرآن وهي عند من أنصف أهدى للقلوب وأشفى للصدور ﴿ يا أيها الناس قد جائتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين ﴾ (١ , ٢) .

---

١ - ايه ٥٧ سورة يس .
٢ - ابن تيمية السلفي لمؤلفه الأستاذ/ محمد خليل هراس الطبعة الأولى المطبعة اليوسفية بطنطا سنة ١٣٧٢هـ ص ٨٢ ، ٨٣ .

إن هذا القرآن الذي هو كلام ربنا الرحمن سيبقى حجة ونوراً لأصحابه وحملة رسالته إلى يوم الدين ، وفي هذا العصر نجد أن القرآن قد سبق بإعجازه العلمي في أمور ظن المحققون فيها والمكتشفون لها أنهم السابقون فأذعن المنصفون منهم بل وأصبح منهم مسلمون يهدون الناس بهداية القرآن ونور القرآن ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (١) .

إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي أصبح مجالاً واسعاً للدعوة إلى الإسلام في هذا العصر على يد علماء الإسلام ، إنما هو أحد جوانب معجزة القرآن الكبرى ولهذا يقول صاحب كتاب الإسلام في مواجهة أعدئه : " ثم هناك الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ويقول الدكتور محمد جمال الدين الفندي في كتابه من روائع الإعجاز في القرآن الكريم ويغرض القرآن في كثير من آياته نحو ٧٥٠ آية إلى مسائل هي من صميم العلم وذكر جانباً من الحقائق العلمية كقضايا عامة ودخل في تفاصيل بعض الحقائق الأخرى ، وتلك الآيات هي في مجموعها أحدى نواحي أعجاز القرآن التي تكشفت في هذا العصر الذي يؤمن فيه الفرد والجماعات بالعلم وتقاس فيه قوى الشعوب بما أحرزت من ثقافات وما جمعت من معرفة وما أبتكرت من مخترعات ، تلك إحدى صفات القرآن الرائعة ذلك الكتاب الذي لا يقف إعجازه عند عصر معين ولا يختص بثقافة بالذات "ولقد ذكر المؤلف كثيراً من وجوه الإعجاز التي تعرض لها القرآن الكريم ولم تكتشف إلا في العصر الحديث بعد نزول القرآن بقرون عدة وصدق الله إذ يقول ﴿سنريهم ءآيتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى

---

٣ - آيه ٢٣ سورة الزمر .

يتبين لهم أنه الحق﴾ (١، ٢)

وإذا كان كلام الله هو الحق أفلا كفانا عن قول فلان وفلان ودليل الجواهر والأعراض من بضاعة اليونان الذي ثبت بطلانه وفساد حجته ، فكيف يكون أصلاً من أصول الدين عند البغدادي وأصحابه ؟! ولا شك إنه التقليد المحض والمتابعه والإختلاف والمخالفة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، كيف ولم يخل عصر من الملتزمين بهما والداعين إليهما فخلد الله ذكرهم وأعلا منزلتهم ، أما أولئك أصحاب الكلام فقد شك البعض منهم فيما أقدم عليه وأحتار البعض الآخر وفي هذا يقول شيخ الإسلام : "ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفه وغيرهم في الغالب ﴿ في قول مختلف ۞ يؤفك عنه من أفك ﴾ (٣) : يعلم الذكي منهم والعاقل : أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وان حجته ليست ببينة ، وإنما هي كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ما قال الشافعي (رضي الله عنه) حيث قال : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الكلام . ومن وجة آخرى إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم وترفقت بهم ، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء ، وأعطوا فهو ماً وما أعطوا علوماً ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة «فما أغنى

---

١ - آيه ٥٣ سورة فصلت .
٢ - الإسلام في مواجهة أعدائه لتوفيق علي وهبة الطبعة الأولى درا اللواء الرياض سنة ١٤٠٣هـ ص ٣٤ .
٣ - آيه ٨ ، ٩ سورة الذاريات .

عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ إذ كانوا يجحدون بآيت الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون " (١) ومن كان عليماً بهذه الأمور : تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذمّوا أهله وعابوهم وعلم أن من أبتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعداً (٢) .

وقد بين شيخ الإسلام أن أولئك المتكلمين الذين عرفوا غاية هذا العلم قد عادوا وعرفوا الحق وانما يخشى على أولئك المقلدين فقال : " فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخاف على من لم يدخل فيه ، وعلى من قد أنهاه نهايته ، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية ، ومن أنهاه فقد عرف الغاية ، فما بقى يخاف من شئ آخر ، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله ، وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظمة هؤلاء " (٣). ولا شك أن البغدادي مقلداً لهم ومتابعاً لأقوالهم ثابتاً على ذلك المنهج ولهذا قال عبد الرحمن بدوي " ويعد البغدادي لذلك مصدراً رئيسياً من مصادرنا عن مذهب الأشاعره " (٤) .

الحادي عشر : إن هذا الدليل عندهم قد سّول لهم تعطيل البارئ وتحريف كلامه .

وأخيراً فإنه يجب القول بأن هذا الدليل الذي أعتمده البغدادي وأصحابه في الإستدلال على الله لهو دليل فاسد من جميع الوجوه ، ومنها تعطيل الله سبحانه عن صفات أخبر بها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

---

١ - آيه ٢٦ سورة الأحقاف .

٢ - فتاوى ابن تيميه ص ١١٩ ، ١٢٠ جـ ٥ .

٣ - نفس المصدر جـ ٥ ص ١١٨ .

٤ - مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي در العلم للملايين الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ ص ٦٧٤ .

وكانت حجة البغدادي وأصحابه في هذا قوله : " فأما أن تواتر الخبر في شئ يعرف صحته بالنظر والإستدلال فإنه لا يوجب العلم "." وكل قول لا يصح معه الإستدلال على حدوث الأجسام وعلى حدوث الجوهر فهو فاسد" (١).

وعلى هذا فإن النص الذي يتعارض مع عقولهم المقلدة لا يفيد عندهم علماً ، ولهم طرق في التعامل معه ومنها التحريف والتأويل في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ " وجمهور هؤلاء المتكلمين المستدلين على حدوث الأجسام بحدوث الحركات يجعلون هذا هو الدليل على نفي ما دل عليه ظاهر السمعيات " (٢) .

ولم يقتصر هولاء الموفقة من أهل الضلال (٣) على تعطيل الله عن صفاته التي أوهمت عقولهم أنها محدثة أو تلحق بالله سبحانه صفة الحدوث ! ، وإنما أنهالوا على ما أعتبروه تشبيهاً لله وأبعاضاً له ! فراموا التنزيه بزعمهم فتطاولوا على صاحب الكلام والتنزيه ، فحرفوا الكلام وعطلوا المتكلم .

أما العامة عندهم فلا حيلة لهم في هذا الدليل الإغريقي الأصل ، غير أنهم متابعون لهم في أصل مذهبهم ونتائجه ، ويقولون بالتفويض فيما لا علم لهم به بزعمهم ، كيف ؟! وقد أنزله قرآناً عربياً مبين (٤) .

ويمكن القول أن المعتزله الذين أعتمدوا هذا الدليل قد ألتزموا به ، فنفوا صفات الله ذلك ليسلم لهم دليلهم وينصفوا عقولهم ! فبئس الإنصاف والتعطيل ويالخيبة الفهم والعقل ! .

---

١ - أصول الدين ص ٢٢ ، ٥٨ .
٢ - فتاوى ابن تيميه جـ ٢ ص ٢٣ .
٣ - أنظر مجموعة الرسائل الكبرى لأبن تيمية دار الباز بمكة المكرمة جـ ١ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
٤ - نفس المصدر جـ ١ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

أما البغدادي وأصحابه فلم يسلم لهم دليلاً ولم ينصفوا عقلاً ، وهذا نتيجة التوفيق غير الموفق ومحاولة الجمع بين مصطلحات الأغريق وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا حيله لهم في ذلك أما الإستدلال على وجود الله فمنه نستدل وعليه نتوكل ، وفي سنة رسوله ﷺ ، وسلفنا الصالح التفصيل والبيان .

الإستدلال على الله عند السلف

لم يكن الإستدلال على الله مطلباً عند أولئك السلف الكرام ، وذلك نتيجة حقيقة علمهم بأن الخالق سبحانه لا يحتاج في معرفته إلى برهان ولا إلى قياس اليونان .

وقالـــوا ائتنا ببرهان فقلت لهم أني يقوم على البرهان برهان (١) .

" وذلك أن الأنبياء عليهم السلام : دعوا الناس إلى عبادةالله أولاً بالقلب واللسان ، وعبادته متضمنة لمعرفته ، وذكره ، فأصل علمهم وعملهم : هو العلم بالله ، والعمل لله ، وذلك فطري" (٢) .

أما أولئك الكوكبة من السلف الذين يزهون بمقدمهم من الصحابة والتابعين فقد " كان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن ، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده . . فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به ، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ، ولا بذوق ووجد ومكاشفة ، ولا قال قط : قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلاً عن أن يقول : فيجب تقديم العقل ، والنقل إما أن يفوض و إما أن يؤول . . ؛ ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله . . فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة ، فالاقتداء بهم خير من الأقتداء بمن بعدهم . . لأن كثيراً من أصول المتأخرين محدث مبتدع في الإسلام ، مسبوق بإجماع السلف على خلافه ، والنزاع الحادث بعد إجماع السلف خطأ قطعاً " (٣) .

١ - أنظر فتاوى أبن تيميه جـ ٢ ص ١٩ .
٢ - فتاوى ابن تيميه جـ ٢ ص ١٥ .
٣ - أنظر درء تعارض العقل والنقل جـ ١٣ ص ٢٣ - ٢٩ .
وأنظر الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام تحقيق حسين غزال دار أحياء العلوم بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٥ ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

وإذا كان البغدادي وأصحابه قد سلكوا طرقاً مبتدعة في الإسلام ، لاثبات الصانع التي أحدثها المعتزلة والجهمية ، فإن جمهور العقلاء والسلف وحذاق الفلاسفة قد طعنوا فيها ، وبينوا ما يصح من الإستدلال " ومما يوضح ذلك أن هذه الطرق المبتدعة في الإسلام في اثبات الصانع ، التي أحدثها المعتزلة والجهمية ، وتبعهم عليها من وافقهم من الأشعرية ، وغيرهم من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وقد طعن فيها جمهور العقلاء ، فكما طعن فيها السلف والأئمة واتباعهم وذمّوا أهل الكلام بها ، وكذلك طعن فيها حذاق الفلاسفة وبينوا أن الطرق التي دل عليها القرآن العزيز أصح منها ، وإن كان أولئك المعتزلة والأشعرية أقرب إلى الإسلام من هولاء الفلاسفة من وجه آخر " (١) .

وإذا كان ابن رشد الفيلسوف قد عرف الطريق لمعرفة الله وأنها طريق شرعية ، فما بال هؤلاء المتكلمون قد أعرضوا عنها ، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

ابن رشد يستدل من القرآن .

وبعد أن ردّ ابن رشد استدلال المتكلمين على وجود الله وبين فساد طرقهم من جهة العقل والشرع ، وضح ان كتاب الله العزيز قد أشتمل على ما عجز عنه أولئك في بيان الحق وتنبيه الخلق " فإن قيل فإذا قد تبين أن هذه الطرق كلها ليست واحدة منها هي الطريقه الشرعية التي دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم إلى الإقرار بوجود البارئ سبحانه ، فما هي الطريقة الشرعية التي نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم ؟

قلنا : " الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها ، ودعا الكل من بابها ، إذا استقرئ

---

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ ٧ ص ٢٤٢ .

الكتاب العزيز ، وجدت تنحصر في جنسين .

أحدهما : طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله. ، ولنسم هذه دليل العناية .

الطريقة الثانية : ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل ، ولنسم هذه دليل الإختراع"(١) .

وكعادة شيخ الإسلام فإنه يثني على خصمه فيما معه من الحق ، ليحتج به علي الخصم الآخر ثم ها هو يبين أن ذلك لا يكفي وأن القرآن قد استوعب طرقاً أخرى فيقول : " فهذا الرجل مع أنه من أعيان الفلاسفة المعظمين لطريقتهم ، المعتنين بطريقة الفلاسفة المشائين ، كارسطوا وأتباعه ، يبين أن الأدلة العقلية الدالة على أثبات الصانع مستغنية عما أحدثه المعتزلة ، ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم ، من طريقة الأعراض ونحوها ، وأن الطريقة الشرعية التي جاء بها القرآن هي طرق برهانية تفيد العلم للعامة والخاصة ، والخاصةعنده يدخل فيهم الفلاسفة ، والطرق التي لأولئك ، هي مع طولها وصعوبتها ، لا تفيد العلم لا للعامه ولاالخاصه ، ثم يقول شيخ الإسلام مبيناً أن ابن رشد لم يستكمل الطرق التي جاء بها القرآن هذا مع أنه لم يقدر القرآن قدره ، ولم يستوعب أنواع الطرق التي في القرآن ، فإن القرآن قد اشتمل على بيان المطالب الإلهية بأنواع من الطرق ، وأكمل الطرق " (٢) .

وإذا كان السلف قد اعتمدوا كلام الله في جميع المطالب ، وسنة رسول الله ﷺ في كافة المقاصد ، فإنه من الواجب بيان مخالفة هذا لمنهج أولئك المتكلمين فإن

---

١ - مناهج الأدله لأبن رشد ص ١٥١ .
٢ - درء تعارض العقل والنقل جـ٩ ص ٣٣ .

" طريقة القرآن جاءت في أصول الدين ، وفروعه في الدلائل والمسائل بأكمل المناهج " (١) .

مخالفة المتكلمين لطريقة القرآن في أثبات الربوبيه :

ولقد بين شيخ الإسلام خطأ أولئك المتكلمين فقال : " والمتكلم يظن أنه بطريقته - التي انفرد بها - قد وافق طريقة القرآن تارة في اثبات الربوبية ، وتارة في اثبات الوحدانية ، وتارة في اثبات النبوة ، وتارة في أثبات المعاد ، وهو مخطئ في كثير من ذلك ، أو أكثره مثل هذا الموضع ، فإنه قد أخطأ المتكلم في ظنه أن طريقة القرآن توافق طريقته من وجوه . منها : أن اثبات الصانع في القرآن بنفس آياته التي يستلزم العلم بها العلم به كاستلزام العلم بالشعاع : العلم بالشمس ، من غير احتياج إلي قياس كلي يقال فيه : وكل محدث فلا بد له من محدث ؛

الوجه الثاني : في مفارقة الطريقة القرآنية الكلامية أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس ، وصلاحها ، وغايتها ، ونهايتها ، لم يقتصر على مجرد الأقرار به ، كما هو غاية الطريقة الكلامية ، فلا وافقوا لا في الوسائل ، ولا في المقاصد ، فإن الوسيلة القرآنية قد أشرنا إلى أنها فطرية قريبة ، موصلة إلى عين المقصود ، وتلك قياسية بعيدة ، ولا توصل إلا إلى نوع المقصود ، لا إلى عينه " (٢) .

بل " ولو افترضنا صحة هذه الطريقة عقلاً ، فإن أحداً من الأنبياء لم يدع أمته بهذه الطريقة وأكثر العقلاء عرفوا ربهم وآمنوا برسله وبكتبه ، ولم يخطر بأذهانهم طريقة المتكلمين في الإستدلال ، بل إن هذه الطريقة تقلب الأمور رأساً على عقب ،

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ٢ ص ٨ .

٢ - أنظر فتاوى شيخ الإسلام جـ ٢ ص ٨ - ١٢ .

فبدلاً من أن يقولوا بأن خلق الإنسان وحدوثه بعد أن لم يكن كاف في الإستدلال على وجود الله لبداهته ووضوحه لكل العقول صرفوا أنفسهم عن ذلك ، وجعلوا حدوث الإنسان بعد أن لم يكن أمراً غامضاً ، فأخذوا يستدلون عليه بطريقة الأعراض وحدوثها ، فجعلوا حدوث الأعراض أكثر بداهة وأوضح للعقول من حدوث الإنسان بعد أن لم يكن ، وهذا قلب للأمور " (١) .

أدلة وجود الله تعالى عند السلف .

وحيث أن تلك الطرق قد ثبت بالتحقيق بطلانها وفسادها ، وتبين بالسبر خسرانها ، فإنه من الواجب بيان منهج وأدلة السلف في اثبات وجود الله سبحانه " وتأمل حال العالم كله ، علويه وسفليه ، بجميع أجزائه : تجده شاهداً بإثبات صانعه وفاطره ومليكه . فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده ، لا فرق بينهما ، بل دلالة الخالق على المخلوق ، والفعّال على الفعل ، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكيةّ المشرقةّ العلوية والفطر الصحيحة : أظهر من العكس . فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه ، إذا أستدل الناس بصنعه وأفعاله عليه ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق ، والقرآن مشتمل عليهما . فأما الإستدلال بالصنعة فكثير . وأما الاستدلال بالصانع فله شأن . وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم ﴿ أفي الله شك ﴾ أي أيشك في الله حتى يطلب اقامة الدليل على جوده ؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول ؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى ؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ (٢) . . وهنا يستشهد ابن القيم رحمه الله بأقوال شيخه فيقول :

١ - الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل محمد الجليند المطابع الأميريه القاهره سنة ١٣٩٣ ص ٢١٩ .
٢ - ايه ١٠ سورة ابراهيم .

" وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيميه - قدس الله روحه - يقول : كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شئ ؟ وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

وليس يصح في الأذهان شـــئ إذا احتــاج النــــهار إلى دليـــل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما " (١) .

فجزى الله الشيخ وتلميذه خيراً ، اللذين سبرا طريقاً معبداً ، وسلكا منهجاً رائداً سلفياً ، وأعتقا عقول الأمة بل ورقابهم مما دبجه أولئك المتكلمون من صحائف وأحمالاً لا تغني عنهم أمام الله مقالاً . فهنيئاً لمن سار على الدرب ، وتابع الركب والصحب ، فكان نتيجة ذلك وضوح المنهج ، وسلامة المقصد والمعتقد .

" والمقصود هنا أن السلف كان أعتصامهم بالقرآن والإيمان فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والإختلاف صار أهل التفرق والإختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان ولكن على أصول أبتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك ، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن أحتجوا به وما خالفها تأولوه ، فلهذا تجدهم إذا أحتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما و لم يتستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى ، إذ كان إعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك ، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول ، بل أن يدفع منازعة عن الإحتجاج بها" (٢) .

---

١ - مدارج السالكين لابن القيم راجعه لجنة من العلماء دار الحديث القاهرة جـ ١ ص ٧١ .

٢ - فتاوى ابن تيمية جـ ١٣ ص ٥٨ ، ٥٩ .

ثم يبين شيخ الإسلام حاجة الأمة إلي متابعة السلف لكمال علمهم وصواب متابعتهم فقال : " والمقصود أن كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على القرآن ولا على الإيمان الذي جاء به الرسول ، بخلاف السلف ، فلهذا كان السلف أكمل علماً وإيماناً ، وخطؤهم أخف وصوابهم أكثر "(١) . "ذلك أنهم أعتقدوا إعتقاداً جازماً أن أصل العلم الإلهي ، ومبدأه ، ودليله الأول عند الذين آمنوا : هو الإيمان بالله ورسوله ، وعند الرسول ﷺ هو وحي الله إليه "(٢) . "فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي والزام بطاعته ، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن أكرامه لأهل توحيده ، وإما خبرعن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم " (٣) .

وحيث أن الله لطيف بعباده ، ومن ذلك تيسيره على الناس الأدلة الضرورية " فإن المطلوب كلما كان الناس إلى معرفته أحوج يسر الله على عقول الناس معرفة أدلته .

فأدلة أثبات الصانع وتوحيده ، وأعلام النبوة وأدلتها كثيرة جداً وطرق الناس في معرفتها كثيرة ، وكثير من الطرق لا يحتاج إليه أكثر الناس "(٤) .

" وطريقة القرآن جاءت في أصول الدين ، فروعه - في الدلائل والمسائل - بأكمل المناهج والمتكلم يظن أنه بطريقته - التي انفرد بها - قد وافق طريقةالقرآن :

---

١ - فتاوى ابن تيمية جـ١٣ ص ٦٠ .

٢ - فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص١ .

٣ - شرح العقيدة الطحاوية حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأنادوط ص ٢٩

٤ - الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام إدارة ترجمان السنه شادمان لاهور الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٢هـ ص ٢٥٥ .

تارة في إثبات الربوبية ، وتارة في إثبات الوحدانية ، وتارة في إثبات النبوة ، وتارة في إثبات المعاد ، وهو مخطئ في كثير من ذلك ، أو أكثره " (١) .

وأثبات الربوبية مستقر في فطر العباد وقد جاء في الشرع لفت الإنتباه لذلك والتذكير به وإيراد الآيات ومعجزات الأنبياء عليهم السلام ، وإجماع الأمم ، غير أن ذلك لم يكن هدفاً أولياً من أهداف القرآن الكريم ، وإنما كان القصد من ذلك تعظيم الرب في نفس المدعو ليقوى الجانب الإيماني ويزداد الجانب العبادي .

وإذا كان البغدادي وأصحابه قد حصروا الإستدلال على الله سبحانه في جانب واحد وهو دليل الحدوث عندهم ، فإن لدى السلف طرقاً شرعية وعقلية وفطرية ضرورية أوردوها للرد على من أنتكست فطرهم وقلدوا مشائخهم وحادوا عن نهج نبيهم ﷺ فكان هم هؤلاء هوإثبات توحيد الربوبية فماعرفوا توحيد الألوهية ! وحق الخالق على البرية الذي هو التوحيد وحق الله العبيد .

طرق معرفة الله عند السلف

أولاً : الفطرة :

والخلق مفطورون على الأقرار بالخالق وأنه أجل وأكبر وأعظم من كل شئ قال شيخ الإسلام : " وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة : ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك ﴾ (٢) فالمشركون من عباد الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به أنه ربهم وخالقهم ورازقهم ، وأنه رب السموات والأرض والشمس والقمر وأنه المقصود الأعظم فالله تعالى فطر الخلق كلهم على معرفته فطرة توحيد ، حتى من خلق مجنوناً مطبقاً مصطلماً لا يفهم شيئاً ما يحلف إلا

---

١ - فتاوى ابن تيميه جـ ٢ ص ١٨ .

٢ - آيه ١٠ سوره أبراهيم .

به ، ولا يلهج لسانه بأكثر من أسمه المقدس فطرة بالغة . . وقد فطر الله الجمادت على تسبيحه وتحميده وتنزيهه نطقاً لا يفهمه إلا الذي أنطقها به قال تعالى ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ (١) والمقصود إذا كانت هذه الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتنزيهه والإنسان أشرف منها ، فلأن يفطر على معرفته بربه بطريق الأولى والأحرى ، لما ركب الله فيه من العقل والتميز والفطنة ، لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الإسلام ، والإسلام كلمة التوحيد " (٢) .

ومن تمام الكلام على أن معرفة الله فطرية قوله تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطرالناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ وإذ أخد ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ ما من مولود إلا يولدعلى الفطرة ، فأبواه يهودانهأو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمه بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ﴾؟ ثم يقول أبوهريرة رضي الله عنه ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ (٥) (٦) .

١ - آيه ١٧ سورة الإسراء .
٢ - مجموعة الرسائل الكبرى لأبن تيمية أنظر جـ٢ ص ٢٣٧ - ٣٤٠ .
٣ - آيه ٣٠ سورة الروم .
٤ - آيه ١٧٢ سورة الأعراف .
٥ - سورة الروم آيه ٣٠ .
٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام ص ٢١٩ جـ٣ دارالفكر رقمه فؤاد عبد الباقي أشرف عليه الشيخ عبد العزيز بن باز .
؛ صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب القدر . باب كل مولود يولد علي الفطره ص ٢٠٩ جـ١٦ مكتبة الرياض الحديثه .

و " المقصود هنا أن هؤلاء الذين قالوا : معرفة الرب لا تحصل إلا بالنظر ، ثم قالوا : لا تحصل إلا بهذا النظر ، هم من أهل الكلام - الجهمية القدرية ومن تبعهم ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وجمهور العلماء من المتكلمين وغيرهم ، على خطأ هؤلاء في إيجابهم هذا النظر المعين، وفي دعواهم أن المعرفة موقوفة عليه ، إذ قد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أنه لم يوجب هذا على الأمة ولا أمرهم بل ولا سلكه هو ولا أحد من سلف الأمة في تحصيل هذه المعرفة " (١).

" ولهذا كانت الرسل إنما تأتي بتذكير الفطرة ماهو معلوم لها، وتقويته ، وإمداده ونفي المغير للفطرة ، فالرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها ، لا بتغيير الفطرة وتحويلها ، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة "(٢) .

وقد أنكر شيخ الإسلام صنع أولئك المتكلمين الذين جحدوا الفطرة في أنفسهم، والتي تشهد بمعرفة الله ،فقال : " فإن قيل : إذا كانت معرفته والأقرار به ثابتاً في كل فطرة فكيف ينكر ذلك كثير من النظار - نظار المسلمين وغيرهم - وهم يدعون أنهم الذين يقيمون الأدلة العقلية على المطالب الألهيه ؟

فيقال أولاً : أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذي أتفق السلف على ذمه - من الجهمية والقدرية . وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف واجهلهم ، ولكن انتشركثير من أصولهم في المتأخرين الذين يوافقون السلف على كثير مما خالفهم فيه سلفهم الجهميه . فصار بعض الناس يظن أن هذا قول صدر في الأصل عن علماء المسلمين ، وليس كذلك ، إنما صدر أولاً عمن ذمه أئمة الدين وعلماء المسلمين .

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام ص ٣٣٠ جـ١٦ مكتبة أبن تيميه مطابع الطوبجي القاهره .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ١٦ ص ٣٤٨ .

الثاني : أن الإنسان قد يقوم بنفسه من العلوم والإرادات وغيرها من الصفات مالا يعلم أنه قائم بنفسه ، فإن قيام الصفة بالنفس غير شعور صاحبها بأنها قامت به ، فوجود الشئ في الإنسان وغيره غير علم الإنسان به .

. . ومع هذا فكثير من أهل الكلام والرأي أنكروا محبه الله ، وقالوا : يمتنع أن يكون محباً أو محبوباً ، وجعلوا هذا من أصول الدين . . . فهذه المحبة لله ورسوله موجودة في قلوب أكثر المنكرين لها ، بل في قلب كل مؤمن وإن أنكرها لشبهة عرضت له ، وهكذا المعرفة موجودة في قلوب هؤلاء . فإن هؤلاء الذين أنكروا محبته هم الذين قالوا : معرفته لا تحصل إلا بالنظر فأنكروا ما في فطرهم وقلوبهم من معرفته ، ومحبته " (١) .

ولا شك أن البغدادي من الذين أنكروا معرفة الله بالفطرة فقال : " والصحيح عندنا قول من يقول أن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله تعالى (٢) .

ويقول : " وطريق المعرفة بالله تعالى في دار التكليف النظر والاستدلال عليه بدلائل العقول" (٣) .

ثانياً : آيات الخلق والعناية في القرآن الكريم :

إن طريقة القرآن والأنبياء في إثبات الصانع "هي الاستدلال بآياته التي يستلزم العلم بها العلم به كاستلزام العلم بوجود الشمس العلم بوجود النهار ، وفي

---

١ - نفس المصدر جـ١٦ أنظر ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
٢ - أصول الدين للبغدادي أستانبول مطبعة الدوله ١٣٤٦ هـ ص ٢١٠ .
٣ - نفس المصدر ص ٢٠٣ .

القرآن الكريم آيات مصرحة بالخلق ، وفيها الرد على المنكرين وتذكير الفطرة ولفت أنتباهها إلى ما في الخلق من الشعور بالاحتياج الذي يبرز في حالة الاضطراب وحين ينظر الإنسان في خلقه وأطوار حياته ، مما يوحي بالإفتقار إلى الصانع (١) قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلنه نطفه في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظم لحماً ثم أنشأنه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ﴾ (٢) .

﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ (٣) .

" فهذه المعاني وما أشبهها من معاني ربوبيته وملكه ، وخلقه ورزقه ، وهدايته ونصره ، وإحسانه وبره ، وتدبيره وصنعه ، ثم ما يتصل بذلك من أنه بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير ، وأنه سميع بصير ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين ، يبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، فهذا كله حق ، وهو محض توحيد الربوبية " (٤) .

ثم يقول شيخ الإسلام : " ولهذا كانت فطرة الخلق مجبولة على أنهم متى شاهدوا شيئاً من الحوادث المتجددة كالرعد والبرق والزلازل ، ذكروا الله وسبحوه ، لأنهم يعلمون أن ذلك المتجدد لم يتجدد بنفسه بل له محدث أحدثه ، وان كانوا يعلمون هذا في سائر المحدثات ، لكن ما أعتادوا حدوثه صار

---

١ - فتاوى بن تيميه جـ ٢ أنظر ٩ ، ١٠ .
٢ - آيه ١٢ ، ١٣ ، ١٤ سورة المؤمنون .
٣ - آيه ١ سورة الأنعام . .
٤ - فتاوى ابن تيمية جـ ٢ ص ٣٩٩ .

مألوفاً لهم، بخلاف المتجدد الغريب . . فكل أحد يعلم أن له خالقاً خلقه، ويعلم أنه موجود ، حي عليم ، قدير ، سميع بصير ، ومن جعل غيره حياً كان أولى أن يكون حياً ، ومن جعل غيره قادراً كان أولى أن يكون قادراً ، ويعلم أيضاً أن فيه من الإحكام مادل على علم الفاعل ، ومن الاختصاص مادل على إرادة الفاعل ، وأن نفس الإحداث لا يكون إلا بقدرة المحدث ، فعلمه بنفسه المعينة المشخصة الجزئية يفيده العلم بهذه المطالب الألهية وغيرها كما قال تعالى : ﴿وفي أنفسكم أفلاتبصرون﴾ (١ - ٢)." فهذان الأصلان عموم خلقه وربوبيته وعموم إحسانه وحكمته : أصلان عظيمان . . وإذا كان كذلك : فجميع الكائنات آيات له ، شاهدة دالة مظهرة لما هو مستحق له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وعن مقتضى أسماءه وصفاته خلق الكائنات "(٣) . وإذا كان الله سبحانه هو الخالق المبدع لجميع الكائنات والمحدث لها ، فإن فقرها وحاجتها الدائمة إلى مدد الله ورعايته عامل مهم في بقائهاوكينونتها وإلى هذا يشير شيخ الإسلام حين يقول : "وأما فقر المخلوقات إلى الله : بمعنى حاجتها كلها إليه ، وأنه لا وجود لها ولا شئ من صفاتها ، وأفعالها إلابه ، فهذا أول درجات الافتقار، وهو افتقارها إلى ربوبيته لها، وخلقه وأتقانه ، وبهذا الاعتبار كانت مملوكة له ، وله سبحانه وتعالى الملك والحمد . وهذا معلوم عند كل من آمن بالله ورسله الإيمان الواجب ، فالحدوث دليل أفتقار الأشياء إلي محدثها، وكذلك حاجتها إلى محدثها بعد إحداثه لها : دليل افتقارها فإن الحاجة إلى الرزق دليل افتقار المرزوق إلى الخالق الرازق . والصواب : أن الأشياء مفتقرة

---

١ - آيه ٢١ سورة الذاريات . « وفي الأرض آيات للموقنين وفي . . » الآيه .
٢ - درء تعارض العقل والنقل جـ ٣ أنظر ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
٣ - فتاوى ابن تيميه جـ ٢ أنظر ٤٠٠ .

إلى الخالق لذواتها لا لأمر آخر جعلها مفتقرة إليه ،بل فقرها لازم لها ، لا يمكن أن تكون غير مفتقرة إليه ، كما أن غناء الرب وصف لازم له لا يمكن أن يكون غير غني ، فهو غني بنفسه لا بوصف جعله غنياً ، وفقر الأشياء إلى الخالق وصف لها "(١) .

" بل أن استسلام المخلوقات وقنوتها لبارئها أمر زائد على ذلك الأفتقار وهذا هو الصواب الذي عليه جمهور السلف والخلف : أن القنوت والاستسلام ، والتسبيح أمر زائد على ذلك . . وكما قال بعضهم في قوله : ﴿وإن من شئ إلا يسبح بحمده﴾ (٢) .

قال : تسبيحه دلالته على صانعه فتوجب بذلك تسبيحاً من غيره ، والصواب أن لها تسبيحاً وسجوداً بحسبها " (٣) .

وأخيراً فإن طريقة القرآن في بيان عظمة الرب أن يذكر عظمة المخلوقات ويبين أن الرب أعظم منها " (٤) .

ثالثاً : الاستدلال على الله بالله .

خلق الله الخلق مفطورين على معرفته ، لكن توقف كمال المعرفةعلى غير الفطرة بما جعله الله طريقاً لكمال هذا المخلوق ، وهو التعلم لما يأتي من الله تعالى وحياً عن طريق رسله " والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً ، مفطوراً ، مصنوعاً : عاد في علمه وعمله إلى خالقه ، وفاطره وربه ، وصانعه ، فصار

١ - فتاوى ابن تيمية جـ١ ص ٤٥ ، ٤٦ .
٢ - ايه ٤٤ الاسراء .
٣ - فتاوى ابن تيمية أنظر ص ٤٧ .
٤ - فتاوى ابن تيمية أنظر جـ٣٦ ص ٢٢ .

ذلك ترتيباً مطابقاً للحق ، وتأليفاً موافقاً للحقيقة ، إذ بناء الفرع على الأصل ، وتقديم الأصل على الفرع : هو الحق ، فهذه الطريقة الصحيحة ، الموافقة لفطرة الله وخلقته ولكتابه وسنته ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عامر أن رسول الله ﷺ : كان إذا قام إلى صلاة الليل يقول : اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون : اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" (١ - ٢) .

" وإنما الغرض هنا : أن الله سبحانه لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر الذي إليه تصير الحادثات ، فهو الأصل الجامع ، فالعلم به أصل كل علم وجامعه وذكره أصل كل كلام وجامعه ، والعمل له أصل كل عمل وجامعه ، وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته ، وإذا حصل لهم ذلك : فما سواه إما فضل نافع وإما فضول غير نافعة ، واما أمر مضر . . وإذا كان ما سوى الله من الموجودات ، الأعيان ، والصفات ، يستدل بها ، سواء كانت حيه أو لم تكن ، بل ويستدل بالمعدوم ، فلأن يستدل بالحي القيوم أولى وأحرى " (٣) .

رابعاً : المعجزة :

والمعجزة لغة : ما أعجز به الخصم عند التحدي (٤). وهي اسم فاعل من العجز المقابل للقدرة (٥) .

---

١ - صحيح مسلم بشرح النووي باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعاء الليل كتاب صلاة المسافرين وقصرها جـ ٦ ص ٥٦ مكتبه الرياض الحديثه بالرياض والحديث روته عائشه رضي الله عنها ، ولعله خطأ الطابع .

٢ - فتاوى ابن تيميه جـ ٢ ص ٢٠ .

٣ - نفس المصدر جـ ٢ أنظر ص ١٦ ، ١٨ .

٤ - القاموس المحيط للفيروز آبادي تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرساله ط الأولى سنة ١٤٠٦ هـ مؤسسة الرساله بيروت أنظر ص ٦٣٣ باب الزاي فصل العين .

٥ - أنظر الإرشاد إلي صحيح الإعتقاد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان مكتبة الصفدي سنة ١٤١١ ص ١٥٧ جـ ٢ .

إصطلاحاً : هي علامات من الله تبارك وتعالى يعلم بها عباده أنه أرسل إليهم هذا الرسول المؤيد بتلك المعجزة وأمرهم بطاعته . ومن لوازمها :

أولاً : أن تكون خارقة لعادة جميع الثقلين : الأنس والجن .

ثانياً : لا يستطيع أحد أن يعارضها ، ولا أن يأتي بمثلها (١) .

لقد أرسل الله رسله وأيدهم بمعجزاته وآياته " فالآيات التي تكون آيات للأنبياء ، هي دليل وبرهان ، والله سماها برهاناً في قوله لموسى : ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾ (٢) وهي العصا واليد ، وسماها برهاناً وآيات في مواضع كثيرة من القرآن ، فحدها حد الدليل والبرهان ، وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبي فلا يتصور أن توجد مع أنتفاء صدق من أخبر أن الله أرسله " (٣) "فبين أن المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة ، وذلك ، لأن المعجزة التي هي فعل خارق للعادة تدل بنفسها على ثبوت الصانع ، كسائر الحوادث ، بل هي أخص من ذلك ، لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة ، ولهذا يسبح الرب عندها ، ويمجد ويعظم مالا يكون عند المعتاد ، ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته مالا يحصل للمعتاد ، إذ هي آيات جديدة فتعطي حقها ، وتدل بظهورها على الرسول ، وإذا تبين أنها تدعو إلي الإقرار بأنه رسول الله فتتقرر بها الربوبية والرسالة "(٤) . وإن أعظم معجزات نبينا محمد ﷺ هو القرآن العظيم ، لأن كل نبي تكون معجزاته مناسبة لحال قومه . . والقرآن الكريم معجزة من

---

١ - دلائل النبوة لاسماعيل الأصبهاني تحقيق مساعد الحميد دار العاصمة الرياض ط الأولى سنة١٤١٢هـ جـ ١ ص ٧٦ .

٢ - اية ٣٢ سورة القصص .

٣ - النبوات لابن تيمية دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥هـ ص ٢٨٧ .

٤ - فتاوى ابن تيمية جـ ١١ ص ٣٧٩ .

وجوه متعددة : من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي اخبر بها عن الغيب والمستقبل وعن الغيب والماضي ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية " (١).

ولهذا قال شيخ الإسلام أبن تيمية : " وإيمان خديجة وأبي بكر وغيرهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر ، وقبل إخباره بالغيوب ، وقبل تحديه بالقرآن ، لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آية مستلزمة لصدقه . ونفس كلامه وإخباره بأنه رسول الله ، مع ما يعرف من أصوله مستلزم لصدقه ، إلى غير ذلك من آيت الصدق وبراهنيه ، بل خديجة قالت له - بعد أن أخبرها بالوحي ، وقال لها : لقد خشيت على نفسي : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم ، وتعين علي نوائب الحق" (٢) فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره ، وتلاعب الشيطان به ، وأبوبكر كان من أعقل الناس وأخبرهم ، وكان معظماً في قريش لعلمه ،واحسانه ، وعقله ، فلما تبين له حاله علم علماً ضرورياً أنه نبي صادق ، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً علماً وحالاً " (٣) .

---

١ - الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد د صالح الفوزان مكتبة الصفدي سنة ١٤١١ جـ ٢ أنظر ص ١٦١ ، ١٦٣ .
٢ - فتح الباري شرح صحيح الباخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . دار الفكر جـ ١ ص ٢٣ .
؛ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي كتاب الإيمان باب الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتبة الرياض الحديثه جـ ٢ ص ٢٠٠ .
٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية مطابع المجد التجارية جـ ٤ ص ٣١٦ .

وعجيب أمر أولئك المتكلمين الذين لم يؤمنوا إيمان السابقين الأولين ، واتبعوا تخرصات وظنون الحائرين في معرفة رب العالمين : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

خامساً : إجماع الأمم .

إن الإقرار بتوحيد الربوبية عام في البشر ، كما إن إقرارهم بالربربية أسبق من إقرارهم بالألوهية " ومعلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء ، والأحبار ، والرهبان ، والمسيح ابن مريم ، شاركوا الله في خلق السموات والأرض ، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال بل ولا أثبت أحد من بني ادم إلهاً مساوياً لله في جميع صفاته . بل عامة المشركين بالله : مقرون بأنه ليس شريكه مثله .

وقد ذكر أرباب المقالات : ماجمعوا من مقالات الأولين والآخرين ، في الملل والنحل ، والاراء والديانات ، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ، ولا مماثل له في جميع الصفات "(٢) " فإن هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية وهو أن الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره "(٣) .

سادساً : المقاييس العقلية :

إن الله سبحانه قد خاطب أصحاب العقول والألباب والأفئدة وذوي البصائر والتدبر والتذكر ، وهذا دليل على تعظيم الإنسان وتهيئته إلى أمر جلل وخطب

١- آيه ٢١٣ سورة البقره .

٢ - فتاوى ابن تيميه جـ٣ ص ٩٦ .

٣ - فتاوى ابن تيميه جـ ١٠ ص ٦٦٩ .

أكبر وأعظم ، وإرشادة إلى تلك الملكات التي وهبه الله سبحانه والتي بها يستدل على خالقه والمنعم عليه ، وليفوز في الدنيا والآخرة بمعرفة رب العالمين وليسلك طريق الموحدين .

" سافرت في طلب الإله فدلني — الهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل جلاله — وصريح عقلي فاعتلي ببيان

فتوافق الوحي الصريح وفطرة — الرحمن والمعقول في إيمان

شهدوا بأن الله جل جلاله — متفرد بالملك والسلطان (١) .

نعم إن السلف رضي الله عنهم لم ينكروا تلك المقاييس العقلية بل اعتبروها ضرورية معلومة لمن تدبرها ووعاها ، وإنما ينكرون تلك المقدمات التي أورثوها من الوثنيين والأغريقيين وسموها جوهراً وعرضاً " ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعدعدمه لابد له من محدث ، وهذه قضية ضرورية ملعومة بالفطرة ، حتى للصبيان ، فإن الصبي لوضربه ضارب وهو غافل لا يبصره لقال : من ضربني ؟ فلو قيل له : لم يضربك أحد ، لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير محدث : بل يعلم أنه لابد للحادث من محدث ، فإذا قيل : فلان ضربك ، بكى حتى يضرب ضاربه ، فكان في فطرته الإقرار بالصانع وبالشرع الذي مبناه على العدل ولهذا قال تعالى ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون " ؟! (٢ ، ٣)

---

١ - الكافية الشافية في الأنتصار للفرقة الناجية لابن القيم شرح أحمد عيسى تحقيق زهير الشاويش ط المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٦ ص ٢٥٢ جـ١ .

٢ - آيه ٣٥ سورة الطور . .

٣ - فتاوى ابن تيميه جـ ٥ ص ٣٥٨

" ومعلوم أن المُحدَث الواحد لا يحدث إلا بمُحدِث . فإذا كثرت الحوادث وتسلسلت كان احتياجها إلى المحدث أولى ، وكلها محدثات ، فكلها محتاجه إلى محدث . وذلك لا يزول إلا بمحدث لا يحتاج إلى غيره ، بل هو قديم أزلي بنفسه سبحانه وتعالى" (١) .

سابعاً : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

لقد تبين فساد أدلة أولئك المتكلمين على وجود الله ، وقصرها عن تبيين الحق مع طول مقدماتها ، وقد هدى الله سلف هذه الأمة وأتباعهم لمعرفة الحق ورحمة الخلق ؛ فكانت أدلتهم فطرية ضرورية ، قرآنية وسنية وفي هذا العصر الذي تجلت فيه الاختراعات والمكتشفات الحديثة فقد انبرى كوكبة من علماء الأمة لتوضيح ما في القرآن من إعجاز علمي سابق ذلك مصداق قوله تعالى : ﴿ سنريهم ءايتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (٢) .

" وقد اكتشف هذا الإعجازالعلمي في الأرض وفي السماء ، وفي البحار والقفار وفي الإنسان والحيوان والنبات ، والأشجار ، والحشرات ، وغير ذلك"(٣) .

" فقامت الدراسات العلمية الإيمانية الهادفة إلى الكشف عن آيات الله في الآفاق الكونية البعيدة والقريبة وتكشف عن الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى وانفراده بالعظمة والخلق ، وهي أدلة صادقة سلكت مسلك الفطرة وتخاطب العقل والعاطفة في كيان الإنسان ، بل أنها رسالة موجهة إلى المؤمنين ليزدادوا

١ - نفس المصدر جـ١٦ ص ٤٤٥ .
٢ - آيه ٥٣ سورة فصلت .
٣ - الحكمه في الدعوه إلى الله لسعيد بن وهف ط الأولى مطبعة سفير الرياض سنة ١٤١٢هـ ص ٤٦٢ .

إيماناً مع إيمانهم ، وإلى الملحدين والطبعيين والشيوعيين ومن على شاكلتهم ليدخلوا في رحاب الإسلام ، ويسعدوا بنوره ومبادئه فيضمنوا حسن اللقاء الذي لابد منه مع ملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه المصير" (١) .

" وهؤلاء الذين بنوا أصل دينهم على طريقة الأعراض والاستدلال بها على حدوث الأجسام اضطربوا كثيراً . . ومن أسباب ذلك ظنهم ، أو ظن من ظن منهم ، أن الحوادث لا تحتاج إلى الله إلا حال إحداثها ، لا حال بقائها ، وقد قالوا إنه قادر على إفنائها ، فتكلفوا هذا الأقوال الباطلة . وهؤلاء لا يحتجون على بقاء الرب بافتقار العالم إليه . بل بأنه قديم . وما وجب قدمه امتنع عدمه وإلا فالباقي حال بقائه لا يحتاج إلى الرب عندهم " (٢) .

وقد سلك البغدادي طريق أولئك المتكلمين في معرفة رب العالمين ، فكان له سهم من حيرتهم واضطرابهم وباطل أقوالهم .

---

١ - أنظر المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم الدار السعودية للنشر ط الثانية سنة ١٤٠٦ للدكتور عبد الحليم خضر ص ٥ ، ٦ .

٢- فتاوي ابن تيمية جـ ١٦ أنظر ٢٧٤ - ٢٧٥ .

الفصل الرابع
وحدانية الله تعالى

ينحصر التوحيد عند البغدادي في إنفراد الله سبحانه بالخلق للعالم كله أعراضه وأجسامه (١) وقال الأيجي : " وأما المتكلمون فقالوا يمتنع وجود إلٰهين مستجمعين شرائط الأولوهية لوجهين . . وهو نفس دليل البغدادي — وقد بين ذلك الإيجي في المرصد الثالث في توحيد الله وهو أنه يمتنع وجود إلٰهين " (٢) وقال الشيخ الهراس في إثبات الوحدانية لله تعالى : " وأما عند المتكلمين فخصوصيتها هي الانفراد بالخلق والاختراع ولذلك قصدوا في أدلتهم إلى اثبات أنه هو الصانع للعالم وأنه لا شريك له في ذلك " (٣) .

المبحث الأول

طريقة البغدادي في اثبات وحدانية الله تعالى

أما الدليل عند البغدادي وهو ما يسمى عند المتكلمين بدليل التمانع : فقال : "فمن حيث أنه لو كان للعالم صانعان قديمان لوجب أن يكونا حيين قادرين عالمين مختارين لأن من لم يكن بهذه الصفة لم يكن صانعاً ولو كانا حيين قادرين مريدين عالمين جاز اختلافهما في المراد وكان اختلافهما في المراد بأن يريد أحدهما حياة جسم ويريد الآخر موته ولم يخل حينئذ من أن يتم مرادهما معاً أو لا يتم مرادهما معاً أو يتم مراد أحد هما دون الآخر ومحال تمام مرادهما لاستحالة كون الشئ حياً وميتاً في حالة واحدة . وإن لم يتم مرادهما ظهر عجزهما وان تم مراد أحد هما دون الآخر ظهر عجز الذي لم يتم مراده والعاجز لا يكون إلٰها . فإن قيل فما أنكرتم أن لا يختلفا في

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٨٥ .

٢ - المواقف في علم الكلام للأيجي مكتبة المتنبي القاهرة ص ٢٧٨ .

٣ - ابن تيمية السلفي للأستاذ محمد خليل الهراس المطبعة اليوسفية بطنطا ط أولى سنة ١٣٧٢هـ ص ٨٤ .

المراد ، مثل إذا كانا مختارين ولم يكن أحدهما مكرهاً على موافقة صاحبه في مراده أمكن الخلاف بينهما وفي جواز ذلك جواز ظهور عجز أحدهما ومن جاز عجزه لم يكن إلهاً (١).

المبحث الثاني

نقد طريقة البغدادي في اثبات وحدانية الله

حيث أن البغدادي وأصحابه الأشاعرة المتكلمين قد ظنوا أن التوحيد انما هو توحيد الربوبية وهو الخلق والاختراع فان أحداً لا يوافقهم على ذلك من السلف لأمور نذكرها :

أولاً : إن توحيد الربوبية هو الذي جبلت النفوس على الاعتراف به " ومعلوم أن المشركين من العرب الذي بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولا لم يكونوا يخالفونه في هذا بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شئ حتى أنهم كانوا مقرين بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون" (٢) .

ثانياً : أن المتكلمين قد ظنّوا أن توحيد الربوبية هو غاية التوحيد " ومقصود القرآن توحيد الألوهية وهو مستلزم لما ذكروه من غير عكس ولهذا قال : " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " (٣) فلم يقل : لو كان فيهما إلهان بل المقدر آلهة غير الإله المعلوم أنه إله ، فإنه لم ينازع أن الله إله حق وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلهاً مع كونه مملوكاً " (٤) .

ثالثاً : أن هـذا الدليل يقوم على المماثلة بين الخالق وبين المخلوق بين الله والبشر " لأنهم يريدون تطبيق ما يشاهدونه بين بني الإنسان على العالم الإلهي أي ينسبون الاختلاف إلى الآلهة . فإذا نحن سرنا معهم في طريقهم وتبعناهم في

---

١ - أصول الدين ص ٨٥ .

٢ - التدمرية لشيخ الإسلام تحقيق محمد السعودي ط أولى سنة ١٤٠٥ ص ١٨٠ .

٣ - سورة الأنبياء آيه ٢٢ .

٤ - درء تعارض العقل والنقل لشيخ الاسلام جـ٩ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

جدلهم ، قلنا إليس من الممكن أن يتفقا بدلاً من أن يختلفا . . ولو سلمنا أن ردهم حاسم فمن المقرر بعد هذا الجدل كله أن دليلهم يثير شبهات ويحتاج إلى ردود ، وانه لا يقنع إلا بشق الأنفس"(١) .

رابعاً : أن في كتاب الله سبحانه غنى عن جهد البشر الناقص في حق الله سبحانه والتخرصات بغير حق قال تعالى " فلا تضربوا لله الأمثال " (٢) .

" فهو نهي لهم أن يشبهوه بشئ من خلقه ، فإنه سبحانه له المثل الأعلى الذي لا يشركه فيه مخلوق . وقد قدمنا أنه لا يجوز أن يستعمل في حقه من الأقيسة ما يقتضي المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره ، كقياس التمثيل وقياس الشمول ، وإنما يستعمل في ذلك قياس الأولى الذي مضمونه أن كل كمال وجودي غير مستلزم للعدم ولا للنقص بوجه من الوجوه اتصف به المخلوق فالخالق أولى أن يتصف به ، لأنه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال " (٣) .

خامساً : أن المطلوب من المؤمن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فطريقته أولى ومنهجه أسلم وأعلم وأحكم "فكل من طلب أن يحكم في شئ من أمر الدين غير ما جاء به الرسول ويظن أن ذلك حسن ، وأن ذلك جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه فله نصيب من ذلك ، بل ما جاء به الرسول كاف كامل يدخل فيه كل حق ، وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه ، فلم يعلم ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية"(٤) .

سادساً : أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به كتب الله هو نوعان " توحيد في الإثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد فالأول اثبت حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شئ في ذلك كله كما أخبر

---

١ - مقدرة مناهج الإدله لابن رشد ص ٣٣ .

٢ - سورة النمل ٧٤ .

٣ - العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام دار الهجرة سنة ١٤١١هـ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

٤ - العقيدة الطحاوية الألباني ص ١٤ .

عن نفسه وكما أخبررسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح كما في أول سورة الحديد وطه . . . .

والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد مثل ما تضمنته سورة قل ياأيها الكافرون . . وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد ، بل كل سورة في القرآن"(١) .

" وخلاصة هذا كله أن توحيد العبادة الذي هو العمل في أصل الدين لا يخرج عن ثلاثة معانٍ هي :

١ - الحكم لله بلا شريك ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾(٢). والحكم هو خطاب الشارع إلى المكلفين بالاقتضاء والتخيير والوضع .

٢ - الولاية لله بلا شريك ﴿ أغير الله أتخذ ولياً ﴾ (٣). و ﴿ أم اتخذوا من دون الله أولياء فالله هو الولي ﴾(٤). و﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ (٥). و ﴿ إن وليِّيَ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾(٦). والولاية هي أن تتولى الله سبحانه وتوالي فيه سبحانه وتعالى .

٣ - النسك لله بلا شريك : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ (٧). ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (٨). والنسك حق خالص لله ولا يقبل الشركة بخلاف الحكم فإن طاعة الرسول طاعة لله سبحانه وتعالى"(٩) .

سابعاً : وإذا ثبت أن توحيد الربوبية لا يكفي حداً للإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ فإنه

---

١ - العقيدة الطحاوية الألباني ص ٨٩ .

٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨/سورة يوسف آية ٤٠ ، الأنعام آية ١٤ ، الشورى آية ٩ ، المائده آية ٥٥ ، الأعراف آية ١٩٦ ، الأنعام آية ١٦٢ ، فصلت آية ٣٧ .

٩ - حد الإسلام وحقيقة الإيمان للشيخ عبد المجيد الشاذلي طبع في جدة حقوق الطبع محفوظة . بدون تاريخ ص ١٧٦ .

قد علم بطلان دليلهم وضعفه أمام جدل أهل الصنعة فقال ابن رشد : " وأما ما تتكلفه الأشعرية من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية ، وهو الذي يسمونه دليل الممانعة فشئ ليس يجري مجرى الأدلة الطبعية والشرعية ، أما كونه ليس يجري مجرى التطبع فلأن ما يقولون في ذلك ليس برهاناً ، أما كونه لا يجري مجرى الشرع فلأن الجمهور لا يقدرون على فهم ما يقولون من ذلك ، فضلاً عن أن يقع لهم به إقناع . ووجه الضعف في هذا الدليل أنه كما يجوز في العقل أن يختلفا ، قياساً على المريدين في الشاهد ، يجوز أن يتفقا ، وهو أليق بالآلهة من الخلاف . . فقد تبين من هذا القول الطرق التي دعا الشرع من قبلها الناس إلي الإقرار بوجود الباري سبحانه ، ونفي الإلهية عمن سواه وهم المعنيان اللذان تتضمنها كلمة التوحيد " أعني لا إله إلا الله "، فمن نطق بهذه الكلمة وصدق بهذين المعنيين الذين تضمنتهما ، بهذه الطريق التي وصفنا ، فهو المسلم الحقيقي الذي عقيدته العقيدة الإسلامية ومن لم تكن عقيدته مبنية على هذه الأدلة ، وإن صدق بهذه الكلمة فهو مسلم مع المسلم الحقيقي باشتراك الاسم " (١) وتكفي شهادة الخصم في خصم آخر وكلاهما خصمان لأهل السنة والجماعة .

١- مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تقديم د. محمود قاسم الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ الأنجلو مصرية القاهرة ، ص ١٨٥ .

توحيد الالوهية عند البغدادي

لايوجد لهذا التوحيد ذكر في أصول البغدادي وعندما شرح أسماء الله الحسنى ذكر المعنى اللغوي ثم قال : " والصحيح عندنا قول من قال إنه اسم خاص غير مشتق لقيام الدلالة على أن الله عز وجل لم يزل إلهاً قبل ولد الخلق وقبل عبادتهم ولا يجوز أشتقاق الاسم من معنى يكون الاسم سابقاً له ألا ترى أنه لما كان في الأزل عالماً قادراً حياً لم تكن هذه الأسماء مشتقة من معاني حادثة لم تكن موجودة في الأزل" (١) .

ثم يقول : "وعلى هذا القول يكون هذا الأسم جامعاً لاسمائه ونعوته وصفاته والأشارة بهذا الاسم إلى ذات قديم واحد بلا تشبيه ولا تعطيل الذي هو صنع العالم وأخرجه من العدم إلى الوجود وهو المستحق للصفات التي لابد للصانع أن يكون عليها وبهذا نقول وإليه نذهب " (٢).ويؤكد صحة ما ذهب إليه بما تقرر في المذهب فيقول :"وقال شيخنا أبوالحسن الأشعري رحمه الله الإله من الإلهية ومعنى الإلهية القدرة على إختراع الأعيان وبه نقول " (٣)." وقال القدماء من أصحابنا أنه يستحق هذا الوصف لذاته وبه نقول ".ثم يرد البغدادي على من أثبت أن الإله هو المعبود بأن قولهم إنما هو زعم وإدعاء فقال : " الذين حكينا قولهم في إشتقاق هذا الإسم يزعمون أن معنى الإله هو المعبود والتأله التعبد ويستدلون عليه بأن العرب سمت الشمس آلهة لما عبدها قوم . . وقالوا في قوله عز وجل " ويذرك وآلهتك أي وعبادتك" (٥) .

ومن هنا يتأكد للباحث أن الإله اسم غير مشتق عند البغدادي لأن الإله هو القادر على الإختراع ولا يكون هذا الفعل أزلياً من أفعال الله عند البغدادي وأصحابه

---

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، : شرح أسماء الله الحسنى للبغدادي مخطوط لوحه ٦٨ ، وأنظر أصول الدين للبغدادي ص ٧٥ ، ٨٥ ، ١٢٢ ، ٢١٠ .

الأشاعرة لأن أفعال الله عندهم ليست أزلية وذلك لقولهم بمبدأ الحدوث وأن الحوادث لها أول ، وهذا مخالف لمذهب السلف رحمهم الله .

وكما تقدم في البحث فإن التوحيد عند البغدادي وأصحابه هو نفي للتعدد والتبعيض والتركيب أما التوحيد الذي أمر الله به وهو توحيد القول والعمل وما يقابله من الشرك ومع أن البغدادي قد أورد أصولاً ومسائل كثيرة فإنه ما تطرق إلى هذا التوحيد العظيم وما يقابله وهو الشرك الذي لا يقبل الله معه عملاً .

وحيث أن البغدادي قد تابع شيخه الأشعري في قوله " أن الإلهية هي القدرة على اختراع الأعيان فإنه قد رد على من زعم إن الإله هو مستوجب العبادة فقال:" ومن زعم أن الإلٰه هو مستوجب العبادة يلزمه أن لا يكون الله عز وجل إلاهاً في الأزل لعدم العابدين في الأزل ويلزمه أيضاً أن لا يكون إلهاً للجمادات والأعراض لأنه لا يستوجب العبادة عليها ولا تصح منها العبادة فإذا أجمعت الأمة على أن الله عز وجل إلهٰ وعلى أنه إلٰه الجمادات والأعراض التي لا يصح منها العبادة بطل أن يكون معنى الإلٰه المستوجب للعبادة وتسمية العرب الشمس آلهة والأصنام آلهة لم يكن في أصل عبادة عبدها لأجل أن قوماً قد عبدوا الشعرى ومع ذلك لم يسموها آلهة وبمثل هذه الدلالة يفيد قول من زعم أن الإلهُ مأخوذ من وله العباد وفزعهم إليه لأنه كان في الأزل إلهاً قبل وله العباد إليه ولأنه إله للجمادات والأعراض ولا يصح الوله منها"(١) .

وبهذا يمكن إيضاح معتقد البغدادي وأصحابه في توحيد الألوهية .

أولاً : أن هذا التوحيد لم يرد في أصول البغدادي ولا في أي من كتبه .

ثانياً : أن البغدادي لم يورد لوازم هذا التوحيد وما يضاره ، وذلك كالذبح والنذر

---

١ - شرح أسماء الله الحسنى « المخطوط » للبغداي لوحة ٦٩ .

والخوف والرجاء والاستعانه والاستغاثة وما يجب فيها من صرفها جميعها لله وحده كما أنه لم يورد ما يضاد هذا وهو الشرك بالله .

ثالثاً : أن البغدادي قد عقد أصولاً ومسائلاً للدين وفروعاً كثيره وبعضها لا يمت للدين بصلة كالجوهر والعرض ولم يعقد فصلاً أو مسألة في الحذر من الشرك بالله .

رابعاً : أنه قد وصف القائلين بأن الإلٰه هو المعبود بأن هذا زعم منهم وأن الدليل خلاف ما قالوا .

خامساً : ولو فرض تأخر خلق العباد فأين ملائكة الله المسبحين بحمد الله والساجدين له والمستغفرين بغير نظر ومقدمات المتكلمين .

سادساً : لقد تساوى مذهب البغدادي وأصحابه مع المقرين بتوحيد الربوبية في سائر الخلق فأين تميّز الإسلام عن أولئك بل أن من أقر بتوحيد الربوبية ينازع المسلمين في عبادتهم ورسالة نبيهم كلية .

وهذا مدخل ودهليز فتح أمام المغرضين والحاقدين على دين الإسلام .

نقد قول البغدادي وأصحابه في معنى الألوهية

مما تقدم تبين اعراض البغدادي وأصحابه عن فهم ما يلزم العباد وهو توحيد الرشاد واقتصر تنظيرهم ومعرفتهم على وحدانية الرب والذي ثبت عدم إنكاره إلا من قبل شذاذ لا يعتد بخلافهم وكذلك فإن اللغة التي احتجوا ويحتجون بها في الأمور الضرورية كالإيمان والألوهية لا تساند أقوالهم ولا تؤيدها .

فليس " المراد بالإله هو القادر على الاختراع ، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظنّ أن الإلهية هي القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو ، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون ، كما تقدم بيانه .

بل" الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه ، لا إله بمعنى يجعل مع الله إلهاً آخر " (١) . " واسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً ، تالهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً ، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب ، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنة لكمال الملك والحمد " (٢) .

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أن أورد أقوال العلماء في معنى الإله: " وهذا كثير جداً في كلام العلماء ، وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود ، خلافاً لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات ، ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى ، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله ، كدعاء الأموات ، والاستغاثة بهم في الكربات ، وسؤالهم قضاء الحاجات ، والنذر لهم في الملمات ، وسؤالهم الشفاعة عند رب الأرض والسموات .

---

١ - التدميريه لشيخ الإسلام تحقيق محمد بن عوده السعوي الطبعه الأولى سنة ١٤٠٥ ص ١٨٥ ، ٨٦ .

٢ - مدارج السالكين لابن قيم الجوزية مراجعة لجنة العلماء دار الحديث القاهرة جـ١ ص ٤١ ، ٤٢ .

ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال ، لم يكن بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبينهم نزاع ، بل كانوا يبادرون إلى إجابته ويلبون دعوته ، إذ يقول لهم : قولوا : لا إله إلا الله ، بمعنى : أنه لا قادر على الاختراع إلا الله . فكانوا يقولون : سمعنا وأطعنا " (١) .

والبحث ينتهي إلى أن الخلاف مع البغدادي وأصحابه في فهم توحيد الألوهية قائم بل ويعد من أهم الفروق بين مذهب أهل السنة والجماعة والأشاعرة . وذلك لما يترتب عليه من أثر ونتائج وخيمة أدت جميعها إلى البعد عن السلوك اليقين والحق الواضح المستبين للعمل برسالة خاتم النبيين والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين .

" فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان بالوحدانية والرسالة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة ، فإقرار المرء بأن الله رب كل شئ ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقترن به إقرار بأنه لا إله إلا الله فلا يستحق العبادة أحد إلا هو وأن محمداً رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر فلابد من الكلام في هذين الأصلين .

الأصل الأول : توحيد الألوهية فإنه سبحانه وتعالى أخبر عن المشركين بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعاء من دون الله تعالى .

الأصل الثاني : حق الرسول صلى الله عليه وسلم فعلينا أن نؤمن به ونطيعه ونتبعه ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه" (٢) .

١ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٢ هـ بيروت ص ٧٦ .

٢ - التدمرية لشيخ الإسلام تحقيق محمد السعوي الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ أنظر ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٦

أما الإمام الزركشي تلميذ الإمام ابن كثير وابن قدامة المقدسي رحمهم الله جميعاً فقد أثبت كلمة التوحيد ثم قال المحقق جزاه الله خيراً : " والحق أن فضائل هذه الكلمة لا تنتهي . . ويكفي فضلاً أنها الكلمة الوحيدة التي تخرج قائلها من معسكر الكفر والإلحاد والإشراك إلى الإيمان والتوحيد والإخلاص . . فهي تتضمن عنصرين هامين هما : الإيمان بوجود الله تعالى والإيمان بوحدانيته . . وهي تحدد مصير قائلها وذلك لأن معنى هذه الكلمة الطيبة : أنه ليس في هذا الكون أحدٌ جدير بأن يعبده الناس ، ويسجدوا له بالطاعة ويطأطئوا له رؤسهم في العباده ، ويركنوا إليه عند الشدة ويستعينوا به عند الحاجة إلا الله تعالى فهي إذن يتلخص فيها الإيمان الكامل والخضوع التام ، والإقرار الصريح لأن العبودية لا تكون إلا لإله واحد دون سائر الآلهة الباطلة ، فيتحقق بها التوحيد الحقيقي بشقيه : توحيد العبودية وتوحيد الربوبية "(١) .

فهل فهم علماء الكلام هذا القول في الإعتقاد ، فأراحوا الناس وأستراحوا من قيل وقال في توحيد رب العباد .

وبهذا الأمر المهم والأساس المتين والذي ختمناه بتوحيد الألوهية لما كان له أثر على مسيرة المذهب الأشعري وتأثيره على نهج الأمه بعد القرون الثلاثة الأول وما كان له من تأثير إلى يومنا هذا .

---

١ - معنى لا إله إلا الله للإمام الزركشي دراسة وتحقيق علي محي القره داغي دار البشائر الإسلاميه ط٣ س ١٤٠٦هـ ، انظر ص ٤٤ ، ٤٥ .

الفصل الخامس
تنزيه الله تعالى عن التشبيه

عقد البغدادي في كتابه أصول الدين مسائل لتنزيه الله سبحانه مثل نفي الحد والنهاية وإحالة الأبعاض وإحالة كون الإله في مكان دون مكان وإحالة وصف الله تعالى بالألوان والروايح وإحالة الآفات والسرور والغموم عليه وإحالة العدم على الله وإحالة الحجر عليه سبحانه وسيتم عرض أدلة البغدادي وأقواله والرد عليها .

المبحث الأول

طريقة البغدادي في تنزيه الله تعالى عن التشبيه

أولاً : نفي الحد والنهاية عن الصانع .

وهنا يرد البغدادي على من أثبت لله حداً بقوله : " فقلنا لهم لو كان الإله مقدراً بحد ونهاية لم يخل من أن يكون مقداره مثل أقل المقادير فيكون كالجزء الذي لا يتجزأ أو يختص ببعض المقادير فتتعارض فيه المقادير فلا يكون بعضها أولى من بعض إلا بمخصص خصه بعضها وإذا بطل هذا الوجهان صح أنه بلا حد ولا نهايه "(١) .

الرد على البغدادي :

إن هذه الألفاظ لم ترد في السمع لا نفياً ولا إثباتاً فالله سبحانه ليس كمثله شئ بل الثابت من النصوص أنه رب العالمين وأن كل المخلوقات لا تساوي مع عرشه أدنى نسبة فكيف لنا أن نتكلم في الحد أو النهاية .

غير أن النصوص قد وردت أن الله عال على عرشه فوق سماوته بائن من خلقه

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٣ .

فإن قصدوا إلى هذا سبيلاً فلا شك أن البغدادي وأصحابه يعارضهم السمع والحمد لله "وكثير من المتكلمة الصفاتيه يريدون بالتوحيد والتنزيه : نفي الصفات الخبريه أو بعضها ، وبالتجسيم والتشبيه أثباتها أو بعضها .

وأما التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب : فليس متضمناً شيئاً من هذه الإصطلاحات ، بل أمر الله عباده أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً فلا يكون لغيره نصيب فيما اختص به من العبادة وتوابعها - هذا في العمل وفي القول : هو الإيمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله . فإن كنت تعني أن مذهب السلف : هو التوحيد بالمعنى الذي جاء به الكتاب والسنه : فهذا حق ، وأهل الصفات الخبرية لا يخالفون هذا وإن عنيت أن مذهب السلف : هو التوحيد والتنزيه الذي يعنيه بعض الطوائف : فهذا يعلم بطلانه كل من تأمل أقوال السلف الثابته عنهم الموجودة في كتب آثارهم ، فليس في كلام أحد من السلف كلمة توافق ما تختص به هذه الطوائف ولا كلمة تنفي الصفات الخبرية " (١) ومعلوم أن نفي الحد والنهاية عن الله تعالى يقتضي وصفه بالعدم تعالى الله عن ذلك ونفي علوه على عرشه وأنه بائن عن خلقه فوق سمواته فقال شيخ الإسلام في رده على من أنكر الحد والنهاية " وقال أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الذي سماه " نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ، فيما افترى على الله في التوحيد " قال فيه : " باب الحد والعرش " وادعى المعارض أيضاً أنه ليس له حد ولا غاية ولا نهاية .

قال : وهذا الأصل الذي يبني عليه جهم جميع ضلالاته ، وأشتق منه أغلوطاته ، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهماً إليها أحد من العالمين ، فقال له قائل ممن

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٤ ص ١٥٠ ، ١٥١ أنظر .

حاوره : قد علمت مرادك أيها الأعجمي تعني أن الله تعالى لا شئ ، لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شئ يقع عليه أسم الشئ إلا وله حد وغاية وصفة ، وأنه لا شئ ليس له حد ولا غاية ولا صفة ، فالشئ أبداً موصوف لا محالة ، ولا شئ يوصف بلا حد ولاغاية ، وقولك لا حد له يعني أنه لا شئ .

قال أبو سعيد : والله تعالى له حد لا يعلمه غيره ، ولايجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه ، ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله تعالى ، ولمكانه أيضاً حد ، وهو على عرشه فوق سماواته . فهذان حدان اثنان ، قال وسئل ابن المبارك : بما نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على العرش بائن من خلقه . قيل : بحد ؟ قال : بحد .

قال الخلال : وأخبرنا محمد بن علي الوراق ، حدثنا أبو بكر الأثرم ، حدثنا محمد بن ابراهيم القيسي قال قلت للإمام أحمد يحكى عن ابن المبارك قيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : في السماء السابعه على عرشه بحد . فقال أحمد هكذا هوعندنا . . ثم يقول شيخ الإسلام " فهذا الكلام من الإمام أبي عبد الله أحمد رحمه الله يبين أنه نفى أن العباد يحدون الله تعالى أو صفاته بحد ، أو يقدرون ذلك بقدر ، أو أن يبلغوا إلى أن يصفوا ذلك ، وذلك لا ينافي ماتقدم من إثبات أنه في نفسه له حد يعلمه هو لا يعلمه غيره ، أو أنه هو يصف نفسه . وهكذا كلام سائر أئمة السلف يثبتون الحقائق وينفون علم العباد بكنهها "(١) .

" ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشئ ويتميز به عن غيره والله تعالى غير حال في خلقه ، ولا قائم بهم ، بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما

---

١ - بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم جـ ١ أنظر ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٧٣ .

سواه . فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً ، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ، ونفي حقيقته وأما الحد بمعنى العلم والقول ، وهو أن يحده العباد ، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة " (١) .

ثانياً : إحالة الأبعاض :

وفي هذا المبحث يرد على من شبه الله سبحانه بالمخلوق من فرق الضلال وهذا مما أضطره إلى تأويل تلك الصفات الثابته لله تعالى " وأما قوله ويبقى وجه ربك فمعناه ويبقى ربك" (٢) .

وقال :"وأما الجبار الذي يضع قدمه في النار فهو الذي قال الله تعالى فيه جبار عنيد من ورائه جهنم ، والأصبع المذكورة في الخبر بمعنى النعمة وقلب المؤمن بين نعمتي الخوف والرجاء واليد المضافة لله تعالى بمعنى القدرة .

ثم يقول : " ودليلنا على أن الله واحد في ذاته ليس بذي أجزاء وأبعاض أنه قد صح أنه حي قادر عالم مريد فلو كان ذا أجزاء وأبعاض لم يخل من أن يكون في كل جزء منه حياة وقدرة وعلم وإرادة أو تكون هذه الصفات في بعض أجزائه . . " (٣) ويذكر كلاماً يتعالى الله عن أن يتلفظ بها من أسلم وجهه لله وآمن بكلام الله .

وفي هذا المبحث يظهر التأويل تاماً عند البغدادي وذلك تبعاً لطريقتهم الكلامية غير أن السلف يثبتون ما أثبت الله لنفسه وأثبته رسوله صلى الله عليه وسلم لربه اثباتاً يليق بجلال الله سبحانه من الوجه واليد وأصابع الرحمن فما كان منها من

---

١ - شرح العقيده الطحاويه تحقيق شعيب الأرناؤوط الطبعه الأولى سنة١٤٠١ ص ١٨٢ .

٢ - أصول الدين ص٧٦ .

٣ - أصول الدين ص٧٥ .

القرآن فلا أعتراض على كلام الله وما كان من الصحيح من السنة فإننا نسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتكلم بتأييد من ربه وحفظ دائم . وإن أراد البغدادي أن وصف الله سبحانه " بالصفات الخبرية مثل الوجه واليد ، ذلك يقتضي التجزئة والتبعيض ، أو أنهم وصفوه بما يقتضي أن يكون جسماً والجسم متبعض ومتجزيء وإن لم يقولوا هو جسم . فيقال له هو مذهب جماهير أهل السنة ، بل وسائر أهل الملل وسلف الأمة وأئمتها " (١).

ثالثاً : إحالة كون الإله في مكان دون مكان .

قال " ودليلنا على أنه ليس في مكان دون مكان بمعنى المماسة قيام الدلالة على أنه ليس بجوهر ولا جسم ولا ذي حد ونهاية والمماسة لا تصح إلا من الأجسام والجواهر التي لها حدود . وقد دللنا قبل ذلك على أن الإله غير محدود بحد ونهاية فلذلك لم يجز المماسة عليه " (٢) .

وهذا القول للبغدادي يتضمن نفي علو الله سبحانه وأنه في السماء فهو ينفي الجهة ، يقول ابن رشد : " والشبهه التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم أعتقدوا أن أثبات الجهة يوجب إثبات المكان واثبات المكان يوجب إثبات الجسمية " (٣) .

رابعاً : إحالة وصف الله بالألوان والروائح والطعوم .

وهنا يستدل البغدادي على أن نفي النقائص عن الله تعلم بالعقل فيقول : " والصفات الواجبة لأجل نفي النقائص عنه فالسمع والبصر والكلام لنفي

---

١ - بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام جـ١ ص ٣٤ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٧ .
٣ -مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٧٨ .

السكوت والصمم والعمى عنه وليس اللون والطعم والرائحة مما يدل عليه فعل ولا هو مما يكون شرطاً في صفة سواه ولا ينفي نقصاً مخصوصاً فلذلك لم يجز وصف الله به " (١) .

خامساً : إحالة الآفات والسرور والغم على الله .

قال البغدادي : أجمع الموحدون على نفي الآفات والغموم والآلام واللذات عن الله تعالي (٢) .

سادساً : إحالة العدم على الله تعالى .

وقال البغدادي : " كل من قال بقدم الصانع أحال عليه العدم " (٣) .

سابعاً : إحاله الحجر على الله .

يقول البغدادي : " نقول : أن الله تعالى عادل في كل أفعاله غير محجور عليه في شئ ، وما شاء فعل وما شاء ترك له الخلق والأمر لا يسأل عما يفعل " (٤) .

---

١ - أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .
٢ ، ٣ ، ٤ - أنظر أصول الدين للبغدادي ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

المبحث الثاني

نقد طريقة البغدادي في تنزيه الله تعالى

عمد البغدادي في تنزيهه لله تعالى إلى النفي المفصل بغير دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم مقتدياً بأصحابه المتكلمين في هذا الشأن الذين يحرصون أشد الحرص على ما أثبتوه من مقدمات وبرهان مستعينين بعقولهم لنفي وإثبات ما يجب للواحد الديان من صفات الكمال والإيمان فحادوا عن الطريقة السنية والبيان " ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً ، عكس طريقة أهل الكلام المذموم ، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل ، يقولون : ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولادم ولا شخص ولا جوهر ولاعرض ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم ولا مجسة ،ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا إجتماع ولا أفتراق ، ولايتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ولا بذي يمين ولا شمال وأمام وخلف وفوق وتحت ، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان . . . وفي هذه الجملة حق وباطل ، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة ، وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه ، فيه إساءة أدب فإنك لو قلت للسلطان : أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً . وانماتكون مادحاً إذا أجملت في النفي فقلت أنت لست مثل أحد من رعيتك ، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل ، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب . ثم يقول شارح الطحاويةوالتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوبيه الإلٰهية ، هو سبيل أهل السنة والجماعة ، والمعطلة يعرضون عما قال الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها ، ويجعلون ما

أبتدعوه من المعاني والألفاظ هو الحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده . واما أهل السنة والحق والإيمان ، فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده ،والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضاً جملياً ، أو يبينوا حاله تفصيلاً ويحكم عليه بالكتاب والسنة ، لا يحكم به على الكتاب والسنة .

والمقصود : أن غالب عقائدهم السلوب ، ليس بكذا ، ليس بكذا ، واما الإثبات فهو قليل"(١) .

" فظهر أن توحيدهم وتنزيههم هذا دهليز التعطيل والزندقة وإن من كان أعظم تعطيلاً وإلحاداً كان أحق بتوحيدهم وتنزيههم هذا وهذا بخلاف ما كان من أهل الإثبات المقرين بالتوحيد والتنزيه الذي جاءت به الرسل عليهم السلام ونزلت به الكتب " التوحيد العلمي القولي ، كالتوحيد الذي دلت عليه السورة التي هي صفة الرحمن وهي تعدل ثلث القرآن . " والتوحيد العملي الإرادي " الذي دلت عليه السورة التي هي براءة من الشرك ، وهما سورتا الإخلاص فإن هؤلاء الموحدين كلما حققوا هذا التوحيد بعدوا عن أهل الشرك والتعطيل وتبرؤا منهم " (٢) .

وبهذا يتبين أن التنزيه الذي سلكه البغدادي وأصحابه يؤدي بهم إلى تعطيل الله سبحانه وتعالى عن صفاته التي أخبر بها في كتابه أو ثبتت روايتها عن نبيه صلى الله عليه وسلم في إخباره عن ربه عز وجل بما وصف نفسه . أما التنزيه بعبارات السلوب فإن هذا لم يثبت في كتاب ولا سنة إلا ما تضمن مدحاً وكمالاً كالسنة والظلم وذلك لكمال قيوميته وتمام عدله سبحانه .

---

١ - شرح العقيدة الطحاورية تحقيق شعيب الأرناؤوط مكتبة المؤيد الطائف المطبعة الأولى سنة ١٤٠١ أنظر ص ٤٩

٢ - بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام جـ ١ ص ١٣٤ .

أما تنزيه البغدادي فإنه يتضمن أمرين وهما :

أولاً : نفي صفات كمال الله تعالى مثل الوجه واليد وأصابع الرحمن وسمى ذلك أبعاضا . وكذلك نفي الفوقية والعلو وأنه فوق العرش وسمى ذلك حداً ونهاية ثم نفاهما . ثم إحالة كونه في السماء كما ورد النبأ في الكتاب المنزل من عند المولى، ونفي صفة الغضب لله والرضا والفرح وقد وردت في الخبر الصحيح .

ثانياً : عمد إلي نفي أوصاف لم ترد في السمع ولا سأل عنها صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم كوصف الله تعالى عن ذلك بالألوان والروائح والطعوم ونفي الحجر على الله والعدم ونستغفر الله من البحث فيما يغضب الله والقول على الله بلا علم وأخيراً فإن التنزيه اللائق بجلاله هو ما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم وعلمه سلف الأمة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل .

الفصل السادس

أسماء اللهَ تعالى وصفاته

أورد البغدادي في كتابه أصول الدين أصلين ، في معرفة صفاته القائمه بذاته وفي معرفة أسمائه وأوصافه ، ومن المعلوم أن هذا الفصل متأثر بما سبق بحثه من الفصول السابقة كإثبات وجود الله والإعتماد فيه على دليل الحدوث وكذا تنزيه الله والإعتماد فيه على التأويل،ومن هنا فإن التأويل عند البغدادي ضارب بأطنا به في هذا الفصل وعليه مدار المباحث الآتية وفي نهايتها يتم إيراد النقد على ضوء منهج أهل السنة والجماعة السلف .

المبحث الأول

أسماء الله تعالى

حقيقة الاسم عند البغدادي : ذكر البغدادي ما وقع في الاسم من إختلاف ثم قال : فقال أكثر أصحابنا أنه المسمى والعبارات عنه تسميات له . وقد نص أبو الحسن الأشعري على هذا القول في كتاب تفسير القرآن " وقول الله"ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها"* وهم كانوايعبدون من دون الله المسميات دليل على أن الأسماء ذواتها ، وقوله : سبح اسم ربك الأعلى وتبارك اسم ربك . دليل على أن اسم الرب هو الرب لأنه هو المتبارك المسبح " ثم يقول : فإن سألونا عن قوله : ولله الأسماء الحسنى قلنا أراد بالأسماء المسميات فالمراد بها تسمياته لأن العدد يقع عليها لا على المسمى الواحد " (١) .

وبهذا يتبين أن البغدادي متابع لأصحابه في قولهم إن الاسم هو المسمى .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١١٥ . * سورة يوسف آية ٤٠ .

مأخد أسماء الله عند البغدادي

إن اسماء الله توقيفية عند البغدادي وقال أهل السنه أنها مأخوذة من التوقيف وقالوا لا يجوز إطلاق اسم على الله من جهة القياس وإنما يطلق من اسمائه ماورد به الشرع في الكتاب والسنه الصحيحه أو أجمعت الأمة عليه .

ثم يذكر أنه لا يجوز إطلاق اسماء بالقياس فقال : " والدليل على المنع من القياس في اسماء الله عز وجل . أن العبد لا يضع لمولاه اسماً كما لا يضع الولد لأبيه اسمه وانما يضع الأب للولد والسيد للعبد اسماً . . ثم يقول وفي هذا دليل بطلان القياس في اسمائه " (١) .

عدد اسماء الله سبحانه

يقول البغدادي في هذا : قال الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ وفي حديث سفيان بن عيينه عن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة مرفوعاً أن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة .

وفي القرآن من اسماء الله تعالى مالم يذكر في هذا الخبر كرفيع الدرجات ونحو ذلك وكل ما نطق به القرآن من أسماء الله تعالى أو وردت به السنة الصحيحة أو أجمعت عليه الأمة من أسمائه تعالى فجائز إطلاقه وما خرج من هذه الأقسام فلا يجوز وصف الله عز وجل به ، ومن سماه بالقياس صار من القياس في إياس" (٢) .

ثم يوضح البغدادي أنه لا يقتصر على الخبر الوارد بتعيين الأسماء لله بتسع وتسعين فيقول : " وليست الفائدة في حصر أسمائه الحسنى بتسعة وتسعين المنع من

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١١٦ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١١٩ .

الزيادة عليها ، لورود الشرع باسماء له سواها . وانما فائدته ان معاني جميع اسمائه محصورة في معاني هذه التسعة والتسعين . . وقيل انما خص وحصر أسماؤه التي يحب الإيمان بما فيها لأنها في الجملة مائة اسم والأعظم منها مكتوم لا يطلع عليه إلا من أكرمه الله عز وجل به وعند العباد منها تسعه وتسعون .

وقيل أن العدد نوعان زوج وفرد والفرد أفضل من الزوج وفي الحديث أن الله وتر ويحب الوتر وإذا صح أن الفرد أفضل من الزوج وأول الإفراد واحد وأخرها تسعة وتسعون ، أنعم الله على عباده بأكمل الأفراد عدداً من اسمائه"(١) .

وعلى هذا فإن البغدادي أثبت لله الأسماء الحسنى ، والخبر الوارد في عدها أنها تسع وتسعون وأنه قد ورد الشرع بما سوى تلك فيقول البغدادي : "ومنها خبر صحيح مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه بيان ما قصدناه في هذا الفصل وهو ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : " ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال اللهم أني عبدك وبن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو أعلمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وذهاب همي وجلاء حزني . . الخ"(٢) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٢٠ .

٢ - تفسير اسماء الله الحسنى للبغدادي مخطوط لوحة ٦٢ وأنظر الأسماء والصفات للبيهقي جـ١ ص ٣١ .

أقسام أسماء الله عند البغدادي

قسم البغدادي أسماء الله تعالى إلى ثلاثة أقسام فقال : "أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام :

قسم منها يستحقه لذاته كوصفه بأنه شئ وموجود .

وقسم منها يستحقه لمعنى قام به كالحي والعالم والقادر والمريد والمتكلم والسميع والبصير . .

وقسم منها يستحقه لفعل من أفعاله كالخالق والغافر (١) .

ثم يبين أن ما أستحقه لذاته أو لمعنى قام به فهو أسم أزلي (٢) .

وكل ما كان مشتقاً له من فعل فليس من أسمائه الأزلية (٣)

تأويل أسماء الله عند البغدادي

حيث أن البغدادي قد حصر أسماء الله الأزلية فيما أستحقه لذاته أو لأوصافه الأزلية السبع وذلك مما أضطره إلى تأويل أسماء الله التي لا تدل على الفعل ولا على ذاته سبحانه فقال : " والقوي في اسمائه بمعنى القادر .

والخبير والشهيد والمحصي بمعنى العليم .

والأول والآخر في معنى الباقي .

والودود والحليم والصبور في أسمائه راجع إلى معنى إرادته للإنعام على عبده أو إرادته للعفو عنه .

والواعد والموعد والصادق والذاكر من أسمائه راجع إلى معاني كلامه الأزلي (٤) .

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٢٢ .
٢ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٣٨ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ١١٨ .
٤ - أصول الدين للبغدادي ص ١٢٤ .

وهكذا فقد أول تلك الأسماء إلى ما وافق معناهالأسمائه الأزلية وصفاته الأزلية وهناك أسماء أخرى لله تعالى قام بتأويلها مثل العلي والنور والحكيم .

فقد فسر العلي من أسماء الله بمعنى العالي في الرتبة " ومنه قول الناس أنه علا شأنه وأنه لعظيم وهو عظيم قومه أي سيدهم "(١) .

وفسر النور : إلى أحد معنيين اما إلى معنى المنور وأن قوله الله نور السموات والأرض معناه منورهما ويكون من أوصافه المشتقة من فعله . . والثاني النور بمعنى أنه برئ من كل عيب وأنه على هذا الوجه يكون النور من أوصافه الأزلية "(٢) .

وفسر الحكيم والحكمة : " بمعنى العلم وأن الحكيم هو العالم بالمستور الخفي على غيره فوصف الله عز وجل بأنه حكيم من الأوصاف الثابته له في الأزل لأنه كان في الأزل عالماً بجميع المعلومات على التفصيل .

وإن قلنا إن الحكمة اتقان الفعل وإحكامه والحكيم هو الممتنع عن الفساد فوصف الله عز وجل بأنه حكيم إذاً من الأوصاف التي استحقها بفعله ولا يكون حينئذ من أوصافه الفعلية الأزلية لإنه لم يكن في الأزل فاعلاً "(٣)

ولاشك أن هذا التفسير لأسماء الله مخالف لما درج عليه السلف من اثبات اسماء الله الحسنى وصفاته العلى على ما فهمه الجيل الأول ووردت به الأخبار الصحيحه . وسيتم مناقشة هذه الأقوال في المبحث الخامس إن شاء الله .

---

١ - تفسير أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحة ١٧٢ .
٢ - تفسير أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحة ٢٤٨ .
٣ - تفسير أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحة ١١٦ .

المبحث الثاني
الأحكام العامةُ للصفات عند البغدادي

تأثر البغدادي كغيره من أصحابه بذلك المنهج الذي أرتسموه في معرفة الله سبحانه ووجوده وصفاته مما أدى بهم إلى قبول صفات أثبتوها بالعقل ورد ما ظنّوه معارضاً بالتأويل تارة أورد الأخبار بقولهم وزعمهم أنها أخبار آحاد أو أنها لا توافق العقل وذلك جميعه مما ورد بالسمع ، ويمكن معرفة تلك الأحكام عند البغدادي فيما يلي :

أولاً : اُلتزام البغدادي كأصحابه اثبات سبع صفات أزلية لأن العقل يدل عليها وقالوا : " لا نثبت لله عز وجل من الصفات القائمة بذاته إلا مادل عليه فعله أو كان في رفعه اثبات نقص له أو ماكان شرطاً في صفة له " .(١) ثم قال البغدادي : " وأجمعوا على أن هذه الصفات السبع أزلية وسموها قديمة " (٢) .

وحيث أن العقل قد دل عليها فلا يثبت إلا ما دل عليه وهي تلك الصفات السبع وقال "إعلم أن معاني صفات الله عز وجل مدركة من جهة العقل وإطلاق أسمائه بالعبارة عنها مأخوذ من طريق الشرع والتوقيف " (٣) .

ثانياً : أن تلك الصفات السبع إنما يستحقها سبحانه وذلك لمعنى يقوم به فقال : "ما يستحقه لمعنى يقوم به كوصفنا له بأنه حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير " (٤) و " أصحابنا مجمعون على أن الله تعالى حي بحياة وقادر بقدرة وعالم بعلم ومريد بإرادة وسامع بسمع لا بأذن وباصر ببصر هو رؤية لا عين ومتكلم بكلام لا من جنس الأصوات والحروف " (٥) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٨ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٩٠ .
٣ - شرح أسماء اله الحسنى مخطوط للبغدادي لوحه ٤٢ .
٤ - شرح أسماء الله الحسنى مخطوط للبغدادي لوحه ٤٢ .
٥ - أصول الدين للبغدادي ص ٩٠ .

وهذا يعني أنما أثبتوه من صفات بالعقل جعلوها خاضعة لذلك السلاح فحكوا بكونها أزلية واحدة القدرة والعلم والإرادة مع نفي العين وإثبات الرؤية ونفي الصوت وإثبات الكلام لله تعالى . فليس لتلك الصفات علاقة بقدرة الله ومشيئته بل هي أزلية كالحياة لله سبحانه ولا يتجدد منها شيء .

ثالثاً : التأويل لما ثبت من صفات لله تعالى بالسمع ، وظن البغدادي وأصحابه أن إثباتها يقتضي التبعيض والتركيب والمكان فقال " مسألة في تأويل الوجه والعين . مسألة في تأويل اليد المضافة لله . مسألة في تأويل الاستواء المضاف إليه (١) .

وقوله : " والصحيح عندنا تأويل العرش على معنى الملك "(٢) .

وأوّل ما وصف الله به نفسه أووصفه رسوله ﷺ مثل الفرح والضحك وسمى ذلك آفاتاً وسروراً وغماً فقال " مسألة في إحالة الآفات والسرور والغم عليه " (٣) .

رابعاً : إرجاع الأسماء التي يشتبه في دلالتها على صفات لله تعالى إلى تلك الصفات الأزلية التي أثبتوها وعددها سبع فقط فقال :" والقوي من أسمائه في معنى القادر . والخبير والشهيد والمحصي بمعني العليم ، والأول والآخر في معني الباقي عند أكثر أصحابنا . والودود والحليم والصبور راجع إلى معنى إرادته والواعد والموعد والصادق والذاكر من أسمائه راجع إلى معاني كلامه الأزلي " (٤) .

خامساً : أن أفعال الله تعالى لا يوصف بشيء منها في الأزل وأن الله سبحانه عما يقولون كان معطلاً عن أفعاله في مخلوقاته فقال البغدادي:" إن كل صفة اشتقت من فعله تعالى كالخالق والرازق والمحيي والمميت لم يكن الله موصوفاً بها في الأزل " (٥) .

---

١ - ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ أصول الدين للبغدادي ص ٨٩ ، ١١٣ ، ٧٩ ، ١٢٤ .
٥ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٣٨ .

سادساً : قسم البغدادي وأصحابه أسماء الله تعالى في دلالتها إلى ثلاثة أقسام منها مادل على ذاته فحسب ومنها ما دل على صفاته الأزلية السبع ومنها ما دل على أفعاله :

وأما أفعاله فليست صفات له كما ورد آنفاً بل أوصاف محدثه فقال البغدادي : "مسألة فيما دل من أسمائه على ذاته فحسب ومسألة في بيان أسمائه الدالة على صفاته الأزلية ومسألة في بيان ما دل من أسمائه على أفعاله"(١) وقد أثبت من هذا التقسيم أن تلك الأسماء لا يدل منها على صفاته إلا سبعة أسماء .

سابعاً : لقد فرق البغدادي وأصحابه بين الأوصاف والصفات فقال البغدادي : " وقال أكثر أصحابنا أن صفة الشيء ما قامت به كالسواد صفة للأسود لقيامه به ووصف الشيء خبر عنه وقول القائل زيد عالم صفة للقائل ووصف لزيد لأنه خبر عنه " (٢) وقد عنون البغدادي لهذه المسألة بقوله " الفرق بين صفاته وأوصافه " (٣) .

وهذا ظاهر بأن تلك الأوصاف وإن أطلقت فإنها لا تقوم بالله سبحانه وانما تقوم بالمخبر عنها .

---

١ - أصول الدين أنظر ص ١٢١ - ١٢٤ .
٢ - أصول الدين أنظر ص ١٢٨ - ١٢٩ .
٣ - أصول الدين أنظر ص ١٢٨ .

المبحث الثالث

صفات المعاني

لاشك أن النقاش الدائر بين الأشاعرة والمعتزلة في عصر البغدادي والزامات كل منهما للآخر قد أثر على منهج العقيدة الصافية السلفية مما أدى بالأشاعرة خاصة إلى سلوك ممر ضيق خوفاً من إلزامات خصومهم لهم فأتوا بما لم يقبله عقل أولئك بل ولا عقل المنصفين لهما وذلك كالكسب والكلام النفسي وتلك الصفات السبع المعنوية التي أثبتوها ثم فرغوها عن محتواها الصحيح وأسموها صفات المعاني وقولهم " ولا يقوم عندهم بذات الله فعل ولا كلام ولا إرادة ولا غير ذلك مما يتعلق بمشيئته وقدرته ويقولون لا تحل الحوادث بذات الله ولا يجوز عليه الحركة ولا فعل حادث ولا غير ذلك وهؤلاء يتأولون كل ما ورد في الكتاب والسنة مما يخالف ذلك وهو كثير جداً كقوله " ثم استوى على العرش " ثم أستوى على السماء وكما وصف به نفسه من المجيء والاثبات والنزول وغضبه يوم القيامة ورضاه على أهل الجنة وتكليمه لموسى ولعباده يوم القيامة وتكلمه بالوحي إذا تكلم به فسمعته الملائكة" (١).

وقد التزم البغدادي بتلك الصفات المعنويه فقال " ما يستحقه لمعنى يقوم به كوصفنا له بأنه حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير " (٢) وقد وصفها كأصحابه بأنها أزلية فقال " وقسم منها يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته كالحي والقادر والعالم والمريد والسميع والبصير وسائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته " (٣) .

فهذا بيان من البغدادي أن تلك الصفات السبع أنما هي صفات أزلية قائمة بذاته

١ - الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ جـ ٥ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .
٢ - شرح أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحة ٤٢ مخطوط .
٣ - الفرق بين الفرق ص ٣٣٨ .

فهي معنوية ولا تدل على شيء من أفعاله الثابته له بل ليست خاضعة لمشيئته وقدرته وذلك وِقاء لذلك الدليل الذي التزموا به وهو ما أسموه دليل الحوادث وخوفاً من إلزامات المعتزلة لهم . فأما العلم عند البغدادي فقال " أجمع أهل الحق وقال أصحابنا أن علم الله واحد قد علم به جميع معلوماته ما كان منها وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون وقد علم به أيضاً استحالة المحالات وعلم علمة بنفسه " ثم رد على من أثبت لله علمين كالكرامية فقال " ولا ينفصل هؤلاء ممن أثبت له علوماً كثيره بعدد المعلومات وذلك فاسد فما يؤدى إليه مثله " (١) . وقد تقدم أنه وصف الله بتلك الصفات السبع الأزلية والقائمة به فلا يتجدد له علم قائم وأنه " يعلم المستقبلات بعلم قديم لازم ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة وإنما يتجدد مجرد التعليق بين العلم والمعلوم وهذا قول طائفة من الصفاتية من الكلابية والأشعرية ومن وافقهم " (٢) . وكذلك السمع فإن " سمعه صفة واحدة أزلية وهو يسمع بها كل مسموع سمع إدراك لا سمع علم به من غير آذان ولا جارحه " (٣) .

ثم رد على الكرامية الذين أثبتوا سمعاً لائقاً بالله تعالى وإن أخطأ وافي العبارة وأبتدعوا في القول بأنه سمع حادث فقال : " وزعمت الكرامية أن سمع الإله قدرته على إدراك مسموعاته وزعموا أن السمع هو إدراكه للمسموع وهو حادث " (٤) .

وهنا يبين الرازي صاحب معتقدهم المقصود بقول البغدادي سمع إدراك لا سمع علم بأنه الانكشاف والتجلي فيقول : " إن الإدراك المسمى بالسماع حالة مغايره . أو أن السماع حالة زائدة على العلم وعلى تأثر الاذن ولا شك أنها حالة تفيد

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٩٥ .
٢ -جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق رشاد سالم مطبعة المدني القاهرة ط الأولى سنة ١٣٨٩ جـ ١ ص ١٧٧ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٩٦ .
٤ - أصول الدين للبغدادي ص ٩٦ .

نوعاً من الانكشاف والتجلي ، أكمل وأقوى من الحالة المسماه بالعلم "(١) .

وصفة السمع عند البغدادي كصفتي الرؤية والكلام فهو يثبتها وينفي لازمها وهذا خلاف المنطق وأهل الحق وذلك حين يقول : " وسامع بسمع لا بإذن وباصر ببصر هو رؤية لا عين ومتكلم بكلام لا من جنس الأصوات والحروف " (٢) .

أما صفة البصر فستتم مناقشة وعرض أقوال البغدادي في فصل خاص من هذا البحث .

أما صفة الإرادة : فقال البغدادي "أجمع أصحابنا على أن إرادة الله تعالى مشيئته واختياره وعلى أن إرادته للشئ كراهيته لعدم ذلك الشئ وقالوا إن إرادته صفة أزلية قائمة بذاته وهي إرادة واحدة محيطة بجميع مرادته على وفق علمه بها فما علم منها كونه أراد كونه . . " (٣) .

فقد وصف تلك الإرادة بأنها واحدة أزلية قائمة بذات الله تعالى وهذا يعني أنه لا تتجدد لله إرادة في خلقه وهذا مخالف لما ورد في الشرع بل وأنتصر لمذهبه القائل بمنع الحوادث عن الله لإثباتهم وجود الله بذلك البرهان فعطلوا الله عن أفعاله وكريم صفاته وهوهنا يرد على الكرامية الذين هم أقرب وأصح قولاً منهم إلى أهل السنة فقال : "والخلاف الثالث مع الكرامية في قولها إن إرادة الله حادثة في ذاته ، وقد دللنا على إستحالة كونه محلاً للحوادث " (٤) .

---

١ - المطالب العالية للرازي تحقيق أحمد حجازي جـ٣ ص ١٩٠ ، ١٩١ .
٢ - أصول الدين ص ٩٠ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ١٠٢ .
٤ - أصول الدين للبغدادي ص ١٠٣ .

الإرادة الكونية والإرادة الشرعية عند البغدادي

إن البغدادي كاصحابه لايفرق بين تلك الإرادتين وهنا لم يفرق بين أمر الله الكوني والشرعي فإن الله سبحانه لا يرضى إلا ماتقتضيه الإرادة الشرعية وهي محبوبة عند الله ويتضح ذلك التعارض عند البغدادي في قوله : « أجمع أصحابنا على أن إرادة الله تعالى مشئيته وعلى إن إرادته للشئ كراهيته لعدم ذلك الشئ كما قالوا إن أمره بالشئ نهى عن ضده وقالوا أيضاً إن إرادته صفة أزلية قائمة بذاته وهي إرادة واحدة » (١)

وهذا مما أوقعهم في القول بالكسب وعدم الإستطاعة قبل الفعل واقتران القدرة القديمة بالقدرة الحادثة .

" فالأشعرية جعلوا الإرادة واحدة ، كما جعلوا العلم واحداً ، حتى لا يقولوا بتجدد العلم والإرادة " (٢) ، ويبين شارح الواسطيه ما يترتب على هذا بقوله : " والأشاعرة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلقت في الأزل بكل المرادات ، فيلزمهم تخلف المراد عن الإرادة " (٣) .

صفة الكلام .

تابع البغدادي أصحابه الأشاعرة في أعتقادهم أن كلام الله تعالى من صفاته الأزلية قائم به ثم أوله بالأمر والنهي والخبر والوعد والوعيد .

ومما تقدم في صفات الله المعنوية عند البغداي وذلك أنها صفات قائمةبالله أزلية لا يتجدد منها أمر من الأمور ، فكذلك صفة الكلام فإن الله لا يتكلم لإن ذلك يقتضي أمراً متجدداً ولا شك بأن هذا الأمر هو اللائق بجلال الله سبحانه غير أنه

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٠٣ .
٢ - درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام جـ ٢ ص ١٧٢ . وأنظر البحث ص ٤٢٩ ، ٤٢٠ .
٣ - شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل الهراس ضبط علوي السقاف دار الهجرة سنة ١٤١١ الطبعة الأولى ص ٩٩

يتعارض مع دليل الحدوث عند البغدادي وأصحابه فأثبتوا كلاماً ومنعوا لازمه فكان ذلك منتهى التناقض . مما دفع بهم إلى القول بالكلام النفسي وإن لم يقل به البغدادي وانما قال بلازم ذلك .

دليل البغدادي في عدم تجدد صفة الكلام لله تعالى :

قال البغدادي : " ودليلنا على أن كلامه ليس بمحدث أنه لو كان حادثاً لم يجز حدوثه فيه لاستحالة كونه محلاً للحوادث ويستحيل حدوثه لا في محل لأن العرض لا يكون إلا في محل ، ولو حدث كلامه في جسم من الأجسام لكانت الأسماء الصادرة من خصوص أوصاف الكلام راجعة إلى محله به آمراً ناهياً مخبراً كالحياة والقدرة والعلم إذا حدثت في محل كان المحل بها قادراً عالماً حياً " (١) .

أما وجوه كلام الله عند البغدادي فقال : " كلام الله عندنا أمر ونهي وخبر ووعد ووعيد" أما النسخ في كلام الله فإنه لا يجوز وإنما النسخ واقع في أحكامه وذلك فإن القرآن العربي إنما هو عبارة عن كلام الله مثله مثل التوراة والإنجيل .

فكلاهما قراءة لكلام الله وهذا دليل على إعتقاد البغدادي أن كلام الله قائم بنفسه وهذا الإعتقاد مماثل لاعتقاد أصحابه الذين أثبتوا الكلام النفسي ودليل ما تقدم من كلام البغدادي قوله : " وفي أحكامه ناسخ ومنسوخ ولا ينسخ كلامه لأنه لا يجوز عدمه ورفعه . وقراءة كلامه بالعربية قرآن وقراءته بالعبرانية توارة وبالسريانة أنجيل والقراءة غير المقروء لإن المقروء كلام الله وليست القرآءة كلامه" (٢) .

أما وصفه بالأزلي فقد أختلف أصحاب البغدادي في تفسير الخطاب إذا كان كلام الله أزلياً فقال : " ومن أجاز من أصحابنا خطاب المعدوم قال إن كلام الله لم

١ - أصول الدين للبغدادي ص١٠٦ ، ١٠٧ * وانظر البحث ص ٢٩ ، ٢٦٦ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٠٨ .

يزل أمراً ونهياً للمكلفين الذين خلقوا بعد ذلك بشرط أن يفعلوا ما أمروا به بعد الوجود والبلوغ ووفور العقول . ومن لم يجز منهم خطاب المعدوم ولم يسم كلامه قبل وجود الخلق أمراً ونهياً قال أن كلامه إنما صار أمراً ونهياً عند توجه اللزوم على المكلف" (١) ولا شك أن هذا يؤدي إلي القول بصفات النقص على الله تعالى عن ذلك صفات الكمال اللائقة بجلاله المتكلم متى شاء وكيف شاء ويمكن إجمال أعتقاد البغدادي في صفة الكلام بما يلي :

أولاً : أنه كلام أزلي فلا يتكلم الله ولا يخاطب أحداً لإن ذلك يفضي إلي القول الحوادث عندهم وهذا ينافي ذليل اثبات الوجود عندهم أيضاً .

ثانياً : أن خطاب الله سبحانه لأنبيائه كان بطريق خلق العلم الضروري في قلوبهم كما قال البغدادي : " لابد للرسول من حجة وبرهان يعلم به أن الله تعالى قد أرسله ، ويصح علمه بذلك من وجوه : منها أن يخاطبه الله عز وجل بلا واسطه ويخلق في قلبه علماً ضرورياً يعلم به أن الذي يخاطبه ربه عز وجل لا غيره " (٢) .

وهذا القول مصادم لكلام الله سبحانه لنبيه موسى الذي كلمه الله تكليماً فإن كان هذا فقد عارض القرآن والنقل الصحيح والعقل الصريح وإن قال البغدادي بالخطاب وأنه على ظاهره أنخرم دليله .

وأنتفى إثباته لصفة الكلام لله سبحانه وأن الله يتكلم متى شاء وكيف شاء .

ثالثاً : أن النسخ أحكام القرآن وقد أثبت البغدادي النسخ في القرآن غير أنه يقول إن كلام الله لا ينسخ " لأنه لا يجوز عدمه ورفعه " وهذا يعني أن القرآن غير كلام الله فكلام الله لا يرفع بنسخ لأنه لا يجوز عدمه ومؤدى هذا القول يعني

١ - أصول الدين للبغدادي ص١٠٨ .

٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٥٦ .

أن الله لا يتكلم وما يوصف بكلامه فإنه صفة أزلية قائمة لا يتجدد منها صفة عندهم . وقد ثبت نسخ الحكم واللفظ معاً في كتاب الله *.

رابعاً : إن كلام الله معنى واحد فإذا قرئ بالعربية فهو قرآن وبالعبرانية توارة وبالسريانية أنجيل وهذا دليل على أن البغدادي يحذو كأصحابه ويلزمه القول بالكلام النفسي وإن لم يتلفظ به .

خامساً : أما قوله : ونقول كلام الله في المصحف مكتوب وفي القلب محفوظ وباللسان متلو " (١) .

فإننا نجد تفسيره عند صاحب المذهب حيث يقول الشهرستاني : " والكلام عند الأشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة ، والعبارة دلالة عليه من الإنسان . فالمتكلم عنده من قام به الكلام ، وعند المعتزلة من فعل الكلام . غير أن العبارة تسمى كلاماً أما بالمجاز ، وإما بإشتراك اللفظ " (٢) .

ويوضح هذا القول أحد موسسي المذهب وهو الباقلاني فيقول : " فصح أن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره ، وانما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح ويجوز أن يسمى كلاماً إذ هو دليل على الكلام ، لا أنه نفس الكلام الحقيقي .

ثم يوضح الباقلاني أن الأنبياء أفهموا أقوامهم كلام الله القديم بنفس لغاتهم " فأخبر تعالى أنه أرسل موسى عليه السلام إلى بني اسرائيل بلسان عبراني ، فأفهم كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٠٨ .

٢ - الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص ٩٦ .

* انظر مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد الزرقاني دار احياء الكتب العربية الحلبي جـ٢ ص ١١٠ .

وبعث عيسى عليه السلام بلسان سرياني ، فأفهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم ، وبعث نبينا صلي الله عليه وسلم بلسان عربي ، فأفهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم .

فلغة العرب غير لغة العبرانية ، ولغة السريانية غيرهما ، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شئ واحد لا يختلف ولا يتغير ، ويدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل خط فيقوم الخط في الدلالة مقام النطق باللسان "(١) .

فهل نجد كلام الله بعد هذا في المصحف الشريف ياأيها القوم !؟ .

سادساً : لقد تخبط البغدادي وأصحابه في فهم توجيه الخطاب حين وصفوا الله تعالى بأنه قد أمر بكل أمر ونهى وأخبر ووعد وتوعد في العدم ثم قال هو وأصحابه أنه يتوجه بعد الوجود والبلوغ والعقل بشرط أن يفعلوا ما أمروا به .

وقال أخرون بل إنه صار نهياً وأمراً عند توجه اللزوم على المكلف "(٢) .

سابعا : انّ كلام الله غير خاضع لمشيئته وقدرته وهو ما وصف بالأزل عندهم .

١ - الانصاف للباقلاني ص ٩٤ ، ٩٥ .

٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٠٨ .

المبحث الرابع
الصفات الخبرية

حيث أن البغدادي قد أصّل في مقدماته أمرين وذلك لعدم التعارض بين أدلة الإستدلال والنظر عندهم وبين ما تواتر النقل به أو جاء في خبر الآحاد وذلك الأمران هما :

أ - الشبهة إذا جاءت في التواتر فإنه لا يوُجب علماً .

ب - إن خبر الآحاد لا يوجب العلم وإنما هو موجب للعمل بشروط .

وبهذا فإن البغدادي قد سبق أقرانه وأصحابه الأشاعرة في رد ما أعتقده تعارضا مع العقل مما ورد في النقل المتواتر من القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة أما خبر الآحاد عندهم فذاك أمره سهل فإنه لا يوجب علماً .

ومثال ذلك مما جاء في أصول الدين للبغدادي من تأويل ما جاء في القرآن الكريم من صفات الله ا ئقة بجلاله ، والمتعارضة مع دليلهم ومقدماتهم لأنهم ظنوها تصف الله تعالى بما أسموه حوادث وحركات فأوّلوها ونفوها عن الله فقال البغدادي : " فإن تواتر النقل في شيء وطريق العلم به الإستدلال والنظر وطريق الخطأ الشبهة فإن ذلك التواتر لا يوجب علماً "(١) .

ثم قال: "وأما أخبار الآحاد متى صح اسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم " (٢) .

ثم أصل مسألة أخرى في بيان ما يعلم بالعقل وما لا يعلم إلا بالشرع . وقال : "إن العقول تدل على حدوث العالم وتوحيد صانعة وقدمه وصفاته الأزلية "(٣) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٢ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٢ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٤ .

وقد سبق في طيات هذا البحث أن البغداد ي قد أصل مسائل أخرى في إحالة كون الإله في مكان دون مكان وإحالة وصف الله تعالى بالألوان والطعوم والروائح وإحالة الآفات والسرور والغم عليه مما أدى به إلى تأويل صفاتٍ لله وردت بالسمع المتواتر وبالسنة الصحيحة كالاستواء والعلو والفرح والرضى والغضب " (١)

ثم أصل مسألة أخرى في إحالة الأبعاض على الصانع فأول الوجه واليد والأصبع والعين والقدم والصورة " (٢) .

ثم يجهز البغدادي علي كل قول يخالف استدلاله وأصحابه على حدوث الأجسام فقال : " وكل قول لا يصح معه الاستدلال على حدوث الأجسام وعلى حدوث الجواهر فهو فاسد " (٣) .

---

١ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ٧٦ - ٨٠ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٦ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٥٨ .

تأويل البغدادي للصفات الخبرية

لعل البغدادي من أوائل الأشاعرة الذين ابتكروا مبدأ التأويل في صفات الله سبحانه الواردة بالسمع - خلاف ما أثبته الباقلاني والأشعري من قبل - وذلك استسلاماً لتلك المقدمات التي بثها في أصول الدين عنده وقوله : " لا نثبت لله عز وجل من الصفات القائمة بذاته إلا ما دل عليه فعله أو كان في رفعه إثبات نقص له أو ما كان شرطاً في صفة له "(١) .

وهي الصفات الأزلية عندهم وهي القدرة والعلم والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام أما ما عداها مما ورد به السمع فمحلها التأويل أو التحويل إلى الصفات الأزلية السابقة ويمكن إيراد تلك الصفات الخبرية التي طالها التأويل عند البغدادي فيما يلي :

أولا : صفتا الوجه والعين :

لقد أوّل البغدادي صفتي الوجه والعين فقال : مسألة في تأويل الوجه والعين من صفاته . . وزعم بعض الصفاتيه أن الوجه والعين المضافين إلى الله تعالى صفات له .

والصحيح عندنا أن وجهه ذاته وعينه رؤيته للأشياء .

وقوله : ﴿ ويبقى وجه ربك . . ﴾(٢) معناه ويبقى ربك ولذلك قال ذو الجلال والإكرام بالرفع لأنه نعت الوجه ولو أراد الإضافة لقال ذي الجلال والإكرام بالخفض .

وقوله : ﴿ولتصنع على عيني ﴾ (٣) أي على رؤية مني ، وقوله في

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٨ .
٢ - الرحمن آية ٢٧ .
٣ - طه آية ٣٩

سفينة نوح ﴿ تجري باعيننا ﴾ (١) أراد بها العيون التي جرت بها السفينة من الماء لأنه قال: "ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر*وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر" (١) فجرت السفينة بتلك العيون المفجرة" (٢) .

ثانياً : صفة اليد :

وقال البغدادي : "مسألة في تأويل اليد المضافة إلى الله تعالى . . وزعم بعض أصحابنا أن اليدين صفتان لله سبحانه وتعالى وقال القلانسي هما صفة واحدة وتأولهما بعض أصحابنا على معنى القدرة وهذا التأويل صحيح على المذهب إذ أثبتنا لله القدرة وبها خلق كل شيء" (٣) .

ولا شك أنه مع أصحابه في خلاف فإنه لم يقل أصحابنا بل قال بعض أصحابنا ثم وصف من أثبت منهم هذه الصفات بأن قولهم هذا زعم وفي اللغة ما يثبت استصغار قولهم وتضعيفه بل وغمزهم . وهو هنا يصف اليد بأنها مضافة إلى الله خلاف العين والوجه ، وقال : " واليد المضافة إلى الله تعالى صفة خاصة له وقدرة له بها فعله " (٤) .

ثالثاً : الإستواء والعلو :

لقد بين البغدادي هنا أن أصحابه قد أختلفوا فأورد أقوالهم ثم بين الصحيح عنده قوله : " والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك كأنه أراد أن الملك ما أستوى لأحد غيره – ثم استدل باللغة فقال – وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب ثل عرش فلان إذا ذهب ملكه .

١ – سورة القمر آيه ١٤ ، وآية ١١ و١٢ .
٢ – أصول الدين للبغدادي ص ١٠٩ ، ١١٠ .
٣ – أصول الدين للبغدادي ص ١١٠ ، ١١١ .
٤ – أصول الدين للبغدادي ص ٧٦ .

ثم أستدل بالشعر العربي في قول الشاعر :

**عـروش تفانـوا بعد عز وأمـــة		هـــووا بعدما نالوا السلامة والبقـا**

وآراد بالعرش الملك والسلطان . . ثم قال : " فصح بهذا تأويل العرش على الملك في آية الاستواء على ما بيناه والله الموفق للصواب" (١) .

رابعاً : صفة القدم : لقد أوّل البغدادي صفة القدم لله فقال :"وأما الجبار الذي يضع قدمه في النار فهو الذي قال الله فيه جبار عنيد من ورائه جهنم" (٢) .

خامساً: صفة أصبع الرحمن : قال البغدادي " والأصبع المذكورة في الخبر بمعنى النعمة . وقلب المؤمن بين نعمتي الخوف والرجاء " (٣) .

سادساً : الجبار : قال البغدادي " وكذلك ماورى أن الجبار يضع قدمه في النار صحيح وتأويله محمول على الجبار المذكور في قوله تعالى وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ومثل هذا كثير " (٤) .*

سابعاً: "ومثل هذا كثير " (٥) وهذا دليل على ماذهب إليه البغدادي في استباحة تأويل صفات الله الثابتة له سبحانه مما ورد في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ بما ثبت في الصحيح من سنته .

ثامناً : صفة النور : " فليس الإلٰه جسماً ذا شعاع وإنما وصفناه بأنه نور السموات والأرض على معنى منورهما " (٦) .

١- أصول الدين للبغدادي ص ١١٤ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٦ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٦ .
٤ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٦ *وأنظر البحث ص ٩٢ ، ٢٤٤ .
٥ - أصول الدين للبغدادي ص ٢٣
٦ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٨ .

والبغدادي لم يصف الله كما يقول هنا ولكن الله تعالى هو من وصف نفسه سبحانه ولكن عقول المتكلمين تسخّر كلام الله سبحانه لمطية التأويل القائم على دليل الحدوث عندهم .

تاسعاً: صفة الفرح : قال البغدادي وأما الفرح فعلى ثلاثة أوجه :

أحدها : السرور الذي ذكروه .

والثاني : البطر . . وهذان الوجهان لا يليقان بالله عز وجل .

والثالث : الفرح بمعنى الرضا . . وهذ ا معنى الفرح المضاف إلى الله في توبة عبده"(١) .

عاشراً: صفة الضحك " " والضحك المضاف إلى الله على معنى الإبانة والإظهار ، من قولهم هذا طريق ضاحك إذا كان بيناً واضحاً " (٢) .

حادي عشر : صفة الرحمة والغضب والمحبة والرضا .

إن هذه الصفات الخبرية التي وردت في الخبر الصحيح قد أوّلها البغدادي إلى معني الإرادة فقال : " والرحمة عندنا إرادة الأنعام .

والغضب إرادة العقاب . والمحبة والرضا إرادة الخير بالمحبوب والمرضي فهذا كله داخل في معنى الإرادة " (٣) .

الثاني عشر : صفة المجيء : لقد قلب البغدادي حرف الجر في باء وذلك في

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٨٠ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٨٠ .
٣ - أصول الدين للبغدادي ص ٤٦ .

قولـــه تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ (١) .

فقال : " أي بظلل من الغمام " (٢) فصفة المجيء خاصة بالغمام وليست لله كما ذكر هو بنفسه سبحانه ولكنه سلاح التأويل ! ، وتمام الآية رد عليهم وخزلان لهم

الثالث عشر : صفة الصورة : قال البغدادي : " وأما قوله أتاني ربي في أحسن صورة فمعناه أن صح الخبر أنه أتاني أحسن صورة ويكون في بمعنى البا . . ويكون فائدته أن الله عز وجل أتاه بأحسن الملائكة أو الأنبياء عليهم السلام صورة فأراه إياه " ثم قال : " والمراد بالصورة في الخبر الرابع بمعنى الصفة ومعناها أن الله عز وجل يتجلى في القيامة للمؤمنين في صفته التي يختص بها فيراه عليها المؤمنون وصفته أنه قديم ليس له حد ولا نهاية "(٣) ورحم الله أبن سبكتكين حينما خاطب ابن فورك الأشعري الذي قال مثل هذا القول فقال له إبن سبكتكين " إنك تعبد عدما "(٤).

وأخيراً فقد ذكر البغدادي في كتابه شرح أسماء الله الحسنى قوله : " فأما الأخبار والآيات التي فيها ذكر بعض الأعضاء والجوارح فقد تأولناها في كتابنا الموضوع لتأويل الآيات والأخبار المتشابهة (٥). وهذا يقتضي أموراً نذكرها وهي :

أولاً : إن البغدادي وأصحابه قد شبّهوا الله ثم مثّلوا له أمثالاً فقد شبهوه تعالى بالمخلوق ثم مثلوا صفاته اللائقة بجلاله بأعضاء المخلوق وجوارحه ! وتعالى الله عن ذلك .

---

١ - سورة القرة آيه ٢١٠ .
٢ - شرح أسماء الله الحسنى للبغدادي مخطوط لوحه ٢٣٧ .
٣- شرح أسماء الله الحسنى للبغدادي مخطوط لوحه ٢٣٧ .
٤ - أنظر بيان تلبيس الجهميه لشيخ الإسلام جـ٢ ص ٣٣٢ .
٥ - شرح أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحه ٢٣٧ .

ثانياً : أن الله سبحانه قد خاطب نبيه ﷺ ومعه صالح المؤمنين ثم القرون المفضلة من بعدهم فما ردوا خبراً ولا أشتبه عليهم قولاً وما عرفوا طاغوت التأويل ولا خاضوا في أقوال من زاغت قلوبهم وأنحرفت بصائرهم وعقولهم .

ثالثاً : أن الله سبحانه وتعالى أصبح معطلاً عن صفاته العلى وذلك بتحكم من أصحاب العقول والنهى ! فأثبتوا في آخر الأمر ذاتاً مجردة وما أثبتوه من صفات فهي معنوية بل وجردوا تلك الصفات السبع المعنو ية عما تقتضيه من الكمال اللائق برب العزة والجلال .

رابعاً : لقد سبق البغدادي أقرانه وأصحابه الأشاعرة بتأليف مثل هذا الكتاب الذي نرجو من الله ألا يرى النور ففي تحقيقه والعثور عليه بلواء لا يعلمها إلا الله سبحانه .

خامساً : أن الله سبحانه يعلم ما أشكل على أمته فقد نسخ أحكاماً ورفع تكاليف تشق على الأمة والله أرحم بعباده من عقول أولئك المتكلمين وتخرصاتهم وقد خاطب الأمة بلسان عربي مبين فلو علم ما يثقل عليهم من القول لبينه لنبيه ﷺ غير أن الخضوع لمقدمات الدليل عندهم والعُجمة أوجبا عليهم هذا السبيل .

وحيث أن البغدادي كأصحابه الذين جردوا أسماء الله عن دلالتها على صفاته في الغالب لأنهم لا يثبتون إلا تلك الصفات السبع الأزلية عندهم ؛ فإنه أوّل ثم حوّل وقاس ما بقي على معاني تلك الصفات السبع عندهم فقال : " مسألة في بيان أسمائه الدالة على صفاته الأزلية .

والقوي في أسمائه بمعنى القادر .

والخبير والشهيد والمحصي بمعنى العليم .

والأول والآخر بمعنى الباقي عند أكثر أصحابنا .

الودود والحليم والصبور راجع إلى معنى إرادته للإنعام .

والواعد والموعد والصادق والذاكر راجع إلى معنى كلامه الأزلي .

وقس على هذا ما جرى مجراه " (١) .

هذا وقد تقدم في مبحث الأحكام العامه للصفات عند البغدادي أن صفات الأفعال ليست صفات أزلية لله تعالي " (٢) وإنما هي أوصاف له وبهذا ينتهي القول في مبحث الصفات عند البغدادي بأنه قد تعامل من منطلق أربعة محاور :

المحور الأول : إثبات سبع صفات أزليةكأصحابه وسموها معنويه مجرده عن لوازمها ولم يشكل عليهم إثبات الصفات الذاتيه بأنه شئ وموجود وغيرها لأن خصومهم المعتزلة قالوا بذلك أيضاً بل وكل الفرق المخالفة .

المحور الثاني : تأويل الصفات الدالة عند البغدادي على شبهة تتعارض مع دليل الحدوث كالعين والإستواء والنزول واليد وغيرها .

المحور الثالث : إن الله سبحانه لا يوصف بصفات الأفعال في الأزل فالله عندهم معطل عن أفعاله في الأزل !؟

المحور الرابع : تحويل ما تبقى من أسماءالله الدالة على صفاته الى الصفات الأزلية كما ورد آنفاً وذلك باستخدام القياس لقوله " وقس على هذا ما جرى مجراه " (٣) .

فهل أثبت البغدادي وأصحابه إلا ذاتاً مجردة عن صفات الكمال لله تعالى ؟! . والجواب نعم وذلك ظاهر في ردود علماء أهل السنه والجماعه في المبحث القادم .

---

١ - أصول الدين للبغدادي ص ١٢٤ .

٢ - الفرق ين الفرق للبغدادي ص ٣٣٨ .

٣ - المصدر السابق ص ١٢٤

المبحث الخامس

نقد عقيدة البغدادي في الأسماء والصفات

حينما اعتمد البغدادي كأصحابه دليل حدوث الأجسام لإثبات وجودالله تعالى معرضاً عن الفطرة وما جاء به نبي الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام من أخبار الحق واليقين من رب العالمين ؛ فإنه والحال هذه قد التزم بقانون سبق به الرازي وغيره وهو قانون " الشبهة في المتواتر تجعله لا يفيد علماً " (١) ثم مآل ذلك المتواتر التأويل عند البغدادي ويالهول المصاب فقد نصب قانون الشبهة وسلاح التأويل على أعظم توحيد يليق برب العبيد ذلك هو توحيد الأسماء والصفات فأخذ ذلك السلاح مستعيناً بذاك التشريع البشري يعبث بما يليق بالله سبحانه وتعالى من الأسماء الحسنى والصفات العلى .

فكيف نتعرف على المُرسِل ونتجاهل الرسول؟." فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل معه الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما أختلف فيه ، وأمر الناس أن يردوا ماتنازعوا فيه في أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة ، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم ، و أتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره : أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله ، والعلم به ملتبساً مشتبهاً ، ولم يميزه بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلا وما يحوز عليه وما يمتنع عليه . فإن معرفه هذا أصل الدين وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب ، و أدركته العقول ، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحكِموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً " (٢). ولما كان الكلام في هذا

١ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ٢٢ ، ١٢ ، ٢٤ .

٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ٥ ص ٦ .

الباب نفياً وإثباتاً موقوفاً على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره ، فأسعد الناس بالصواب فيه . من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين ، ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوكين ، وتشكيكات المشككين ، وتكلفات المتنطعين وأستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين ، فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفت وشفت وجمعت وفرقت وأوضحت وبينت وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن .

ثم تلاه أصحابه من بعده على نهجه المستقيم . . ثم سلك آثارهم التابعون لهم بإحسان ، فاقتفوا طريقتهم ، وركبوا منهاجهم ، وأهتدوا بهداهم ، ودعوا إلى ما دعوا إليه ومضوا على ما كانوا عليه " (١) .

ويقول شيخ الإسلام : " والكلام في تفسير اسماء الله وصفاته وكلامه فيه من الغث السمين مالا يحصيه إلا رب العالمين ، وانما الشأن في الحق والعلم والدين " (٢) .

وسنبدأ بالكلام في نقد اعتقاد البغدادي في الأسماء :

نقد عقيدة أسماء الله عند البغدادي :

حيث أن البغدادي أثبت الأسماء لله تعالى وأنها توقيفية وأن الأثر الوارد بإحصاء عددها لم ينضبط فهذه الأمور تحسب له عملاً صالحاً عند الله إن شاء سبحانه .

غير أن هنا أموراً يجب التنبيه عليها والتحذير منها :

أولاً : قوله " أن الأسم هو المسمى وأن أسماء الله عبارة عن تسميات له فإن سألونا عن قوله : ولله الأسماء الحسنى فالمراد بها تسميات لأن العدد يقع عليها لا على المسمى الواحد " (٣) .

---

١ - شفاء العليل لابن قيم الجوزيه دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ ص ٤ .

٢ - فتاوي شيخ الإسلام جـ٦ ص ٣٨٨ .

٣ - أصول الدين للبغدادي ص ١١٥ .

وقد رد علماء أهل السنة والجماعة على هذه الأقوال المبتدعة " وذكروا أن القول في الأسم والمسمى من الحماقات المبتدعه التي لا يعرف فيها قول لأحد من الأئمة وأن حسب الإنسان أن ينتهي إلى قوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ وهذا هو القول بان الأسم للمسمى وهذا الاطلاق إختيار أكثر المنتسبين إلي السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره " (١) .

ثم يوضح شارح الطحاوية غلط الناس في هذا الإصطلاح فيقول : " وطالما غلط كثير من الناس في ذلك ، وجهلوا الصواب فيه : فالإسم يراد به المسمي تارة ، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى . فإذا قلت قال الله كذا ، أو سمع الله لمن حمده ، ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه ، وإذا قلت : الله اسم عربي ، والرحمن أُسم عربي والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالإسم هاهنا هو المراد لا المسمى " (٢) .

ثانياً : لقد أورد البغدادي أسماء لم ترد بالنص مثل الصانع والموجود والشيء والقديم وقد ناقش شيخ الإسلام الخلاف حول هذا ثم قال : " والصواب القول الثالث : وهو أن يفرق بين أن يدعي بالأسماء الحسنى أو يخبر بها عنه ، فإذا دعي لم يدع إلا بالأسماء الحسنى . . وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة ، فإذا احتيج في تفهيم المراد إلي أن يترجم اسماؤه بغير العربية ، أو يعبر باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرماً " (٣) . " وأما إذا أحتيج إلي الإخبار عنه مثل أن يقال : ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ، ونحو ذلك فقيل في تحقيق الإثبات : بل هو سبحانه قديم ، موجود ، وهو ذات قائمة بنفسها ،

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٦ ص ١٨٧ .

٢ - العقيدة الطحاوية تحقيق شعيب الأرناؤوط دار البيان دمشق ط الأولى سنة ١٤٠١هـ ص ٧٢ .

٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح مطابع المجد التجارية جـ٣ ص ٢٠٣ .

أو قيل : " ليس بشئ" فقيل : بل هو شئ ، فهذا سائغ وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل ياشئ " (١) .

ثالثاً : التفريق بين الأسماء عند البغدادي وأصحابه ووصف بعضها بأنها أزلي والبعض الآخر بما ليس كذلك قوله : " وكل ما كان مشتقاً له من فعل فليس من أسمائه الأزلية " (٢) .

وهذا قول مردود بما قاله الطحاوي رحمه الله:"ليس بعد خلق الخلق استفاد أسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري ، له معنى الربوبيّة ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الأسم قبل إحيائهم ، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم " (٣) .

رابعاً : وسمى البغدادي ربه بأنه مريد وسامع وباصر ومتكلم وهذه الأسماء لم ترد نصا وقد قال هو بالتوقيف في اطلاق اسماء الله ومعناها حق " ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها ، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها ، والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح " (٤) .

خامساً : لقد شرح البغدادي أسماء الله الحسنى في كتاب مخطوط " لدى الباحث نسخة منه " فأكثر من تلك التقسيمات مما لا طائل تحته وصبغه بعقيدته الأشعريّة في الوحدانية وحلول الحوادث والتأويل في أسماء الله الحسنى +

---

١ - مجموع الفتاوى جـ٦ ص ٣٠١ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١١٨ .
٣ - عقيدة الموحدين والرد على الضلال والمبتدعين للشيخ عبدالله سعدالعبدلي تقديم سماحة الشيخ بن باز دار الهجرة ط الأولى سنة ١٤١١هـ ص ٣٧ .
٤ - العقيدة الأصفهانية تحقيق حسنين مخلوف دارالكتب الإسلامية القاهرة ص ٥ .

كالعلي والحكيم والنور مما تقدم في العرض وكذلك الرحمن الرحيم " فإنها راجعة إلى إرادة الانعام " (١) .

وقد أضفى مباحث في الإيمان وأنه التصديق ومباحث أخرى في الجوهر الفرد والفرق ثم ختمها بقوله " وجود الكلام لا يقتضي بنية مخصوصة عند أصحابه ويجوز عندهم وجوده في الجزء الواحد المنفرد وكذلك يصح عندنا وجود كل جنس من الأعراض في الجزء المنفرد "(٢) .

والمنصف يتساءل عن علاقة هذا القول بشرح اسماء الله الحسنى غير أنها لوثة أصحاب علم الكلام وهذيانهم الدائب باحترام هذا الجوهر الفرد .

كما أن البغدادي قد أورد بحوثاً في اللغة حول شرح أسماء الله والمتتبع لهذا المؤلَّف وتلك الشروح لا يخرج منها بخشوعٍ ولا تدبرٍ ذلك أنه لا يربط القارئ بعظمة الله ورحمته و ألوهيته ومراقبته ورهبته بعد تفريغ أسماء الله الحسنى وصفاته العلى من معانيها اللازمة لها وتأويلها وتجميدها ثم صرفها عن معانيها الظاهرة للقارئ والسامع وهذا عبث ومخالفة للمراد من رب العباد وهكذا فهم علماء أهل السنة والجماعة فقال الشيخ أبن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة: " والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها وهذا مطّرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرر والنفع والعطاء والمنع والخلق

١- شرح أسماء الله الحسنى للبغدادي لوحه ١٤٨ .

٢ - شرح أسماء الله الحسني للبغدادي لوحه ٣٠٠ .

والرزق والإحياء والإماته يثمرله عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر و أخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور أثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والإستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبادة فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات " (١) .

وهكذا كان الفرق بين هؤلاء وأولئك في فهم أسماء الله وصفاته وأمتثال أمر الله وأمر رسوله ﷺ وهو فرق جد خطير فهؤلاء علماء السلف علموا أن الألوهية هي إفراد الله بالعبادة والإخلاص له والبعد عن الشرك بينما أولئك المتكلمون اعتقدوها القدرة على الإختراع والخلق وشتان بين مشرق ومغرب وبين حائر متهوك ومتثبت مطمئن قلبه بالإيمان .

سادساً : التأويل لإسماء الله الحسنى عند البغدادي :

تبين مما تقدم في عرض تأويل أسماء الله عند البغدادي تأويله لصفة وأسم القوي والخبير والشهيد والمحصي والأول والآخر والودود والحليم فأما العلي

---

١ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم دار الكتب العلمية بيروت جـ ٢ ص ٩٠ .

فقد أوله بعلو الشأن ، والنور بأنه منور السموات والأرض ، وأما الحكيم فهو بمعنى العليم أو بمعنى اتقان الفعل ، أما الأسماء الأخرى فقد قاسها على الأسماء الأزلية السبع عنده " (١) .

والصحيح من القول أن " أسماؤه الحسنى أعلام وأوصاف ، فالوصف فيها لا ينافي العلمية ، وهذا بخلاف أوصاف العباد ، ثم إن الإسم من اسمائه له دلالات : دلالة على الذات ، والصفة بالمطابقة ودلالة على احداهما بالتضمن ، ودلالة على الصفة الآخرى باللزوم ولاسمائه الحسنى اعتباران : أحداهما : من حيث الذات . والثاني : من حيث الصفات ، فهي بالإعتبار الأول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة " (٢) .

وأما معاني تلك الأسماء فقد وردت في كتب التفسير بالمأثور كتفسير أبن كثير رحمه الله لا كتب تفسير أهل الرأي والمعقول .

---

١ - أنظر البحث مبحث تأويل أسماء الله عند البغدادي ص ٢٣٢ .

٢ - الكافية الشافية لابن القيم تحقيق زهير الشاويش تأليف أحمد بن أبراهيم بن عيسى المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦ جـ٢ ص ٢١٧ .

نقد إعتقاد البغدادي في الصفات

أخذ البغدادي على نفسه كأصحابه موثقاً بأن لا يثبت لله عز وجل من الصفات القائمة بذاته " إلا ما دل عليه فعله أو كان في رفعه اثبات نقص له أو ما كان شرطاً في صفة له " (١)

فكانت صفات المعاني عندهم سبعاً أثبتوها بالعقل وجاءت في السمع لكن حظ العقول عندهم أقوى في فهم وقبول تلك الصفات المعنوية فسموها أزلية قديمة وجُردت عن معانيها الصحيحة وأعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ.

أما ما ورد به السمع غير تلك الصفات المعنوية وأوهمتهم تشبيهاً فقد كان حظها التأويل عند البغدادي الذي فاق أصحابه في هذا الشأن، أما صفات الأفعال فليست بأزلية عنده أي أن الله كان سبحانه عن ذلك - معطلاً ، ثم أنها مفعولة لله فلا يتجدد بها صفة له ، وسيتم مناقشة ونقد هذا القول في مبحث خاص بأفعال الله أما صفات المعاني والصفات الخبرية فسيتم نقد عقيدة البغدادي فيهما في هذا المبحث بإذن الله .

صفات المعاني

أثبت البغدادي فيما تقدم سبع صفات وهي معنى قائم بالنفس عنده وأسماها أزلية قديمة دلت عليها العقول والتزم ألا يثبت هو وأصحابه إلا هي كما تقدم فيما سبق " (٢) .

وإذا كانت العقول قد دلت عليها فإن السمع قد جاء بها ولا إعتراض لأهل السنة على قولهم إنها تعلم بالعقول غير ان حصرها في ذلك وعدم تلقي السمع بالقبول ، ثم تجريدها عن معانيها في صفات الكمال لله تعالى ؛ أوجب رد أقوالهم .

١ - أصول الدين للبغدادي ص ٧٨.
٢ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ٢٤ ، ٧٨ .

" وبالجملة فالسمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد، فكل ما ضاد ذلك فالسمع ينفيه ، كماينفي عنه المثل والكفؤ فإن إثبات الشئ نفي لضده ولما يستلزم ضده والعقل يعرف نفي ذلك ، كما يعرف اثبات ضده ، فإثبات أحد الضدين نفي للآخر ولما يستلزمه فطرق العلم بنفي ما ينزه الرب عنه متسعة ، لا يحتاج فيها إلى الاقتصار على مجرد نفي التشبيه والتجسيم كما فعله أهل القصور والتقصير ، الذين تناقضوا في ذلك وفرقوا بين المتماثلين ، حتى إن كل من أثبت شيئاً أحتج عليه من نفاه بأنه يستلزم التشبيه " (١) .

كما " ان وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفاً على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها ، فإن مما يعلم بالإضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشئ من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا "(٢). " وكثير من أهل الكلام يسمى هذه الأصول العقلية لإعتقاده انها لا تعلم إلا بالعقل فقط ، فإن السمع هو مجرد إخبار الصادق وخبر الصادق - الذي هو النبي - لا يعلم صدقه إلا بعد العلم بهذه الأصول بالعقل "(٣) .

أما قولهم بأنها صفات أزلية : فهذا يصح على صفة واحدة وهي حياته سبحانه وتعالى الحي القيوم . أما بقية صفاته فإنه قد أخبر سبحانه أنه يفعل ما يريد وانه يرى مخلوقاته ويطلع على ما في الصدور ويسمع شكوى المظلومين وانه كلم موسى عليه السلام وعيسى وآدم ونبينا محمد ﷺ وقد خلطوا بين حدوث الأفعال للخلق وبين صفات الكمال للخالق وفاءً لدليل الحدوث الذي عرفوا به الله عندهم !.

١ - التدمرية لشيخ الإسلام تحقيق محمد السعوي الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ص ٦٩ ، ٧٠ .
٢ - سشرح العقيدة الأصفهانية تحقيق حسنين مخلوف دار الكتب الإسلامية القاهرة ص ١٢ .
٣ - التدمرية ص ١٤٧ .

" وحلول الحوادث بالرب تعالى ، والمنفي في علم الكلام المذموم لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة ، وفيه إجمال فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شئ من مخلوقاته المحدثة ، أولا يحدث له وصف متجدد لم يكن فهذا نفي صحيح .

وإن أريد به نفي الصفات الإختياريه من أنه لا يفعل ما يريد ولا يتكلم بما شاء إذا شاء ، ولا يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والإستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفي باطل .

وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث فيسلّم السني للمتكلم ذلك ، على ظن أنه نفى عنه سبحانه مالا يليق بجلاله فإذا سلّم له هذاالنفي ، الزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل ، وهو غير لازم له ، وإنما أُتي السني من تسليم هذا النفي المجمل ، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه " (١) .

أما التقدير

فقد جاء الخبر عن التقدير في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : " قدّر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشة على الماء " (٢) .

والصادق المصدوق يخبرنا وما ينطق عن الهوى بأ ن التقدير قد تم بعد خلق العرش والماء فتقديره متجدد سبحانه وهو على كل شئ قدير مع اثبات أنها صفة أزلية أيضاً وهذا من تمام الكمال لله والتوحيد له بأسمائه الحسنى وصفاته العلى .

---

١ - شرح العقيده الطحاويه تحقيق شعيب الأرنؤط ط ص ٦٩ ، ٧٠ .
٢ - صحيح مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم موسى مكتبة الرياض الحديثه جـ ١٦ ص ٢٠٣ .

وأما الإرادة :

فإن " الأشاعرة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلقت في الأزل بكل المرادات ، فيلزمهم تخلف المراد عن الإرادة .

وأما أهل الحق ، فيقولون : " إن الإرادة على نوعين :

١ - إرادة كونية ترادفها المشيئة ، وهما تتعلقان بكل مايشاء الله فعله وإحداثه فهو سبحانه إذا أراد شيئاً شاءه ، كان عقب إرادته له كما قال تعالى : " انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" (١) .

٢ - وإرادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه وهي المذكورة في مثل قوله تعالي : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٢) .

ولا تلازم بين الإرادتين بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى فبينهما عموم وخصوص من وجه .

فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسد والإ رادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعاً كان أو غير واقع وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به ، والحاصل إن الإرادتين قد تجتمعان معاً في مثل إيمان المؤمن وطاعة المطيع .

وتنفرد الكونيه في مثل كفر الكافر ومعصية العاصي .

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر وطاعة العاصي " (٣) .

---

١ - سورة يس آية ٨٢ .

٢ - سورة البقره آية ١٨٥ .

٢ - شرح العقيده الواسطية للعلامة محمد الهراس ضبط علوي السقاف دار الهجرة الرياض الأولى سنة ١٤١١ص ٨٥ .

وقد ذكر شيخ الإسلام اَعتقاد الأشاعرة في الإرادة وأُنها " قديمة أزلية واحدة وانما يتجدد تعلقها بالمراد ونسبتها إلى الجميع واحدة .

- ثم رد عليهم وبين قول أهل الحق - أنه لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة ، فنوع الإرادة قديم ، وإما إرادة الشئ المعني فإنما يريده في وقته وهو سبحانه يقدر الأشياء ويكتبها ثم بعد ذلك يخلقها ، فهو إذا قدرها علم ما سيفعله ، واراد فعله في وقته المستقبل " (١) .

ويبين رحمه الله ذلك التعلق بالمراد عندهم وانه عدماً عند التحقيق فيقول :
" هذا التعلق إما أن يكون وجوداً وإما ان يكون عدماً ، فإن كان عدماً فلم يتجدد شئ ، فإن العدم لاشئ وإن كان وجوداً بطل قولهم"(٢) .

السمع والبصر :

وحيث أثبتهما البغدادي إدراكاً من نوع الإنكشاف والتجلي كأصحابه فإن الله إذا خلق العباد " وعملوا وقالوا ، فإما أن نقول أنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم ؛ وإما لا يرى ولا يسمع فإن نفى ذلك فهو تعطيل لهاتين الصفتين وتكذيب للقرآن ، وهما صفتا كمال لا نقص فيه ، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولايبصر .

وانما القصود هنا إنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت ؛ فإما أن يقال : إنه تجدد، أو كان لا يسمعها ولا يبصرها فهو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها .

وإن تجدد شئ : فأما أن يكون وجوداً أو عدماً ؛ فإن كان عدماً فلم يتجدد شئ ،

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ١٦ أنظر ص ٣٠١ - ٣٠٣ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ١٦ أنظر ص ٢٢٩ .

وإن كان وجوداً : فاما ان يكون قائماً بذات الله ، أو قائماً بذات غيره ، والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى ، فيتعين أن ذلك السمع والر ؤية الموجودين قائم بذات الله وهذا لا حيلة فيه " (١) .

" وقد دل الكتاب والسنة وإتفاق سلف الأمة ودلائل العقول على أنه سميع بصير . والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم ، فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه ، وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم كما قال تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ﴾ أي تشتكي إليه وهو يسمع التحاور - والتحاور تراجع الكلام بينهما وبين رسول الله ﷺ * " (٢) .

صفة الكلام :

وقد أثبت البغدادي لله سبحانه كلاماً أزلياً ليس بمحدث وأنه أمر ونهي وخبر ووعد وعيد وأنه لا ينسخ وقراءته بالعربية قرآن وبالسريانية أنجيل وبالعبرية توراة ، وأنه معنى واحد ، وهذا خلاف قول واعتقاد أهل السنة والجماعة " السلف " فانه " قد اشتهر بين علماء الأمة وعامتها أن حقيقة قول هؤلاء : ان القرآن ليس كلام الله ، وهو كما اشتهر بين الأمة وذلك أنهم يصرحون بأن حروف القرآن لم يتكلم الله بها بحال ، فهذا إقرار منهم بأن نصف مسمى القرآن وهو لفظه ونظمه وحروفه ، لم يتكلم الله بها ، فلا يكون كلامه . وإن كان قد قال بعض متأخريهم إنها تسمى كلاماً حقيقة فهم بين أمرين :

إن أقروا بأنها كلام الله حقيقة مع كونها مخلوقة في غيره بطل أصلهم الذي أفسدوا به قول المعتزلة : إن الكلام إذا قام بمحل كان لذلك المحل ، لا لمن أحدثه .

---

١ - فتاوي شيخ الإسلام جـ٦ ص ٢٢٨ .
٢ - الرد على المنطقيين إدارة السنه لاهور الطبعه الرابعه سنة ١٤٠٢ هـ ص ٤٦٥ . * سورة المجادلة آية ١ .

وأما المعاني فإنهم يزعمون أن ليس كلام الله إلا معنى واحد هو الأمر بكل شئ والنهي عن كل شئ ، والخبر عن كل شئ وهذا معلوم بالضرورة فساده وبعد تصوره ، وهو مستلزم لان تكون معاني القرآن ليست كلام الله أيضاً ، إذا كان هذا الذي أدعوه لا يجوز أن يكو ن له حقيقة ، فضلاً عن أن يكون صفة لموصوف أو يكون كلاماً، فتبين أن الله لم يتكلم عندهم بالقرآن لا بحروفه ولا بمعانيه ؛ وهذا أمر قاطع لا مندوحة لهم عنه ، وينضمّ إليه أيضاً أن القرآن المنزل حروفه ومعانيه هم يصرحون أيضاً بأنها ليست كلام الله "(١) .

" ومن قال إن القرآن العربي لم يتكلم الله به وانما هو كلام جبريل أو غيره عبر به عن المعنى القائم بذات الله ، كما يقول ذلك ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما فهو قول باطل من وجوه كثيرة .

فإن هؤلاء يقولون : إنه معنى واحد قائم بالذات ، وأن معنى التوارة والإنجيل والقرآن واحد ، وانه لا يتعدد ولا يتبعض ، وأنه إن عبر عنه بالعربية كان قراناً ، وبالعبرانية كان توراة ، وبالسريانية كان أنجيلاً ، فيجعلون معنى آية الكرسي وآية الدين و ﴿ قل هو الله أحد ﴾(٢) ﴿تبت يد أبي لهب﴾*، والتوراة والإنجيل وغيرهما معنى واحداً ، وهذا قول فاسد بالعقل والشرع .

والله تكلم بالقرآن بحروفة ومعانيه بصوت نفسه ، ونادى موسى بصوت نفسه ، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف وصو ت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته ؛ فإن الله ليس كمثله شئ : لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نص عليه الكتاب والسنة

١ - الفتاوى الكبرى لشيخ الإس لام دار المعرفه بيروت الطبعه الأولى سنة ١٤٠٩ جـ٥ ص ٢٣٠ ، ٢٣١
٢ - سوره الإخلاص . * سورة المسد آية ١.

من أن الله ينادي بصوت ، وان القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شئ كلاماً لغيره ، لاجبريل ولا غيره ، وان العباد يقرؤونه باصوات أنفسهم وأفعالهم ، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ والكلام كلام البارئ " (١) .

صفة العلم :

أثبت البغدادي لله علماً أزلياً ويقتضي هذا " أن لا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة هذا بناء على نفيهم لحلول الحوادث ، لأنه يلزم من ذلك التغيير في ذات الله . وتسميته ذلك تغيراً أو حلولاً لا يمنع من القول به مادام دالاً على الكمال لله تعالى من غير نقص ، وما دام أدلة الكتاب والسنة تعضده " (٢) .

« فإن القرآن قد أخبر بانه يعلم ما سيكون في غير موضع بل أبلغ من ذلك أنه قدر مقادير الخلائق كلها وكتب ذلك قبل أن يخلقها ، فقد علم ما سيخلقه علماً مفصلاً ، وكتب ذلك وأخبر بما أخبر من ذلك قبل أن يكون ، وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوه ، ثم لما خلقه علمه كائناً مع علمه الذي تقدم أنه سيكون ، فهذا هو الكمال ، وبذلك جاء القرآن في غير موضع ، بل وإثبات رؤية الرب له بعد وجوده كما قال تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ (٣). فأخبر أنه سيرى أعمالهم ..

وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون في بضعة عشر موضعاً من القرآن، مع اخباره في مواضع أكثر من ذلك أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون ، وقد أخبر في القرآن من المستقبلات التي لم تكن بعد ما شاء الله ، بل أخبر بذلك نبيه وغير نبيه

---

١ - فتاوي شيخ الاسلام جـ ١٢ أنظر ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ .

٢ - موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن بن صالح الحمود مكتبة الرشد الرياض ط أ سنة ١٤١٥هـ ص ١٥٠٦ جـ ٣ .

٣ - سورة المؤمنون آية ١٠٥ .

﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ (١) بل هو سبحانه يعلم ما كان وما يكون ، وما لو كان كيف كان يكون كما قال تعالى : ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾(٢) بل وقد يعلم بعض عباده بما شاء أن يعلمه من هذا وهذا وهذا ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ..

وبهذا يُردُّ قول البغدادي وأصحابه إنه علم أزلي واحد وإنه لا يتجدد فيه أمر من الأمور " والعلم على منزلتين علم بالشئ قبل وجوده وعلم به بعد وجوده والحكم للعلم به بعد وجوده لأنه يوجب الثواب والعقاب ، فمعنى قوله " لنعلم " أي لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب ولا ريب أنه كان عالماً سبحانه بأنه سيكون ، لكن لم يكن المعلوم قد وجد ، وهذا كقوله تعالى : ﴿قل اتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الأرض﴾ (٣) أي بما لم يوجد ، فإنه لو وجد لعلمه ، فعلمه بأنه موجود ووجوده متلازمان ، يلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر (٤) .

---

١ - سورة البقره آيه ٢٥٥ .

٢ - سورة الأنعام آيه ٢٨ .

٣ - سورة يونس آيه ١٨ .

٤ - الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام أنظر ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

نقد إعتقاد البغدادي في الصفات الخبريهْ

إن من مسلمات الدليل عند البغدادي أن خبر الآحاد لا يفيد علماً وكذلك التواتر إذا جاء فيه شبهة فإنه لا يفيد علماً ، كما أنه يجب ألا يوصف الله عنده بالأبعاض ولا بالتركيب ، ولا يكون في جهة ولا يلحقه غم ولا سرور ومعلوم أ ن تلك مصطلحات وضعها المتكلمون للتنفير من إثبات ما ورد بالسمع من صفات الكمال وإذا بحث الأمر كان المثبت منها لا يتعارض مع عقل ولا سمع أعني ذلك العقل الصريح الذي لا تطغى عليه شبهة ولا هوى ولا رقٍ لدليلٍ وضعه الواضعون والتزم به المتكلمون !.

فإن الله سبحانه وتعالى " لم يزل متصفاً بصفات الكمال : صفات الذات وصفات الفعل ، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف نفسه بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها ، لأن صفاته سبحانه صفات كمال ، وفقده صفة نقص . ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده ، ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الأختياريه ، ونحوه كالخلق والتصوير والإماته والإحياء والقبض والبسط والطي والاستواء ، والإتيان ، والمجئ والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وان كنا لا ندرك كنهه ولا حقيقته التي هي تأويله ، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، ولكن أصل معناه معلوم لنا ، كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن قوله تعالى ﴿ ثم استوى على العرش ﴾(١) وغيرها : كيف أستوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " (٢).

" ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما رواه العلماء ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول الله ﷺ ويتلقاها بالقبول ولا ترد بالمعاريض ولا يقال لم وكيف ولا تحمل على

١ - سورة يونس آيه ٣ .
٢ - شرح العقيده الطحاوية تحقيق شعيب الأنؤوط مكتبه دار البيان دمشق ص ٦٨ .

المعقول ولا تضرب لها المقاييس ولا يعمل لها التفاسير إلا ما فسره رسول الله ﷺ أو رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة مثل أحاديث الصفات والرؤية "(١)

وهذا إمام من أئمة المتكلمين هداه الله تعالى إلى إتباع السلف فقال : " إعلم أني كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل : "مسألة الصفات ومسألة الفوقية ، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها ، أو أمرارها والوقوف فيها ، أو أثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تمثيل ، فأجد النصوص في كتاب الله تعالي وسنة رسول الله ﷺ ناطقة منبئه بحقائق هذه الصفات وكذلك في إثبات العلو والفوقية وكذلك الحروف والصوت . ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الأستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزول الأمر ، ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعميتن ، ويؤول القدم بقدم الصدق عند ربهم وأمثال ذلك ، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات بلاحرف وبلاصو ت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القديم القائم !

وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين . . . وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أجدها نصوصاً تشير إلي حقائق هذه المعاني ، وأجد الرسول ﷺ قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها . . ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقيه واليدين وغيرها . . .

---

١ - الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام عبد الله بن محمد بن بطة تحقيق رضا نعسان سنة ١٤٠٤ مكتبة الفيصلية مكة المكرمة ص ٢١٣ .

إذا علمنا ذلك وأعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل ، وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستوائه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك" (١) .

والحمد لله فليس بعد الحق إلا الضلال المبين ، فهذا أحد العائدين إلى طريق الحق والوحي المُبلغ لنا من سيد الأولين والآخرين ، ذلك وهو الإمام الجويني والد إمام الحرمين وقد سبقه إلى هذا أبو الحسن الأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة فقال : "وإن الله أستوى على عرشه . . وأن له سبحانه وجهاً بلا كيف . . وأن له سبحانه يدين بلا كيف وأن له عيناً بلا كيف " (٢) ثم قال في رسالته إلى أهل الثغر " وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له ، وأن الإيمان به واجب ، وترك التكييف له لازم " (٣) . فأثبت مجئ الله ونزوله إلى السماء الدنيا وأنه يرضى ويحب ويغضب وإن كان متأثراً بسابق المذهب في صفة الرضى والحب والغضب غير أنها ضريبة ومكس وجب دفعها لطول العشرة وسابق العهد ، عفا الله عنه ورحمه *.

أما صفة العلو والإستواء التي أوّلها البغدادي وأثبتها أئمة أهل السنة والجماعة وألّفوا فيها كتباً وردوداً على أولئك ومن هؤلاء الحافظ شمس الدين الذهبي الذي ألّف" العلو للعلي الغفار " ثم أورد آيات الاستواء على العرش وآيات تدل على الصعود والرفع والعروج ثم قال : " فإن أحببت ياعبد الله الإنصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة ثم انظر ما قاله الصحابه والتابعون وائمة التفسير في هذه الآيات ، وما

---

١ - النصيحة في صفات الرب جل وعلا جمع أحمد الواسطي المكتب الإسلامي إشرف زهير الشاويش الطبعة الثانية أنظر ص ١٧٦ - ١٨١

٢ - الإبانة عن أصول الديانة للأشعري حققه بشير محمد عون مكتبة دار البيان دمشق ص ٤٤ .

٣ - رسالة إلي أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري مؤسسة علوم القرآن بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ ص ٢٣٦ .

* وانظر نفس المصدر ص ٢٣١ .

حكوه من مذاهب السلف ، فإما أن تنطق بعلم ، وإما أن تسكت بحلم ، ودع المراء والجدال ، فإن المراء في القرآن كفر ، كما نطق بذلك الحديث الصحيح ، وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية .

جمع الله قلوبنا على التقوى ، وجنبنا المراء والهوى ، فإننا على أصل صحيح وعقد متين ، من الله تقدس أسمه لا مثل له ، وأن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة "(١). كيف والعلو مطلب للكائنات وهو أحق برب السموات .

وقال شمس الدين إبن القيم " وقول المعطلة والجهمية الذين يقولون : ليس على العرش شئ سوى العدم . وإن الله ليس مستوياً على عرشه . ولا ترفع إليه الأيدي . ولا يصعد إليه الكلم الطيب ، ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام إليه ، ولا عرج برسوله محمد ﷺ ولا تعرج الملائكة والروح إليه . ولا ينزل من عنده جبريل عليه الصلاة والسلام ولا غيره .

ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم ، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم من فوقهم ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس ويقول : " اللهم أشهد " قال شيخ الإسلام : " وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسول الله وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملؤ مما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شئ ، وإنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه "(٢)،(٣).

---

١ - مختصر العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي تحقيق ناصر الدين الألباني واشراف زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الثانية سنة ١٤١٢هـ ص ٨٠ .

٢ - فتح الباري دار الفكر جـ ١٣ كتاب الفتن ص ٢٦ ؛ صحيح مسلم كتاب الحج جـ٨ ص ١٨٤ .

٣ - إجتماع الجيوش الإسلامية علي غزو المعطلة والجهمية لابن القيم تحقيق فواز زمرلي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولي سنة ١٤٠٨ ص ٨٦ .

فهذا ابن القيم رحمه الله قد جمع الجيوش الإسلامية أدلةً من كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ وكلام صحابته وتابعيه بإحسان، وعلماء الأمة السائرين علي نوره ﷺ ، فكان كتاب إجتماع الجيوش الإسلاميه لأبن القيم رداً على من أنكر علو الله وفوقيته وإستوائه على عرشه . ثم ألف رحمه الله الصواعق المرسله لكسر طواغيت القوم وما أسموه بالتأويل ، والشبه في تعارض العقل والنقل، والمجاز فقال : " إن الله تعالى أكمل للرسول ولأمته به دينه وأتم عليهم نعمة الإسلام ومحال مع هذا أن يدع ما خلق له الخلق وأرسلت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، ونصبت عليه القبله ، وأسست عليه الملة وهو باب الإيمان به ومعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، ملتبساً مشتبه حقه بباطله ، لم يتكلم فيه بما هو الحق ، بل تكلم بما هو الباطل ، والحق في إخراجه عن ظاهره ، فكيف يكون أفضل الرسل وأجل الكتب غير واف بتعريف ذلك على أتم الوجوه ، مبين له بأكمل البيان موضح له غاية الإيضاح ، مع شدة حاجة النفوس إلى معرفته وأفضل ما أكتسبته النفوس وأجل ما حصلته القلوب " (١). " فإن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين ، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين ، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين " (٢) .

نعم هذا ما أثبته الإمام الموفق أبن قدامه المقدسي وصاحب المغنى في كتابه إثبات صفات العلو ، وقد ذكر محقق الكتاب ، مجموعة من المؤلفات في هذا الموضوع لعلماء السلف . أما البغدادي وأصحابه فقد جانبوا الصواب في معرفة صفات الكمال للرب المتعال .

---

١ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم أختصره محمد الموصلي دار الندوة الجديدة بيروت سنة ١٤٠٥هـ ص ١٧ .

٢- اثبات صفة العلو لإبن قدامه المقدسي حققه الدكتور أحمد بن عطية الغامدي موسوعة علوم القرآن بيروت ط أولى سنة ١٤٠٩ ص ٦٣ وأنظر ص ٤٣

الفصل السابع
رؤية الله تعالي

إن مشاهدة المُنْعِمين والمتفضلين بعد تفضُلِهم وإنعامهم ، سنّة درج عليها الخلق فيما بينهم وذلك لأغراض هذه الدينا الفانية ، ومع ذلك فإن الله تعالى هو الذي منح المتُفضِلُ فضله وقدّر للمُنْعَم عليه رزقه ، فأحب وطمع أن يرى صاحبه فيكون أقدر على شكره ومكافأته بالدعاء لإنعامه ومكرمته وحسن تفضله .

فسبحان الله تعالى وله المثل الأعلى وقياس الأولى ، فكم حبانا من نعم طائلة في هذه الحياة الدنيا وهدانا للإسلام وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا بهدايته وتوفيقه ، ثم وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالجنة والفوز الكبيرفقال تعالى : ﴿ إن الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوزالكبير ﴾ (١). وفي هذه الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت أفلا يطمع من كان هذا حالهم برؤية مولاهم ! بلى والله إن ذلك مطمع المتسابقين وجائزة المتنافسين ، فهنيئاً لأُصحاب الجوائز جائزتهم الكبرى ولذة النظر العظمى إلي وجه خالق الأرض والسموات العلى .

كيف وقد ثبت ذلك النعيم في كتاب رب العالمين وفي سنة إمام الموحدين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وبذلك نقله إلينا من رضي الله عنهم وتقبل منهم أولئك الأصحاب البررة الذين نقلوا الخطاب وعلموه وعملوا به وأعتقدوه فهنيئاً لهم التصديق والرضى والإقتناع ولمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أولئك السلف الصالح أهل السنة والجماعة الذين أرتضوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجاً ونبراساً وطريقاً ، ولزموا جماعة الصفوة المتابعة الذين مات بينهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم وهوعنهم راض فرضي الله عنهم ونعم الطريق طريقهم والهدي هديهم .

---

١ - سورة البروج آيه ١١ .

ثم جاء أهل الكلام والعقول في عصور متأخرة عن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تأثروا بما ترجم من الفلسفة اليونانية في آخر القرن الثاني وبما أكتسبوه من أهل الملل والنحل والأديان المختلفة والوثنيات العريقة في التاريخ . وقالوا : " بل نقول بالمعقول ، قلنا ها هنا ضللتم عن سواء السبيل ووقعتم في تيه لا مخرج لكم منه لأن المعقول ليس لشئ واحد ، موصوف بحدود عند جميع الناس فيقتصروا عليه ، ولو كان كذلك كان راحة للناس ولقلنا به ، ولم نعد ، ولم يكن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (١) فوجدنا المعقول عند كل حزب ما هم عليه ، والمجهول عندهم ما خالفهم ، فوجدنا فرقكم معشر الجهمية في المعقول مختلفين ، كل فرقة منكم تدعي أن المعقول عندها ما تدعوا إليه والمجهول ما خالفها.

فحين رأينا أن المعقول أختلف منا ومنكم ، ومن جميع أهل الأهواء ولم نقف على حد بين في كل شئ رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نرد المعقولات كلها إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى المعقول عند أصحاب المستفيض بين أظهرهم لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم ، فكانوا أعلم بتأويله منا ومنكم ، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين ، لم يفترقوا فيه ، ولم يظهر فيهم البدع والأهواء الحائدة عن الطريق ، فالمعقول عندنا ما وافق هديهم ، والمجهول ما خالفهم ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار ، وقد أنسلختم منها وأنتفيتم منها بزعمكم ، فأنى تهتدون ؟ (٢).

عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله :

إن رؤية الله تعالى عند أهل السنة والجماعة قد جاء في القرآن الكريم إثباتها ، وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم تواترت أخبارها وعن الصحابة الكرام قد

---

١ - سورة المؤمنون آيه ٥٣ .

٢ - عقائد السلف جمع علي سامي النشار وعمار الطالبي - منشأة العارف بالأسكندريه سنة ١٩٧١ ص ٣٠٩ .

صحت آثارها . فحمداً لله على يسر شريعته ووضوح أنوارها" فهم يؤمنون بأن الله يتجلى لعباده في الموقف وفي الجنة من فوقهم ويخاطبهم ويسلّم عليهم ويرونه بأبصارهم كما يرون الشمس ليس دونها سحاب وهذه المعاني الثلاثة يجب الإيمان بها مجتمعة عملاً بنصوص الكتاب والسنة وهي :

أ - العلو والفوقية .

ب - صفة الكلام اللفظي .

جـ - الرؤية بالأبصار"(١) .

فهذا هو الأصل في الكلام عن الرؤية كما أخبر الدارمي رحمه الله في النص المتقدم قبل هذا ، فمن هم الذين اختلفوا في رؤية الله تعالى ؟ نعم أنهم أصحاب الكلام ومن نهج منهجهم .

مذاهب المتكلمين ومن تبعهم في رؤية الله :

أما المتكلمون فقد اختلفوا هل هي جائزة وواقعة ؟ على رأيين :

١ - فذهب الأشاعرة إلى جواز رؤية الله ، وان المؤمنين سوف يرونه في الآخرة رؤية بصرية ، مع نفي الجهة والمقابلة ! وقالوا : " إنه إدراك وراء العلم لا يقتضي تأثيراً في المدرك ولا تأثراً عنه"(٢) .

٢ - وذهب"المعتزلة ومن تبعهم إلى أن رؤية الله تعالي بالعين الأنسانية مستحيلة وممتنعة"(٣). وقال أبو الحسن الأشعري في مقالاته :"أجمعت المعتزلة على أن

---

١ - الصفات الإلهية في الكتاب والسنة تأليف محمد الجامي الطبعة الثالثة سنة ١٤١١ دار الفنون للطباعة جدة ص ٣٣٥

٢ - الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد سيد الكيلاني دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٤ جـ١ ص ١٠٠ .

٣ - رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها تأليف د . أحمد بن ناصر آل حمد مؤسسة مكة للطباعة والإعلام مطابع الندوة ص ٢٤ الطبعة الأولى سنة ١٤١١ .

الله سبحانه لا يرى بالإبصار ، واختلفت هل يرى بالقلوب فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا" (١) .

تحرير محل النزاع :

قال صاحب شرح المقاصد : " ولا نزاع للمخالفين في جواز الإنكشاف التام العلمي ولا لنا في امتناع ارتسام صورة من المرئي في العين ، أو اتصال الشعاع الخارجي من العين بالمرئي ، حالة إدراكية مستلزمة لذلك . وإنما محل النزاع أنا إذا عرفنا الشمس مثلاً بحد أو رسم كان نوعاً من المعرفة ، ثم إذا أبصرنا وغمضنا العين كان نوعاً آخر فوق الأول ، ثم أنا إذا فتحنا العين حصل نوع أخر من الإدراك فوق الأولين نسميها الرؤية لا تعلق في الدنيا إلا بما هو في جهة ومكان فمثل هذه الحالة الإدراكية هل تصح أن تقع بدون المقابلة والجهة ؟ وان تتعلق بذات الله تعالى منزهاً عن الجهة والمكان ؟ (٢) .

إن هذا التساؤل من التفتازاني في تحريره هو ما سيجيب عنه هو وبعض متأخري أصحابه الذين أثبتوا أن الخلاف بينهم وبين المعتزلة إنما هو خلاف لفظي ، وذلك بعد عرض مذهب البغدادي في رؤية الله وأدلته على ذلك ومتابعته لأصحابه في تلك الأدلة والنتائج .

١ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري صححه هلموت ريتر الطبعة الثالثة دار النشر فرانزستايز سنة ١٤٠٠هـ ص ٢١١ جمعية المستشرقين الألمانية . .

٣ - شرح المقاصد للتفتازاني تحقيق د . عبد الرحمن عميره تصدير صالح موسى عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ جـ ٤ ص ١٨١ .

المبحث الأول

رؤية الله تعالى عند البغداي .

دليل البغدادي لإثبات رؤية الله :

لقد استدل البغدادي بدليل عقلي وآخر نقلي وذلك لإثبات الرؤية لله تعالى :

أما الدليل العقلي : فقد استدل فيه برؤية الأعراض والجواهر والأجسام والحوادث من المشاهدات وعلم أن رؤية كل منها لم يقم على وصفه الخاص به بدليل رؤية كل من تلك المشاهدات غنياً عن الآخر وغير مرتبط به ، وهذا دليل على أن هناك شيئاً أخر تجتمع فيه تلك المشاهدات ، وهوالوجود ، أي وجود كل منها .

أما الأعراض : فقال : "ودليلنا على رؤية الأعراض التمييز بالبصر بين الأسود والأبيض وبين المجتمع والمفترق ، وفي هذا دليل على إدراك الألوان والأكوان بالبصر" (١) .

أما الألوان : فقال : " ولم يكن جواز رؤية اللون لكونه لوناً ولا لكونه عرضاً لأننا نرى الأجسام وليست بألوان ولا أعراض - ثم قال - ولم يكن جواز رؤية الشئ لكونه معلوماً ومذكوراً لإن ذلك يوجب جوازرؤية المعدوم .

أماالحادث فقوله : " ولم يكن جواز رؤية الشئ الحادث لكونه حادثاً لأن من يقول بذلك يلزمه إجازة رؤية كل حادث . ثم قال . وإذا بطلت هذه الأقسام ولم يبق إلا الموجود صح جواز رؤية الشيء لوجوده فصح بذلك رؤية كل موجود . والله سبحانه وتعالى موجود فصح جواز رؤيتة .

والدليل على جواز كونه مرئياً وجوده لإنا نرى المرئيات في المشاهد (٢) .

---

١ - أصول الدين ص ٩٨ .

٢ - نفس المصدر ص ٩٩ .

ومن هذا الدليل العقلي نستنتج أن البغدادي قد استخدم قياس الغائب على الشاهد حيث إنه قد أستدل بالمرئيات في المشاهد وعلة رؤيتها وجودها وحيث أن الله سبحانه موجود وكل موجود فهو يُرى فالله سبحانه يُرى .

أما الدليل النقلي :

فقد استدل البغدادي وأصحابه بقوله تعالى : ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ (١). فقال : " ويدل عليه من الشرع اخبار الله عزوجل عن موسى عليه السلام ، ولا يخلو من موسى في حال هذا السوال من اعتقاد جواز الرؤية عليه أو اعتقاد إستحالتها . فإن اعتقد استحالتها وسألها فهو كمن سأله أن يتخده ولداً أو شريكاً مع علمه باستحالة ذلك عليه .

وإن كان اعتقدجواز الرؤية عليه فقد صح جوازها عليه لان الأنبياءمعصومون عن اعتقاد مالا يليق بالله عز وجل في صفاته"(٢) .

لكن البغدادي قد توقع ورود اعتراضات من خصومه على هذا الدليل فقال :" فإن قالوا إنما سئل الرؤية لقومه لإن قومه قالوا ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ (٣) .

قيل : لوكان كذلك لقال أن قومي يسألونك أن ينظروا إليك ولقال الله في جوابهم أنهم لن يروني على أن قومه لما سألوا المحال بقولهم : ﴿ إجعل لنا إلهاً كما لهم ألهة ﴾(٤) .

---

١ - سورة الأعراف آية ١٤٣ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ٩٩ .
٣ - سورة البقرة آية ٥٥ .
٤ - سورة الأعراف آية ١٣٨ .

أجابهم فقال : ﴿ إنكم قوم تجهلون ﴾ (١) ولم يرجع إلي الله في جوابهم ، فلو كانت الرؤية مستحيلة عليه لأجاب قومه ولم يرجع فيها إلى سؤال ربه الرؤية لأجلهم .

أما الإعتراض الثاني فقوله : فإن قيل فقوله لن تراني يدل على نفي الرؤية أبداً لإن حرف لن على التأبيد .

فكان الجواب : قيل هو على تأبيد النفي في الدنيا ألا ترّاه قال تعالى: ﴿ قل إن كانت لكم الدار الأخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ (٢). ثم قال ﴿ ولن يتمنوه أبداً ﴾ (٣) يعني في الدنيا لإن الكافر يتمنى في الآخرة الموت يتخلص به من العذاب " . (٤) .

الدليل الثاني :

رؤية الله عز وجل في الآخرة ، ومما يد عليه قوله : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (٥) .

ثم يورد جملة اعتراضات على هذا الدليل ويجيب عنها .

أما الاعتراض الأول فقوله : فإن تأولوا الآية على معنى الإنتظار للثواب وكان جوابه قوله: فإن نظر الإنتظار لا يقرن بحرف إلى ولا بالوجه .

---

١ - سورة الأعراف من آيه ١٣٨ .
٢ - سورة البقره من آيه ٩٤
٣ - سورة الجمعه آيه ٦ .
٤ - أصول الدين ص٩٩ .
٥ - سورة القيامه ايه ٢٢ .

الإعتراض الثاني : فإن قالوا أن ذلك موجود في قول الشاعر :

وجـــوه ناظرات يـوم بـــدر   إلى الرحمــــن يأتي بالخـلاص

وفي قول آخر :

ويوم بذي قار رأيت وجوههم   إلى الموت من وقع السيوف نواظر

وأجاب على هذا بقوله : قيل أما البيت الأول فقد أبدل فيه يوم بكر بيوم بدر ويوم بكر هو اليوم الذي قتل فيه مسيلمة فذكر الشاعر ، أن أصحابه كانوا ينظرون إليه يرجون منه الأتيان بالخلاص . وكان قد سمى نفسه رحمٰن اليمامة وهذا نظر الرؤية .

وكذلك النظر في البيت الثاني بمعنى الرؤية للموت والموت مرئي عندنا ومن رأى الميت فقد رأى موته كما أن من رأى الأسود فقد رأى سواده .

الإعتراض الثالث :

فإن قالوا فقد قال في أخر الآية : ﴿ وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ (١).

فأضاف الظن إلى الوجه فأراد به ظن القلب كذلك أضاف النظر إلى الوجه وأراد به نظر القلب وهو الإنتظار .

وأجاب بقوله : قيل أن قوله تظن ليس بإخبار عن الوجوه وانما هوخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي تظن أنت أي تتيقن أن يفعل بها فاقرة والظن بمعنى اليقين في القرآن كثيرة ؛ ثم قال - على أنه لا ينكر أن يكون ظن الكافر في الآخرة في وجهة وإن كان ظنه في الدنيا في القلب كما يكون الناطق في جلود قوم وفي أيديهم وأرجلهم في الأخرة وإن كان النطق في الدنيا في اللسان .

---

١ - سور القيامه آيه ٢٤ .

الإعتراض الرابع .

قوله : "إن عارضونا بقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ (١).

فإن قال البغداديون منهم معناه : أنه يعلم الابصار ، لإن إدراك الإله عندهم بمعنى العلم دون الرؤية .

والجواب : قيل لهم فهلا قلتم في قوله لاتدركه الأبصار انها لا تعلمه فهذا يوجب عليكم أن لايكون معلوماً وذلك خلاف قولكم .

وإن قال البصريون منهم أراد بقوله : وهو يدرك الأبصار ، أنه يراها قيل لهم ، ما الأبصار التي يراها الله ؟ فإن قالوا هم المبصرون قيل أية خاصية لله تعالى في رؤية المبصرين وقد يراهم غيره . وإن قالوا أراد بالأبصار المعاني التي بها تبصر المبصرون قيل فإن تلك المعاني هي التي لا تدركه دون المبصرين .

فإن قيل فقد علمنا بالعقل أن البصر لا يدرك شيئاً فلا فائدة لحمل الآية عليه .

قيل يجوز ورود القرآن بتأكيد مادل عليه العقل كقوله : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ (٢). و ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ (٣). فإن ذلك نازل لتأكيد مادل عليه العقل من توحيد الصانع ونفي التشبيه عنه .

وأضاف بقوله : على أنا نثبت للآية فوائد .

منها إثبات أبصارنا أعراضاً خلاف قول نفاة الأعراض .

ومنها إبطال قول أبي هاشم ابن الجبائي أن الإدارك ليس بمعنى .

---

١ - سورة الأنعام ايه ١٠٣ .

٢ - سورة البقره ايه ١٥٩ .

٣ - سورة الشورى ايه ١١ .

ومنها إثبات رؤية الأعراض خلاف قول من أحال رؤيتها لإن الله سبحانه وتعالى قال وهو يدرك الأبصار وإذا صحت رؤية البصر الذي هو رؤية صحت رؤية سائر الأعراض فبطل بهذا سائر تأويلات المخالفين ، والحمد لله على ذلك " (١) .

---

١ - أصول الدين أنظر ص ٩٩ - ١٠٢ عرض آراء البغدادي في الرؤية .

المبحث الثاني

نقد طريقة البغدادي في إثبات الرؤية .

أولاً : نقد الدليل العقلي .

لقد أتضح لنا طريق البغدادي في الاستدلال على رؤية الله بالقياس المترتب على رؤية المشاهدات وأن سبب الرؤية لها هووجودها ، بل وانتهى إلى صيغة قياسية معروفة عند المتكلمين فقال : "وإذا بطلت هذه الأقسام ولم يبق إلا الوجود صح جواز رؤية الشئ لوجوده فصح بذلك جواز رؤية كل موجود والله موجود ، فصح جواز رؤيته (١) .

ومن الممكن القول بصيغة القياس المعهود : الله موجود وكل موجود تصح رؤيته فالله جائز رؤيته .

وقد سُبق البغدادي بهذا الاستدلال من قبل . فقال أبو الحسن الأشعري في كتابه اللمع .

" إن قال قائل لم قلتم إن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة من باب القياس ؟

قيل له : قلنا ذلك لأن مالا يجوز أن يوصف به الباري تعالى ويستحيل عليه فإنما لا يجوز لأن في تجويزه إثبات حدثه ، أو اثبات حدث معنى فيه . . وليس في جواز الرؤية إثبات حدوثه " (٢) .

ثم نرى أبا الحسن في كتابه الإبانه وقد استدل بالوجود على الرؤية ولكن في صيغة غير قياسية بحته كما في اللمع أو كماعند البغدادي في أصول الدين فيقول : "

---

١ - أصول الدين ص ٩٩ .

٢ - كتاب اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري صححه د . حموده غرابه مجمع البحوث الإسلامية القاهرة سنة ١٩٧٥ ص ٦١ .

ومما يدل على رؤية الله تعالى بالأبصار أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله عزوجل وإنما لا يجوز أن يرى المعدوم . فلما كان الله عز وجل موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل " (١) .

وإذا كان هذا هو تقريرالمذهب في الرؤية عند أبي الحسن الأشعري وإليه ذهب البغداي فكيف كان تقريره عند الشهرستاني في القرن السادس الهجري .

قال الشهرستاني : " ومن مذهب الأشعري : أن كل موجود يصح أن ير ى فإن المصحح للرؤية إنما هو الوجود . والباري تعالي موجود فيصح أن يرى . . قال : ولا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ،ومكان ، وصورة ومقابلة . واتصال شعاع أو علي سبيل أنطباع ، فإن كل ذلك مستحيل . وله قولان في ماهية الرؤية : أحدهما : أنه علم مخصوص ، ويعني بالخصوص أنه يتعلق بالوجود دون العدم . والثاني : أنه إدراك العلم لا يقتضي تأثيراً في المدرك ولا تأثراً عنه"(٢) .

تقرير الدليل :

وإذا كان البغدادي قد أخد بهذاالدليل العقلي في إثبات رؤية الله تعالى وهو إثبات الوجود لله فإننا سنجد هذاالدليل عند كثير من أئمة الأشاعرة ، وإذا كنا قد علمنا تقرير هذا الدليل عند البغدادي فكيف قرره هؤلاء العلماء ؟ هذاما سنجده عند المتأخرين منهم مثل الجرجاني في شرحه للمواقف فيقول : "إنا نرى الأعرض كالألوان والأضواء والحركة والسكون والإجتماع والإفتراق وهذا ظاهر . ونرى الجوهر لانا نرى الطول والعرض في الجسم ، ولهذا نميز الطويل من العريض ،

---

١ – الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري حققه بشير عون سنة ١٤١١ ط الثالثه مكتبة المؤيد الطائف ص ٦٦ .

٢ – الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني توزيع دار الباز مكة المكرمة سنة ١٤٠٤ جـ١ ص ١٠٠ .

ونميز الطويل من الأطو ل ، وليس الطول والعرض عرضين قائمين بالجسم ، لما تقرر أنه مركب من الجواهر الفردة . . فقد ثبت أن صحة الرؤية مشتركة بين الجوهر والعرض ، وهذه الصحة لهاعلة مختصة بحال وجودها وذلك لتحققها عند الوجود وانتفائها عند العدم فإن الأجسام والأعراض لو كانت معدومة ، لاستحال كونها مرئية بالضرورة والاتفاق . ولولا تحقق أمر مصحح حال الوجود غير متحقق حال العدم ؛ لكان ذلك : أي أختصاص الصحة بحال الوجود ترجيحاً بلا مرجح . . وهذه العلة المصححة للرؤية لابد أن تكون مشتركة بين الجوهر والعرض ، وإلا لزم تعليل الأمر الواحد وهو صحة كون الشئ مرئياً بالعلل المختلفة وهو غير جائز ، ثم نقول هذه العلة المشتركة : أما الوجود أو الحدوث إذ لا مشترك بين الجوهر والعرض سواهما ، فإن الأجسام لاتوافق الألوان في صفة عامة يتوهم كونها مصححة سوى هٰذين لكن الحدوث لا يصلح أن يكون علة للصحة لأنه عبارة عن الوجود مع أعتبار عدم سابق ، والعدم لا يصلح أن يكون جزء للعلة لأن التأثير صفة اثبات ، فلا يتصف به العدم ولا ما هو مركب منه . وإذا سقط العدم عن درجة الإعتبار لم يبق إلاالوجود . فإذن هي العلة المشتركة لما تقدم من إشتراك الوجود بين الموجودات كلها . فعلة صحة الرؤية متحققة في حق الله تعالى فيتحقق صحة الرؤية وهو المطلوب (١) . ثم أورد المصنف أعتراضات على الدليل وأجاب عنها .

نقد الدليل :

لقد ورد على هذا الدليل اعتراضات كثيرة من خصوم الأشاعرة بل من بعض علماء الأشاعرة أنفسهم فلم يسلّم لهم هذا الدليل ، بل ونجدهم يلزمون أنفسهم بما ليس منه بد ولا لدفعه امكان ، فلم يقنعوا خصماً ولم يرضوا حكماً .

---

١ - شرح المواقف للجرجاني الموقف الخامس - تقديم وتحقيق د . أحمد المهدي مكتبة الأزهر سنة ١٣٩٦ ص ٢٠٠ .

أما كلام الخصوم واعتراضهم على هذا الدليل فإنه سيتضح من ردود المعتزلة كما هو بين عند القاضي عند الجبار الذي قال : " وقد ذهب بعض من لا علم له بهذا الشأن من المتأخرين إلى ان كل موجود يصح أن نراه ، وان صحة الرؤية موقوفة على وجود المرئي فقط ، وزعم أن سائر ما لا نراه من الموجودات الآن انما لا نراه لان الله تعالى لم يخلق في عيننا رؤيته أو خلق في عيننا آفة مانعة من رؤيته ولو تغير حالها لصح أن نرى جميعه وهو موصوف بالقدرة على أن يرينا جميعه .

وزعم أن المرئي لو رؤي لمعنى فيه لاستحال رؤية الأعراض ، ولو رؤي لنفسه لوجب أن تتجانس الأشياء بوقوع الرؤية عليها ، ولوجب أن نقضي على الجنس الواحد أنه لا يصح أن يرى سواه ، فثبت أنه إنما يرى لوجوده ولأنه نفس وعين فتجب صحة الرؤية في كل موجود . ومما يصح التعلق به في نصرة قوله : إن الجوهر واللون يستحيل أن نراهما إذا عدما ، ويصح أن نراهما عند الوجود إذا كانا في حال عدمهما على ما يختصان به لنفسهما فثبت أن الذي صحح رؤيتهما هو الوجود دون ما هما عليه في النفس فيجب صحة رؤية كل موجود"(١) .

ثم أجاب القاضي عبد الجبار على دليلهم بقوله : ويبطل هذا القول أن الرائي منا متى حصل بالصفة التي لكونه عليها يرى المرئي بالصفة التي لكونه عليها يراه الرائي ، وأرتفعت الموانع المعقولة فيجب أن يراه ومتى فقد بعض ما ذكرناه أستحال أن يراه ، فليس له إلا حالان :

إحداهما : يصح معها أن يرى ويجب أن يرى .

والثانية : يستحيل معها أن يرى .

---

١ - المغنى في باب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار تحقيق د . أبو الوفاء الغنيمي المؤسسة المصرية للتأليف والنشر جـ ٤ ص ٨ .

وهذا كما نعلمه من حال الجواهر أنه وإن وجد يجب كونه متحيزاً ومحتملاً للأعراض وأن عدم أستحال ذلك عليه ، وليس له حال ثالثة تتوسط هذين ، ويفارق ذلك صحة كون الواحد منا عالماً لأنه قد يكون على حال معها يصح أن يعلم ويريد وإن لم يجب ذلك فيه وكذلك سائر الصفات الراجعة إلى الجملة أو الجمل إذا أستحقت العلة "(١) .

ثم قال لإبطال دليلهم : " إن الإدراك ليس بمعنى وليس بأمر زائد على الرؤية لأن الإدراك لو كان معنى لوجب في الواحد منا مع صحة الحاسة وإرتفاع الموانع ووجود المدرك أن لا يرى ما بين يديه في بعض الحالات ، بأن لا يخلق الله له الإدراك ، وهذا يقتضي أن يكون بين إيدينا أجساماً عظيمة كالفيلة والبعران ونحوها ونحن لا نراها لفقد الإدراك وهذا يرفع الثقة بالمشاهدات ويلحق البصراء بالعميان "(٢) .

وقال أيضاً : ومما يبطله أن الرائي يرى الجوهر واللون فننظر الوجه الذي لكونهما عليه تصح رؤيتهما وقد علمنا أنا نفصل بالرؤية بين الألوان المختلفة وبين أحوال الأجسام في العظم والصغر فيجب أن تكون الرؤية متعلقة بهما على ما يختصان به في جنسهما فلو كنا ندركهما لوجودهما لم نفصل بين المختلف من الألوان ، ولا صح التوصل بالإدراك إلى تماثل المتماثل واختلاف المختلف منها وفي ذلك دلالة على انا ندركها لما هي عليه في نفسها ، ولذلك يحصل لنا عند الإدراك العلم بما عليه الجوهر من التحيز والألوان من الهيئة المخصوصة ويكون العلم بذلك أجلى من العلم بسائر أحواله ، وانما العلم بوجود الجواهر والألوان عند

---

١ - نفس المصدر جـ ٤ أنظر ص ٣٩ .

٢ - شرح الأصول الخمسه تحقيق د . عبد الكريم عثمان مطبعة الأستقلال الكبرى مكتبة وهبه الطبعه الأولى سنة ١٣٨٤هـ ص ٢٥٥ .

العلم بما هما عليه في الصفة التي يتناولها الإدراك ، لأن الإدراك يتعلق بهما لوجودهما ، لأنه لو تعلق بهما لاختصاصهما بالوجود لوجب أن نرى كل ما شاركها في الوجود ، ألا ترى أنالما رأينا الجوهر من حيث كان جوهراً ، والسواد من حيث كان سواداً رأينا كل ما شاركهما في هذه الصفة ؟ لأن من حق الإدراك أن يشيع في كل ما يختص بالصفة التي يتناولها الإد راك ، فكان يجب لو رأينا الجوهر من حيث كان موجوداً ن نرى كل موجود فكان يجب أن ندرك الأشياء كلها بالحاسة الواحدة لاشتراكهما أجمع في الوجود ، وقد بينا من قبل أن القول بأنها تدرك من حيث كانت موجوده فقط لا يصح ، لأن ما أوجب إدراكها من حيث كانت موجودة يوجب إدراكها من حيث كانت متميزة ، لأنه ليس للوجود في هذا الباب من الإختصاص ماليس للتحيز ، وللتحيز من الإختصاص ماليس للوجود ، وبينا أن القول بأنها تدرك من حيث كانت موجودة لا يصح"(١) .

أما الفلاسفة فإنا نورد إعتراضهم كما أورده ابن رشد في مناهج أدلته فقال : "وأما حجتهم التي أتوا بها في إمكان رؤية ما ليس بجسم فإن المشهور عندهم في ذلك حجتان : إحداهما ، وهي الأشهر عندهم ، ما يقولونه من أن الشئ لا يخلو ان يرى من جهة ما هو ملون ، أو من جهة أنه جسم ، أو من جهة أنه لون ، أو من جهة أنه موجود ، وربما عدد واجهات أخرى غير هذه للموجود ثم يقولون : وباطل أن يرى من قبل أنه جسم ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لما رئي اللون ، وباطل أن يرى لمكان أنه لون ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لما رئي الجسم .

قالوا وإذا بطلت جميع هذه الأقسام التي تتوهم في هذا الباب فلم يبق أن يرى الشئ إلا من قبل أنه موجود والمغالطة في هذا القول بينة فإن المرئي منه ما هو مرئي بذاته ، ومنه ما هو مرئي من قبل المرئي بذاته ، وهذه هي حال اللون والجسم .

---

١ - المغني في باب التوحيد والعدل لعبد الجبار جـ٤ أنظر ص ٨٣ ، ٨٤ .

فإن اللون مرئي بذاته والجسم مرئي من قبل اللون ، ولذلك مالم يكن له لون لم يبصر

ولو كان الشئ إنما يرى من حيث هو موجود فقط لوجب أن تبصر الأصوات وسائر المحسوسات الخمس ، فكان يكون البصر والسمع وسائر الحواس الخمس حاسة واحدة . وهذه كلها خلاف ما يعقل .

أما القول بأن الأشاعرة قد ألزموا أنفسهم بما ليس لإنكاره بد فهاهنا أبن رشد يذكر ذلك في سياق كلامه السابق - فيقول : وقد أضطر المتكلمون لمكان هذه المسألة ، وما أشبهها ، أن يسلموا أن الألوان ممكنة أن تسمع ، والأصوات ممكنة أن ترى ، وهذا كله خروج عن الطبع ، وعما يمكن أن يعقله إنسان . فإنه من الظاهر أن حاسة البصر غير حاسة السمع ، وان محسوس هذه غير محسوس تلك ، وان آلة هذه غير آلة تلك ، وانه ليس يمكن ان ينقلب البصر سمعاً ، كما ليس يمكن أن يعود اللون صوتاً والذين يقولون ان الصوت ممكن أن يبصر في وقت ما فقد يجب أن يسألوا فيقال لهم : ما هو البصر ؟ فلابد من أن يقولوا : هو قوة تدرك بها المرئيات : الألوان وغيرها . ثم يقال لهم ما هو السمع ؟ فلابد أن يقولوا هو قوة تدرك بها الأصوات . فإذا وضعوا هذا قيل لهم : فهل البصر عند إدراكه الأصوات هو بصر فقط أو سمع فقط ؟ فإن قالوا سمع فقط فقد سلموا أنه لا يدرك الألوان . وإن قالوا : بصر فقط ، فليس يدرك الأصوات . وإذا لم يكن بصراً فقط ، لأنه يدرك الأصوات ، ولا سمعاً فقط ، لأنه يدرك الألوا ن . فهو بصر ؛ وسمع معا . وعلى هذا فستكون الأشياء كلها شيئاً واحداً حتى المتضادات ، وهذا شئ - فيما أحسبه - يسلمه المتكلمون من أهل ملتنا أو يلزمهم تسليمه . وهو رأي سوفسطائي لأقوام قدماء مشهورين بالسفسطة"[1].

---

١ - مناهج الأدلة في عقائد الملة لأبن رشد تقديم وتحقيق د . محمود قاسم الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية ص ١٨٩ .

وإذا كان ما تقدم هو جواب خصوم الأشاعرة وهم المعتزلة والفلاسفة وردهم على ذلك الدليل الذي إتخذه البغدادي وأصحابه للدلالة على جواز الرؤية لله سبحانه وتعالى فإن بعض علماء الأشاعرة قد أوردوا أعتراضات على هذا الدليل وأنه لا يعّول عليه وهذا ما ذهب إليه الجرجاني في شرحه للمواقف بعد أن أورد أعتراضاته عليه وأجاب عنها لكنه لم تطمئن نفسه لما ذهب إليه المصنف .

نقد بعض علماء الأشاعرة لدليل رؤية الله بالعقل :

أولاً : قال الجرجاني في شرح المواقف بعد أن أجاب على اعتراضات على الدليل :

" ولقد بالغ المصنف في ترويج المسلك العقلي ؛ لإثبات صحة رؤية الله تعالى لكن لا يلتبس على الفطن المنصف أن مفهوم الهوية المطلقة المشتركة بين خصوصيات الهويات أمر اعتباري كمفهوم الماهية والحقيقة ؛ فلا تعلق بها الرؤية أصلاً وأن المدرك من الشبح البعيد هو خصوصيته الموجودة ، إلا أن إدراكها إجمالي لا يتمكن به على تفصيلها ؛ فإن مراتب الإجمال متفاوته قوة وضعفاً ؛ كما لا يخفى على ذي بصيرة فليس يجب أن يكون كل إجمال وسيلة إلى تفصيل أجزاء المدرك وما يتعلق به من الأحوال . وفي هذا الترويج تكلفات أخر يطلعك عليها أدنى تأمل . فإذن الأولى ما قد قيل : من أن التعويل في هذه المسألة على الدليل العقلي متعذر " (١) .

ثانياً : قال صاحب شرح المقاصد وهو الشهير بسعد الدين التفتازاني وذلك بعد أن أورد اعتراضات على هذا الدليل ثم أجاب عنها ثم قال : " والأنصاف أن ضعف

---

١ - شرح المواقف في علم الكلام للجرجاني والموقف الخامس - تقديم وتحقيق د / أحمد المهدي مكتبة الأزر سنة ١٣٩٦ هـ ص ٢٠٨ .

هذا الدليل جلي . وعلى ما ذكرنا من أن المراد بالعلة هاهنا متعلق الرؤية يكون المرئي من كل شئ وجوده"(١) .

ثالثاً : قال سيف الدين الآمدي بعد تقريره لدليل الوجود : "ومن نظر بعين التحقيق علم أن المتعلق به منحرف عن سواء الطريق ، وذلك أنه وإن سلم جواز تعلق الرؤية بالجواهر والأعراض مع إمكان النزاع فيه فهو لا محالة أما أن يكون من المعترف بالأحوال أو قائلاً بنفيها : فإذا كان من القائل بها فالوجودالذي هو متعلق الرؤية حينئذ لابد وأن يكون هو نفس الموجود وليس بزائد على الذات فلابد من بيان الإشتراك بين الذوات الموجودة شاهداً وغائباً ، وإلا فلا يلزم من جواز تعلق الرؤية بأحد المختلفين جواز تعلقها بالآخر ، ولا يخفى أن ذلك مما لا سبيل إليه وإلا كان الباري ممكناً لمشاركته الممكنات بذواتها في حقائقها وهو متعذر .

ثم ولو قيل ليس متعلق الإدراك هو نفس الوجود بل مادفع به الأفتراق والإختلاف بين الذوات كما ذهب إليه بعض الخصوم من المعتزلة لم يجد في رفع ذلك مستنداً غير الاستثناء إلى محض الدعوى وليس من الصحيح ما قيل دفعه من أن الإدراك أخص من العلم والعلم عند الخصم مما لا يصح تعلقه بالأحوال على حيالها فيمتنع دعوى تعلق ما هوالأخص بها فإنه لا يلزم من انتفاء تعلق العلم بشئ على حياله وإن كان أعم ، انتفاء تعلق الأخص به ، اللهم إلا أن يكون الأعم جزءاً من معنى الأخص ويكون تعلق الأخص به من جهة ما أشتمل عليه من حقيقة ما تخصص به من المعنى العام . إذ هو نفس حقيقة ما منع من

٢ - شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني تحقيق د . عبد الرحمن عميره . عالم الكتب بيروت الطبعه الأولى سنة ١٤٠٩ ص ١٩١ .

تعلقة وهو تناقض ، أما ان كان الأعم كالعرض العام ، للأخص أو هو داخل في معناه لكن تعلق المتعلق ليس إلا من جهة خصوصه لا من جهة ما يتضمنه من المعنى العام فلا مانع من أن يكون تعلقه بالشئ على حياله ، وإن كان تعلق المعنى العام به لا على حيالة ، ثم لو قدرنا امتناع تعلق الأخص بالشئ على حياله لضرورة لإمتناع تعلق الأعم به على حياله فحاصله انما هو راجع إلى مناقضه الخصم ، في مذهبه وهو غير كاف فيما يرجع إلى الإستقلال بتحصيل المطلوب لضرورة تخطئة الخصم فيما وقع مستنداً له ، وهو من خصائص مذهبه ، ولهذا لو اعترف بخطئه فيما ذهب إليه لم يك ما قيل مثمراً للمطلوب ، ولا لازماً عليه ، كيف وأن ذلك وإن كان مناقضاً لبعض الخصوم كالجبائي ، ومن تابعه لضرورة منعه من تعلق العلم بما وقع به الإتفاق والإفتراق على حياله فهو غير لازم في حق غيره اللهم إلا أن يكون قائلاً بمقالته ، وذلك مما لا سبيل إلى دعوى عمومه وإن كان من القائلين بنفي الأحوال ، فما وقع به الإختلاف بين الذوات حينئذ لا مانع من أن يكون من جمله المصحح للرؤية لكونه ذاتا ، وإذ ذاك فلا يلزم منه جواز تعلق الرؤية بواجب الوجود إلا أن يبين أن ما كان مصححاً للرؤية في باقي الذوات متحقق في حق واجب الوجود وهو متعذراً"(١) .

رابعاً : أما الشهرستاني فقد علم ضعف دليل أصحابه فسلك طريقاً آخر في إستدلاله واشار إلى ضعف حجة أصحابه بل ولم تسكن نفسه إلى ما ذهب إليه فقال : "الموجودات أشتركت في قضايا واختلفت في قضايا والرؤية قد تعلقت بالمختلفات منها والمتفقات ولا يجوز أن يكون المصحح للرؤية ما يختلف فيه فإنه يوجب أن يكون لحكم واحد علتان مختلفتان ، وهذا غير جائز في

١ - غاية المرام في علم الكلام تحقيق حسن عبد اللطيف القاهرة سنة١٣٩١ هـ ص ١٦٠ ، ١٦١ .

المعقولات ، أو يلزم أن يكون لحكم عام علة خاصة هي أخص من معلولها ، وما يتفق فيه الجوهر والعرض إما الوجود أو الحدث ، والحدث لا يجوز أن يكون مصححاً للرؤية فإن الحدوث هو وجود مسبق بعدم ، والعدم لا تأثير له في الحكم فبقى الوجود مصححاً بالضرورة ، وهذا تقسيم حاصر فإن الرؤية بالإتفاق تعلقت بالجوهر والعرض وهما قد اختلفا من كل وجه سوى الوجود والحدوث ، وقد بطل الحدوث فتعين الوجود ، ولا يلزم على هذه الطريقة انتشار الأقسام كما لزم على طريق الأصحاب غير استعباد محض للمعتزلة في قولهم لو كان كل موجود مرئياً لكان العلم والقدرة والطعم والرائحة وما سوى اللون والمتلون مرئياً ولكان نفس الرؤية مرئية بالرؤية وهذا محال" (١). ثم يقول بعد عرضة لهذا الدليل الذي لم تطمئن إليه نفسه فيقول : واعلم أن هذه المسألة سمعية أما وجوب الرؤية فلاشك في كونها سمعية ، واما جواز الرؤية فالمسلك العقلي ما ذكرناه ، وقد وردت علية تلك الإشكالات ولم تسكن النفس في جوابها كل السكون ولاتحركت الأفكار العقلية إلى التقصي عنها كل الحركة فالأولى بنا أن نجعل الجواز أيضاً مسألة سمعية" (٢) .

خامساً : وأخيراً فإن فخر الدين الرازي قد وضح مقالته في عدم صلاحية هذا الدليل وعدم الأخذ به والإعتماد عليه فقال : " أعلم : أن جمهور الأصحاب عوّلوا في إثبات أنه تعالى يصح أن يرى على دليل الوجود . واما نحن فعاجزون عن تمشيه، ونحن نذكر ذلك الدليل ، ثم نوجه عليه ما عندنا من الإعتراضات " (٣)

---

١ - نهاية الأقدام في علم الكلام لشهرستاني ص ٣٥٧ .
٢ - نهاية ألأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٣٥٧ .
٣ - الأربعين في أصول الدين للرازي مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة تحقيق د . أحمد السقا سنة ١٩٨٦ جـ١ ص ٢٦٨ .

ثم يورد الرازي اعتراضاته بعد ذكره للدليل المعتمد عند الأصحاب ثم يقول : "فهذا ما عندي من الأسئلة على هذا الدليل ، وأنا غير قادر على الأجوبة عنها ، فمن أجاب عنها ، أمكنه أن يتمسك بهذا الدليل ، ونختم هذا الفصل بخاتمة ، وهي أن نقول : أعلم أن الدليل العقلي المعول عليه في هذه المسألة هذا الذي أوردنا ، وأوردنا عليه هذه الأسئلة واعترفنابالعجز عن الجواب عنها .

إذا عرفت هذا فنقول : مذهبنا في هذه المسألة ما أختاره الشيخ أبو منصور الماتريدي السمرقندي وهو أنا لا نثبت صحة رؤية الله تعالى بالدليل العقلي ، بل نتمسك في هذه المسألة بظواهر القرآن والأحاديث ، فإن أراد الخصم تعليل هذه الدلائل ، وصرفها عن ظراهرها بوجوه عقلية يتمسك بها في نفس الرؤية اعترضنا على دلائلهم ، وبينا ضعفها ، ومنعناهم عن تأويل هذه الظواهر " (١).

رد شيخ الإسلام على هذا الدليل :

لقد أورد شيخ الإسلام في كتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية رداً وافياً على هذا الدليل فقال : " واما حجتهم التي أتوا بها في إمكان رؤية ماليس بجسم فإن المشهور عنهم في ذلك حجتان (أحدهما) - وهي أشهر عندهم - ما يقولون من أن الشئ لا يخلو أن يرى من جهة ما هو متلون ، أو من جهة أنه جسم ، أو من جهة أنه لون أو من جهة أنه موجود ، وربما عدد واجهات أخر غير هذه الموجوده ثم يقولون وباطل أن يرى من قبل أنه جسم إذ لو كان ذلك كذلك لما رؤي اللون ، وباطل أن يرى لمكان أنه لون ، إذ لو كن كذلك لما رؤي الجسم ، وإذا بطلت جميع هذه الأقسام التي تتوهم في هذا الباب فلم يبق أن يرى الشئ إلا من قبل أنه موجود .

---

١ - الأربعين في أصول الدين للرازي جـ ١ ص ٢٧٧ .

والمغالطة في هذا القول بينه ، فإن المرئي منه ما هو مرئي بذاته ومنه ما هو مرئي لذاته وهذه هي حال اللون والجسم ، فإن اللون مرئي بذاته ، والجسم مرئي من قبل اللون ولذلك لما لم يكن له لون لم يبصره ، ولو كان الشئ إنما يرى من حيث هو موجود فقط لوجب أن تبصر الأصوات وسائر المحسوسات الخمس ، فكان يكون البصر والسمع وسائر الحواس الخمس حاسة واحدة ، وهذه كلها خلاف ما يعقل .

وقد اضطر المتكلمون لمكان هذه المسألة وما أشبهها إلى أن يسلموا أن الألوان ممكنة أن تسمع ، والأصوات ممكنة أن ترى ، وهذا كله خروج عن الطبع وعن ما يمكن أن يعقله الإنسان"(١) .

وإذا كان شيخ الإسلام قد اعترض على هذا الاستدلال الذي أورده البغدادي وأصحابه وهو جواز رؤية الله لوجوده . وذلك بالعقل ، فإن شيخ الإسلام قد أورد استدلاله هو وذلك لقوله بجواز رؤية الله لكمال وجوده وهذا ما غفل عنه الأشاعرة بل أنهم يهربون من إثبات ذلك لكمال الله سبحانه الذي قد أثبته لنفسه كالوجه والعلو والإستواء والفوقية -وهذه أمور سيجري بحثها والرد على منكريها -فماذ قال شيخ الإسلام في استدلاله العقلي الموافق للشرع ؟

قال شيخ الإسلام : معلوم أن " الرؤية " تعلق بالموجود دون المعدوم ، ومعلوم أنها أمر وجودي محض لا يسيطر فيها أمر عدمي ، كالذوق الذي يتضمن إستحالة شئ من المذوق ، وكالأكل والشرب الذي يتضمن استحالة المأكول والمشروب ، ودخوله في مواضع من الآكل والشارب ، وذلك لا يكون إلا عن إستحالة وخلق . وإذا كانت أمراً وجودياً محضاً ولا تتعلق إلا بموجود فالمصحح لها الفارق بين ما

١ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية تصحيح وتعليق محمد بن قاسم جـ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

يمكن رؤيته وما لا يمكن رؤيته : إما أن يكون وجوداً محضاً ، أو متضمناً أمراً عدمياً والثاني باطل لأن العدم لا يكون له تأثير في الوجود المحض . فلا يكون سبباً له ، ولا يكون أيضاً شرطاً أو جزءاً من السبب إلا أن يتضمن وجوداً فيكون ذلك الوجود هو المؤثر في الوجود ، ويكون ذلك العدم دليلاً عليه ومستلزماً له ونحو ذلك ، وهذا من الأمور البينة عند التأمل .

ومن قال من العلماء : إن العدم يكون علة للأمر الثبوتي ، أو جزء عله أو شرط علة . فإنما يقولون ذلك في قياس الدلالة ونحوه مما يستدل فيه بالوصف على الحكم لا يقول أحد : إن نفس العدم هو المقتضى للوجود ، ولا يقول : إن الوصف المركب من وجود وعدم هما جميعاً مقتضيان للوجود المحض . وشروط العلة هي من جملة أجزاء العلة التامة .

وإذا كان المقتضى لجواز الرؤية ، والمصحح للرؤية ، والفارق بين ما تجوز رؤيته وبين ما لا تجوز : إما أن يكون وجوداً محضاً فلا حاجة بنا إلى تعيينه ، سواء قيل هو مطلق الوجود ، أو القيام بالنفس أو بالعين بشرط المقابلة والمحاذاة أو غير ذلك مما يقال إنه مع وجوده تصح الرؤية ومع عدمه تمتنع ؛ لكن المقصود أنها أمور وجودية .

وإذا كان كذلك فقد علم أن الله تعالى هو أحق بالوجود وكماله من كل موجود ، إذ وجوده هو الوجود الواجب . ووجود كل ما سواه هو من وجوده ، وله الكمال التام في جميع الأمور الوجودية المحضة ؛ فإنها هي الصفات التي بها يكون كمال الوجود . وحينئذ فيكون الله - وله المثل الأعلى - أحق بأن تجوز رؤيته لكمال وجوده . ولكن لم نره في الدنيا لعجزنا عن ذلك لا لامتناع ، كما لا نستطيع التحديق في شعاع الشمس ؛ بل كما لا تطيق الخفاش أن تراها لا لامتناع رؤيتها بل لضعف بصره وعجزه كما قد لا يستطيع سماع الاصوات العظيمة جداً لكونها لا تسمع بل لضعف السامع وعجزه ، ولهذا يحصل لكثير من الناس عند سماع الأصوات العظيمة

ورؤية الأشياء الجليلة ضعف أو رجفان أو نحو ذلك مما سببه ضعف عن الرؤية والسماع لا لكون ذلك الأمر مما تمتنع رؤيته وسماعه ، ولهذا وردت الأخبار في قصة موسى عليه الصلاة والسلام وغيره بأن الناس أنما لايرون الله في الدنيا للضعف والعجز ، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يقويهم على ما عجزوا عنه"(١) .

وحقيقة القول أن شيخ الإسلام لم يقررهذا الدليل العقلي إلا للرد على الأشاعرة الذين أستدلوا بدليل وردت عليه اعتراضات الأصحاب قبل الخصوم فأورد هذا الدليل :

أولاً : وذلك لإثبات أن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح .

ثانياً : للرد على دليلهم الذي لا يقوى على المعارضة والبرهان .

ثالثاً : للدلالة على أن السلف لم يحجموا عن الكلام والحجج لعدم الإلمام بها وإنما لعدم جدواها وقليل نفعها وعدم الحاجة إليها عند ذوي العقول والبصائر الراجحة .

رابعاً : أن السلف عليهم رضوان الله قد أستغنوا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفوا البحث عن قول فلان وفلان ، واهتدوا إلى سواء الصراط فأغناهم الله من فضله وزادهم تقى وإيماناً وذلك فضل الله يؤيته من يشاء .

خامساً : أن الأشاعرة كما ذكر البغدادي نفسه قد اتخذوا من الشاهد قياساً على الغائب وخاصة في موضوع جواز رؤية الله فلم يستقم لهم ذلك ولم يسلم لهم والحقيقة أنه في حق الله تعالى لا يجوز استخدام قياس المثل ولا قياس الشمول الذي يستوي فيه أفراده في الحكم وهذه قاعدة قررها علماء الأمة ولكن في حق الله تعالى يجوز القول بالمثل الأعلى الذي قرره الله في كتابه وها هو شيخ الإسلام يثبته ويقره ضمن دليله هنا .

---

١ - تلبيس الجهميه جـ١ ص ٣٥٩ .

ثانياً : نقد دليل الشرع .

سبق أن عرضنا دليل جواز رؤية الله تعالى بالعقل عند البغدادي وأصحابه ، والذين انتهوا إلى إثبات وجود قابل لمشاركة الموجودات ، واهياً أمام الأعتراضات، ولو أنهم أثبتوا كمال الوجود لواجب الوجود كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام لكان خيراً وأحسن تأويلاً . وحيث أنهم كغيرهم المعتزلة ينطلقون من منطلق واحد في الإستدلال على وجود الله من مبدأ الحدوث عندهم . فلكي يسلم لهم هذا الدليل ، وخوفاً من تشنيع المتكلمين المعتزلة فقد صار أمرهم إلى إثبات رؤية موجود يشاركه كل موجود في ذلك الوجود . ولعلمهم بضعف هذا الدليل العقلي فقد سلكوا طريق الشرع في إثبات رؤية الله تعالى ، غير أن تلك المؤثرات السالفة تلازمهم في تفسير وفهم الدليل الشرعي وهذا ما ستتطرق إليه في هذا المبحث .

أما الدليل الثاني الذي أعتمده البغدادي من الشرع لجواز رؤية الله تعالى فقد أقتصر على إيراد دليلين من القرآن الكريم وهما قوله تعالى﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (٢) .

وهذان دليلان صحيحان على جواز رؤية الله تعالى عند سلف الأمة وعلمائهم ، لكنه سيرد أمر مهم جد على هذا الدليل عند البغدادي وأصحابه وهو ماهية هذه الرؤية وحقيقتها ؟

لكنه من المناسب أن نتطرق إلى أمور أخرى قد وردت على هذا الدليل قبل معرفة حقيقة الرؤية وكيفيتها .

---

١ - سورة الأعراف آية ١٤٣ .

٢ - سورة القيامة آية ٢٢ .

أما الأمر الأول : فإن البغدادي لم يستوف الأدلة على جواز رؤية الله من الكتاب ولم يتطرق إلى الأدلة من السنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم ، ومن هنا فإنه يجب أن نورد تلك الأدلة الضافية لأهمية الموضوع ولوضوح الصورة .

فمن القرآن الكريم :

١ - قال تعالى : ﴿ لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴾ (١) قال ابن كثير : " هو النظر إلى وجه الله عز وجل " (٢) .

٢ - قال تعالى : ﴿ للذين احسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٣) عن صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار نادى مناد : يأهل الجنة . إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ فينظرون إليه ، فوالله ماأعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لاعينهم ﴾(٤) .

قال شارح الطحاوية : "فالحسنى : الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم ، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده . روى ابن جرير ذلك عن جماعة منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وحذيفة ، وأبو موسى الأشعري ، وابن عباس رضي الله عنهم" (٥) .

٣ - قال تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمجوبون ﴾ (٦) قال شارح الطحاوية :

---

١ - سورة ق آية ٣٥ .

٢ - تفسير بن كثير دار القلم جـ ٤ ص٢٠١ .

٣ - سورة يونس آية ٢٦ .

٤ - صحيح مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه مكتبة الرياض الحديثة جـ ٣ص ١٧ .

٥ - شرح الطحاويه ص ١٤٨ .

٦ - سورة المطففين آية ١٥ .

احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة على الرؤية لأهل الجنة ، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي ، قال الحاكم : حدثنا الأصم . حدثنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قوله تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ فقال الشافعي : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى"(١) .

٤ - قال تعالى : ﴿ قال ياموسى إني أصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخدما أتيتك وكن من الشاكرين ﴾ (٢) .

قال الرازي : " أعلم أن موسى عليه السلام لما طلب الرؤية ومنعه الله منها ، عدد الله عليه وجوه نعمه العظيمة التي له عليه ، وأمره أن يشتغل بذكرها كأنه قال له إن كنت قد منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا أو كذا ، لا يضق صدرك بسبب منع الرؤية وانظر إلى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها . والمقصود تسلية موسى عليه السلام عن منع الرؤية ، وهذا أيضاً أحد ما يدل على أن الرؤية جائزة على الله تعالى ، إذ لو كانت ممتنعة في نفسها لماكان إلى ذكر هذا القدر حاجة " (٣) .

٥ - قال تعالى : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني برئ مما تشركون ﴾ (٤) .

---

١ - شرح الطحاويه ص ١٤٨ .
٢ - سورة الأعراف ايه ١٤٤ .
٣ - التفسير الكبير للرازي جـ١٤ ص ٢٣٥ . المطبعة البهية المصرية - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧ هـ .
٤ - سورة الأنعام آيه ٨٦ وآيه ٧٧ و ٧٨ .

وجه الدلالة أن الخليل عليه السلام حاج قومه في النجوم وبين أنها تأفل وتغيب في حين أن الرب لا يغيب ولا يأفل ثم قال في ذلك لا أحب الافلين ولم يحاجهم بأنه لا يحب ربا يرى ، ولكن حاجهم بأنه لا يحب رباً يأفل وهذا هو دليل عدم الدوام وهو الذي يمتنع على الله تبارك وتعالى أما الرؤية فلا ، حيث لم يجعلها الخليل من موانع الربوبية كالأفول والغيبة " (١) .

٦ - وقال الباقلاني: "أما الدليل على ثبوتها قوله تعالى : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ (٢) واللقاء إذا قرن بالتحية لا يقتضي إلا الرؤية" (٣) .

ومن السنة الشريفة :

فأما الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر شارح الطحاوية (٤) وابن القيم (٥) انها قد بلغت حد التواتر رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن . وقد جمع ابن القيم في كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ثلاثين حديثاً مرفوعاً بعضها مخرجة في الصحيحين أو أحدهما .

فمن الأحاديث ما رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما في الصحيحين : " أن أناساً قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في روية القمر ليلة البدر ؟ ! قالوا :

---

١ - كتاب التوحيد لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي تحقيق د / فتح الله خليف طبعة دار الشروق بيروت ص ٧٨ .
٢ - سورة الأحزاب آية ٤٤ .
٣ - الإنصاف للباقلاني تحقيق الكوثري . المكتبة الأزهرية للتراث ص ٤٢ .
٤ - حادي الأرواح ص ٣٣٧ و ٢٣١ .
٥ - شرح الطحاوية ص ١٥١ .

لا يارسول الله قال : هل تضارّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا قال فإنكم ترونه كذلك"(١) .

وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : " كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمرليلة أربع عشرة ، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته"(٢) .

وحديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ، أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"(٣) .

ومن حديث عدي بن حاتم : " وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : الم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : الم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول بلى يارب"(٤) .

وحديث صهيب المتقدم ، رواه مسلم وغيره .

قال إبن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح : " وأمّا الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وجرير ابن عبد الله البجلي ، وصهيب بن سنان الرومي ، وعبد الله بن مسعود الهذلي ، وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري ،

١ - أخرجه البخاري في التوحيد باب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة . جـ ١٣ ص ٤١٩ وأخرجه مسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤيه . جـ٣ ص١٧ .

٢ - أخرجه البخاري في المواقيت باب من ترك صلاة العصر جـ٢ ص٣٣- وأخرجه مسلم في المسجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، جـ٥ ص١٣٤ .

٣ - أخرجه البخاري في التفسير باب قوله تعالى " ومن دونهما جنتان " جـ٨ ص ٦٢٣ .

٤ - أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة قبل الرد جـ ٣ ص٢٨١ .

وعدي بن حاتم الطائي ، وأنس بن مالك الأنصاري ، وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبو أمامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر ، وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن عمر ، وعمارة بن رويبة ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحديثه موقوف وابى بن كعب ، وكعب بن عجرة ، وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف ، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى ، فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل.وضيق الطعن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين "(١) .

وإذا كانت هذه الأحاديث في رؤية الله تعالى قد بلغت حد التواتر ، فلماذا لم يستدل بها البغدادي من الشرع ، لاسيما وهي على شرطه في قوله "فإن تواتر النقل في شئ وطريق العلم به الإستدلال والنظر وطريق الخطأ الشبهة فإن ذلك التواتر لا يوجب علماً " (٢) .

وقد علمنا مما سبق أن البغدادي وأصحابه قد أخذوا بالشرع وأكثرهم قد عول عليه ونفى دليل العقل ؟

وهذا ما سندركه في نهاية المبحث ، وماهية الرؤية عند البغدادي .

أما الإجماع : فقد نقله الكثير في موضوع الرؤية لله تعالى قال الباقلاني : " ويدل على صحة جواز الرؤية اجماع الصحابة علي جوازها في الجملة وانما اختلفوا هل عجلها لنبيه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أم لا ؟ على قولين ، ولم يقع

---

١ - حادي الأرواح تحقيق السيد الحميلي دار الكتاب العربي الطبعة الرابعة سنة١٤٠٩ ص ٣٣٨ .
٢ - الأنصاف للباقلاني تحقيق الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث ١٣٦٩ هـ ص ١٦ .

الاتفاق منهم على جوازها لما صح هذا الاختلاف ، فلما وقع هذا الاختلاف فقال بعضهم عجل ذلك له في الدنيا قبل الآخرة ، وقال البعض : لم يرد دليل على الجواز في الجملة وانه متفق عليه وإلا كان يقول لمن قال بأنها لم تعجل : فكيف تجوز الرؤية وهي مستحيلة عليه فلما لم يقل ذلك أحد منهم دل اجماعهم على جوازها فأعلم ذلك " (١) .

أما الأمر الثاني :

فإن البغدادي قد خالف الجميع في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وذلك أثناء رده على المعترض الذي استدل بهذه الآية . فقال البغدادي : "وإن قال البصريون منهم أراد بقوله : وهو يدرك الأبصار . انه يراها قيل لهم ما الأبصار التي يراها الله ؟ فإن قالوا هم المبصرون قيل أية خاصية لله تعالى في رؤية المبصرين وقد يراهم غيره " ثم يقول : وإن قالوا أراد بالأبصار المعاني التي بها يبصر المبصرون قيل فتلك المعاني هي التي لا تدركه دون المبصرين "(٢) .

نقد هذا الرد :

١ - لقد فسر البغدادي الأبصار بأنها المعاني التي بها يبصر المبصرون أي الرؤية نفسها وهي عرض من الأعراض التي أجاز رؤيتها .

وعلى هذا فإنه يصبح مفهوم الآية عنده أن الله تعالى يرى رؤية تلك لأبصار بينما الأبصار عاجزة عن رؤية شيئاً لإن الله منزه عن الأعراض ويستحيل في حقه ذلك

١ - الإنصاف للباقلاني ص١٦٠ .
١ - أصول الدين ص ١٠١ .

إن هذا التفسير مع موافقته فيه المعتزلة المعارضين - شاذ عما ذهب إليه علماءالأمة ومنهم أصحابه وقد أتى البغدادي بغرائب لم يقدم عليها غيره كتفسيره العرش بأنه الملك .

إن هذا ناتج عن عدم تفريقه بين الإدراك والرؤية فإن" الإدارك هو الإحاطة بالشئ وهو قدر زائد على الرؤية إذا اجتمعا " (١) .

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه اللمع في معنى قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الإبصار ﴾(٢) قيل لهم : في الدنيا دون الآخرة لأن القرآن لا يتناقض فلما قال في آية أخرى ﴿ إنه" لا تدركه الأبصار ﴾ - هكذا - "وجوه يومئذ ناضره إلى ربها ناظرة"(٢) علمنا أن الوقت الذي قال إنه لا تدركه الأبصار فيه غير الوقت الذي أخبرنا أنها تنظر إليه فيه"(٣) .

وقال في كتابه الإبانه" قيل له يحتمل أن يكون : لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة لإن رؤية الله تعالى أفضل اللذات ، وأفضل اللذات يكون في أفضل الدارين ، يحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين وذلك أن كتاب الله يصدق بعضه بعضاً"(٤) .

٢ - إن البصر عند البغدادي لا يدرك شيئاً وقد أستدل بالآية على ثبوت ذلك فقال :
" فإن قيل فقد علمنا بالعقل إن البصر لا يدرك شيئاً فلا فائدة لحمل الآية عليه .

---

١ - حادي الأوراح لأبن القيم تحقيق د . السيد الجميلي دار الكتاب العربي ط الرابعه سنة ١٤٠٩ ص ٣٣٤ .
٢ - سورة القيامه ايه ٢٢ .
٣ - كتاب اللمع لأبي الحسن الأشعري تحقيق د . حموده غرابه المطابع الأميرية القاهرة سنة ١٩٧٥ ص ٦٥ .
٤ - الإبانه عن أصول الديانه لأبي الحسن الأشعري حققه بشير عون مكتبة المؤيد الطائف الطبعه الثالثه سنة ١٤١١ ص ٦٣ .

قيل يجوز ورود القرآن بتأكيد ما دل عليه العقل : ﴿والهكم إله واحد﴾ (١) و ﴿ليس كمثله شئ﴾ (٢) فإن ذلك نازل لتأكيد مادل عليه العقل من توحيد الصانع ونفي التشبيه عنه " (٣) .

إن هذا الجواب على المعترض يحمل دلالة الموافقة على كلامه وأعتبر عدم إدراك البصر وسيلة للتنزيه كما أستدل بالآيتين السابقتين في أثبات وحدانية الله ونفي المشابهة لغيره . وإذا كان هذا مفهوم الآية عنده فكيف يثبت الرؤية ؟!

٣ - إن البغدادي قد إستدل بالآية نفسها على إثبات الأعراض ورؤيتها فقال : على أنا نثبت للأية فوائد : منها إثبات ابصارنا أعراضاً خلاف قول نفاة الأعراض . ومنها إبطال قول أبي هاشم ابن الجبائي أن الإد راك ليس بمعنى . ومنها إثبات رؤية الأعراض خلاف قول من أحال رؤيتها لأن الله سبحانه وتعالى قال وهو يدرك الأبصار وإذا صحت رؤية البصر الذي هو رؤية صحت رؤية سائر الأعراض »(٤) .

وهذا الاستدلال بالآية على إثبات مقدمات المتكلمين ونظرياتهم من الأعراض والجوهر وتحريف وتأويل كلام الله يعتبر سابقة من أحد علماء الأشاعرة ومتقدميهم ، وإذا كان هذا هو مفهوم الآية عند البغدادي فكيف فهمها علماء الأمة ؟

قال الحافظ بن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية « في الإدراك أقوال للعلماء من السلف :

أحدهما : لا تدركه الأبصار في الدنيا وإن كانت تراه في الآخره ويكون الإدراك بمعنى الرؤية عند هؤلاء .

---

١ - سورة البقره من ايه ١٥٩ .

٢ - سورة الشورى ايه ١١ .

٣ - أصول الدين ص ١٠٢ .

٤ - أصول الدين ص ١٠٢ .

وثانيهـا : الإدراك أخص من الرؤية ، ولا يلزم من نفي الأخص أنتفاء الأعم ومعني الإدراك معرفة الحقيقة عند هؤلاء .

وثالثهما : إن الإدراك أخص من الرؤية لإن الإدراك بمعنى الإحاطة ، ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية"(١) .

أما أبن جرير الطبري فقال : " أختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ قال بعضهم : معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها سبحانه وقال أخرون : لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا ، وأما في الأخرة فإنها تدركه وقال أهل هذه المقالة الإدراك في هذا الموضع الرؤية"(٢) .

ويقول ابن القيم : "قوله عز وجل : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ والإستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الإستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل عل نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتيه وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والأعياء والمتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره . . فلو كان المرادبقوله ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ أنه لايرى بحال لم يكن فى ذلك مدح

---

١ - تفسير القر آن العظيم لأبن كثير جـ١ ص٦٠٤ .

٢ - جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت ط الرابعة سنة ١٤٠٠هـ ص١٩٩ جـ ٧ .

ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشركه فيه العدم المحض فإذاً المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به .

وقال ابن عطية ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾(١). فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شئ محيط"(٢) .

وعلى هذا فإن المعروف عند أهل العلم من السلف هو إثبات الرؤية في الآخرة وإن الإدراك المنفي هو أمر زائد علي مجرد الرؤية وهو الإحاطة . كيف والأحاديث المتواترة تشهد لهذا المعنى فإن الذي قال : "ترون ربكم عياناً " هو الذي أنزل عليه قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وبلغها للأمة وفهمها الصحابة رضوان الله عليهم فمن ذا الذي يفهم كتاب الله أكثر من أولئك ! ؟ .

١ - سورة الانعام آيه ١٠٣ .

١ - حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح تحقيق د . السيد الجميلي دارالكتاب العربي الرابعة سنة ١٤٠٩ ص ٣٣٣

معنى رؤية الله عند البغدادي وأصحابه

لقد أثبت البغدادي رؤية الله تعالى ، لكنه كغيره من الأشاعرة الذي ينفون صفات العلو لله سبحانه وتعالى والإستواء على العرش ، بل أنهم ينفون الضرورة التي تلجئنا إلى النظر إلى الله في العلو ، ثم قاموا بتأويل ما يدل علي ذلك من النصوص ، وكتبهم تدل على هذا . وإذا كان المعتزلة وهم أصحابهم في الكلام قد نفوا الرؤية لقولهم أن كل ما يرى فهو جسم ، فإن الأشاعرة ينفون الجهة ويثبتون الرؤية وهذه مغالطة قد اكتشفها متأخروا الأشاعرة كالرازي وعلموا غلط أصحابهم ثم ذهبوا إلى ما ذهب إليه المعتزلة وقالوا إنه خلاف لفظي .

أما البغدادي فقد ذكر مسألة في إحالة الأبعاض على الصانع (١).ثم نفى الوجه واليد والأصبع وجميعها قد ورد بها الخبر الصحيح . ثم أورد مسألة في إحالة كون الإله في مكان دون مكان فقال : وأستدل من أثبت له مكاناً بقوله ﴿ الرحمن على العرش استوى . ومعناه عندنا : على الملك استوى أي أستوى الملك للإله والعرش ها هنا بمعنى الملك (٢) .

إن الذي قد أول الوجه والعرش ومنع أن يكون الله مستوٍ على عرشه كما أخبر سبحانه ليناقض قوله في إثبات الرؤية لله تعالى . بل وينفي صفة العلو لله تعالى . قال شارح الطحاوية "وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين ، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ، يقول : كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان ! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا ياأستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط :

---

١ - أصول الدين أنظر ص ٧٢ - ٨٢ .

٢ - أصول الدين أنظر ص ١٠٩ - ١١٢ .

باالله ، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا ؟ قال : فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل ! وأظنه قال : وبكى ! وقال : حيرني الهمداني حيرني . أراد الشيخ : أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المرسلين "(١) .

وإذا كان البغدادي لم يوضح تلك المفاهيم التي بنى عليها الأشاعرة قناعتهم في الرؤية فإننا سنجد شيئاً من ذلك عند شيخه إبي اسحاق الأسفراييني حيث يقول كما نقل عنه الشهرستاني في نهاية الإقدام : "الرؤية معنى لا تؤثر في المرئي ولا تتأثر منه فإن حكمه حكم العلم بخلاف سائر الحواس فإنها تؤثر وتتأثر وإنما يلزم الإستحالة فيه أن لو تأثرت الرؤية من المرئي أو تأثر المرئي من الرؤية وكل ما هذا سبيله فهو غير جائز التعلق بالقديم والحادث ، وكل مؤثر ومتأثر فهو مستحيل عندنا كما هو مستحيل عندكم ولا كلفة في هذه الطريقة إلا اثبات معنى في البصر لا يؤثر ولا يتأثر "(٢) .

وقال الباقلاني : " فحاسة الرؤية تدرك بها اليوم الألوان والأكوان والأجسام وتسميتهم الإدراكات الموجوده بالحواس لمساً وذوقاً وشماً أنما جرت عليها على سبيل المجاز والإتساع لما بينه وبينها من التعلق على طريقتهم في التجويز بإجراء أسم الشئ على ما قاربه وناسبه وتعلق به ضرباً من التعلق ، والإدراك في الحقيقة شئ غير اللمس واتصاف سائر الحواس بالمحسوسات وأماكنها وغيره من ضروب الأتصال . . ثم يقول ان هذه العلوم الحاصلة من الحواس ، انما توجد وتخترع في النفس ، سواء وجدت هذه الحواس ، وما يوجد بها من الإدراكات أو لم توجد "(٣) .

وقد انتهى صاحب كتاب الباقلاني وآراءه الكلاميه إلى قوله : "لذلك نرى الباقلاني

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٦٣ .
٢ - التمهيد للباقلاني تحقيق عماد الدين حيدر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ص٣٢
٣ - نهاية الإقدام ص ٣٥٨ .

يؤكد علي أن رؤية الله تعالى لا تكون بالعين وإنما تكون بالإدراك الذي يحدثه الله تعالى في العين وهو البصر - ثم يقول - فلم تبق رؤية الله تعالى إذن مشكلة ، لأنه يمكن أن يحدث الله للمؤمنين في الجنة إنكشافاً تاماً من نوع الإنكشاف الحاصل بحاسة البصر من غير حاجة إلى حاسة البصر التي تستلزم الجهة والمقابلة " (١) .

وهذا الشهرستاني في كتابه نهاية الإقدام وبعد ن استشهد بكلام أبي اسحاق الأسفراييني السابق في اثبات رؤية لا تؤثر ولا تتأثر قال:" وقد أثبتنا من قبل إن الإدراك البصري لا يستدعي اتصال شعاع بالمرئي ولا انفصال شئ من الرائي وإذا بطل الوجهان انتفى التأثير والتأثر وصار المعنى كالعلم أو هو من جنس العلم وقد تقرر الإتفاق على جواز تعلق العلم به " (٢) .

وإلى نفس النتيجة هذه أنتهى الجويني امام الحرمين في شامله فقال : " وقد رام المعتزلة صدنا عن نفي الجهة من حيث أثبتنا الرؤية . وقالوا لا تتعلق الرؤية إلا بمتحيز أو قائم بمتحيز ، وهذا الذي ذكروه دعوى محضه ، فيقال لهم : لمَ تأبون رؤية مالا يتحيز ، وهلا صححتموها كما صححتم العلم بما لا يتحيز ؟"(٣) .

ولأهل السنة إعتراض على كلا الفريقين هنا وهم الأشاعرة والمعتزلة ، فأما المعتزلة وقولهم بالتحيز فإنه يرد عليهم قولهم هذا وذلك إن التحيز من الألفاظ المستحدثه فيوقف اللفظ ويفسر المعنى ، فإن قصدوا بالمتحيز هو الذي تحويه المخلوقات وتحيط به فلا شك أن الله هو خالقها ولا يوجد إلا خالق ومخلوق ، فالله سبحانه وتعالى منزه عن أن يحيط به شيئاً من مخلوقاته أو يكون داخل شيئاً من هذه

١ - الباقلاني واراءه الكلامية د . محمد رمضان مطبعة الأمة بغداد سنة ١٩٨٦م ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .

٢ - نهاية الإقدام للشهرستاني مكتبة المتبنى بالقاهرة ص ٣٥٨ .

٣ - الشامل في أصول الدين للجويني تحقيق علي سامي النشار وآخرون - منشأة المعارف بالأسكندرية سنة ١٩٦٩ ص ٥٢٩ .

الأكوان والأفلاك ، قال شيخ الإسلام : " لفظ المتحيز " إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر ، بل قد وسع كرسيه السموات والإض ، وقد قال تعالى: " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه "* وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمنه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض " (١) .

وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات ، أي مباين لها ، منفصل عنها ، ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السنة : فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه " (٢) .

وأما الأشاعرة فإنهم قد خلطوا بين العلم بالله ورؤية الله : فإن العلم بالله في هذه الدنيا يتم كما أخبرهو عن نفسه تعالى وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم وبما وجد وركز في الفطرة السوية والضرورة التي لا تفارق أصحاب العقول الصريحة.

أما رؤية الله تعالى فإن الخبر المتواتر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قد أفاد حصول تلك الرؤية في الآخرة وهي المزيد والزيادة ولذة النظر إلى وجهه الكريم ، وعلى هذا فإنه لا يسوّغ اعتراض الجويني على المعتزلة بهذا الإعتراض وإن كان الجويني أقرب في إستدلاله على الحق من جور المعتزلة .

ويزيد صاحب شرح المواقف موقف الأشاعرة من الرؤية لله تعالى توضيحاً ، وخروجاً من الغموض الذي يكتنف أدلتهم دائماً فيقول : " وقد سبق ما فيه كفاية وهو أن الرؤية أمر يخلقه الله في الحي ، ولا يشترط بضوء ولا مقابلة ولا غيرهما من

* - سورة الزمر آية ٦٧ .
١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري كتبا التوحيد باب قوله تعالى ملك الناس جـ ١٣ دار الفكر ص ٣٦٧ .
؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامه والجنه والنار جـ ١٧ مكتبة الرياض الحديثه ص ١٣١ .
٢ - التدمرية لشيخ الإسلام تحقيق السعوي شركة العبيكان للطباعة الرياض ص ٦٨ .

الشرائط التي أعتبرها الحكماء ، ثم علمت أن الله ليس جسماً ؛ ولا في جهة ؛ ويستحيل عليه مقابلة ؛ ومواجهة وتقليب حدقة نحوه . ومع ذلك يصح أن ينكشف لعباده انكشاف القمر ليلة البدر كما ورد في الأحاديث الصحيحة وان يحصل لهوية العبد بالنسبة إليه هذه الحالة المعبر عنها بالرؤية "(١) .

ورحم الله الجرجاني ، فإن الأحاديث الصحيحة قد وردت بالرؤية عياناً كما نري القمر أما الإنكشاف الذي ذكره فلم يرد لا في الأحاديث الصحيحة ولا غيرها . وأما صاحب شرح القاصد فقد منع الرؤية الحقيقية وذلك لامتناع المقابلة والجهة ، فقال في تعليقة على النظر في آية سورة القيامة : " فإن النظر الموصول بإلى إما بمعنى الرؤية ؛ أوملزوم لها بشهادة النقل عن أئمة اللغة ، والتتبع لموارد استعماله ، وإما مجاز عنها لكونه عبارة عن تقليب الحدقه نحو المرئي طلباً للرؤية وقد تعذر هٰهنا الحقيقة لإمتناع المقابلةوالجهة فتيعن الرؤية لكونها أقرب المجازات "(٢) .

وقد ذهب الرازي من قبل إلى أنها حالة نسبيه فقال : " إنا قد ذكرنا مرادنا من الرؤية ، وهي : أنها حالة نسبتها إلى معرفة ذات الله ، كنسبة إبصار اللون المعين إلى العلم بذلك اللون المعين . وإذا ثبت هذا فلم قلتم : إن حصول ذلك الإنكشاف مشروط بحصول المقابلة ؟ بل حصول إنكشاف ماهية الشئ المختص بالمكان والحيز مشروط بحصول المقابلة فأما حصول إنكشاف ماهية الشيء المنزه عن المكان والحيز ، فلم قلتم إنه مشروط بحصول المقابلة ؟ وهذا لا يمكن إثباته بحال مناسب ،

---

١ - شرح المواقف للجرجان الموقف الخامس تحقيق د/ أحمد المهدي مكتبة الأزهر دار الحمالي للطباعة سنة ١٣٩٦ ص ١٨٨ .

٢ - شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني تحقيق د . عبد الرحمن عميره تصدير صالح موسى شرف عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ جـ ٤ ص ١٩٣ .

فضلاً عن إدعاء العلم الضروري فيه " (١) .

إن القول برؤية الله في الآخرة عند علماء الأشاعرة بدون مقابلة ولا جهة سواء كان ذلك بالمجاز أو الكشف ، قد تم توضيح المراد من ذلك القول عند الغزالي الذي قال : " إن الخصم لم ينكر علينا القول بالرؤية إلا لعدم فهمه مانريد بها لأنه ظن أنا نريد بهاحالة تساوي الحالة التي يدركها الرائي عند النظر إلى الأجسام والألوان ، وهيهات ، فنحن نقول بإستحالة ذلك في حق الله تعالى ، ولكن ينبغي أن نحصل معنى الرؤية في الموضع المتفق ، ونسبكه ثم نحذف منه ما يستحيل في حق الله تعالي، فإن بقى من معانيه معنى لم يستحل في حق الله سبحانه وتعالى وامكن أن يسمى ذلك المعنى رؤية حقيقية أثبتناه وقلنا أنه مرئي حقيقة ، وان لم يمكن إطلاق اسم الرؤية عليه إلا بالمجاز أطلقنا اللفظ عليه بإذن الشرع وأعتقدنا المعنى كما دل عليه العقل . وتحصيله أن الرؤية تدل على معنى له محل وهو العين ، وله متعلق وهو اللون والقدر والجسم وسائر المرئيات ، فلننظر إلى حقيقة معناه ومحله وإلى متعلقه ولنتأمل أن الركن من جملتها في إطلاق هذا الإسم فنقول : أما المحل فليس بركن في صحة هذه التسمية فإن الحالة التي ندركها بالعين من المرئي ولو أدركناها بالقلب، أوالجبهة مثلاً لكنا نقول قد رأينا الشئ وأبصرناه وصدق كلامنا ، فإن العين محل وآله لا تراد لعينها بل لتحل فيه هذه الحالة ، فحيث حلت الحالة تمت الحقيقة وصح الإسم . فإذاً الركن الذي الاسم مطلق عليه هو الأمر الثالث وهو حقيقة المعنى من غير إلتفات إلى محله ومتعلقه فلنبحث عن الحقيقة ماهي ولا حقيقة لها إلا أنها نوع إدراك هوكمال ومزيد كشف بالإضافة إلى التخييل . . " (١) .

---

١ - المطالب العالية من العلم الإلهي للرازي در الكتاب العربي تحقيق د / أحمد السقا بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ جـ٢ ص ٨٦ .

٢ - الإقتصاد في الإعتقاد للغزالي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ ص ٤٣ - ٤٤ .

وبهذا يتضح كيف أثبت الأشاعرة الرؤية لله تعالى في الدار الآخرة معرضين عن إثبات الجهة والعلو والوجه لله سبحانه وتعالى، ذلك ما ذهب إليه البغدادي في أصول الدين حيث أوّل الوجه ونفى أن يكون الله في جهة العلو أو في مكان كما قال وذلك خوفاً من إلزام المعتزلة لهم بإن ما كان في جهة فهو جسم .

وإذا كان المتأخرون من علماء الأشاعرة قد وضّحوا وبينوا القول بالإنكشاف وأنه نوع إدراك ، فإن متقدميهم فد أثبتوا الرؤية بالأبصار ونفوا اللازم الضروري وهو الجهة وأوصاف الله الثابته التي تليق بجلاله ، والتي أثبتها الله لنفسه وأخبر بها الصادق المصدوق بأحاديث صحيحة متواتره .

وقد أعجب صاحب كتاب العقيدة والشريعة هذا التخبط عند الأشاعرة ، فظن ذلك نمواً للعقيدة وتطوراً لها ! وذلك لجهله بشريعة الإسلام الخاتمة والتي كملت في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم فلا جديد في العقيدة بعد وفاته ﷺ ، وصدق الله تعالى حين قال : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (١). فهؤلاء المستشرقون بعيدون عن الموضوعية والنزاهة فيما يخص الإسلام الحق ، فلا داعي لهذا التطور المزعوم عنده، حينما أورد في كتابه في قسم نمو العقيدة وتطورها على أثر تأويل إحدى الصفات لله تعالى فقال : " فجاء هذا التفنن المتنوع الذي أستخدمه (أهل السنة) - هكذا وضعها بين قوسين وهو يقصد الأشاعرة - في تأويل هذا النص ، المضايق للفهم أو التصور المنزه لله ، يرينا معرضاً كاملاً للحيل التفسيرية في صالح المدرسة الأشعرية " (٢) ؟!.

إن المعنى واضح ... ولا داعي للتعليق ! .

---

٢ - سورة البقرة آية ١٢٠ .
٣ - العقيدة والشريعة في الإسلام نقله للعربية محمد يوسف موسى وآخرون دار الكاتب المصري القاهرة سنة ١٩٤٦ الطبعة الأولى ص ١١٢ . تأليف جولد تسهر " .

نقد قول البغدادي وأصحابه : برؤية الله تعالي ونفي الجهة

عرضنا فيما سبق قول البغدادي في رؤية الله تعالى الذي أستدل كغيره من أصحابه بالعقل والنقل ، غير أن دليل العقل قد وردت عليه إعتراضات من الأصحاب ولا يقاوم أعترض الخصوم فقالوا بالنقل ، ثم قال المتقدمون منهم بالرؤية ونفوا لازمها وهو الجهة وإثبات الصفات لله تعالى التي عمد الأشاعرة إلي تأويلها كالوجه والإستواء وغيرها وقد زاد البغدادي على هذا فنفى أن يدرك البصر شيئاً واستدل بقوله تعالى " لا تدركه الأبصار " على التنزيه كقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ فهي آية نفي وليست أية إثبات ، كما ذهب بعض أصحابه كالأشعري ، بل أستدل بالآية على إثبات الأعراض وجواز رؤيتها ! وقد تقدم ذكر هذا .

أما المتأخرون من علماء الأشاعرة كالرازي والتفتازاني والغزالي فقد قالوا بالمجاز والإنكشاف " وهكذا أقتربوا من المعتزلة عندما قالوا :"من الممكن أن يخلق الله لعباده إنكشافاً تاماً لا يتوقف على شروط الرؤية العادية فالخلاف إذن لفظي ؛ إذ تنتهي الرؤيةبعد حذف شروطها المادية بان تكون علماً " (١) .

ويقول ابن رشد في مناهجه : " وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الأعتقادين أعني بين إنتفاء الجمسية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس ، فعسر ذلك عليهم ، ولجئوا في ذلك إلى حجج سفسطائيه مموهة ، أعني الحجج التي توهم أنها حجج وهي كاذبة " (٢) .

---

١ - مقدمه في نقد مدارس علم الكلام د . محمود قاسم يتبع مناهج الأدلة لأبن رشد.مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ص ٨٤ .

٢ - مناهج الأدلة في عقائد الملة لأبن رشد تحقيق د/ محمود قاسم الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ص ١٨٦ .

وأبن رشد يبين فيما سيأتي مصدر خطأهم فيقول : " والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم أعتقدوا أن أثبات الجهة يوجب إثبات المكان ، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية ، ونحن نقول أن هذا كله غير لازم ، فإن الجهة غير المكان وذلك أن الجهة هي : إما سطوح الجسم نفسه المحيطة به ، وهي ستة ، وبهذا نقول إن للحيوان فوق وأسفل ، ويميناً ، شمالاً ، وأمام وخلف ؛ واما سطوح جسم آخر محيط بالجسم ذي الجهات الست . فأما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم نفسه أصلاً : إما سطوح الأجسام المحيطة به فهي له مكان ، مثل سطوح الهواء المحيطة بالإنسان وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء هي أيضاً مكان للهواء وهكذا الأفلاك بعضها محيطة ببعض ومكاناً له . وأما سطوح الفلك الخارجي فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون خارج هذا الجسم جسم آخر ويمر الأمر إلى غير نهاية فإذاً سطح آخر أجسام العالم ليس مكاناً أصلاً ، إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم لأن كل ما هو مكان يمكن أن يوجد فيه جسم . فإذاً إن قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة فواجب أن يكون غير جسم فالذي يمتنع وجوده هنالك هو عكس ما ظنه القوم ، وهو موجود هو جسم ، لا موجود ليس بجسم"(١) .

ثم يقول : "فقد ظهر لك من هذا إن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأنه الذي جاء به الشرع ، وانبنى عليه ، وأن ابطال هذه القاعدة إبطال للشرائع وإن وجه العسر في تفهيم هذا المعنى ، مع نفي الجسمية ، هو أنه ليس في الشاهد مثال له "(٢).

لكن ابن رشد يوضح ذلك فيقول : " وقد قال القوم أعني الأشعرية : إن أحد

١ - مناهج الأدلة في عقائد الملة لأبن رشد تحقيق د/ محمود قاسم الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ص ١٧٨ .
٢ - المصدر السابق ص ١٧٩ .

المواضع التي يجب أن ينقل فيها حكم الشاهد إلى الغائب هو الشرط ، مثل حكمنا أن كل عالم حي ؛ لكون الحياة تظهر في الشاهد شرطاً في وجود العالم . وإن كان ذلك قلنا لهم : وكذلك يظهر في الشاهد أن هذه الأشياء هي شروط في الرؤية . فالحقوا الغائب فيها بالشاهد على أصلكم " (١) .

ومن المعلوم أن أهل السنة والجماعة لا يسلّمون لابن رشد قوله هذا جملة ، ولا لأصحاب الأصل أصلهم وذلك فيما يختص بمسألة قياس الغائب على الشاهد ، ولكنهم يثبتون لله سبحانه المثل الأعلى وقياس الأولي لا قياس التمثيل والشمول (٢).

وهذا فارس الأمة وشيخ الإسلام وما حق البدعة يدلي بدلوه فيوضح المقصود وينزه المعبود عن النكران والجحود فرحمه الله حين يقول : " فإذا قال قوم : إن الله في جهة أو حيز . وقال قوم : أن الله ليس في جهة ولا حيز ، استفهموا كل واحد من القائلين عن مراده فإن لفظ الجهة والحيز فيه اجمال وإشتراك . فيقول : ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق ، والله تعالى منزه بائن عن مخلوقاته فإنه سبحانه خلق المخلوقات بائنة عنه ، متميزة عنه خارجة عن ذاته ، ليس في مخلوقاته شئ من ذاته ، ولا في ذاته شئ من مخلوقاته ، ولو لم يكن مبايناً لكان إما مدا خلاًلها حالاً فيها ، أو محلاًلها ، والله تعالى منزه عن ذلك . وإما أن لا يكون مبايناً لها ، ولا مداخلاً لها فيكون معدوماً والله تعالى منزه عن ذلك .

والجهمية نفاة الصفات تارة يقولون بمايستلزم الحلول والإتجاد ، أو يصرحون بذلك ، وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل . فنفاتهم لا يعبدون شيئاً ومثبتتهم يعبدون كل شئ . ويقال أيضاً فإذا كان ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق فالخالق بائن عن المخلوق " (٣).

١ - المصدر السابق ص ١٨٨ .
٢ - أنظر بيان تلبيس الجهمية تعليق محمد بن قاسم طبع على نفقة الملك فيصل آل سعود جـ ١ ص ٣٢٧ لابن تيمية .
٣ - الفتاوى جـ ٦ ص ٣٩ .

ثم يبين في كتابه درء تعارض العقل والنقل أن من أثبت الرؤية ونفى الجهة فهو سائر إلى نفي الرؤية فقال : " وهذا هو البحث المشهور بين المعترلة والأشعرية ، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة . فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة ، وقالوا النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي " (١) .

وشيخ الإسلام يرد أيضاً على من أثبت الرؤية ونفى الفوقية لله سبحانه فقال : " ولا يعرف القول بإثبات الرؤية مع نفي كون الله تعالى فوق العالم إلا عن هذه الشرذمة وهم بعض أتباع الأشعرية ومن وافقهم ، وليس ذلك قول أئمتهم كما يقول هؤلاء ، وإن كانوا هم وغيرهم يقولون ان في كلام أئمتهم تناقضاً أو اختلافاً فقد قدمنا أن تناقض من كان إلى الإثبات أقرب هو أقل من تناقض من كان إلى النفي أقرب ، وقدمنا أن العلم بأنه فوق العالم أعظم من العلم بأنه يرى ، فعلم ذلك بالعقل أعظم في الطرق البديهية والقياسية ، وعلم ذلك بالسمع أعظم لما في الكتاب والسنة من الدلالات الكثيرة التي لا يحصيها إلا الله على أن الله فوق .

ثم يقول : ولهذا تجد هؤلاء الذين يثبتون الرؤية دون العلو عند تحقيق الأمر منافقين لأهل السنة والإثبات يفسرون الرؤية التي يثبتونها بنحو ما يفسرها به المعتزلة وغيرهم من الجهمية فهم ينصبون الخلاف فيها مع المعتزلةونحوهم ، ويتظاهرون بالرد عليهم وموافقة أهل السنة والجماعة في إثبات الرؤية . وعند التحقيق فهم موافقون المعتزلة ، انما يثبتون من ذلك نحو ما أثبته المعتزلة من الزيادة في العلم ونحو ذلك مما يقوله المعتزلة في الرؤية أو يقول قريباً منه ، ولهذا يعترف هذا الرازي بأن النزاع بينهم وبين المعتزلة في الرؤية قريب من اللفظي " (٢) .

---

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ١ ص ٢٥٠ .

٢ - تلبيس الجهمية جـ٢ ص٣٩٦ .

طريقة أهل السنة والحديث في مناظرة منكري الرؤية

يقول شيخ الإسلام : " ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظاً بدعياً ولا يخالف دليلاً عقلياً ولا شرعياً ، فإنه يسلك طريق أهل النسة والحديث والأئمة الذي لايوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفي بل يقولون : "ما تعنون بقولكم إن كل مرئي جسم ؟ " . . ثم يقول : " وإن قالوا مرادنا أن المرئي لا بد أن يكون معايناً تجاه الرائي ، وما كان كذلك فهو جسم ونحو هذاالكلام ، قالوا لهم : الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قال : " إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر " وقال هل تضامون في رؤية الشمس صحواً ليس دونها سحاب ؟ قالو : لا ، قال : فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر ، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي ، وفي لفظ في الصحيح : " إنكم ترون ربكم عياناً " فإذن قد أخبرنا أنّا نراه عياناً . وقد أخبرنا أيضاً أنه قد : " أستوى على العرش " فهذه النصوص يصدق بعضها بعضاً ، والعقل أيضاً يوافقها ، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته فوق سماواته ، وان وجود موجود لامباين للعالم ولا محايث له محال في بديهة العقل ، فإذا كانت مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق ، وإذاسميتم أنتم هذا قولاً بالجهة وقولاً بالتجسيم لم يكن هذاالقول نافياً لما عُلم بالشرع والعقل ، إذ كان معنى هذا القول - والحال هذه - ليس منفياً لا بشرع ولاعقل"(١) .

إجماع السلف على أن الله في جهة من الرائي :

ثم يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " إن كون الله يُرى بجهة من الرائي يثبت بإجماع السلف والأئمة مثل ما روى اللالكائي عن علي بن أبي طالب أنه قال : إن من

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ١ ص ٢٥٣ .

تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى الله في جنته ، وعن عبد الله بن مسعود أنه قال في مسجد الكوفة وبدأ باليمين قبل الحديث فقال : والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلوا به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ما غرك بي ياابن آدم « ثلاث مرات » ماذا أجبت المرسلين « ثلاث » كيف عملت فيما علمت ، وعن أبي موسى الأشعري إنه كان يعُلّم الناس سنتهم ودينهم قال فشخصت أبصارهم أو قال حرفوها عنه ، قال فما حرف أبصاركم عني قالوا الهلال أيها الأمير ، قال فذاك أشخص أبصاركم عني قالوا نعم قال فكيف إذا رأيتم الله جهرة . .

ثم قال رحمه الله : وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتابه الإبانة " له :

وأئمتنا رحمهم الله كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس وسفيان بن عيينه وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل واسحق بن إبراهيم الحنظلي : متفقون على أن الله سبحانه وتعالى بذاته فوق عرشه وإن علمه في كل مكان وأنه يرى يوم القيامه بالأبصار فوق العرش وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم وهم منه براء " (١).

من أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة :

أثبتنا فيما سبق من كلام شيخ الإسلام ما دل على صحة القول بالجهة وذلك لزوم الرؤية لله سبحانه ، وفيما يلي نثبت كلام تلميذه الشيخ ابن قيم الجوزية وهو أن أثبات حقيقة الوجه لازم لإثبات الرؤية أيضا فقال رحمه الله : " إن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة ، وأهل الإستقامة من

---

١ - تلبيس الجهميه لشيخ الإسلام جـ٢ أنظر ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ .

أتباعهم متفقون علي أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهو الزيادة التي فسر بهاالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة " للذين أحسنوا الحسنى وزياده " (١) فروى مسلم في صحيحه بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " قال النظر إلى وجه الله تعالى فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة ، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو ، فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد ، وإن أحسن العبارة قال : هو معنى يقوم بالقلب نسبته إليه كنسبة النظر إلى العين ، وليس في الحقيقة عنده نظر ولا وجه ولا لذة تحصل للناظر " (٢).

ثم يقول في قصيدته الكافية الشافية في الأنتصار للفرقة الناجية :

فسل المعطل هل يُرى من تحتنا … أم عن شمائلنا وعن إيمان

أم خلفنا وأمامنا سبحانه … أم هل يرى من فوقنا ببيان

ياقوم ما في الأمر شئ غير ذا … أو أن رؤيته بلا إمكان

إذ رؤية لا في مقابلة من الرائي … محال ليس في الإمكان

ومن أدعى شيئاً سوى ذا كان دعواه مكابرة على الأذهان

ولذاك قال محقق منكم لأهل الإعتزال مقالة بأمان

ما بيننا خلف وبينكم لدى … التحقيق في معنى فيا أخوان

شدوا بأجمعنا لنحمل حملة … تذر المجسم في أذل هوان

إذ قال إن إلهنا حقاً يرى … يوم المعاد كما يرى القمران

وتصير أبصار العباد نواظراً … حقاً إليه رؤية بعيان

١ - سورة يونس ايه ٢٦ .

٢ - الصواعق المرسلة علي الجهمية والعطلة لأبن قيم الجوزية أختصره محمد بن الموصلي دار الندوة الجديدة بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

لا ريب أنهم إذا قالــوا بــذا　　　لزم العلــو لفاطــر الأكــوان

ويكون فوق العرش جل جلاله　　　فلذاك نحــن وحزبهم خصمان

لكننا ســلم وأنتم إذ تســاعدنا على نفـي العلــو لربنا الرحمــن

فعلوه عين المحال وليـس فـو　　　ق العرش مــن رب ولا ديـان

لا تنصبوا معنا الخلاف فما له　　　طعــم فنحــن وأنتم سـلمان

هذا الذي والله مـودع كتبهم　　　فأنظر تــرى يامــن له عينان!(١).

نعم إن كتبهم وتراثهم يثبتان ما ذهبوا إليه وهو ما أشار إليه أبن القيم في نونيته ، بل أن محققي كتبهم في هذا العصر وتابعيهم يذهبون إلى أكثر مما ذهب إليه الأوائل ، فيقول د . محمود قاسم صاحب مقدمة في نقد مدارس علم الكلام : " ولهذا يقول الإمام محمد عبده إن العلماء قد أتفقوا على نفي الرؤية بالوجه ، لأنهم يعترفون أن الله مخالف للحوادث ، وأنه ليس جسماً ولا يوجد في جهة . أما هولاء الذين لم يريدوا إنكار الرؤية جملة فقد قالوا إنها تختلف عن الرؤية المعروفة لنا . لذا فالخلاف بين المنكرين والمثبتين ليس حقيقياً . والحق عندنا أن الفارق بين متأخري الأشعرية والمعتزلة ليس إلا فارقاً لفظياً ؛ لأن الأولين يقولون إنها رؤية بلا جهة ولا كيفية ، والآخرين يقولون أنها مزيد علم أوانكشاف يخلقه الله في قلوب المؤمنين ، وكلا التعبيرين سواء " (٢).

---

١ - توضيخ المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام أبن القيم الموسومة الكافية الشافية في الإنتصار للفرقه الناجية تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٦ الطبعة الثالثة جـ ١ ص ٤٢٥ - ٤٢٧ .

٢ - مناهج الأدلة لابن رشد مع مقدمة في علم الكلام د. محمود قاسم مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ص ٨٤ .

وحيث أن البغدادي من الأولين الذين أثبتوا الرؤية وقد نفى الجهة والعلو والإستواء وقال إن البصر لا يدرك شيئاً وذلك حين وافق معترضه في قوله : " فإن قيل فقد علمنا بالعقل إن البصر لا يدرك شيئاً فلا فائدة لحمل الآية عليه . قيل يجوز ورود القرآن بتأكيد مادل عليه العقل "(١) .

فالبغدادي يثبت الرؤية وينفي لازمها وهذه مغالطة للفهم ومعارضة لما ثبت من السنة الصحيحة المتواترة في رؤية الله .

وهذا الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله يقول في الإبانة عن أصول الديانة والتي رجع فيها إلى مذهب الإمام أحمد كما ذكر بقوله : " وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون " والإمام أحمد هو إمام هل السنة وعدو أهل البدعة فرحم الله الشيخ وتلميذه والقدوة والمقتدي وصاحب السنة وصاحب الإبانة التي يقول فيها : " وندين بأن الله يرى في الآخرة بالإبصار . كما يُرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كماجاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال سبحانه " كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "* وأن موسى صلى الله عليه وسلم سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلم ذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا " (١) .

وإذا كان أبو الحسن قد عاد إلى مذهب أهل السنة والجماعة وأثبت أعتقاده في كتابه ، فلا شك أن أصحابه قد لزموا أعتقادهم الموضح في كتبهم وذلك بسب المنهج الذي أرتضوه والمسلك الذي سلكوه في الإستدلال والنظر بل أنهم تعدّوا على ذات

---

١ - أصول الدين للبغدادي أنظر ص ١٠١ . * سورة المطففين آية ١٥ .

٢ - الإبانة عن أصول الديانة حققه بشير عون دار البيان دمشق ط ٣ سنة ١٤١١هـ أنظر ص ٤٣ ، ٤٧ , ٤٨ .

الله سبحانه وصفاته العلى التي أثبتها لنفسه فأوّلوها ثم نفوها انطلاقاً من منهجهم واستدلالهم ليبقى سليما من الإعتراضات وأخيراً نقول بما قال به ابن القيم رحمه الله " من أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة "(١) . وهذا شيخ الإسلام يقول " وأما تجليه لعيون عباده فأقر به المتكلمون الصفاتيه كالأشعرية والكلابية ومن نفى منهم علو الرب على العرش ، قال : هو يخلق الإدراك في عيونهم ورفع الحجب المانعة .

وأما أهل السنه فيقرون بذلك ، وبأنه يرفع حجباً منفصلة عن العبد حتى يرى ربه كما جاء في الأحاديث الصحيحة "(٢) . وشيخ الإسلام يعلم أنه لا فرق بين إثبات الأشاعرة للرؤية مع نفي الجهة وبين انكار المعتزلة للرؤية فالخلاف لفظي ولهذا يقول في الفتاوى عندما يردّ المعتزلة على الأشاعرة " ولهذا صار حذاقكم إلى أنكم في الحقيقة موافقون لنا على نفي رؤية الله تعالى ولكن أظهرتم أثباتها لكونها المشهور عند " الحشوية " المشهورين بالسنة والجماعة ؛ ليقال : إنكم منهم أو أثبتم ذلك تناقضا منكم فأنتم دائرون بين المناقضة والمداهنة " (٣). وذكر ابن خزيمة أن لا جميع المؤمنين يرون الله يوم القيامة مخلياً بهم عز وجل وذكر تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم برؤية القمر ذلك اليوم بما يدرك عليه في الدنيا عياناً ونظراً رؤية . .

ويفضّل بهذه الفضيلة أولياؤه المؤمنين ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه من مشرك ومتهود ومتنصر ومتمجس ومنافق كما أعلم في قوله : ﴿ كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم جل ثناؤه بعد دخول أهل الجنة وأهل النار النار فيزيد الله المؤمنين كرامة وإحساناً وتفضلاً منه وجوداً بإذنه إياهم النظر إليه ويحجب عن ذلك جميع أعدائه " (٤).

١ - الصواعق المرسلة لابن القيم أنظر ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ٦ ص ٣٢ .
٣ - نفس المصدر جـ ٦ ص ٤١ ..
٤ - التوحيد لابن خزيمة ص١٧٨ ، ١٨٠ .

ثم يقول شيخ الإسلام : " صار الحذاق من متأخري الأشاعرة على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة وقالوا النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي "(١) .

ويقول إبن القيم " وانما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه ، فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة البصر في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى . وإذا جاز أن يُرى . فالرؤية المعقولة له عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم أن يكون المرئ مقابلاً للرائي مواجهاً له بائناً عنه ولا تعقل الأمم رؤية غير ذلك . وقد ضحك جمهور العقلاء من القائلين بأن الرؤية تحصل من غير مواجهة المرئي ومباينته . وهذا رد لما هو مركوز في الفطر والعقول "(٢) .

ويقول رحمه الله " الناس كانوا طائفتين : سلفية وجهمية ، فحدثت الطائفة السبعية وأشتقت قولاً بين القولين ، فلا السلف أتبعوا ، ولا مع الجهمية بقوا "(٣) .

نعم تلك آراء البغدادي وأصحابه في العقيدة ، لم تلْزم نقلاً ولم تُقنع عقلاً ؟! .

١ - درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص٢٥٠ وانظر جـ٧ ص ٢٣٧ .
٢ - الصواعق المرسلة لابن القيم ص١٨٠ .
٣ - الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية المعطلة للإمام ابن القيم تحقيق د . علي فقيهي ود . أحمد بن عطية الغامدي خ ص ١٠٨ .

الفصل الثامن

عقيدة البغدادي في القدر وأفعال الله تعالى

أما أفعال الله سبحانه فقد أثبتها البغدادي ونفى أن تكون أزلية فقال : " وكل أسم اشتق من فعله لم يكن موصوفاًبه قبل وجود أفعاله " (١) .

وقد تقدم في آثار عصر البغدادي عليه مباحث في الحكمة والتعليل والتجويز عند البغدادي والإستطاعة وتكليف مالا يطاق والعدل وقد خالف فيها البغدادي أعتقاد أهل السنة والجماعة مما كان له الأثر على إثبات القدر والقول بالكسب المؤدي إلى سلب قدرة الإنسان على فعله .

المبحث الأول :

طريقة البغدادي في إثبات القدر وأفعال الله

لقد ساوى البغدادي وأصحابه بين أرادة الله ورضاه فقال : " أجمع أصحابنا على أن إرادة الله تعالى مشيئته وأختياره وعلى أن إرادته للشئ كراهيته لعدم ذلك الشئ كما قالوا إن أمره بالشئ نهي عن ضده " (٢) .

ثم قال : " ومنهم من قال إذا عبرنا عن المعاصي والكفر بأنها حوادث قلنا إن الله تعالى أراد حدوثها ولم نقل أراد الكفر والعصيان وإن قلنا أراد حدوث هذا الحادث الذي هو كفر أو معصيه . . وهذا القول اختيارنا " (٣) .

بل لقد وافقه الباقلاني حين فقال : " وأعلم أنه لا فرق بين الإرادة والمشيئه

---

١ - الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٣٨ .

٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٠٢ والفرق بين الفرق ٣٣٦ .

٣ - أصول الدين للبغدادي ص ١٤٦ .

والإختيار والرضى ، والمحبة على ماقدمنا وأعلم أن الإعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال فمن رضي عنه لم يزل راضياً عنه لا يسخط عليه أبداً وإن كان في الحال عاصياً . . " (١) .

أما أفعال الله الإختياريه كالإستواء والنزول والمجئ وطي السموات والأرض بيده وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن .

فقد تقدم أن البغدادي قد أوّل تلك الأفعال التي هي صفات للبار ي وقد تقدم سرد أقواله في باب الصفات الخبريه والإختياريه .

أما القدر : فقد أثبت أن الله خالق أكساب العباد فقال : " أن الله عز وجل خالقها كما أنه خالق الأجسام والألوان والطعوم والروايح لا خالق غيره وانما العباد مكتسبون لإعمالهم . . فإن قالوا لو كان الكسب فعلاً لله وللعبد لاشتركا فيه . قيل ليس حدوثه منهما حتى يكونا شريكين في إحداثه وانما الله عز وجل خالق الكسب والعبد مكتسب له كما أن الله خالق حركة العبد والعبد متحرك ولا يجب الشركة بمثل هذا " ثم يقول : " وانما يتصور الشركة بين صانعين يكون صنع واحد منهما غير صنع صاحبه في الجنس الواحد " (٢) .

البغدادي وأصحابه يضربون مثلاً للكسب :

قال البغدادي : " وقد ضرب بعض أصحابنا للإكتساب مثلاً ، في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل ويقدر آخر على حمله منفرداً به . إذا أجتمعنا جميعاً على حمله كان حصول الحمل باقواهما ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً .

---

١ - الإنصاف للباقلاني ص ٤٠ .
٢ - أصول الدين للبغدادي ص ١٣٤ ، ١٣٧ ،

كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله ولو أراد الله الأنفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه ووجد مقدوره ، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً وإن وجد الفعل بقدرة الله تعالى فهذا قول معقول " (١).

نفي الإستطاعة قبل الفعل :

إن البغدادي كأصحابه ينفون الاستطاعة قبل الفعل فقال : " ونحن نقول إن الله عز وجل هو الذي جعل أفعالنا أشياء و أعراض وهذا معنى قولنا إن الله عز و وجل خلق أعمال عباده ومعناه أنه الذي جعل أشياء وأعراضاً ، وقد سلمتم لنا أن الأنسان لم يجعلها كذلك فالذي نفيتموه عن الإنسان أضفناه إلى الله عز وجل " (٢) .

وقال الباقلاني قبل ذلك : " ويجب أن يعلم أن الإستطاعة للعبد تكون مع الفعل لا يجوز تقديم العلم على المعلوم ولا الإدراك على المدرك " (٣). ومبنى هذا قولهم " أجمع أصحابنا على أن الأعراض لا يصح بقاءها فإن كل عرض يجب عدمه في الثاني من حال حدوثه " (٤).

ومن هنا نعلم عقيدة البغدادي في قدر الله وأفعاله بما يلي :

أولاً : إن أفعال الله لم تكن أزلية وانه كان سبحانه معطلاً عن الفعل بل أن ما أثبته وأصحابه هي مفعولات لم يتجدد لله منها وصف لائق بجلاله .

ثانياً : إن أفعال الله الإختياريه كالإستواء والنزول والمجيء والفرح والغضب والرضى . . قد أوّلها ونفاها عن الوصف الكامل لله واللائق بجلاله .

---

١ - نفس المصدر ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
٢ - أصول الدين ص ١٣٣ .
٣ - الإنصاف للباقلاني ص ٤١
٤ - اصول الدين للبغدادي ص ٢٣٠

ثالثاً : إن إرادة الله لما يشاء هو أمره ورضاه ومحبته ولم يفرق هو وأصحابه بين الإرادة الكونيه والإرادة الشرعية .

رابعاً : إن البغدادي ينفي الحكمة وسلط مبدأ التجويز على أفعال الله مثل تعذيب المؤمنين ودخول الكافرين الجنة ؟! .

خامساً : إن الكسب عنده أصطلاح للخروج به من الجبر وهو ما يؤول إليه عند التحقيق .

المبحث الثاني

نقد عقيدة البغدادي في القدر وأفعال الله

إن التزام البغدادي وأصحابه بدليل الحدوث لإثبات وجود الرب سبحانه قد أوقعهم في محاذير ومخالفات كانوا في غنىً عنها وبدونها أتقى وأنقى في دينهم وفي الآخرة والأولى .

غير أن مخالفتهم لمن كانوا قدوة في الإمتثال لأمر الله ورسوله وقولهم بما لم يقولوا به وإعراضهم عن ذلك المنهج السلفي النقي ؛ كل ذلك مما أوجب عليهم قياساً في غير محله وتخرصات لاطائل تحتها كيف وقد جعلوا الله سبحانه وتنزه عن أقوالهم هو موضوع إجتهادهم وكثير أقوالهم ومن ذلك حكمهم أن الله سبحانه لم يكن خالقاً في الأزل ولا فاعلاً وإن ارادته واحدة أزلية ، وان الله ليس له حكمة في خلق الخلق ولا غرضاً وأنه سبحانه لا ينزل كما أخبر عنه الصادق المصدوق ولا يستوي كما أخبر هو عن نفسه ولا يجيء ولا يفرح ولا يضحك ولا يغضب ولا يقبض السموات السبع والأراضين بيده ولا يقلب القلوب ، ورضاه وحبه أزليان لمن أراد لهم ذلك وإرادته لكل شيء حبه له ورضاه عنه وقولهم بجواز كل شئ لأنهم نفوا الحكمة والأسباب وجعلوا العبد شبه مجبور على فعله بما قالوا من الكسب والإقتران وأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بمايشاء وتعالى الله عن عدلهم هذا ، فالله متصرف بما شاء لكن بحكمة فلا يظلم أحدا .

أفعال الله في الأزل

ومما ثبت في عقيدة البغدادي هو إعتقاده أن الله سبحانه لم يكن فاعلاً في الأزل وبهذا ألتزم بعدم وصف الله سبحانه بأي من أوصاف أفعاله لإنها ليست بأزلية وقد تقدم في العرض اثبات ذلك " وأصل هذا الكلام من الجهمية فإنهم قالوا : إن دوام الحوادث ممتنع ، وانه يجب أن يكون للحوادث مبدأ ، لامتناع حوادث لا أول

لها ، فيمتنع أن يكون الباري عز وجل لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئته ، بل يمتنع أن يكون قادراً على ذلك ، لأن القدرة علي الممتنع ممتنعه ! " قلت - وهذا أصل قول ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما ، فإنهم قالوا : ان الفعل صار ممكنا له بعد أن كان ممتنعاً منه وأما الكلام عندهم ، فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شئ واحد لازم لذاته .

وهذا فاسد ، فإنه يدل على إمتناع حدوث العالم وهو حادث ، والحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً ، فلابد أن يكون ممكنا ، والإمكان ليس له وقت محدد ، وما من وقت يقدّر إلا والإمكان ثابت فيه ، وليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه ، فيجب أنه لم يزل الفعل ممكناً جائزاً صحيحاً ، فيلزم أنه لم يزل الرب قادراًعليه ، فيلزم جواز حوادث لا نهاية لأولها " (١)." وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره ، فدل على أن أفعاله قائمه بذاته ، مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته ، وقد حكى البخاري إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق وعلى هذا يدل صريح المعقول . فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن ، وإن الله أنفرد بالقدم والأزلية ، وقد قال تعالى ﴿ خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾(٢). فهو حين خلق السموات أبتداءاً ؛ أما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقاً للسموات والأرض ، وإما أن لا يحصل منه فعل ، بل وجدت المخلوقات بلا فعل ، ومعلوم أنه إذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها سواء ، وبعده سواء ، لم يجز تخصيص خلقها بوقت بلا سبب يوجب التخصيص .

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية أنظر ص ٧٣ .

٢ - سورة الفرقان آيه ٥٩ .

وأيضاً فحدوث المخلوق بلا سبب حادث ممتنع في بداهة العقل ، وإذا قيل الإرادة والقدرة خصصت ، قيل نسبة الإرادة القديمة إلى جميع الأوقات سواء . . وقولكم هذا تسلسل . فيقال ليس هذا تسلسلاً في الفاعلين ، والعلل الفاعلة ؛ فإن هذا ممتنع بإتفاق العقلاء ، بل هو تسلسل في الآثار والأفعال ، وهو حصول شئ بعد شئ ، وهذا محل النزاع .

ثم يقول شيخ الإسلام : فالسلف يقولون : " لم يزل متكلماً إذا شاء ، وقد قال تعالى ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ (١) فكلمات الله لا نهاية لها ، وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل فإن نعيم الجنة دائم لانفاد له ، فما من شئ إلا وبعده شئ لا نهاية له " (٢). والله سبحانه هو الأول والآخر ومشيئته وقدرته مطلقة وهذا من تمام كماله ولازم صفاته العلى ولا ينفي هذا إلا متحكم قد ظهر فساد قوله وبطلان دليله وبرهانه .

أفعال الله الاختياريه

قال الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويت بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (٣) .

قال إبن كثير رحمه الله " وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها وفي أمثالها مذ هب السلف وهو إمرارها كما جاء ت من غير تكييف ولا تحريف " (٤).

وروى البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يامحمد إنا نجد أن الله

١ - سورة الكهف ١٠٩ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٦ ص ٢٣٠ .
٣ - سورة الزمر آيه ٦٧ .
٤ - تفسير القر آن العظيم لابن كثير صحح باشراف خليل الميس دار القلم بيروت الطبعة الثانية جـ ٤ ص ٥٧ .

عز وجل جعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة " (١) .

قال إمام الإئمةابن خزيمة رحمه الله : " باب ذكر إمساك الله تبارك وتعالى أسمه وجل ثناؤه السموات والأرض وما عليها على أصابعه جل ربنا عن أن تكون أصابعه كاصابع خلقه وعن أن يشبه شئ من صفات ذاته صفات خلقهوقد أجلّ الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقا وتعجباً لقائله لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته " (٢) .

قال النووي رحمه الله " ظاهر الحديث أن النبي ﷺ صدق الحبر في قوله إن الله تعالى يقبض السموات والأرضين والمخلوقات بالأصابع ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول .

- ثم أورد النووي قولاً للمتكلمين ثم رد عليه - قال القاضي وقال بعض المتكلمين ليس ضحكه ﷺ وتعجبه وتلاوته للآية تصديقاً بل هو رد لقوله وإنكار وتعجب من سوء إعتقاده . . وقوله تصديقاً له إنما هو من كلام الراوي على ما فهم والأول أظهر " (٣) وهذا دليل على سلفية الإمام النووي فهذا قدر أهل الحديث .

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله " لما خلقت بيدي " دار الفكر جـ ١٣ ص ٣٩٣.
؛ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار مكتبة الرياض الحديثة جـ ١٧ ص ١٣١ .

٢ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي نزله عى محمد صلي الله عليه وسلم للحافظ إمام الأئمة محمد بن اسحق بن خزيمةً راجعه محمد خليل الهراس دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٣هـ ص ٧٦ .

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامه والجنه والنار مكتبة الرياض الحديثة جـ ١٧ ص ١٣٠ / ١٣١ جـ٢

إن هذا وغيره كثير مما قاله علماء أهل السنة والجماعة رحمهم الله في إثبات الصفات اللائقة بالله تعالى جلاله وعظمته وهذا " معلوم بالسمع إتصاف الله تعالى بالأفعال الإختيارية القائمة به ، كالاستواء إلى السماء ، والإستواء على العرش ، والقبض ، والطي والإتيان ، والمجئ ، والنزول ، ونحو ذلك بل والخلق ، والإحياء، والإماته ، فإن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة كالأستواء ، وبالأفعال المتعديه كالخلق ، والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم ، فإن الفعل لابد له من فاعل ، سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن ، والفاعل لابد له من فعل ، سواء كان فعله مقتصراً عليه أو متعدياً إلى غيره . والفعل المتعدى إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله ، إذا كان لابد له من الفاعل ، وهذا معلو م سمعاً وعقلاً .

أما السمع فإن أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، بل وغيرها من اللغات ، متفقون على أن الإنسان إذا قال " قام فلان وقعد " أو قال " أكل فلان الطعام وشرب الشراب " فإ نه لابد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة . . فقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم أستوى على العرش ﴾ (١) تضمن فعلين : أولهما متعد إلى المفعول به ، والثاني مقتصر لا يتعدى ، فإذا كان الثاني وهو قوله تعالى ﴿ ثم استوى ﴾ فعلاً متعلقاً بالفاعل فقوله " خلق كذلك بلا نزاع بين أهل العربية .

ولو قال القائل " خلق لم يتعلق بالفاعل ، بل نصبت المفعول به ابتداء ، لكان جاهلاً ، بل في خلق ضمير يعود إلى الفاعل كما في أستوى .

وأما من جهة العقل : فمن جوز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له ، كالمجئ والإستواء ، ونحو ذلك لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق كالخلق والبعث

---

١ - سورة الحديد آيه ٤ .

والإماته والإحياء ، كما أن من جوز أن تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة لم يمكنه أن يمنع قيام الصفات المتعلقه بالغير ، كالعلم والقدرة والسمع والبصر ، ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضربين دون الأخر ، بل قديثبت الأفعال المتعدية القائمة به كالتخليق من ينازع في الأفعال الازمة . كالمجئ والإتيان ، وأما العكس فما علمت به قائلاً .

وإذا كان كذلك كان حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابعاً لما يفعله من أفعاله الإختيارية القائمة بنفسه ، وهذا سبب الحدوث ، والله تعالى حي قيوم لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء ، فعال لما يشاء . وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث نقلوه عن السلف والأئمة وهو قول طوائف كثيرة . . "(١) فماذا بعد الحق !؟

الإرادة

حيث أن البغدادي كأصحابه لم يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به ديناً وبين ما يريده كوناً وهذا سبب كبير من الأسباب التي أعتمدوها في أقوال كثيرة مخالفة للحق وأئمة الخلق ، فقال أبن القيم : "وها هنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له ، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علماً ، وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر . وأمره سبحانه نوعان : أمر كوني قدري ، وأمر ديني شرعي ، فمشيئته سبحانه متعلقه بخلقه وأمره الكوني ، وكذلك تتعلق بما يحبه وبما يكرهه ، كله داخل تحت مشيئته ، كما خلق إبليس وهو يبغضه وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطه له وهو يبغضها . فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله .

---

١ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د . محمد رشاد سالم طبع جامعةالإمام سنة ١٤٠٠هـ أنظر ص ٣, ٤, ٥ .

وأما محبته ورضاه فمتعلقه بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله . فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعاً فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكه والأنبياء والمؤمنيين ، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تعلق به مشيئته وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني ، ومالم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته ، فلفظ المشيئة كوني ولفظ المحبه ديني شرعي ، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونيه فتكون هي المشيئة ، وإرادة دينيه فتكون هي المحبه " (١) .

وأما تجدد إرادة الله فقد قال شيخ الإسلام في ذلك " أنه لم يزل مريداً بإرادات متعاقبه ، فنوع الإرادة قديم ، وإما إرادة الشيء المعين فإنما يريده في وقته ، وهو سبحانه يقدر الأشياء ويكتبها ، ثم بعد ذلك يخلقها ، فهو إذا قدرها علم ما سيفعله ، وأراد فعله في الوقت المستقبل " (٢) .

ثم قال شيخ الإسلام مبيناً اعتقاد الأشاعرة في الإرادة : " وقالت الجهميه ومن أتبعها من الأشعرية وأمثالهم : قد علم بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه . . ثم قالوا وإذا كان مريداً لكل حادث والإرادة هي المحبة والرضا؛ فهو محب راض لكل حادث ؛ وقالوا : " كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فإن الله راض به محب له : كما هو مريد له .

فقيل لهم : فقد قال تعالى : ﴿ لا يحب الفساد ﴾ (٣).﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾(٤). فقالوا : هذا بمنزلة أن يقال : لا يريد الفساد ؛ ولا يريد لعباده الكفر . .

---

١ - شفاء العليل لأبن القيم دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ ص ٨٨ ، ٨٩ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ١٦ ص ٣٠٣ .
٣ - سورة البقرة آية ٢٠٥ .
٤ - سورة الزمر آية ٧ .

وحقيقة قولهم : أن الله أيضاً لا يحب الإيمان ولا يرضاه من الكفار . فالمحبه والرضا عندهم كالإرادة عندهم متعلقة بما وقع دون مالم يقع ؛ سواء كان من أسباب سعادة العباد أو شقاوتهم ؛ وعندهم أن الله يحب ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان ؛ ولا يحب مالم يوجد من الإيمان والطاعة كما أراد هذا دون هذا " (١) .

القـــدر

إن انكار البغدادي وأصحابه حكمة الله وتعليله في الخلق لإن ذلك يؤدي للحاجة والله سبحانه غير محتاج قد أدى بالبغدادي إلي القول بمبدأ الجواز وتكليف ما لا يطاق وقد سبق مناقشة هذه الأمور في مباحث عصر البغدادي وبينا قول أهل الحق في ذلك وجميع هذا أدى بهم إلى القول بالكسب في باب القدر .

وقد بين شيخ الإسلام أن الغالب في قولهم ذلك هو الجبر فقال " والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئه في باب الأسماء والأحكام جبرية في باب القدر وأما في الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم " (٢) .

والقدر هو تقدير الله تعالى الأشياء في الأزل وعلمه سبحانه بما سيقع في أوقات معلومه وعلى صفات مخصوصة وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته ثم تقديرها ووقوعها وخلقه لها ، وقد أمرنا الله سبحانه بالإيمان بالقدر خيره وشره فقال شيخ الإسلام :" وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين . . ثم ذكر ما يأتي :

أولاً : الإيمان بان الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم .

١- فتاوى شيخ الإسلام جـ٨ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٦ ص ٥٥ .

ثانياً : ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق .

ثالثاً : مشيئة الله النافذه وقدرته الشاملة .

رابعاً : كل ما في الأرض والسماء فالله خالقه سبحانه ، لا خالق غيره ولا رب سواه " (١).

الكســـب

وقد سلب البغدادي تلك القدرة التي أودعها الله في العبد وذلك حين مثله بحامل الحجر فإنه لا يستطيع حملها لوحده وماذاك إلا أنه لم يفرق بين تلك القدرة الكونية وبين تلك القدرة التي بها يؤمر المخلوق ثم يحاسب على عمله ثم أنهم قد منعوا الإستطاعة والقدرة قبل الفعل .

وهنا يبين شيخ الإسلام هذا فيقول : " والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالقهم وخالق أفعالهم ؛ والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم ؛ وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ؛ والله خالقهم وخالق قدرهم وإرادتهم . . وهذه الدرجة من القدر : يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته وأختياره . ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها " (٢) .

" ثم قول ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (٣) مبطل لقول الطائفتين المنحرفتين عن قصد السبيل ، فأنه يتضمن إثبات فعل العبد وقيام العبادة به حقيقة ، فهو العابد على الحقيقة وإن ذلك لايحصل له إلا بإعانة رب العالمين عز وجل له ، فأن لم يعنه ولم يقدره ، لو لم يشأ له العباده لم يتمكن منها ولم يوجد منه البته ، فالفعل منه

---

١ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٣ أنظر ١٤٨ ، ١٤٩ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ ٣ ص ١٥٠ .
٣ - سورة الفاتحة آية ٥ .

والإقدار والإعانه من الرب عز وجل" (١) . فالعبد فاعل والله مقدر وخالق الأسباب .

أما الكسب الأشعري فقد قال المائلين إلى الجبر فيه أنه " قدرة العبد فلا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها ، وان الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها ، فيكون الفعل خلقاً من الله أبداعاً واحداثاً ، وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته ، وقالوا أن العبد ليس محدثاً لأفعاله ولا موجد لها ، ومع هذافقد يقولون : أنا لا نقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثه والجبري المحض الذي لا يثبت للعبد قدرة .

وأخذوا يفرقون بين الكسب الذي أثبتوه وبين الخلق فقالوا : الكسب عبارة عن إقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة " (٢) .

وحقيقة الأمر " إن كان لم يكن للعبد إختيار ولا فعل ولا كسب البتة فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمراً معقولاً ولهذا يقال محالات الكلا م ثلاثة : كسب الأشعري ، وأحوال أبي هاشم ، وطفرة النظام . ولما رأى طائفة فساد هذا القول قالوا : الموثر في وجود الفعل هو قدرة الرب على سبيل الإستقلال ، ولا يمتنع إجتماع المؤثرين على أثر واحد ، ولم يستوحش هؤلاء من القول بوقوع مفعول بين فاعلين ، ولا مقدور بين قادرين " (٣) .

بيان قدرة العبد عند أهل السنة على الفعل .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : " إن العبد إذا صلى وصام وفعل الخير أو عمل شيئاً من المعاصي ؛ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح وذلك العمل السيئ ، وفعله المذكور بلا ريب قد وقع بإختياره وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور .

---

١ - شفاء العليل لابن القيم ص ٩٦ .
٢ - فتاوى شيخ الإسلام جـ٨ ص ١١٨ ؛ ١١٩ .
٣ - شفاء العليل لابن القيم ص ٩٢ .

ومع ذلك ؛ إذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر وكيف تشملها المشيئة ؟! .

فيقال : بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها ؟ فيقال : بقدرتهم وإرادتهم ، هذا يعترف به كل أحد ، فيقال : ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم ؟ فالجواب الذي يعترف به كل أحد أن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال . فهذا هو الذي يحل الإشكال ، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه إجتماع القدر والقضاء والإختيار . ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة وصرف عنهم المانع " (١) .

وبهذا ينتهي مبحث القدر الذي ضل فيه البغدادي وأصحابه وقالوا بكسب لا يعقل ينتهي بهم إلى الجبر كما قال شيخ الإسلام ذلك أنهم نفوا الأسباب وأفعال الله في الأزل والتعليل لأوامره والحكمة والإستطاعة قبل الفعل لإن العرض لا يبقى زمانين عندهم أما الإرادة فقد فسروها بالرضا والمحبة وهذا خلاف قول أهل الحق ويترتب على هذا أوامر مخالفة للشرع .

وهذا مآل من يعرض عن السمع إلى دلائل العقل بعيداً عن النقل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

١ - التنبيهات اللطيفة على العقيدة الواسطية للشيخ عبد الرحمن السعدي إشراف عبد الرحمن الرويشد وسليمان حماد الطبعة الأولى ص ٤٧ .

تعقيب *

سبقت الإشارة فى أول البحث إلى دعوى البغدادي وقوله باتفاق أهل السنة والجماعة على تلك الأصول عنده ، وبعد عرض ونقد تلك الأقوال تبين مايلى :

١ - لقد اتضح من خلال البحث عودة مؤسس هذا المذهب وأكثر علمائه إلى مذهب أهل السنة الحق .

٢ - إن الموافقة على أقوالهم وأفكارهم ومقدماتهم وجواهرهم وأعراضهم نقد بل طعن في السابقين من المهاجرين والأنصار الذين ماقالوا بهذا ولاعلموه ولاعملوا به .

٣ - إن عامة الأمة لاتعلم من هذه الأصول شيئاً وكل ماعلمته هو القول بالإرجاء في الإيمان وفصل العبادة عن أصول الإعتقاد ..

٤ - نعم قد ورد الثناء على البغدادي وأصحابه من علماء الأشاعرة في كتب التراجم لكن وبسبر تلك التراجم فإنهم لم يتعرضوا إلى عقيدتهم بل إن أصحاب تلك المعاجم والكتب أما أنهم أشاعرة كالسبكي المتعصب جداً لمذهبه أو لم يذكروا شيئاً عن العقائد ، أما بعد عصر ابن تيمية وابن القيم فقد تبينت الأمور ورد عليهم وأُنكر صنعهم فلقي هو وتلميذه ابن القيم عنتاً وحقداً نحسبه لهم أجراً وثواباً عند الله .

٥ - ومن هنا وجب إيراد بعض أقوال العلماء من أهل السنة الحق في هذه الدعوى فقال شيخ الإسلام : «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفه ومالك والشافعي وأحمد ، فإنه مذهب الصحابه

* أنظر البحث ص ٦٢-٦٥ .

الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة» ثم يقول : «وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة فلايدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى » أنظر منهاج السنة جـ ٢ ص٦٠١ ، ٢٢١ .

ويقول : «ومرادهم الأشعريه الذي ينفوق الصفات الخبرية وأما من قال منهم بكتاب الإبانة" الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقاله تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة . . وأما الأشعريّة فعكس هؤلاء وقولهم يستلزم التعطيل وأنه لاداخل العالم ولاخارجه وكلامه معناً واحداً ومعنى آية الكرسي وآية الدين والتوراة والإنجيل واحد وهذا معلوم الفساد بالضرورة ، وكذلك الكلمات هي عندهم شئ واحد فحقيقة قولهم : «أنه لا رب ولا قرآن ولا إيمان فقولهم يستلزم التعطيل » فتاوي جـ٦ ، ص٣٥٩ ، ٣١٠ .

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في رده على الصابوني الأشعري : «وليس للسلف إلا مذهب واحد وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهم الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان وهو الأسلم والأعلم والأحكم أما المذهب الثاني فهو مذهب الخلف المذموم وهو مذهب أهل التأويل والتحريف والتكييف » فتاوى وتنبيهات للشيخ بن باز ، مكتبة السنة ، ط١ ، سنة ١٤٠٩ هـ ص١٩١.

وقال الشيخ ابن عثيمين : «نقول إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ماكان عليه أهل التأويل فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة وهم الصحابة الذين هم خير القرون والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء والصفات وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولاتعطيل ولاتكييف ولاتمثيل وهم خير القرون بنص الرسول صلى الله عليه وسلم وإجماعهم حجه ملزمه لأنه

لأنه مقتضى الكتاب والسنة [1] .

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين : " ولهذا يخطئ من يقول إن أهل السنة والجماعة ثلاثة : سلفيون ، وأشعريون ، وماتريديون فهذا خطأ ، نقول : كيف يكون أهل السنة مختلفون ؟ فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

ويختم فضيلته هذا المبحث في شرح العقيدة الواسطية بقوله أن : (السلف هم أهل السنة والجماعة ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً ، والكلمات تعتبر بمعانيها . للنظر كيف نسمي من خالف السنة أهل السنة ؟! لا يمكن .. فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً ، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ فإنه سلفي) [2].

ويقول الشيخ د. سفر الحوالي في ختام بحثه (منهج الأشاعرة في العقيدة) : (والحاصل أن قولنا إن الأشاعرة فرقة ضالة يعني أنها منحرفة عن طريق الحق ومنهج السنة ولا يعني مطلقاً خروجها عن الملة وأهل القبلة) [3].

تنبيه : إنه لم يعلم عن أحد من أهل السنة والجماعة السلف علماء وطلاب علم قولهم إن من عداهم فهو كافر ، إن هذا لبهتان عظيم ، وهنا يبين سماحة الشيخ عبد العزيز الرد على هذا القول بعد ما تبين أن فرقة الأشاعرة من فرق الأمة ولا تعد من أهل السنة والجماعة فقال : (ولا يلزم من ذم مذهب الخلف والتحذير منه القول بتكفيرهم فإن التكفير له حكم آخر .. فلا يجوز أن يقال أنه يلزم من ذم مذهب الخلف والإنكار على الأشاعرة ما وقعوا فيه من تأويل الصفات وتحريفها .. القول بتكفيرهم ، وإنما المقصود بيان مخالفتهم لأهل السنة في ذلك و بطلان ما ذهب إليه الخلف من التأويل وبيان أن الصواب هو مذهب السلف الصالح وهم أهل السنة والجماعة) [4].

---

(١) القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى للشيخ ابن عثيمين ، دار الكتب ط ثالثة ١٤٠٨ ص (٧٩– ٨٠) .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ ابن عثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤١٥ ، ج١ (ص ٥٣ –٥٤) .

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة ، د. سفر الحوالي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، عدد (٦٢) ص ٩٨ .

(٤) فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز ، مكتبة السنة ، ط الأولى ، سنة ١٤٠٩ هـ ، (ص ١٩١) .

الخاتمه

وبعد إتمام البحث في موضوع ، عقيدة عبد القاهر البغدادي عرضاً ونقداً على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، وحيث أن البغدادي قد ولد في بغداد في منتصف القرن الرابع تقريباً ، ثم رحل إلى نيسابور مع والده ، ودرس العلم ولازم الشيوخ ثم أصبح مدرساً وقعد للإملاء في مدارسها ، ثم ألف في العقيدة على مذهب الأشاعرة الذي أصّل فيه وأنتصر له ، ثم جمع إتفاق الأمة وإجماعها على تلك الأصول التي لم يقل بها أحد من قبله مجتمعة ، ثم ضلل من خالف ذلك الإجماع فالله المستعان! . غير أنه هاجم فرق الزيغ والهوى وألف في ذلك ، لكنه أستخدم سلاحهم في الجدل والكلام وكان اللائق بمثله أن يدافع عن عقيدة الإسلام بسلاحها الراشد ودرعها المكين ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولمّا لم يتم ذلك ولوجود الثغور الجدلية في الكلام في عقيدة الأشاعرة لأنها لا تنصف العقل ولم تأخذ بالشرع ؛ فكان نتيجة ذلك في هجومه على الفرق أن كفر آحاداً ثم جماعات والتزم أيضاً بقوله إنّا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة وذلك يشمل فرق أهل الأهواء جميعها ويمكن بيان غلط البغدادي في أمور العقيدة بما يلي :

أولاً : معرفة الله فلقد أنكر البغدادي المعرفة الضرورية في المخلوق للخالق ، تلك الفطره التي ركزها الله في جبلّة الإنسان حين كرمه الله على سائر الخلق وكأنه لم يقرأ آيات الفطرة وآحاديثها .

ثم أستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ذلك هو دليل الحدوث المعتمد على الجوهر الفرد والأعراض .

ثانياً : لم تنته مصائب إنكار الضرورة والإعتماد على دليل الحدوث عند هذا بل

إن هذا قد تسلط على الثابت من الكمال اللازم لصفات الله تعالى فعدوه حدوثاً وأعراضاً وأبعاضاً وتركيباً وآلاماً وسروراً وغماً ذلك أنهم شبهوا الخالق بالمخلوق ثم نفوا لازم الخالق ذلك الكمال الإلهي الذي لا يعلم حقيقته إلاهو سبحانه .

ثالثاً : أما كلمة التوحيد لاإله إلا الله والتي يدخل بها المرء إلى الإسلام وبعدمها يخرج منه ، فإنها عند البغدادي وأصحابه مُسقطة للجزية ويدفن قائلها مع موتى المسلمين ويصلى عليه ذلك أن الإيمان عندهم مرتبط بمعرفة أصولهم العقلية - كما ذكر - والتي يصبح بمعرفتها المرء مؤمنا .

أما التوحيد الذي يقرره علماء الأمة السلف القائم على توحيد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وأنه الخالق الرازق ولا رب سواه وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له وهو توحيد الألوهية والمتضمن توحيد الربوبية والمتمثل في شهادة لاإله إلاالله وأن محمداً رسول الله ، فهذا جميعه لاوجود له في توحيد الأشاعرة . ذلك أن تلك العبادة إنما هي واجبة بالشرع عندهم فليس لها علاقة بالتوحيد وهذا من أعظم مخدرات الأمة وضياعها عن الحق وعبادة رب الخلق .

رابعاً : إن الإيمان الحق هو قول باللسان وإعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وهذا ثابت بالسنة والقرآن . أما البغدادي وأصحابه فإن الإيمان عندهم هو التصديق والمعرفة وعلى هذا فإنهم قد خالفوا القاعدة أن كل مؤمن مسلم لا العكس أما عندهم فكل مسلم مؤمن وهذا مخدر ثانٍ للأمة فالله سبحانه ومن عدله لا يتساوى عنده إيمان أبي بكر الذي يعادل إيمان أمة مع إيمان الخالفين في كل زمان وآن بهذا نقول وعلى الله التكلان .

خامساً : تقدم تأويله وأصحابه صفات الله التي توهم التشبيه عندهم أما تلك

التي أثبتوها بالعقل فقد جردتها عقولهم من الكمال اللازم فعندهم أن الله لا يتكلم متى شاء لأن ذلك حدوث منزه الله عنه ثم أن الكلام الذي أثبتوه لم يكن الذي ذكره الله في كتابه وإنما كلام الله أزلي قائم به وقرآنه عبارة عنه بلغة الرسول بلغه قومه .

قال السلف : الكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ ..

سادساً : أما النظر إلى وجهه الكريم وهو الحسنى والمزيد والزيادة لأهل الجنة والزيادة فلا شك أن البغدادي وأصحابه قد أثبتوا نظراً ورؤية ولكن كعادتهم يموهون بالكلام ثم ينسفون قواعد الكلام المعقول فإن الرؤية عندهم بعد المناقشة لمذهبهم هي عبارة عن كشف وإدراك وتجلي يخلقه الله في عين الناظر ليرى ربه وهم الذين أنكروا وجهه ويده وعينه فبالله ياأيها المسلمون ماذا يريد أن يرى هؤلاء ؟!وصدق أبن القيم رحمه الله الذي قال من أنكر حقيقة الوجه لم يثبت عنده لله رؤية .

أما علو الله سبحانه فتلك الطامة الكبرى في عقيدتهم فقد أنكروا كل ماله علاقة بهذا العلو فأوّلوا الإستواء والعرش ثم نفى البغدادي أن يكون الله في جهة بل أنه لم يذكر المعراج من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو معلوم بالتواتر مع أنه ذكر غيره من أحاديث الآحاد فلا العرش أثبت ولا المعجزة ولا الإستواء وعلى هذا فإن القوم لا يعلمون أين معبودهم !.

سابعاً : أما أفعال الله فليس لله فيها حكمة ولم يكن الله فاعلاً في الأزل عنده، ثم إن الله لا يستحق صفات فعله لأنها ليست بأزلية على قاعدتهم وإرادته واحدة فهو راض محب لكل ماخلق وكل ما أمر ولم يفرقوا بين الإرادة الكونية التي خلق الله بها كل شئ وبين الإرادة الشرعية التي أمر الله بها كل أمر يحبه ويرضاه أما قدرة العبد فقد أثبتوا له كسباً مقارناً لفعل الله وخلقه فقالوا هو إقتران الفعل بالقدرة

الحادثه من غير أن يكون للعبد القدرة التامة ومثلوا لذلك بمن يحمل الحجر ولا يقدر عليها فيأتي من يحملها ويشارك ذاك بالمقارنة فقط ويعد ذلك كسباً وقد عده شيخ الإسلام جبرا . وهم ينفون الإستطاعه قبل الفعل ذلك أنهم ينفون الأسباب .

ثامناً : أما التصوف والصوفية : فقد عدهم البغدادي صنفاً من أصناف أهل السنه والجماعة عنده . وألّف في ذلك ودرس عليه القشيري صاحب الرسالة في التصوف وقد أمتزج هذا بهذا - أعني المذهب الأشعري - وأهل الشطحات والإشارات والعبارات الصوفية حتى جاء عصر الغزالي وقد نضجا جميعهما والتحما ويبين ذلك صاحب المقدمة حيث قال : "وجمع الغزالي بين الأمرين في كتاب الإحياء فدون فيه أحكام الورع والإقتداء [بالمشائخ - أصحاب الطرق -] ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح إصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علماً مدونا بعد إن كانت الطريقة [عبادة - خرافية -] فقط ، وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال " مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٩ .

وقد بُين في هذه الرساله أن هؤلاء الصوفية اليوم إن كان الإسلام يشملهم فلا داعي لهذه الطقوس والتسميات والشطحات والعبارات والإشارات والوجد والأذواق، وإن كانوا مصرّين عليها فإن الإسلام غنيٌ عنهم .

كيف وعصر الصحابة وصدر الإسلام علم وجهاد ودعوة وإتباع في إخلاص فهل ما عند القوم زيادة على ذلك العصر الناصع البياض الساطع بنور الرسالة ، وقد أتم الله دينه ونعمته ثم رضي لنا بما بلغه رسول الهدى وخاتم الأنبياء الذي أخبرنا وهو لا ينطق عن الهوى أن كل محدثة بدعة " وكل بدعة ضلالة " مسلم جـ٦ ص ١٥٣ . ثم ذُكر أن الصوفية رمز لا يشرف أصحابه في شئ كيف وقد أصبحت كتبهم وإشاراتهم وعباراتهم مصدر معلومات المستشرقين والمغرضين ضد هذا الدين

الحنيف ، فلايعرف الإسلام في الغرب والشرق إلا من مباحثهم ذلك أنهم توغلوا في دراسة تلك المذاهب المنحرفة .

بل إن مساجد للمسلمين اليوم في شتى الأقطار قد ملئت ظلماً وعدواناً أضرحة ومزارات ومقابر يطوف عليها الناس كطوافهم بالبيت العتيق إلاماشاء الله .

وأخيراً فإن العلاقة الراسخة بين تلك الصوفية والشيعة لايخفى أمرها ولايكتم خبرها ، قال الشيخ أبو بكر الجزائري : «وهل أوجد الطرق التي كانت عيوناً للإستعمار الغربي ، وعوناً له على إحتلال ديار المسلمين غير التصوف ، وهل وضع أصول التصوف من الطريقة والشيخ المأذون والعهد والبيعة للشيخ ، والأوراد ، والخلوة ، والفناء ، والكشف ، والشريعة ، والحقيقة ، والظاهر والباطن ، غير التحالف المجوسي اليهودي الصليبي ، وهل جاء بمذهب الحلول ووحدة الوجود غير التصوف والمتصوفة » وجاءوا يركضون . . للجزائري راسم للإخراج والإعلان جده ١٤٠٦هـ ، ص ١٥٧.

تاسعاً : أما قوله بإتفاق أهل السنة والجماعة على تلك المسائل والأصول التي قررها وأصحابه في كتبهم فكيف يحدث هذا وقد ثبت بالبحث بعد العرض والنقد أن أعظمها لايوافق مذهب السلف .

وعلى هذا يتبين أن دعوى اتفاق أهل السنة والجماعة على تلك الأصول عند البغدادي ليست على حق والله أعلم .

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس الآيات

		رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة .			
	لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره - -	٥٥	٣٨٠
	قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة ..	٩٤	٣٨١
	ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى - -	١٢٠	٤١٧
	والهكم اله واحد - -	١٥٩	٤٠٨و٣٨٣
	واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله - -	١٧٠	٢٢١
	يريد الله بكم اليسر - -	١٨٥	٣٦٤
	لايحب الفساد - -	٢٠٥	٤٣٩
	هل ينظرون إلاان يأتيهم الله - -	٢١٠	٣٥١
	فهدى الله الذين آمنوا - -	٢١٣	٣٠٥
	ولايحيطون بشي من علمه - -	٢٥٥	٣٦٨
	واتقوا الله ويعلمكم الله - -	٢٨٥	٢٤٨
سورة آل عمران :			
	هو الذي انزل عليك الكتاب - -	٧	٧٧
	والراسخون في العلم يقولون آمنا - -	١٠	١١٦
	قل إن كنتم تحبون الله - -	٣١	٢٣٦
	قل اطيعوا الله والرسول - -	٣٢	٢٣٦
	قال كذلك الله يفعل مايشاء - -	٤٠	١٢٢
	ومن يبتغ غير الاسلام دينا - -	٨٥	١٠٩
	إن في خلق السموات والارض - -	١٩٠	٢٩٠
	الذين يذكرون الله قياماً - -	١٩١	٢٩٠
	ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته - -	١٩٢	٢٩٠
	ربنا إننا سمعنا منادياً - -	١٩٣	٢٩٠
سورة النساء :			
	ولوكان من عند غير الله - -	٨٢	٢٢٨
سورة المائدة :			
	اليوم أكملت لكم دينكم - -	٣	٨٢ و١٢٥
	إنما وليكم الله ورسوله - -	٥٥	٣١٢
	وإذا قيل لهم تعالوا - -	١٠٤	٢٢١
سورة الانعام :			
	الحمد لله الذي خلق السموات والارض - -	١	٢٩٩
	أغير الله اتخذ ولياً - -	١٤	٣١٢
	ولو ردوا لعادوا لمانهو عنه - -	٢٨	٣٦٩

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الانعـــام :			
	فلما جن عليه الليل رأى كوكباً . .	٧٦	٤٠٤
	لاتدركه الابصار	١٠٣	٤١٠و٣٨٣
	وإن هذا صراطي مستقيماً . .	١٥٣	٢٣٣
	قل إن صلاتي ونسكي . .	١٦٢	٣١٢و١٠٥
سورة الاعـراف :			
	اتبعوا ما أنزل اليكم . .	٣	٢٢٣
	هل ينظرون إلاتأويله . .	٥٣	٧٧
	لقد أرسلنا نوحاً الي قومه . .	٧٣	٦٨
	أعبدوا الله مالكم من اله غيره . .	٨٥	٦٨
	وما تنقم منا الا أن آمنا . .	١٢٦	١٧
	أجعل لنا الٰهاً كما لهم الهة . .	١٣٨	٣٨١
	رب ارني انظر اليك . .	١٤٣	٤٠٠و٣٨٠
	قال ياموسي اني اصطفيتك . .	١٤٤	٤٠٢
	الم يروا انه لايكلمهم . .	١٤٨	٣٤٤
	يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . .	١٥٧	١٣٨
	وإذ اخذ ربك من بني آدم . .	١٧٢	٢٩٦
	إن ولى الله الذي نزل الكتاب . .	١٩٦	٣١٢
سورة يـــونس :			
	ثم استوى على العرش . .	٣	٣٧٠
	للذين احسنوا الحسنى . .	٢٦	٤٢٤و٤٠١
	قل اتنبئون الله . .	١٨	٣٦٩
سورة هـــود :			
	كتاب أحكمت آياته ثم فصلت . .	١	٨٣
سورة يوســف :			
	وما أنت بمؤمن لنا . .	١٧	١٧٥
	إن الحكم الالله أمر الاتعبدوالااياه . .	٤٠	٣١٢
سورة ابراهيـم :			
	افي الله شك فاطر السموات والارض . .	١٠	٢٩٥و٢٩٢و٢٤٠
	وخاب كل جبار عنيد . .	١٥	٢٤٤و١١٣
	من ورائه جهنم . .	١٦	٢٤٤و١١٣
	يثبت الله الذين آمنوا . .	٢٧	١٩٨
سورة الحجــر:			
	انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . .	٩	٩٠
سورة النحــل :			
	افمن يخلق كمن لايخلق . .	١٧	١٢٢
	فلاتضربوالله الامثال . .	٧٤	٣١١

	رقم الآية	الصفحة
سورة الكهف :		
قل لوكان البحر مداداً	١٠٩	٤٣٥
سورة الاسراء :		
وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا - -	١٥	١٢٤
تسبح له السموات السبع والارض - -	١٧	٢٩٦
وإن من شئ الايسبح بحمده - -	٤٤	٣٠١
ومامنعنا ان نرسل بالايات - -	٥٩	١٧١
قل لئن اجتمعت الانس والجن - -	٨٨	١٧١
وقالوا لن نؤمن لك - -	٩٠	١٧١
أوتكون لك جنه —	٩١	١٧١
لقد علمت ما نزل هؤلا الارب العالمين - -	١٠٢	٢٣٩
او يكون لك بيت من زخرف - -	٩٢	١٧١
سورة طـــه :		
الرحمن على العرش استوى - -	٥	٢٤٢و٧٥
ولتصنع على عيني - -	٣٩	٣٤٧
ولايحيطون به علماً - -	١١٠	٢٤٢و٧٥
سورة الانبياء :		
لوكان فيهما الهة الاالله لفسدتا - -	٢٢	٣١٠
وما ارسلنا من قبلك من رسول - -	٢٥	٦٩
وما ارسلناك الارحمة للعالمين - -	١٠٧	١٣٢
سورة المؤمنون :		
قد افلح المؤمنون - -	١-٤	١٨١
ولقد خلقنا الانسان - -	١٢-١٤	٢٩٩
كل حزب بما لديهم فرحون - -	٥٣	٣٧٦
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم - -	١٠٥	٣٦٨
افحسبتم انما خلقناكم عبثاً - -	١١٥	١٣٢
سورة النـــور:		
كسراب بقيعة - -	٣٩	٩١
ويقولون آمنا بالله - -	٤٧	١٨٢
سورة الفرقان :		
الذي خلق السموات والارض - -	٥٩	٣٣٤
سورة الشعراء :		
قالوا أرجه وأخاه - -	٣٦	١٨٥
افرائيتم ماكنتم تعبدون - -	٧٥-٧٧	٢٣٨

سورة النمـــل :	رقم الاية	الصفحة
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم . .	١٤	٢٣٩
أمن يجيب المضطر اذا دعاه . ,	٦٢	٢٧٥
صنع الله الذي اتقن كل شئ . .	٨٨	١٧٢
سورة القصص :		
فذانك برهانان من ربك . .	٣٢	٣٠٣
سورة الــــروم :		
ولكن اكثر الناس لايعلمون . .	٦-٧	٢١٨
اولم يتفكروا في انفسهم . -	٨	٢١٨
فاقم وجهك للدين حنيفاً . .	٣٠	٢٩٦
سورة لقمـــان :		
ولئن سالتهم من خلق السموات . .	٢٥	٦٩
سورة السجـدة :		
الذي احسن كل شئ خلقه - -	٧	١٧٢
سورة الاحـزاب :		
تحيتهم يوم يلقونه سلام - -	٤٤	٤٠٣
انا ارسلناك شاهداً ومبشراً - -	٤٥-٤6	٢٣٣
سورة سبـــأ :		
ويرى الذين اوتو العلم - -	٦	٢٢٧
سورة فاطــــر :		
اليه يصعد الكلم الطيب - -	١٠	٢٤٢و٧٥
سورة يـــــس :		
ياايها الناس قد جاءتكم . -	٥٧	٢٨٢
انما امره اذا اراد شئياً - -	٨٢	٣٦٤
سورة الصفات :		
سبحان ربك رب العزة - -	١٨٠-١٨٢	المقدمة
سورة الزمــر :		
والذين اتخذوا من دونه اولياء - -	٣	١٩٨
ولايرضى لعباده الكفر - -	٧	٤٣٩
الله نزل احسن الحديث - -	٢٣	٢٨٣و٨٢
وما قدروا الله حق قدره - -	٦٧	٤٣٥
سورة فصلـت :		
لاتسجدوا للشمس وللقمر - -	٣٧	٣١٢و٣٠٧
سنريهم آياتنا في الافاق - -	٥٣	٢٨٤

	رقم الاية	الصفحة
سورة الشورى :		
ام اتخذوا من دون الله اولياء . .	٩	٣١٢
ليس كمثله شئ . .	١١	٤٠٨و٣٨٣و٢٤٢و٧٥ و٧٤١و١١٥
وانك لتهدي الي صراط مستقيم . .	٥٢	٢٣٣
صراط الله الذي له مافي السموات . .	٥٣	٢٣٣
سورة الاحقاف :		
فما اغني عنهم سمعهم ولاابصارهم . .	٢٦	٢٨٥
سورة الحجرات :		
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلا . .	٩	١٠٩
قالت الاعراب امنا - -	١٤	٢٢٩
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله . .	١٥	٢٢٩
سورة ق :		
يوم نقول لجهنم هل امتلات - -	٣٠	١١٧
لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد - -	٣٥	٤٠١
سورة الذاريات :		
انكم لفي قول مختلف - -	٨-٩	٢٨٤
وماخلقت الجن والانس - -	٥٦	١٢٢و١٠٩و١٠٥
وفي انفسكم افلاتبصرون . .	٢١	٣٠٠
سورة الطور:		
ام خلقوا من غير شئ - -	٣٥	٣٠٦
سورة القمر:		
تجري باعيننا . -	١٤	٣٤٨
سورة الرحمن :		
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام - -	٢٧	٣٤٧
سورة الحديد :		
هوالذي خلق السموات والارض . .	٤	٤٣٧
سورة الجمعه :		
ولن يتمنوه ابداً - -	٦	٣٨١
سورة الملك :		
كل ماأُلقي فيها فوج - -	٨	١٨٤
سورة الجن :		
واحصى كل شئ عدداً - -	٢٨	٢٥٣
سورة المدثر :		
ومايعلم جنود ربك الاهو - -	٣١	٨٧

	رقم الاية	الصفحة
سورة القيامة :		
وجوه يومئذ ناضرة . .	٢٢	٤٠٧و٤٠٠و٣٨١
ووجوه يومئذ باسرة . .	٢٤	٣٨١
فلا صدق ولاصلى . .	٣١-٣٢	١٨٣
ايحسب الانسان . .	٣٦	١٧٣
سورة المطففين :		
كلاانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . .	١٥	٤٠١
سورة البروج :		
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات . .	١١	٣٧٥
ذو العرش المجيد . .	١٥	١٢٢
فعال لمايريد . .	١٦	١٢٢
سورة العصر:		
	السورة	١٨٢
سورة الاخلاص :		
ولم يكن له كفواً احد	٤	١١٥

فهارس الحديث

	الصفحة
اعطيت خمساً لم يعطهن احداً قبلي	٥٢
افترقت اليهود علي احدى وسبعين فرقة...	١٦١
انك تاتي قوماً من اهل الكتاب ...	٦٧
ان اناساً قالوا يارسول الله هل نرى ربنا...	٤٠٤
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا...	١٢٩ و٦٩
اللهم فاشهد	٢٧٣
الايمان بضع وستون شعبة...	١٦٥
تركتكم علي المحجة البيضاء...	١٢٦
جنتان من فضة انيتهما ومافيهما....	٤٠٤
جاءحبرمن الاحبارالى رسول الله صالي الله عليه وسلم فقال يامحمد..	٤٣٥
خط رسول الله صلي الله عليه وسلم خطأ...	٢٣٣
كان اذا قام الي صلاة الليل ...	٣٠٢
كنا جلوساً عند النبي صلى الله علية وسلم فنظر الي القمر...	٤٠٤
قدر الله مقادير الخلق...	
قرا الرسول صلى الله علية وسلم «للذين احسنوا...»	٢٢١
من اصابه هم وحزن فليقل اللهم ...	٥٧
مامن مولود الايولد على الفطره....	٢٩٦
وقال لها لقد خشيت على نفسي...	٣٠٤
وليلقين الله احدكم يوم يلقاه....	٤٠٤
يقبض الله الارض ويطوي السموات ...	٤١٤
يلقى في النار وتقول هل من مزيد	١١٧
يقال لجهنم هل امتلات	١١٧

المصادر والمراجع

١ - الإبانه عن إصول الديانة لأبي الحسن الأشعري تحقيق د . فوقيه حسين دار الأنصار بالقاهره ط أولى ١٣٩٧هـ

٢ - الإبانه عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري حققه بشير عون ١٤١١هـ الطبعه الثالثه مكتبة المؤيد الطائف .

٣ - إنباه الروﺍة على أنباء النحاة لجمال الدين القفطي تحقيق محمد أبو الفضل مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ .

٤ - الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق عماد الدين حيدر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٥ - الإسلام في مواجهة أعدائه لتوفيق وهبه دار اللواء الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

٦ - الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد للشيخ صالح الفوزان مكتبة الصفدي ١٤١١هـ .

٧ - الإعلام للزركلي دار العلم للملايين بيروت الطبعة السادسة ١٩٨٤م

٨ - أساس التقديس لفخر الدين الرازي مطبعة كردستان العلميه ١٣٢٨ هـ

٩ - الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل محمد الجليند المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ .

١٠ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الشنقيطي مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤٠٨هـ

١١ - الإعتصام للشاطبي دار المعرفة بيروت تعليق محمد رشيد رضا ١٤٠٢هـ .

١٢ - الإعتصام للشاطبي تحقيق سليم بن عيد الهلالي دار بن عفان مكتبة الخبر ١٤٠٢هـ

١٣ - الإيمان الأوسط لابن تيمية دار الفرقان القاهره .

١٤ - الإيمان لابن تيمية تحقيق حسين الغزال دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ .

١٥ - الاستقامة لشيخ الإسلام تحقيق د محمد رشاد سالم مكتبة السنة القاهرة طبعة ثانية ١٤٠٩هـ .

١٦ - أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى جمع وإعداد محمد عبد الوهاب المصري دار طيبة الرياض طبعة رابعة ١٤٠٩هـ .

١٧ - الأسئلة والأجوبة الفقهية بالأدلة الشرعية لعبد العزيز السلمان الطبعة العاشرة ١٤١٢ هـ .

١٨ - أصول الدين للبغدادي مدرسة الإلاهيات اسطنبول الطبعة الأولي مطبعة الدولة ١٣٤٦هـ

١٩ - الإنصاف للقاضي أبي بكر الباقلاني تحقيق الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث ١٣٦٩هـ.

٢٠ - ابن تيمية السلفي محمد خليل الهراس الطبعة اليوسفية طنطا الطبعة الأولى ١٣٧٢ .

٢١ - الإقتصاد في الإعتقاد للغزالي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ .

٢٢ - البداية والنهاية لابن كثير تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون دار الريان للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

٢٣ - الباقلاني وآراءه الكلامية محمد رمضان مطبعة الأمة بغداد ١٤٠٦هـ .

٢٤ - بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام تعليق محمد بن قاسم طبع على نفقة الملك فيصل آل سعود .

٢٥ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي عيسى الحلبي الطبعة الأولى القاهرة ١٣٨٤هـ .

٢٦ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩٧٠م

٢٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت .

٢٨ - التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد السعوي طبعة أولى ١٤٠٥ .

٢٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة بيروت ١٤٠٢هـ

٣٠ -التفسير الكبير للرازي المطبعة البهية المصرية الطبعة الأولي ١٣٥٧هـ .

٣١ - التكملة في الحساب لعبد القاهر البغدادي تحقيق د . أحمد سعيدان المنظمة العربية الكويت الطبعة الأولى١٤٠٦ هـ

٣٢ - التنبيهات اللطيفة علي العقيدة الواسطية للشيخ عبد الرحمن السعدي إشراف عبد الرحمن الرويشد وسليمان حماد الطبعة الأولى .

٣٣ -التمهيد للباقلاين ت عماد الدين حيدر مؤسسة الكتب الثقافيه بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٣٤ - التوحيد و إثبات صفات الرب لإمام الأئمة محمد بن خزيمة راجعه محمد الهراس دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ .

٣٥ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح النونية لابن القيم تأليف أحمد بن عيسى تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ

٣٦ - تدريب الراوي في شرح تقريب النووي للسيوطي تحقيق عبد الوهبا عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثة .

٣٧ - تذكرة الحفاظ للذهبي دار إحياء التراث العربي بيروت .

٣٨ - تفسير أسماء الله الحسنى للبغدادي « مخطوط » المتحف البريطاني برقم ٧٥٤٧ ومركز الملك فيصل للبحوث برقم ١٦٠٥ .

٣٩ - تبيين كذب المفتري لابن عساكر دار الفكر الطبعة الثانية دمشق ١٣٩٩هـ .

٤٠ - تفسير ابن كثير دار القلم صحح بإشراف خليل الميس .

٤١ - التعليق على متن لمعة الإعتقاد لإبن قدامة الحنبلي تعليق الشيخ عبد الله الجبرين دار الصميعي الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

٤٢ - تلبيس أبليس لأبن الجوزي تحقيق علي حسن عبد الحميد دار ابن الجوزي الطبعة الأولي ١٤١٠هـ .

٤٣ - التبصير في الدين لابن المظفر الإسفراييني تحقيق كمال بن يوسف الحوت عالم الكتب طبعة أولى ١٤٠٣هـ .

٤٤ - الجامع الصحيح لسنن الترمذي مكتبة أبن تيميه تحقيق ابراهيم عطوة عوض - مصطفى البابي الحلبي مصر .

٤٥ - جامع البيان في تفسير القرآن لإبن جرير الطبري دار المعرفة بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ .

٤٦ - جامع الرسائل لابن تيميه ت.رشاد محمد سالم مطبعة المدني القاهرة طبعة أولى ١٣٨٩ هـ .

٤٧ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر دار الباز بمكة المكرمة ١٣٩٨ هـ .

٤٨ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية مطابع المجد التجارية .

٤٩ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لأبن القيم ت . السيد الجميلي دار الكتاب العربي الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ .

٥٠ حاضر العالم الإسلامي - شكيب ارسلان ، ترجمة عجاج نويهض ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ .

٥٠ - حد الإسلام وحقيقة الإيمان للشيخ عبد المجيد الشاذلي طبع في جده بدون تاريخ .

٥١ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز ترجمة أبو ريدة دار الكتاب العربي بيروت طبعة رابعة ١٣٨٧هـ .

٥٢ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنه لأبي القاسم الأصبهاني ت . محمد المدخلي دار الراية طبعة أولى ١٤١١هـ .

٥٣ - الحكمة في الدعوه إلى الله سعيد بن وهف الطبعة الأولى مطبعة سفير الرياض .

٥٤ - الخطط للمقريزي مطبعةبولاق دار صادر بيروت .

٥٥ - دلائل النبوه لأبي القاسم الأصبهاني حققه سعد الحميد دار العاصمة طبعة أولى الرياض ١٤١٢ هـ .

٥٦ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه ت د . محمد رشاد سالم الطبعه الأولى جامعة الإمام ١٤٠٠هـ .

٥٧ - الرد على المنطقيين دار ترجمان السنة لاهور الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ .

٥٨ - رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ت.شاكر محمد الجنيدي مؤسسة علوم القر آن بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٥٩ - رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها د . أحمد بن ناصر آ ل حمد مؤسسة مكة للطباعة مطابع الندوة طبعة أولى ١٤١١هـ .

٦٠ - الأربعين في أصول الدين للرازي مكتبات الكليات الأزهرية القاهرة د . أحمد السقا ، ١٩٨٦م .

٦١ - الرساله المدنية لابن تيمية تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان طبعة أولى دار طيبة الرياض .

٦٢ - الرد على البكري لأبن تيمية الدار العلمية دلهي الطبعة الثانيه.

٦٣ - سنن الدارمي دار الكتب العلمية بيروت دار إحياء السنة النبوية .

٦٤ - سبل السلام شرح بلوغ المرام مطبوعات جامعة الإمام الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .

٦٥ - سنن أبي داوود تعليق الدعاس وعادل السيد دار الحديث بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .

٦٦ - سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرساله ت . شعيب الأرنؤوط وآخرون طبعة رابعة ١٤٠٦ .

٦٧ - الشامل في أصول الدين للجويني ت د .على النشار وآخرون منشأة المعارف الأسكندرية ١٩٦٩ .

٦٨ - شرح سنن ابن ماجة حاشية السندي دار الجيل بيروت .

٦٩ - شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي ت د . أحمد حمدان دار طيبة للنشر الرياض الطبعة الثانية ١٤١١ هـ .

٧٠ -شرح العقيدة الواسطية لمحمد الهراس در الهجرة للنشر الرياض طبعة أولى ١٤١١هـ .

٧١ - شرح العقيده الطحاوية خرج أحاديثها الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة التاسعة ١٤٠٨ هـ .

٧٢ - شرح العقيد الطحاوية تعليق شعيب الأرناؤوط مكتبة دار البيان دمشق طبعة أولي ١٤٠١ هـ

٧٣ - شرح العقيده الأصفهانيه قدمها حسين مخلوف دار الكتب الإسلامية القاهرة ١٣٨٥ هـ .

؟ شرح المواقف للجرجاني ت. أحمد المهدي مكتبة الأزهر - دار الحلبي للطباعة - المواقف الخامس ١٩٧٦م .

٧٤ - الشرح والإبانة لإبن بطة العكبري تحقيق رضا نعسان مكتبة الفيصلية مكة المكرمة ١٤٠٤هـ .

٧٥- شرح الأصول الخمسة ت . د . عبد اكريم عثمان مطبعة الإستقلال الكبرى الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ .

٧٦ - شفاء العليل لابن القيم دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

٧٧ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي دار الفكر ١٤٠٩هـ .

٧٨ - شرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن وهف مؤسسة الجريسي للتوزيع ١٤٠٩هـ .

٧٩ - الصفات الإلاهية في الكتاب و السنة لمحمد الجامي طبع بجدة طبعة ثالثة١٤١١ هـ .

٨٠ - صحيح مسلم شرح النووي مكتبة الرياض الحديثة .

٨١ - الصواعق المنزلة لابن القيم ت.د . علي الفقيهي د . أحمد الغامدي .

٨٢ - الصحاح للجوهري ت.أحمد عطار الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

٨٣ - الصواعق المرسلة لابن القيم أختصره الموصلي دار الندوة بيروت ١٤٠٥ هـ

٨٤ - الضوابط في التكفير عند أهل السنة والجماعة عبد الله محمد القرني مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٣ ١٤هـ .

٨٥ -طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح هذبه النووي وحققه محب الدين نجيب دار البشائر الإسلامية طبعة أولى ١٤١٣هـ .

٨٦ - طبقات الشافعية لأبي بكر ابن هداية الله الحسيني دار الأوقاف الجديدة الطبعة الأولى ١٩٧١ هـ .

٨٧ – طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه الدمشقي صححه د . الحافظ خان عالم الكتب طبعة أولى ١٤٠٧ هـ .

٨٨ – طبقات الشافعية الكبرى للسبكي دار المعرفة بيروت تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى الحلبي .

٨٩ – علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين بيروت طبعه ١٤ ، ١٩٨٢هـ .

٩٠ – العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر ابن العربي حققه محب الدين ابن الخطيب المكتبة السلفية القاهرة الطبعة السادسة ١٣٧٤هـ .

٩١ – العبر وديوان المبتدأ والخبر لأبن خلدون طبعه محمد مصطفى .

٩٢ العالم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ لصالح المقبلي اليمني دار البيان بشير محمد عون دمشق .

* منهج الأشاعرة في العقيدة للدكتور سفر الحوالي مجلة الجامعة الإسلامية عدد « ٦٢ »

٩٣ – عقيدة الموحدين جمع عبد الله بن سعدي العبدلي تقديم الشيخ عبد العزيز بن بازدار الهجرة الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٩٤ – العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدتسيهر عربه محمد يوسف وآخرون دار الكتاب المصري ط أولي ١٩٤٦هـ .

٩٥ – العقائد الإسلامية السيد سابق طبعه خاصة بالمؤلف .

٩٦ – عقيدة الفرقة الناجية تقديم عبد الله حجاج دار الجيل بيروت طبعة ثانية ١٤٠٧ هـ .

٩٧ – عقائد السلف جمع علي سامي النشار وعمار الطالبي منشأة المعارف ١٩٧١ هـ

٩٨ –عقيدة المسلم محمد الغزالي دار الريان للتراث ١٤٠٢هـ .

٩٩ – غاية المرام في علم الكلام للآمدي ت.حسن عبد اللطيف القاهرة ١٣٩١ هـ

١٠٠ - في علم الكلام دراسة فلسفية د . أحمد صبحي طبعة رابعة موسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية ١٩٨٢ م .

١٠١ -الفرق بين الفرق للبغدادي دار المعرفة بيروت ت.محمد محب الدين عبدالحميد .

١٠٢ - فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي ت.د . إحسان عباس دار صادر بيروت .

١٠٣ - الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام دار المعرفة بيروت طبعة أولى ١٤٠٩هـ .

١٠٤ -في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق الطبعة التاسعة ١٤٠٠ هـ .

١٠٥ -الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ت.حسن الغزال دار ضياء العلوم بيروت طبعة ثانية ١٤٠٥هـ .

١٠٦ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني دار الفكر ت.الشيخ عبد العزيز بن باز رقمه ورتبه محمد عبد الباقي .

١٠٧ - القاموس المحيط للفيروز أبادي مكتبه التراث الرسالة بيروت طبعة أولى١٤٠٦ .

١٠٨ -القضاء والقدر لعمر الأشقر دار النفائس الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ .

١٠٩ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة وكاله المعارف١٣٦٠هـ .

١١٠ - الكامل في التاريخ لأبن الأثير دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ .

١١١ - اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري صححه د. محمود غرابه مجمع البحوث الإسلامية القاهرة ١٩٧٥م .

١١٢ - الملل والنحل للبغدادي ت د . البر نادر دار الشرق بيروت ١٩٧٠م .

١١٣ - مختصر الفرق بين الفرق عبد الرزاق الرسعني المركز الإسلامي للطباعة القاهرة ت . فيليب حتي .

١١٤ - مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تقديم محمود قاسم الطبعة الثالثة مكتبة الأنجلو المصرية مع مقدمة نقد مدارس علم الكلام لمحمود قاسم ١٩٦٩م .

١١٥ - مقدمة ابن خلدون دار إحياء التراث الإسلامي بيروت ١٤٠٨ هـ .

١١٦ - المواقف للإيجي في علم الكلام مكتبة المتنبي القاهرة .

١١٧ - المطالب العالية للرازي ت.أحمد حجازي السقا دار الكتاب العربي طبعة أولي بيروت ١٤٠٥هـ .

١١٨ - مفتاح السعادة لابن القيم دار الكتب العلميه بيروت .

١١٩ - موقف ابن تيمية من الأشاعرة د . عبد الرحمن المحمود مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى١٤١٥هـ .

١٢٠ - مختصر العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي ت . ناصر الألباني إشراف زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ .

١٢١ - مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري صححه هلمت ريتر الطبعة الثانية فرانس استاير ١٤٠٠هـ .

١٢٢ - المغني في باب التوحيد تحقيق د . أبو الوفا الغنيمي المؤسسة المصريه للتأليف .

١٢٣ - محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ت.محمد عبد الباقي الطبعة الأولىٔ الحلبي ١٣٩٨هـ .

١٢٤ - مدارج السالكين لابن القيم راجعه لجنة من العلماد دار الحديث القاهرة .

١٢٥ - المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم الدار السعودية للنشر د. عبد الحليم خضر ط الثانية ١٤٠٦ .

١٢٦ - مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية دار الباز مكة المكرمة .

١٢٧ - منهاج السنه لابن تيمية ت محمد رشاد سالم ط أولى ١٤٠٦هـ .

١٢٨ - مفتاح السعادة لطاش كبري زادة تحقيق أحمد مصطفى وكامل بكري دار الكتب عابدين .

١٢٩ - مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة د . ناصر العقل دار الوطن الرياض ط أولي ١٤١٣ هـ .

١٣٠ - معجم المؤلفين رضا كحالة دار إحياء التراث العربي بيروت .

١٣١ - مجلة البحوث الإسلامية الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء العدد ٢٢ سنة ١٤٠٨هـ .

١٣٢ - المنتظم في تاريخ الأمم لأبن الجوزي دراسة محمد ومصطفى عبد القادر عطا مراجعة نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١٢ هـ .

١٣٣ - مقارنه بين الغزالي وابن تيمية د . محمد رشاد سالم الدار السلفية ١٣٩٥هـ .

١٣٤ - المقاصد للتفتازاني تحقيق عبد الرحمن عميرة تصدير صالح موسى عالم الكتب بيروت ط أولي ١٤٠٩هـ .

١٣٥ - مذاهب الإسلاميين د . عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين بيروت ط الثالثة ١٩٨٣ هـ .

١٣٦ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية القاهرة مطابع الطوبجي .

١٣٧ - الملل والنحل للشهرستاني ت.محمد الكيلاني توزيع در الباز دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ ؛ الملل والنحل للبغدادي ت.د.البير نادر الطبعة الثانية دار المشرق ١٩٧٠م .

١٣٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل المكتب الإسلامي طبعة خامسة بيروت ١٤٠٥ هـ .

* مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني دار إحياء الكتب العربية - الحلبي .

١٣٩ - الناسخ والمنسوخ رسالة ماجستير لحلمي الأسعد جامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة سنة ١٤٠٠هـ .

١٤٠ - النبوات لابن تيمية دار الكتب العليمة بيروت ١٤٠٥ هـ .

١٤١ - النصيحة في صفات الرب جل وعلا جمع أحمد الواسطي المكتب الإسلامي الطبعة الثانية إشراف زهير الشاويش .

١٤٢ - نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي د . علي النشار دار المعارف ١٩٧٧م .

١٤٣ - نقض المنطق لشيخ الإسلام حققه محمد حمزة وسليمان الصنيع صححه محمد الفقي مكتبة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٠هـ .

١٤٤ - نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني مكتبة المتنبي القاهرة .

١٤٥ - وفيات الأعيان لابن خلكان ت . إحسان عباس دار صادر .

١٤٦ - واقعنا المعاصر للأستاذ / محمد قطب موسسة المدينة ط الثانية ١٤٠٨ هـ .

١٤٧ - وجاءوا يركضون !!! تأليف أبو بكر الجزائري دار راسم للإخراج جدة١٤٠٦هـ .

١٤٨ - فتاوى وتنبيهات لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مكتبة السنة سنة١٤٠٩هـ .

١٤٩ - القواعد المثلى لصفات الله وأسمائه الحسنى دار عالم الكتب للنشر للشيخ محمد بن صالح العثيمين الطبعة الثالثة ١٤٠٨ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	م-و
الفصل الاول :	
عصر البغدادي وحياتة	١
المبحث الاول :عصر البغدادي	
الناحية السياسية	٣
الحالة الاجتماعية	١٠
الناحية العلمية	١٤
المبحث الثاني :حياة البغدادي واثاره ومكانته العلمية واراء العلماء فيه	
حياتة : مولده ورحلاته واثروالده عليه	١٩
شيوخه	٢١
تلاميذه	٢٤
مكانته العلمية واراء العلماء فيه :	٢٧
آثاره....	٣١
كتاب تفسير اسماء الله الحسنى ونسبته اليه «المخطوط»	٤١
اثار البغدادي في الرواية	٥٢
تعقيب	٥٦
الفصل الثاني :	
منهج البغدادي في دراسة العقيدة	
اولاً : تقسيم اصول الدين عند البغدادي	٦٠
ثانياً : قوله بإتفاق اهل السنه والجماعة على ذلك	٦٢
ثالثاً : العقل مصدر التلقي	٦٦
رابعاً : التاويل وحقيقته	٧٤
خامساً : الشك في الخبر المتواتر وعدم قبول خبر الآحاد في العلم	٩٠
سادساً : التوحيد	٩٢
سابعاً: عقيدتة الاشعرية	٩٨
ثامناً: متابعتة لعلماء الكلام	١٠٢
١ .الاستدلال على الله	١٠٤
٢ .فهم التوحيد	١٠٥
٣ .اول واجب على المكلف	١٠٦
٤ .التاؤيل	١١٠
٥ .التناقض	١١٦
٦ .الاختلاف	١٢٠
٧ .التحسين والتقبيح	١٢٦
٨ .غرائب البغدادي	١٢٥
تاسعاً :التكفير	١٥١
عاشراً:حصر دلائل النبوه بالمعجزه	١٦٨
الحادي عشر :الارجاء	١٧٤
الثاني عشر :التصوف وعلاقته بالمذهب الاشعري	١٨٩

الفصل الثالث :

وجود الله

المبحث الاول : طريقة البغدادي في الاستدلال على وجود الله ١٩٩
الجوهر والعرض عند البغدادي ٢٠٠
خطوات الدليل عند البغدادي
اولاً : اثبات حدوث الاعراض ٢٠٢
ثانياً : استحالة تعري الاجسام من الاعراض ٢٠٣
ثالثاً : حدوث الاجسام ٢٠٤
رابعاً : الحوادث لابد لها من محدث ٢٠٥
خامساً : منع التسلسل واثبات الصانع ٢٠٦
معرفة الاسباب والاسس التي اعتمدها البغدادي في اثبات وجود الله ٢٠٩
نقد الاسباب والاسس التي اعتمدها ٢١٦
المبحث الثاني : نقد دليل البغدادي في اثبات وجود الله
البغدادي ينكر معرفة الله بالضرورة ٢٣٧
الرد على المصطلاحات التي اعتمدها البغدادي في دليل الوجود ٢٤٣
نقد اقوال البغدادي في الجوهر ٢٥٢
نقد مقدمات الدليل على وجود الله عند البغدادي ٢٥٧
معرفة الصانع عند البغدادي واصحابه ٢٦٤
نقد طرق اثبات وجود الله عند البغدادي ٢٦٩
الاستدلال على الله عند السلف ٢٨٨
طرق معرفة الله عند السلف ٢٩٥
اولاً : الفطره ٢٩٥
ثانياً : الخلق والعناية في القران الكريم ٢٩٨
ثالثاً : الاستدلال على الله بالله ٣٠١
رابعاً : المعجزة ٣٠٢
خامساً : اجماع الامم ٣٠٥
سادساً : المقاييس العقلية ٣٠٥
سابعاً : الاعجاز العلمي في القران الكريم ٣٠٧

الموضوع | رقم الصفحة

الفصل الرابع :
وحدانية الله تعالي
المبحث الاول :طريقة البغدادي في اثبات وحدانية الله تعالي ٣٠٩
المبحث الثاني : نقد طريقة البغدادي في اثبات وحدانية الله ٣١٠
توحيد الالوهية عند البغدادي ٣١٤
نقد قول البغدادي واصحابه في معني الالوهية ٣١٧

الفصل الخامس :
تنزيه الله تعلي عن التشبيه
المبحث الاول : طريقة البغدادي في تنزيه الله تعالي عن التشبيه ٣٢٠
المبحث الثاني : نقد طريقة البغدادي في تنزيه الله ٣٢٦

الفصل السادس :
اسماء الله تعالي وصفاته
المبحث الاول : اسماء الله تعالي عند البغدادي ٣٢٩
المبحث الثاني : الاحكام العامه للصفات عند البغدادي ٣٣٤
المبحث الثالث : صفات المعاني عند البغدادي ٣٣٧
المبحث الرابع : الصفات الخبريةعند البغدادي ٣٤٥
تاويل البغدادي للصفات الخبرية ٣٤٧
المبحث الخامس : نقد عقيدة البغدادي في الاسماء والصفات ٣٥٤
نقد عقيدة الصفات عند البغدادي/صفات المعاني ٣٦١
نقد اعتقاد البغدادي في الصفات الخبرية ٣٧٠

الفصل السابع :
رؤية الله تعالي : عقيدة اهل السنة في رؤية الله ٣٧٦
مذاهب المتكلمين في رؤية الله ٣٧٧
المبحث الاول :رؤية الله تعالي عند البغدادي ٣٧٩
الدليل العقلي ٣٧٩
الدليل من النقل ٣٨٠
المبحث الثاني :نقد طريقة البغدادي في اثبات الرؤية ٣٨٥
اولاً : تقرير الدليل العقلي ٣٨٦
نقد الدليل ٣٨٧
نقد بعض علماء الاشاعرة للدليل ٣٩٢
رد شيخ الاسلام ٣٩٦

الموضوع	رقم الصفحة
ثانياً : نقد دليل الشرع عند البغدادي .	٤٠٠
معنى رؤية الله عند البغدادي واصحابه .	٤١١
نقد قولهم بالرؤية ونفي الجهة .	٤١٨
إجماع السلف على ان الله في جهة من الرائ	٤٢٢
من أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة .	٤٢٣
الفصل الثامن :	
عقيدة البغدادي في القدر وأفعال الله تعالى .	
المبحث الأول : طريقة البغدادي في اثبات القدر وافعال الله .	٤٢٩
نفي الاستطاعة قبل الفعل .	٤٣١
المبحث الثاني : نقد عقيدة البغدادي في القدر وافعال الله .	٤٣٣
أفعال الله في الازل .	٤٣٣
أفعال الله الاختيارية .	٤٣٥
الإرادة .	٤٣٨
القدر .	٤٤٠
الكسب .	٤٤١
بيان قدرة العبد عند أهل السنة على الفعل .	٤٤٢
تعقيب	٤٤٤
الخاتمة .	٤٤٧
فهارس الآيات .	٤٥٢
فهارس الحديث .	٤٥٨
المراجع والمصادر .	٤٥٩
الفهارس .	٤٧١